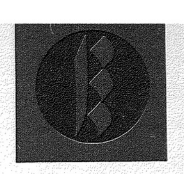


ديوان أبي بكر الخوارزمي

محمد بن العباس الخوارزمي

(ت ٣٨٣ هـ.)

مع دراسة لعصره وحياته وشعره

صنعه وحققه وقدم له

الدكتور حامد صدقي







اهداءات ٢٠٠٤

دار المشرق
بيروت- لبنان

ديــوان
أبي بكــر الخــوارزمي

محمد بن العباس (ت ٣٨٣ هـ)

مع دراسة لعصره و حياته و شعره

الدكتور حامد صدقي

الخوارزمی، محمدبن العباس،   - ۳۸۳ ق.
[دیوان]
دیوان أبی بکر الخوارزمی (مع دراسة لعصره و حیاته و شعره) / محمدبن العباس؛ صنعه و حقّقه و قدّم له : حامد صدقی ـ تهران : مکتب نشر التراث المخطوط، آینة میراث (مرآة التراث)، ۱۴۱۸ ق. = ۱۳۷۶.
۳۹۸ ص. ـ (میراث مکتوب؛ ۳۲ : زبان و ادبیات عربی: ۱)
ISBN 964-90733-0-2
بها : ۱۵۰۰ تومان.
ص.ع. به انگلیسی :
Muhammad ibn al-'Abbās.
Dīwān-i Abī bakr al- Xwārazmī (with study of his time, life and poetry)
زبان عربی
خلاصة مقدمه به فارسی
کتابنامه : ص. [۳۷۱] - ۳۹۸؛ همچنین به صورت زیرنویس.
۱. الخوارزمی، محمدبن العباس،   - ۳۸۳ ق.، دیوان ـ نقد و تفسیر. ۲. شعر عربی ـ قرن ۴ ق.
الف. صدقی، حامد، ۱۳۲۴ -   مصحح. ب. دفتر نشر میراث مکتوب. ج. عنوان.
۸۹۲/۷۱۳۴   PJA ۳۹۲۹ / د ۹
د ۷۹۲ خ   ۱۳۷۶
۱۳۷۶

برگهٔ فهرست نویسی پیش از انتشار دفتر نشر میراث مکتوب



دیوان ابي بکر الخوارزمي

محمد بن العبّاس الخوارزمي (ت ۳۸۳ هـ)
(مع دراسة لعصره و حياته و شعره)
صنعه و حقّقه و قدّم له : الدكتور حامد صدقي

الطبعة الأولى : ۱۳۷٦ ش. / ١٤١٨ ق. / ۱۹۹۷ م.
تنضيد الحروف : مكتب نشر التراث المخطوط
الناشر : آينة ميراث (مرآة التراث)
الخطّاط : احمد عبدالرضائي
العدد : ۲۰۰۰ نسخة
الليتوغراف : نگارش ـ قم
المطبعة : صدر
التجليد : مؤسسة بيروت

طبع هذا الكتاب تحت اشراف مكتب نشر التراث المخطوط بالتعاون مع وزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي
الثمن : ۱۵۰۰ تومان
عنوان مكتب نشر التراث المخطوط : تهران، ص. ب : ٥٦٩ ـ ١٣١٨٥



تزخر خزائن مكـتباتنا بـالمخطوطات القـيّمة التي تـضمّ ثـقافة ثـرّة لإيـران الإسلامية، و هي في جوهرها مآثر العلماء و النوابغ العظام و التي تمثّل هويّتنا نحن الايرانيين. و إنّ المهمّة الملقاة على عاتق كل جيل أن يبجّل هذا التراث الثمين و يبذل قصارى جهده لإحيائه و بعثه للتعرف إلى تاريخه وثقافته و أدبه و ماضيه العلمي.

و رغم جميع الجهود التي بذلت خلال العقود الأخيرة لاكتشاف الكنوز المخطوطة لتراث هذه الأرض و التحقيق و البحث اللذين انصبّا في هذا المضمار، و نشر مئات الكتب و الرسائل القيّمة، فإنّ الطريق ما يزال طويلاً حيث توجد آلاف الكتب و الرسائل المخطوطة المحفوظة في المكتبات داخل البلاد و خارجها ممّا لم يتمّ اكتشافه و نشره.

كما أنّ كثيراً من النصوص التراثية و رغم طبعها عدّة مرّات لم ترقَ إلى مستوى الأسلوب العلمي المتوخّىٰ للنشر، بل هي بحاجة إلى إعادة تحقيقها و تصحيحها.

إنّ إحياء و نشر الكتب و الرسائل المخطوطة هو الواجب الملقى على عـواتـق المحققين و المؤسسات الثقافية، و إنّ وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي و انطلاقاً من أهدافها الثقافية، أسست مركزاً لتسهم مـن خـلاله و بـدعمها لجـهود المـحققين و الباحثين و بمشاركة الناشرين، في نشر التراث المخطوط، و لتـقدم للـنخبة المـثقّفة مجموعة قيّمة من النصوص التراثية و مصادر التحقيق.

مكتب نشر التراث المخطوط

الفهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي لايبلغ مدحتَهُ القائلون، ولا يُحصي نعماءَه العادّون، ولايؤدي حقَّهُ المجتهدون، وأشهد أن لاإله الا الله وحده لا شريك له، شهادة ممتحناً اخلاصُها، معتقداً مصاصُها نتمسك بها أبداً ما أبقانا، وندخرها لأهاويل ما يلقانا، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور والكتاب المسطور. وأصلي وأسلم عليه وعلى آله الذين هم اساس الدين وعماد اليقين.

وبعد:

فان اهتمامي بأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس (ت ٣٨٣ هـ) يَعود الى أواخر سنة ١٣٧٢ هـ. ش / شوال سنة ١٤١٤ هـ. ق، عندما عزمت على كتابة بحث حول المقامات وبدايتها وتطوراتها، فاذا بي أواجه أبا بكر الخوارزمي باعتباره كاتباً يحتل مكانة مرموقة بين كتاب الرسائل في القرن الرابع الهجري. فاستوقفتني شخصية الرجل، ورسائله، فوجدت، علىٰ الرغم من عبارات المدح والثناء والاعجاب التي تُكال له ولرسائله، أنها لم تحقق، اذ أنّ النسخ الموجودة في الاسواق مليئة بالاغاليط. فعزمت على تحقيقها، واتصلت بالعلامة المحقق الباحث السيد عبد العزيز الطباطبائي[1]، استشيره فيما عقدت العزم عليه، فوافقني على فكرتي

---

١. انتقل الى جوار ربّه في الاسبوع الأول من رمضان عام ١٤١٦ هـ.

وشجعني وزودني بقائمة لمخطوطاتها الموجودة في مكتبات العالم مؤكداً لي أنها لم تحقق بعد. ولكني بعد حين علمت انها حققت وقدّمت باعتبارها اطروحة للدكتوراه في كلية الالهيات بجامعة طهران. وعلى الرغم من ان العلامة الطباطبائي وغيره من الاساتذة الباحثين قد اشاروا علي بامكانية القيام بعمل تحقيقي آخر له، اعتماداً على مخطوطات أقدم لها، الا أني آثرت القيام بعمل لم يسبقني اليه أحد.

لقد تعرفت اثناء هذه الفترة الى الخوارزمي باعتباره شاعراً، والى وجود ديوان شعر له مخطوط. فعزمت القيام على تحقيق هذا الديوان واخراجه الى حيز الوجود. ولكني صدمت مرة أخرى حين تأكد لي أن الديوان المذكور ليس للخوارزمي هذا، بل لشاعر آخر[١]. ولكن بدل ان يتسرب اليأس اليّ ويدفعني الى الاعراض عن هذا الموضوع، فقد لاح لي أمل جديد، يحقق أمنيتي التي كنت أرغب فيها، فتساءلت مع نفسي: لماذا لاأقوم بصناعة ديوان لهذا الشاعر ودراسة شخصيته باعتباره شاعراً؟ وهو موضوع لم يسبقني اليه احد لحد الآن على ما أظن!! وفعلاً فقد استقر رأيي على هذا الموضوع، ولاقت الفكرة ترحيباً وتشويقاً وتشجيعاً من كل الاساتذة والباحثين الذين عُرضت عليهم.

اذن فالهدف من هذا البحث هو دراسة الخوارزمي باعتباره شاعراً وجمع ديوان اشعاره. انني وعلى الرغم من شعوري وادراكي صعوبة هذا العمل. والمشاق التي يمكن ان أتحملها، قررت الخوض في هذا المجال لاحساسي بأهمية الموضوع من الناحية العلمية أولاً ومن الناحية الحضارية ثانياً.

فمن الناحية العلمية، يحتل الموضوع أهمية بالغة لان نتيجته ستشكل اضافة جديدة الى المعرفة العلمية في مجال الادب بصورة عامة والشعر بصورة خاصة، وهذا هدف مهم ينبغي تحقيقه والوصول اليه في اطروحة الدكتوراه.

اما من الناحية الحضارية فاني وجدت القرن الرابع الهجري يعج بشخصيات أدبية عاشت في ايران الاسلام آنذاك وانصبت جهودها على خدمة اللغة العربية باعتبارها لغة الاسلام، باشكال مختلفة، وكان نتاجها نثراً أو شعراً باللغة العربية، ولكنها لم تحظَ بعناية الباحثين العرب

---

١. لمزيد من التفاصيل حوله راجع الفصل الثالث.

والفرس على السواء. اما الباحثون العرب فربما عزفوا عن البحث في هذا المجال لأن هذه الشخصيات فارسية وليست عربية، ولان التفكير والاتجاه القومي الذي كان سائداً في البلاد العربية في بدايات وأواسط القرن الحالي، والذي لاتزال آثاره موجودة لحد الآن، لا يشجع على مثل هذه الدراسات، هذا بالاضافة الى النزاعات الطائفية التي لايمكن تجاهل تأثيراتها في هذا المجال. اما بالنسبة للباحثين الايرانيين فقد عزفوا هم الآخرون عن هذه الدراسات لان نتاج هؤلاء كان عربياً، ولأن الاتجاه القومي الفارسي الذي كان سائداً في ايران قبل الثورة الاسلامية المباركة، لم يشجع على مثل هذه الدراسات. ولعل كتاب خَريدة القصر للعماد الاصبهاني خير مثال وابلغ دليل في هذا المضمار. فقد حُققت جميع الاجزاء الخاصة بالعراق وبلاد الشام ومصر وبلاد المغرب العربي، وبقي الجزء الخاص بايران ينتظر من يحققه و يخرجه الى النور[1]. انني لا أنفي تماماً وجود مثل هذه الدراسات في هذا المجال، لكني اقول ان الاهتمام والعناية بها يعتبر قليلاً نسبياً. لذلك ينبغي تشجيعها والاهتمام بها لانها ستسلط الاضواء على جوانب ربما بقيت مجهولة لحد الآن في هذا المضمار. لذلك فاني تابعت هذه المسيرة في دراستي للدكتوراه بعد أن بدأتُ بها في كتابة رسالة الماجستير عن الطغرائي الشاعر، وكشفت فيها جوانب كانت مظلمة، واعماقاً لم تسبر غورَها أيدي الباحثين.

وينبغي للدراسة الادبية أن تتناول بالبحث تلك الشخصيات الأدبية التي ساهمت بدور فاعل في الحياة الادبية ومسيرتها، وألقت بظلالها الادبية على مر العصور لتستضئ بها الأجيال المتعاقبة، تستقي منها وتشير اليها، وتتخذها معياراً في الحكم تميز بواسطتها الغث من السمين والزبد مما ينفع الناس[2].

ولما كان الخوارزمي من الشخصيات المشهورة في القرن الرابع الهجري، اذ تعرضت له أكثر الكتب الأدبية والتاريخية والحضارية التي تناولت هذا القرن؛ وكان من الذين تركوا آثارهم وبصماتهم على المسيرة الأدبية في النصف الثاني من ذلك القرن وما يليه، اذ كانت هذه الآثار هي السبب في تخليده على مر العصور؛ لذلك فان دراسته يمكن ان تحقق الغاية التي تهدف اليها

---

١. يقوم مكتب نشر التراث المخطوط التابع لوزارة الارشاد الاسلامي بتحقيقه واخراجه راجع: مرآة التراث ـ فهرس الآثار المطبوعة والمتون التي تحت الطبع، ص ٦٩.

٢. ادب المرتضىٰ للدكتور عبد الرزاق محي الدين، ١٩٥٧،ص أ.

الدراسات الادبية.

والدراسة الادبية تتصل بالاديب حتماً، وبالبيئة التي احتوته سواء كانت هذه البيئة مكانية ام زمانية، وبالتفاعل الذي حدث بين الاديب وبين البيئة، لأن ثمار هذا التفاعل هو الادب الذي ندرسه. لذلك فاني قد قسمت هذه الدراسة الى ثلاثة فصول. يختص الفصل الاول بدراسة عصر الخوارزمي وينقسم الى أقسام ثلاثة: تناول القسم الاول من هذا الفصل الحياة السياسية التي عاصرها الخوارزمي وتطوراتها واحداثها وشخصياتها وما تركته من آثار على أدب الخوارزمي، وموقف الخوارزمي من هذه الاحداث والمؤثرات السياسية، مشيراً الى البيئات السياسية التي عاصرها الخوارزمي وتنقّل بين اجزائها واتصل بشخصياتها وما ترك ذلك من تأثيرات على أدبه، أما القسم الثاني فقد تناول بالبحث الحياة الاجتماعية لعصر الخوارزمي الذي عاش فيه. فالاديب انسان يعيش في المجتمع، فلابد للمجتمع ان يؤثر فيه ولابد له ان يتأثر بمجتمعه. وانتاج الاديب لا يكون لنفسه ولذاته فقط، بل لابد ان يكون هذا الانتاج للمجتمع الذي يعيش بين اكنافه، وإلّا لما نشر الاديب نتاجه الادبي، نظماً كان ام نثراً. وقد حاولت خلال هذا الفصل أن أتبين الاحداث والتطورات الاجتماعية التي تركت بصماتها واضحة على أدب الخوارزمي.

وفي القسم الثالث من هذا الفصل درستُ الحياة الثقافية لعصر الخوارزمي، مشيراً الى البيئات الثقافية التي عايشها وعاصرها وما امتازت به هذه البيئات من ميزات حضارية وثقافية، ذاكراً الشخصيات البارزة في هذه البيئات من العلماء والشعراء ومدىٰ تأثيرها على الخوارزمي أو تأثره بها.

وقد حاولت في هذا الفصل ألا اكون مؤرخاً، بل بذلت جهدي لايجاد نوع من الارتباط والعلاقة بين العصر وظروفه واحداثه وبين شعر الخوارزمي.

وتناولتُ في الفصل الثاني من هذا الباب دراسة الخوارزمي منذ الولادة وحتى الوفاة، مستعرضاً خلاله محطات حياته المختلفة والتأثيرات التي تركتها على شعره. وقد بَذَلْتُ جهدي في تسليط الاضواء الكاشفة على الجوانب المظلمة من حياته والتي يلفها الضباب، ومحدداً قدر الامكان تفصيلات حياته وافكاره واتجاهاته المعنوية والمادية في مسيرة حياته، وماتركته من ظلال على شعره.

إنَّ تتبع محطات حياة الشاعر او الاديب تعتبر مهمة في تحليل شخصية الشاعر من وجهة نظر التاريخ الأدبي. فالشاعر ماهو في الحقيقة الا ثمرة ظروف كثيرة متشابكة متفاعلة؛ منها مايرجع الى ظروف مجتمعه، ومنها مايعود الى ظروف أسرته الاقتصادية، وظروف تربيته، والمؤثرات الذاتية والثقافية التي عملت في تكوينه، ومنها مايعود الى الظروف الدينية والاعتقادية والاخلاقية التي أحاطت به، والفضائل والنقائص التي تقلب فيها خلال حياته وعلاقاته بالناس حوله[1].

اما الفصل الثالث فقد تناول شعر الخوارزمي بالدراسة والتحليل، وقد اشرت في البداية الى بعض آراءه حول الشعر والشعراء وشياطينهم وحول الموضوعات والمواد التي يجب على الشاعر الاطلاع عليها، مستنطقاً الخوارزمي في كل ذلك بواسطة أقواله ورسائله. ثم ناقشت وجود ديوان له ذاكراً الأدلة علىٰ ذلك ومؤكداً ضياعه في الوقت الحاضر، وذاكراً بعض التفصيلات الاحصائية عن الديوان الذي صنعته له. وتعرضت بعد ذلك الى الاغراض والفنون الشعرية التي انشد فيها الخوارزمي، ثم ذكرت الخصائص والسمات الفنية لشعره معتمداً في ذلك كله على الابيات التي استطعت الحصول عليها وجمعها من المصادر المختلفة.

ثم اختتمتُ هذه الدارسة بخاتمة ضمّنتها أهم النتائج التي توصلت اليها خلال البحث.

ويأتي بعد ذلك الديوان الذي صنعته لأبي بكر الخوارزمي، حيث ذكرت في البداية المنهج الذي سرتُ عليه في صنعه، والأسس التي اعتمدتها في تنظيم القطع الشعرية، وبيّنت مصادر تخريج كلّ قطعة شعرية، والاختلافات الموجودة بين المصادر، معتمداً في ذكر النص أكثر الأحيان علىٰ أقدمها زمنياً.

أما المنهج الذي اعتمدته في هذا البحث، والاسلوب الذي حاولت اتباعه والسير عليه وأنا اكتب هذه الدراسة، فلابد من القول أني لم أتقيد بمنهج معين من المناهج الشائعة في الدراسات الادبية. اذا لم ألتزم المنهج التاريخي او الطبيعي او الاجتماعي او النفسي او الجمالي او غير ذلك من المناهج المتعارفة في البحوث والدراسات الادبية[2]، بل حاولت الاستضاءة في عملي بكل المناهج والدراسات السابقة. اذ لايكفي منهج واحد ولادراسة واحدة للباحث في مجال الادب

---

١. البحث الادبي، طبيعته، مناهجه، اصوله، مصادره، الدكتور شوقي ضيف، ص ٦٤.

٢. كيف تكتب بحثاً او منهجية البحث للدكتور إميل يعقوب، ص ١٧ - ٢١.

لكي ينهض بعمله على الوجه الاكمل. بل لابد من الاستعانة بها جميعاً، حتىٰ يمكن الاضطلاع بمسؤولية بحث ادبي قيم. ولعل في تعدد الدراسات والمناهج الادبية مايشهد بأن الآثار الادبية كنوز حافلة بجوانب وفيرة، ولعل في تعددها أيضاً مايشهد بأنّ منهجاً واحداً لايغني غناءً تاماً في البحوث الادبية. اذ لابدّ لعقل الباحث ان يتحول الى مايشبه مرآة تعكس أضواء كل تلك المناهج. لابد لهذه المرآة أن تعكس فكرة الفردية والأصالة والمدرسة او الفصيلة الادبية، وافكار البيئة والعصر، والظروف والتطور التاريخي، والحاجات الاقتصادية للاديب والمجتمع، ومدىٰ التزام الاديب بالقيم الاجتماعية او الفردية التي يؤمن بها، ومدىٰ تمثيل الاديب لمجتمعه الذي يعيش بين ظهرانيه. كما لابد لهذه المرآة أن تعكس رواسب اللاشعور الفردي واللاشعور الجمعي، وعناصر الجمال الكلي للتعبير وموسيقاه، وصلة الاديب بالتراث الفني، ولابد لها ان تعكس كذلك تحليلات لغوية ونحوية وبلاغية دقيقة. إذن فلابد للباحث الادبي الاستعانة بكل تلك الدراسات والمناهج وتطبيقاتها، ولابد أن تتحول نصب عينه الى مايشبه منارات ضخمة تهديه السبيل[١].

ولا أريد هنا ان أدعي المغالاة فيما عانيت واجتهدت، وفيما تحملته من مشاق، ولا أريد هنا أن أعد الساعات والايام والشهور التي قضيتها في هذه المعاناة، ولكني أريد أن أقول أنني حاولت استقراء جميع المصادر الموجودة في مكتبات طهران والتي احتملت العثور فيها على مايخص الخوارزمي، وكنت أقلّبها ورقة ورقة، وأتصفحها صفحة صفحة، لعلي اعثر في تضاعيفها على بيت للخوارزمي، وكنت أوفق في بعضها وأخيب في البعض الآخر. وعلى سبيل المثال لا الحصر اقول اني تصفحت الاجزاء السبعة من نثر الدر للوزير الآبي (ت ٤٢٠ هـ) بصفحاتها التي تزيد على الثلاثة آلاف ولم اعثر على بيت واحد للخوارزمي، ولم يقتصر جهدي على مكتبات طهران، بل حاولت الاتصال بعدد من الدول خارج الجمهورية الاسلامية في ايران وذلك من أجل الحصول على كتاب احتملت أنه مفيد لبحثي هذا.

ولكني على الرغم من أنني لم أدّخر وسعاً وجهداً في هذا المجال، في البحث عن شعر الخوارزمي إلا أنني لا أدّعي بلوغي المدىٰ والغاية، فلربما اوصلني البحث في المستقبل الى كشف

---

١. البحث الادبي للدكتور شوقي ضيف، ص ١٤٥.

اشياء جديدة لم اتوصل اليها الآن، ولربما استطاع غيري أن يصل الى مالم أصل اليه.

وختاماً فان واجب الوفاء يقتضيني أن أتقدم بالشكر الوافر للاساتذة: الدكتور فيروز حريرچي والدكتور محمد علي آذرشب والدكتور محمود شكيب و الدكتور السيدعلي المدرس الموسوي البهبهاني والدكتور السيد ابراهيم الديباجي والدكتور السيد أميرمحمود أنوار و الدكتور محمد حسين الأعرجي لما قدموه لي من عون في هذا المجال[١].

كما أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور غلام رضا تهامي (المستشار العلمي بمكتب نشر التراث المخطوط)، لقراءته مسودة الدراسة وابداء ملاحظاته القيمة. والشكر أيضاً لمدير المكتب المذكور السيد أكبر ايراني قمي الذي إليه يعود الفضل في إخراج هذه الدراسة الى حيّز النور اذ ان هذا المكتب يهتم بطبع الآثار المخطوطة. ولمّا كان ديوان الخوارزمي قد فقد أساساً، ولاتوجد له نسخة خطية، وما قمنا به هو جمع أبياته المبثوثة في تضاعيف الكتب، فان المكتب قد اعتبر هذا العمل جزءاً من وظائفه التي يضطلع بها.

ولشقيقتي السيدة (ع. صدقي) كل شكري وتقديري وثنائي لانها تحملت عناء كبيراً خلال كتابتي هذه الدراسة. فقد كانت تشاركني الهمّ والبحث في مكتبات ليبيا ومصر عما احتاج اليه من مصادر ومعلومات.

واخيراً فانّي اقدم شكري وتقديري لزوجتي السيدة (ل. زندي) على ماتحمّلته من عناء وصعاب طيلة سبعة وعشرين عاماً. اذ لولاها لما كنت قد استطعت مواصلة دراستي العليا في الجغرافية[٢]، ودراستي العليا في اللغة العربية وآدابها. فقد استطاعت بما وفرته لي من أجواء أن تقدم لي الكثير في مجال اكمال دراساتي العليا، كما كان لِتشجيعها المستمر اكبر الأثر في هذا المجال فجزاها الله عني خيراً.

واني لارجو أن أكون قد وُفّقت في هذه الدراسة، فان أصبت فواجب هداني الله لانجازه واتمامه، ورغبة ساعدني الباري عز شأنه على تحقيقها، وإن أخطأت او سهوت فما انا الا انسان

---

١. هذه الدراسة هي في الأصل جزء من أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها نوقشت في جامعة طهران ونالت درجة كاملة بتقدير «ممتاز جداً». وتتضمن الاطروحة بالاضافة الى هذه الفصول دراسة عن الخوارزمي في المصادر المختلفة ودراسة عن نثره. وقد توصل الباحث خلالها الى نتائج لم يسبقه اليها غيره.

٢. حصل المؤلف على البكالوريوس والماجستير في الجغرافية وعلى الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية وآدابها.

لم يعصمني الله عز وجل عن الزلل والتقصير.

ولا أملك الا الدعاء قائلاً: اللهم اغفر لي ماأنت أعلم به مني، فان عدتُ فعد عليّ بالمغفرة. اللهم اغفر لي ما وأيتُ من نفسي ولم تجد له وفاءً عندي. اللهم اغفر لي ماتقربت به اليك بلساني ثم خالفه قلبي. اللهم اغفر لي رمزات الالحاظ، وسقطات الالفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللسان.

وكلي ثقة بحسن الظن، وسعة الصدر والعفو إن بانَ مني تقصير او ظهر في دراستي هذه قصور، أو حدت عن جادة الصواب، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الفصل الاول

عصر الشاعر

ليس الهدف من هذا الموضوع التعرض بالتفصيل الى الحياة السياسية والظروف الاجتماعية والاحوال الثقافية التي سادت عصر الخوارزمي، اذ لست مؤرخاً ولا باحثاً في هذا المجال، وانما الهدف القاء بعض الاضواء على الاوضاع السياسية وظروفها الاجتماعية والثقافية التي سادت عصر الخوارزمي لما لها من تأثير على الشاعر وعلى الحياة الادبية التي عاشها الشاعر، اذ لايمكن للباحث الذي ينحو الموضوعية في دراسته ان يجرد الحياة الادبية من ملابساتها الزمانية والمكانية والشخصية حرصاً على ايفاء الموضوعية هذه في دقة وصفاء. فالنصوص الادبية نفسها انما هي ثمرة ذلك التفاعل بين طبيعة الاديب الذي انشأها وبين البيئة التي احتوته واكتنفته وضمّته بين أرجائها وأثّرت عليه موضوعاً واسلوباً. فالادب ماهو في الحقيقة الا ثمرة التفاعل بين الاديب وبيئته، ولكن هذا لايعني ان هذا التفاعل يجري على وتيرة واحدة دون ان تتدخل عوامل اخرىٰ كالزمان مثلاً، اذ يتدخل الزمان في اطار البيئة الواحدة ليحدد لنا اطواراً فنية متمايزة لهذا التفاعل الذي اشرنا اليه.

ان الظروف البيئيّة التي تؤثر على الاديب وحياته لاتقتصر على نوع واحد، بل تتنوع لتشتمل على الظروف السياسة والاجتماعية، والفكرية والثقافية اضافة الى ظروف اخرىٰ قد تؤثر هي أيضاً على الشاعر والاديب، ولكن الظروف الأُوَل هي التي يتمايز تأثيرها على غيرها، لذلك آثرنا التعرض اليها لنسلط بعض الاضواء على العصر الذي عاشه شاعرنا الخوارزمي ولنلتمس البصمات التي تركتها هذه الظروف على حياته وعلى شعره او قل على تكوين عناصر شخصيته الادبية.

واذا كان الزمن الذي عاشه الخوارزمي لايتجاوز القرن الرابع الهجري اذ ولد في العقد الثاني

أو الثالث منه وودع الحياة في العقد التاسع منه، حيث عاش ستة عقود ونيّف مليئة بالاحداث، لكنه لم يعش في بيئة واحدة خلال هذه العقود الستة من عمره، بل تنقل من شرقيّ البلاد الاسلامية أنذاك الى غربيّها، ومن غربيّها الى شرقيّها. فكانت خوارزم بيئته الاولىٰ والعراق بيئته الثانية وبلاد الشام بيئته الثالثة ثم ماوراء النهر وخراسان بيئته الرابعة؛ وعاصر ظروفاً سياسية ودولاً متنوعة في اطار الخلافة العباسية، سيطرت آنذاك على تلك الاصقاع من بلاد الخلافة العباسية كالدولة السامانية والحمدانية والبويهية والزيارية.

ولهذا فان الحديث عن الظروف التي عاشها الخوارزمي لابد وان يأخذ بنظر الاعتبار هذه المساحات الجغرافية التي تنقل الخوارزمي في ارجائها واقام بها متأثراً ومؤثراً، مستفيداً ومفيداً، متعلماً ومعلماً.

ولم نؤثر ان نتحدث عن ظروف كل بيئة بشكل منفصل ومستقل تماماً، لان الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية لاتعيش منفصلة مستقلة تماماً بعضها عن البعض الاخر في البيئات المتقاربة التي كانت تعيش آنذاك في ظلال الخلافة العباسية، سواء قلّت تلك الظلال وانحسرت، ام امتدت وتوسعت، بل آثرنا ان نتحدث عنها بشكل لايوحي الى ذلك الانفصام الكامل والاستقلال التام؛ وفضّلنا أن يكون حديثنا بالشكل التالي:

أ - الحياة السياسة.

ب - الحياة الاجتماعية.

ج - الحياة الثقافية.

أ ـ الحياة السياسية في عصر الشاعر:

إن الفترة التي عاشها الخوارزمي تتزامن تقريباً مع تأسيس الدولة البويهية (٣٢١ - ٤٤٧ هـ) التي كانت تسيطر على اربعة أقاليم هي: اقليم الاهواز، واقليم الجبال، واقليم فارس واقليم العراق. ومعنىٰ ذلك انها كانت تسيطر على معظم الهضبة الايرانية والسهول المجاورة لها.

كما ان هذه الفترة كانت تتزامن مع وجود الدولة السامانية في خراسان وبلاد ماوراء النهر والدولة الزيارية في جرجان وطبرستان والدولة الحمدانية في الموصل وشمالي بلاد الشام.

الدولة السامانية

حكمت الدولة السامانية خراسان وبلاد ماوراء النهر وبضمنها اقليم خوارزم في الفترة الواقعة بين (٢٦١ – ٣٨٩ هـ / ٨٧٤ – ٩٩٩ م). وكان السامانيون قد نشأوا في بلخ واتخذوا بخارىٰ عاصمة لهم. وكان امراؤهم يحكمون ولايات من خراسان وسجستان وبلخ وماوراء النهر ولا يقرّون بالسيادة للعباسيين[١].

ويرجع نسب السامانيين الى بهرام جور الذي كان مرزباناً لخِسرو ابرويز (٥٩٠ – ٦٢٧م) على ولاية اذربيجان الفارسية. وقد ساعد اسد بن عبد الله القسري والي خراسان من قبل هشام بن عبد الملك، جدّهم سامان خدا (حاكم بلخ آنذاك) في اخماد الفتنة التي حدثت في بلخ، ومنذ ذلك التاريخ ارتد سامان خدا البلخي عن ديانته الزّرادشتيّة واعتنق الدين الاسلامي، اذ كان لاسد بن عبد الله القسري أثر كبير على سامان خدا الى درجة ان الاخير قد سمىٰ احد اولاده باسم أسد[٢]. ولم يلبث ان لمع اسم سامان بين اصحاب ابي مسلم الخراساني حين نهض بالدعوة الاسلامية في اواخر العصر الاموي وتوفي فحل ابنه اسد مكانه في خدمة العباسيين حتى توفي في عصر الرشيد. ويصطنع المأمون ابناء أسد ويأمر واليه على خراسان عبد الله بن طاهر ان يوليهم على ماوراء النهر فيولي احمد فرغانة، ونوحاً سمرقند في سنة ٢٠٤ هـ، ويحيىٰ، الشاش واشروسنة، كما يولّي اخاهم الياس، هراة في افغانستان[٣].

ويغلب احمد على اخويه نوح ويحيىٰ ويصبح له أمر ماوراء النهر جميعه، ويتوفىٰ سنة ٢٦١ هـ ويخلفه ابنه نصر على مابيده ويخضع اليه أهل بخارىٰ ويستنجدوه فيرسل لهم اخاه اسماعيل، ويصبح نائباً له عليها. وتسوء العلاقة بين الاخوين ويكون الظفر لاسماعيل فيجرد أخاه من كل سلطان حقيقي حتىٰ سنة ٢٧٩ هـ حيث مات نصر بن احمد الساماني فخلا الجو

---

١. تاريخ ايران، شاهين مكاريوس، ص ١٠٩، ١٣٠.
والظاهر انهم لا يقرون سيادة العباسيين الا اسمياً اذ كانت العلاقة بين السامانيين والخلافة العباسية تقوم على اساس المودة، حتىٰ ان الخلفاء كانوا يعتمدون علىٰ امراء البيت الساماني في اقرار سلطانهم في بلاد المشرق. راجع: تاريخ الاسلام السياسي للدكتور حسن ابراهيم حسن، ج ٣ ص ٧٥ – ٧٦.

٢. سامانيان، احمد علي محبّي، انجمن تاريخ افغانستان، نمرة (٤٠)، ١٣٣٤ هـ.ش، ص ٤.

٣. تاريخ الاسلام السياسي، الدكتور حسن ابراهيم حسن، ج ٣ ص ٧٣؛ تاريخ الشعوب الاسلامية، كارل بروكلمان، ص ٢٦٢.

لاسماعيل، وإليه آلت الامور فيما وراء النهر[١] ويعد اسماعيل المؤسس الحقيقي للدولة السامانية[٢].

وقد تمكن اسماعيل بن احمد الساماني من فتح بلاد كرمان والري وبلوجستان التي كانت خاضعة للدولة الصفارية، ويرسل الخليفة المعتضد اليه بخلعة السلطنة. ثم تدور الحرب بينه وبين امير طبرستان محمد بن زيد العلوي الذي كان ينازع السامانيين السلطة في خراسان وينتصر على مناوئه، ويضم الري وقزوين بالاضافة الى جرجان وطبرستان الى دولته[٣]. وتوفي اسماعيل سنة ٢٩٥ هـ وخلفه ابنه احمد بن اسماعيل[٤]. وكان اسماعيل قد لعب دوراً في تنظيم علاقة الدولة السامانية بالدولة العباسية فلم يكن يؤدي لها ضرائب مالية بل كان يكتفي بارسال بعض الهدايا. ويقال انه هديتهُ لسنة ٢٩٢ هـ اشتملت على ثلاثمائة بعير كانت تحمل صناديق المسك والعنبر والثياب وتحفاً كثيرة. وقد منحه الخليفة حقّ ذكر اسمه معه في خطبة الجمعة وحقّ نقش اسمه على الدنانير، وظل ذلك تقليداً للامراء السامانيين وهو رمز واضح لاستقلالهم السياسي عن الخلافة. ومع ذلك فقد كانوا يفتقرون دائماً الى عهود تولية من الخلفاء العباسيين حتى يكون حكمهم شرعياً، وكانوا تبعاً لذلك سنيّين مما جعلهم دائماً خصوماً للشيعة.

اما احمد بن اسماعيل فانه قد قتل سنة ٣٠١ هـ بيد غلمانه بعد ان كان قد استولىٰ على سجستان. فتولىٰ الحكم بعده ابنه نصر (٣٠١ - ٣٣٢ هـ) وفي عهده استطاع مرداويج الزياري اخذ طبرستان منه سنة ٣١٦ هـ واتّهم باعتناقه المذهب الاسماعيلي الشيعي، مما دعا حراسه الى اجباره على التنازل عن السلطان لابنه نوح (٣٣٢ - ٣٤٣ هـ) وكان ضعيفاً في ادارته؛ ثم خلفه ابنه عبد الملك (٣٤٣ - ٣٥٠هـ) وكان ضعيفاً ايضاً وكان وزيره أبا علي البلعمي. وولي بعده أخوه منصور (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) حيث استمر ابو علي البلعمي في وزارته له، وارسل اليه الخليفة المطيع لله بالخلع والتقليد. وافتتت خراسان في ايامه ودب الضعف الى جسم الدولة السامانية[٥].

---

١. الكامل لابن الاثير ٤ / ٥٦٧.
٢. عصر الدول والامارات (الجزيرة العربية، العراق وايران)، الدكتور شوقي ضيف، ص ٤٨٢.
٣. تاريخ الاسلام السياسي، ٣ / ٧٣.
٤. الكامل لابن الاثير ٤ / ٦٢٧.
٥. تجارب الامم لابن مسكويه، ج ٢ ص ١٨٩.

وفي عهد منصور شق اهل سجستان عصا الطاعة على أميرهم خلف بن أحمد وولّوا مكانه رجلاً من اصحابه يدعىٰ طاهر بن الحسين، ولكن منصور بن نوح أمدّ خلف بجيش استرد به هذه البلاد لكنه لم يلبث أن طُرد منها مرة أخرى على يد طاهر ثم استردها مرة ثانية. ولكن خلف هذا ساءت علاقته بالسامانيين عندما استقر بسجستان وتطورت امور حكومته، فحاربه منصور بن نوح، وحاصره مدة سبع سنين انتهت بعقد الصلح بينهما، وعلق ابن الاثير على هذه الحادثة قائلاً: «وكان هذا اول وهن دخل على الدولة السامانية ، فطمع اصحاب الاطراف فيهم لسوء طاعة اصحابهم لهم»[1].

ويشير ابن الاثير الى ان هذا العصيان قد حدث سنة ٣٥٣ هـ، وربما كان طاهر هذا هو الذي لجأ اليه الخوارزمي عندما غادر نيسابور عام ٣٥٣ هـ الى سجستان ثم ساءت العلاقة بينهما فَسَجَنَ طاهرٌ، الخورازمي الذي هجاه بقوله[2]:

وقـالَ أَنـا المـليكُ فـقلتُ حـقّاً ... بـقلبِ الّـلامِ نـوناً في الهـجاءِ

ولم أَرَ مِـنْ أَداةِ المُـلكِ شَـيئاً ... لَـدَيكَ سِـوىٰ احْـتِمالِكَ لِلّـواءِ

وربما كان الدافع الذي حدا بالخوارزمي ان يذهب الى طاهر هذا في سجستان، هو خروج الاخير على السامانيين وكره الخوارزمي لهم لعله يجد عنده نصيباً من الجاه والمال، لاسيما ويجمعهما عامل مشترك هو كره السامانيين. ولكننا عندما نراجع اليتيمة للثعالبي[3] نجد انه يتحدث عن الخوارزمي وذهابه الى سجستان وتمكنه من واليها ابي الحسين طاهر بن محمد الذي سجنه فيما بعد، كما يروي الثعالبي هذا الاسم مرة اخرىٰ بهذا الشكل «طاهر بن شار» ولكننا لم نعثر لدىٰ ابن الاثير الا على هذا الاسم وهو طاهر بن الحسين، وبخاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ماذهب اليه الاعرجي في مقدمته من ان الخوارزمي اتصل بصاحب سجستان سنة ٣٥٣هـ[4]، فتكون النتيجة ان هذين الاسمين يعودان لشخص واحد على اغلب الظن.

---

١. الكامل لابن الاثير ٥ / ٣٣٨ – ٣٤٠.

٢. راجع القطع ١ / ١ – ٥ ؛ ١/٥٣ ـ ٤ ؛ ١/١٢٠ ـ ٢ ؛ ١/١٩٦ ـ ٤.

٣. اليتيمة ٤ / ٢٣٥ و ٢٣٦.

٤. كتاب الامثال للخوارزمي، مقدمة محمد حسين الاعرجي، ص: ح.

ويقتضينا الترتيب الزمني الأخذ برواية الثعالبي في اليتيمة لانها اقرب الى عصر الحادثة ولانه عاصر الخوارزمي وتتلمذ على يديه.

وفي سنة ٣٦٦ هـ مات الامير منصور بن نوح الذي وصفه ابن الاثير بصاحب خراسان وماوراء النهر وكانت وفاته ببخارىٰ. وولي الامر بعده ابنه ابو القاسم نوح وكان عمره حين ولي الامر ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور[١]. وقام بأمر الدولة السامانية في مستهل امارته وزيره ابو الحسن العتبي. ولكن محمد بن ابراهيم بن سيمجور قائد الجيش في خراسان من قبل السامانيين استبد بالامر في هذه البلاد، واتخذ من صغر سن الامير الجديد فرصة لتحقيق مطامعه، فعزل الوزير العتبي، وولّى ابا العباس تاش إمرة الجيش، كما قامت الحرب في هذه السنة بين الامير نوح بن منصور الساماني وبين عضد الدولة البويهي الذي استولىٰ على جرجان، ولاسيما بعد ان سرىٰ اليهم نبأ قتل الوزير ابي الحسن العتبي الذي يرجع اليه الفضل في متابعة هذه الحروب[٢]. وبالاضافة الى ذلك فقد ثار أحد أمراء البيت الساماني على نوح بعد ان حلت الهزيمة بجيوشه[٣].

غير ان الوزير الجديد عبد الله بن عُزَير الذي كان يضمر العداوة والبغضاء للوزير العتبي عمل على عزل ابي العباس تاش عن خراسان وإعادة ابي الحسن بن سيمجور اليها، فامتنع أبو العباس تاش عن تنفيذ أوامر الوزير الجديد وطلب العون من فخر الدولة بن بويه الذي أمّده بجيش ومال كثير. وجاءهم ابو محمد عبد الله بن عبد الرزاق معاضداً له على ابن سيمجور، واستطاع ابو العباس تاش اخيراً من السيطرة على نيسابور، وراسَلَ الامير نوح بن منصور يستميله ويستعطفه ولكن ابن عُزَير لجَّ في عزله، ووافقته في ذلك والدة الامير نوح وكانت تحكم في دولة ولدها وكانوا يصدرون عن رأيها فقال بعض أهل العصر في ذلك[٤]:

شيئانِ يَعْجِزُ ذو الرّياضةِ عنهما ... رأيُ النساءِ وإمْرَةُ الصّبيانِ

أمّا النساءُ فَيلهنَّ الى الهوىٰ ... وأخو الصِّبا يجري بغيرِ عِنانِ

وفي عهد نوح بن منصور هذا تعرضت الدولة السامانية لهزة عنيفة كانت بداية لزوالها

---

١. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤١٦.
٢. المصدر السابق ٥ / ٤٤٦.
٣. المصدر السابق ٥ / ٤٥٥.
٤. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤٥٥ – ٤٥٦.

والقضاء عليها من قبل محمود الغزنوي سنة ٣٨٩، اذ ثار عليه في سنة ٣٨٣هـ اثنان من اكبر قادة السامانيين هما ابو علي بن ابي الحسن بن سيمجور و فائق، وتمكنا بمساعدة شهاب الدولة هارون بن سليمان ايلك المعروف ببغراخان التركي من الانتصار على جيوش نوح بن منصور والاستيلاء على بخارى؛ غير ان نوحاً لم يلبث ان استرد حاضرة امارته على اثر موت بغراخان وثورة اهالي بخارى عليه[١].

واخيراً توفي نوح بن منصور في رجب سنة ٣٨٧ هـ واختل بموته ملك آل سامان وضعف امرهم ضعفاً ظاهراً فزال ملكهم بعد مدة يسيرة على يد محمود بن سبكتكين وايلك الخان التركي الملقب بشمس الدولة سنة ٣٨٩[٢].

وقد امتدح آدم مِتز السامانيين واعتبرهم احسن سيرة في الحكم واشبه بآباء لرعيتهم ناقلاً عن المقدسي عبارات في مدحهم[٣].

ولم يكن شاعرنا ابو بكر الخوارزمي بمعزل وبمنأى عن هذه الحوادث السياسية فقد أثرت عليه وتأثر بها. ولكننا نراه لم يكن بذلك الانسان وبذلك الشاعر الملتزم الذي يتخذ موقفاً فكرياً ثابتاً تجاه الاحداث والشخصيات، دأبه في ذلك كدأب غيره من الشعراء. نحن نراه، بصورة عامة، يتخذ موقفاً سلبياً من السامانيين ويصبّ جام غضبه عليهم، يتهمهم بأنهم كانوا السبب في كثير من همومه واشجانه، ويميل الى البويهيين على الرغم من انه قضى جزءاً كبيراً من حياته في ظلال الدولة السامانية، اسمعه يقول في قصيدة نظمها للصاحب بن عباد حين جاءته رسالة من ابي العباس حسام الدولة المعروف بتاش الحاجب وكان قائد الجيش أيام الوزير العتبي جاء فيها:[٤]

جَزَى اللهُ عنِّي أهلَ سامانَ ماأَتَوا ... وفي اللهِ للثَّأرِ المُضَيَّعِ طالبُ
هُمُ زَوَّجوني الهَمَّ بعدَ طَلاقِهِ ... وذلكَ عُرسٌ للمآتِمِ جالبُ
هُمُ أعْطَشوا زَرعي فَشِمْتُ سحائباً ... غرائبَ لمّا أخلَفَتْني القَرائِبُ

---

١. الكامل لابن الاثير، ٥ / ٥٠١ – ٥٠٢. ٢. المصدر السابق ٥ / ٥٢٣ و ٥٣٦.
٣. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم مِتز، ص ٣٠ – ٣١.
٤. راجع القطعة ٢٥/ ٣ – ٩.

ولكن هذا الموقف تجاه السامانيين لم يكن ثابتاً على طول الخط، اذ اننا نجد الخوارزمي يمتدح أحد الوزراء السامانيين، وهو ابو علي بن محمد البلعمي الذي تولى وزارة عبد الملك بن نوح (٣٤٣ - ٣٥٠ هـ) في سنة ٣٤٩ هـ ووزارة اخيه منصور بن نوح (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) حيث ترجم في عهد الاخير كتاب تاريخ الطبري الى الفارسية[١] وقد مدح الخوارزمي البلعمي عند حصول الاخير عَلَى هراة[٢]:

نُهَنِّئُ بالأميرِ هراةَ إذ قد علا عن ان يُهَنَّأَ عن هواها
وكيف تُهَنَّأُ الدنيا جميعاً بمنزلةٍ من الدنيا احتواها

كما نرى الخوارزمي يمتدحُ ابا علي البلعمي مرة اخرى بأبيات منها:[٣]

واذا أتاهُ سائلاً ربّ الشويهةِ والبعيرِ
أبصرتَهُ بفنائِهِ ربَّ الخُوَرْنَقِ والسَّديرِ
أمُحَمَّدُ بن محمدٍ هذا الثِّمادُ من البحورِ
لو كانت الدنيا تَدُو رُ على الحقائقِ في الأمورِ
ما صيغَ تاجُ محمدٍ إلّا مِنَ القَمرِ المُنيرِ

ولكن ابا بكر الخوارزمي بعد هذا المدح الجليل الذي خص به أبا علي البلعمي اثناء صحبته له في بخارى نجده لا يدوم على حال واحدة، بل لم يحمد صحبته ويفارقه، وكعادة الشعراء لمن يفارقون نراه يهجو البلعمي فيقول:[٤]

إنَّ ذا البلعميَّ والعينُ غينٌ وهو عارٌ على الزمان وَشَيْنٌ
إن يكنْ جاهِلاً بخُفَّي حُنينٍ فهو الخُفُّ والزمانُ حُنَيْنٌ

والظاهر ان الخوارزمي كان يفتش عمن يغنيه مالاً واحتراماً، لا يأبه باتجاهه الفكري وميله العقائدي. فبعد ان ترك بخارى وهجا البلعمي اتجه الى نيسابور واتّصل بأحد الاعيان والوجوه

---

١. سامانيان، احمد علي محبي، ص ٧٣ - ٧٤.
٢. راجع القطعة ١٣ / ١ - ٢
٣. راجع القطعة ٩٩ / ١ - ٢٤
٤. راجع القطعة ٢٢٢ / ١ - ٢.

المعروفة آنذاك في هذه المدينة وهو الامير ابو نصر احمد بن علي الميكاليّ، وربما كان ذلك قبل سنة ٣٥٣ هـ.[١] ويصف الثعالبي هذا الامير بقوله «والامير ابو نصر احمد بن علي الآن بقية الاماجد وغرة الاكارم وعمدة الافاضل وواحد خراسان ومفخرتها وجمالها وزينتها ومن لا نظير له في شرف النفس وبعد الهمة ورفعة الشأن وتكامل آلات السيادة»[٢] ويبدو انه كان من عائلة مشهورة في نيسابور مدحهم البحتري، وخدمهم الدريدي، وألّف لهم كتاب الجمهرة وسير فيهم المقصورة التي لا يبليها الجديدان.[٣] كما اشتهر من هذه الاسرة من له – مع كرم حسبه وتكامل شرفه – فضيلة علمه وأدبه وكان من الكتابة والبلاغة بالمحلّ الاعلى وله من سائر المحاسن القدح المعلّى،[٤] و من كان متقدماً في الادب متبحراً في علم اللغة والعروض مصنفاً للكتب مستكثراً من قول الشعر ولعل شعره يُرْبِي على عشرة آلاف بيت.[٥] ومن هذا نستدل ان اتصال الخوارزمي بهذه الاسرة كان يشبع رغبته في المال والجاه والادب على الرغم من ان افراد هذه الاسرة من رجال الدولة السامانية، وعلى الرغم من الخلاف العقائدي الذي كان بينه وبينهم. ولذلك نجد الخوارزمي يمتدح الامير ابا نصر احمد بن علي الميكالي بقصائد عديدة[٦] وأبيات بلغ ما جمعناه منها ٦٨ بيتاً. فهذا الامير لم يحسن الى الخوارزمي فقط بل احسن الى احد تلامذته الفقهاء اذ قال الخوارزمي فيه:[٧]

مـــــالقينا مـــن أحـــمد بـــن عـــلي تـــــرك النـــــاس كـــلّهم فـــقهاء

وله قصيدة اخرى في مدح هذا الامير منها:[٨]

تِـــــلْكَ الدِّيـــارُ فَـــريسةُ الأحـــقابِ صَـــنَعَتْ بِـــعَيني صُـــنْعَ ساكِـــنها بي

وإلى الامـــير ابـــن الامـــير تـواهـقَتْ رَزْحَـــىٰ الرِّكـاب بـرازحـي الرُّكّـابِ

ويبلغ مدح الخوارزمي الميكالي تلك الدرجة التي مدح بها المتنبي سيف الدولة،[٩] اذ يقول

---

١. الامثال، ابو بكر الخوارزمي، المقدمة للاعرجي ص: ط.
٢. اليتيمة: ٤ / ٤٠٧.
٣. المصدر السابق ٤ / ٤٠٧.
٤. المصدر السابق ٤ / ٤٨١
٥. المصدر السابق ٤ / ٤٨٢.
٦. راجع القطع ٤، ٣٣، ١٠٢، ١٥٨، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٧، ١٨٩.
٧. راجع القطعة ٤.
٨. راجع القطعة ٣٣ / ١ – ٣، ٥، ٦، ١٢ – ١٤.
٩. ديوان المتنبي، عبد الوهاب عزام، ص ١٠٧ و ٢٢٤.

الخوارزمي:[١]

فَـــدَيْتُكَ مـــابدا لي قَـــصدُ حُـــرٍّ ســـــواكَ مـــن الورىٰ إلّا بـــدا لي
وأنّكَ مــــنهُمُ وكــــذاكَ أيـــضاً مِـــنَ المـــاءِ الفـــرائِـدُ واللآلي
وتسكـــنُ دارَهُـــمُ وكـذاكَ سكـنىٰ الـ ـــحجارةِ والزُّمـــرُّدِ في الجـبالِ

ولا يكتفي بذلك بل نراه يمتدحه في قطعة اخرىٰ ويقول فيه[٢]:

فـــلو أضـحىٰ «ابـو نـصر» مـقالاً لمـــا فَـضَلَ الفِـعالُ عـلى المـقالِ

ويبدو ان هذه العلاقة لم تفتر ولم تتحول الى ضدّها حتى عندما غادر الخوارزمي نيسابور قاصداً طاهراً في سجستان الذي سجنه فبعث ابو بكر من سجنه قصيدة الى ابي نصر الميكالي يستشفعه اذ يقول[٣]:

كـــتابي أبـا نـــصرٍ اليكَ وحـــالتي كـــحالِ فـــريسٍ في مخـــالِبِ ضَـــيْغَمِ

ولعلنا نتساءل عن السبب الذي دفع بالخوارزمي الى ترك نيسابور والذهاب الى طاهر بن محمد في سجستان ؟ وقد كانت اوضاعه جيدة في نيسابور وبخاصة بعد ان دخل في سلك العائلة الميكالية ، أَلِأَنَّهُ يكره السامانيين ويلجأ الى من يشاطره الرأي والعقيدة ؟ أم أنه طموح يبتغي جاهاً وصلة اكثر مما نالها لدىٰ الميكاليين ؟ والظاهر أن السبب الثاني أقرب الى الحقيقة وبخاصة اذا رأينا الخوارزمي نفسه يُفْصِح عن ذلك في قصيدتِهِ التي بعث بها الى الميكالي مـن سـجن الطاهر اذ يقول[٤]:

ومـــا كـــنتُ في تـــركيكَ إلّا كـــتارِكٍ يـــقيناً وراضٍ بـــعده بـــالتّوهُّمِ
وقـــاطنِ ارض الشِّركِ يـــطلبُ تـــوبةً ويخـــرُجُ مـــن ارضِ الحـطيمِ وَزَمْـزَمِ

إلى أن يقول[٥]:

ولم أرَ قـــبلي مَـــنْ يُحـــارِبُ بخـــتَهُ ويشكـــو الى البـــؤسىٰ افـتقادَ التـنعّمِ

---

١. القطعة ١٥٨ / ١ – ٣
٢. القطعة ١٦٩ / ١ – ٣.
٣. القطعة ١٧٧ / ١ – ٣.
٤. القطعة ١٧٧ / ٥ – ٦.
٥. القطعة السابقة / ١٥ – ١٦.

ولا احـــدٌ يحـوي مـفاتيحَ جَـنَّةٍ ويـقرعُ بـالتّطفيل بـابَ جَـهَنَّمِ

ولايقتصر مدح الخوارزمي على ابي نصر الميكالي فقط بل نراه يمتدح الاسرة بكاملها مما يدل على علاقته الوثيقة بها وبافرادها فنراه يقول[١]:

نجـرُّ ذيـولَ الفَخرِ حتىٰ كأنّـنا لعـزَّتنا في آل مـيكال نـنتمي

هـم شـحمةُ الدُّنـيا فـان نـتعدَّهم الى غيرهم نحصَلْ على الفرثِ والدَّمِ

سـقىٰ اللهُ ذاكَ الروض جـوداً كـجودهم وصـيَّرَ آجـالَ العـداةِ اليهـمِ

ولعل هذه العلاقة الوثيقة التي ربطته بآل ميكال وشدته اليهم كانت السبب في عودة الخوارزمي الى نيسابور واتخاذها مركزاً لاقامته فيما بقي من حياته، اي مايقرب من الثلاثين عاماً على الرغم من تركه اياها بعض الاوقات[٢].

ومن الذين تناولهم الخوارزمي في شعره من رجال الدولة السامانية هو ابو العباس حسام الدولة المعروف بتاش الحاجب الذي اقام بنيسابور ردحاً من الزمن سنة ٣٧٣ هـ، ثم تركها منهزماً الى جرجان وبقي فيها الى ان مات سنة ٣٧٧ هـ[٣]، والرجل الآخر الذي تناوله الخوارزمي في شعره من رجال هذه الدولة هو فائق[٤]. وكان الخوارزمي في الستينات والسبعينات من القرن الرابع الهجري يكره رجال الدولة السامانية ويفضل البويهيين عليهم ولذلك نراه يهجو هذين الرجلين أيضاً فيقول فيهما[٥]:

لَـوَ انَّكَ أبـصرتَ تـاشاً وفـائقاً عـلى ظـهرِ بختٍ أدبـرِ الظَّـهرِ رازمِ

وقـد كـتب الإدبـارُ في جَـبْهتَيْهما بـانشاء مـقمورٍ وتحـرير نـادمِ

فـلا تأمـننَّ الدهـرَ حـرّاً ظـلمتَهُ فـان نِمتَ فـاعلم أنّـه غـير نـائمِ

هذه خلاصة عن البيئة السياسية التي عاشها الخوارزمي في مقتبل عمره وفي النصف الثاني منه عندما ترك الشام وعاد الى بخارىٰ ونيسابور وسجستان يَتَنَقَّلُ بين أرجائها.

---

١. القطعة ١٨٩ / ١ – ٣.
٢. رسائل الخوارزمي، ص ١٥٦.
٣. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤٥٦.
٤. المصدر السابق ٥ / ٤٥٥، ٥٠٢.
٥. القطعة ١٨٢ / ١ – ٣.

الدولة البويهيّة

أما البيئة السياسية الثانية التي عاشها الخوارزمي في مقتبل عمره وفي النصف الثاني منها والتي تتزامن مع البيئة السامانية فهي بيئة الدولة البويهية. ويرىٰ محمد حسين الاعرجي ان الخوارزمي ترك خوارزم وهاجر الى بغداد قبل سنة ٣٤١هـ[١] وكانت بغداد آنذاك مركز السلطة البويهية. كما ان الخوارزمي اتصل ببعض رجال الدولة البويهية منذ الخمسينات من القرن الرابع الهجري وهذا يستدعينا الالمام سريعاً بالحياة السياسية لهـذه الدولة والظـروف التي كـانت سائدة آنذاك وتأثيرها على الخوارزمي وتأثره بها.

وأصل البويهيين من الديلم. وهي قبائل مقاتلة كانت تسكن الشمال الغربي من ايران في المنطقة التي كانت تعرف بالجبال. وسلسلة انسابهم التي اعطيت لهم مشكوك فيها[٢]، والارجح انها لُفّقت لهم بعد ان اشتهروا وصاروا ملوكاً. ويبدو أن الدعوة الشيعية كانت قـد وصـلت مناطقهم بتأثير جيرانهم من طبرستان فكان التشيع الزيدي مذهب البويهيين[٣]. وكما يبدو فان دفعة من التكاثر البشري اصابت المنطقة وجعلت الكثير من الديلم يهاجرون من مواطـنهم طلباً للرزق ويتطوعون جنوداً مرتزقة لدىٰ الامراء السامانيين والزياريين فيما بـين القـرنين الثالث والرابع للهجرة، كما يشتركون في الفتن الكثيرة التي كانت تثور في المنطقة بين آن وآخر بسبب الحاجة والفقر وضعف السلطة المركزية واهواء المتزعمين المغامرين، وكثيراً مـا كـان هؤلاء المرتزقة يغيّرون ولاءهم بحسب الاطماع[٤].

ومن هؤلاء الذين انسحبوا من الجيش الساماني وفضلوا جيش الزياريين، زعيم مجموعة من الديلم كان في الاصل صياداً اسمه ابو شجاع بويه[٥]، تسلّق على هامش الدولة الزيارية، ثم اشتق لنفسه دولة اقتطعها منها ومن غيرها في جنوب الجبال وأقام بها الدولة البويهية. فكانت

---

١. كتاب الامثال للخوارزمي، المقدمة ص: و. ٢.الكامل لابن الاثير، ٥ / ١٤٩ – ١٥٠.

٣.المصدر السابق ٥ / ٢٧٠، ويرىٰ الدكتور شوقي ضيف أن البويهيين كانوا امامية اثني عشرية ولكن الادلة التي ساقها لاتستطيع اثبات ذلك كتجديد عمارة المشهد الحيدري بالنجف او الحسيني بكربلاء او اقامة مراسم عاشوراء لان علياً والحسين من الائمة عند الزيدية والامامية. راجع شوقي ضيف، عصر الدول والامارات (شبه جزيرة العرب والعراق وايران) ص ٤٨٥ و ٥١٣. ٤.الكامل لابن الاثير ٥ / ١٥١.

٥.النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٣ / ٢٤٥.

هذه الدولة اكثر حظاً في العمر والتاريخ من الدولة الزيارية الأم، لان زعماءها انحدروا الى فارس وتفرعوا، فاحتلوا شيراز وكرمان ودخلوا بغداد مقرّ الحكم العباسي وغلبوا خليفتها على أمره مايقارب من القرن، وكتبوا فصلاً هاماً في التاريخ عرف بالعصر البويهي واتسم بوجوده السياسي والفعلي فوق ايدي الخلفاء العباسيين وفيما يسمىٰ بالعراق العجمي اي غربي ايران.

بدأت السلطة البويهية بعمل الاخوة الثلاثة اولاد بويه وتعاونهم. فقد عين علي وهو الاكبر من جانب مرداويج الزياري والياً على كرج جنوب همدان. ولكن عدم وجود قوىً كافية في المنطقة سمح له ان يتوسع كما شاء، فاحتل اصفهان حين سمع بمقتل مرداويج ثم استولىٰ على فارس كلها، في حين كان أخوه حسن يستولي على منطقة الجبال، وأخوه الاخير أحمد يستولي على كرمان وخوزستان، ثم يحتل الثلاثة معاً شيراز سنة ٣٢٢ هـ ويعلنون استقلالهم. ثم ارسل علي الى الخليفة الراضي يطلب اعترافه بسلطانه في فارس، فتم له ماأراد[١].

لكن الاخوة الثلاثة وجدوا انفسهم بجوار العراق وبغداد، والسلطة فيهما ضعيفة، فما لبثوا أن امتدت اطماعهم الى الوثوب على بغداد. وكان ذلك سنة ٣٣٤ هـ يوم كانت أحوال بغداد السياسية في منتهىٰ السوء، وقد اخفق نظام إمرة الامراء اخفاقاً ذريعاً في انقاذها، وعجزَ الامراء المسيطرون على الخليفة المستكفي بالله عن ارضاء الجند المطالبين بدفع ارزاقهم، وعجزوا عن القضاء على شبح المجاعة التي كانت تهدد العراق بالخطر. واتجه أحمد من الاهواز الى واسط واتجه فيما بعد الى بغداد فدخلها من دون مقاومة تذكر، ورحب به الخليفة المستكفي وقلده إمرة الامراء[٢].

ولقبه في اليوم الثاني لدخوله بغداد «معز الدولة» ولقب اخاه علياً «عماد الدولة» ولقّب اخاه الحسن «ركن الدولة» وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم[٣].

وسرعان ماعمد معز الدولة الى تصفية النظام القديم بكل عناصره بادئاً بالخليفة نفسه؛ فقد ارسل من سحبه من عرشه ووُضعت عمامته في عنقه وسيق الى دار معز الدولة فسجن فيها

---

١. تاريخ الاسلام السياسي، الدكتور حسن ابراهيم حسن، ٣ / ٤٣.

٢. تاريخ الشعوب الاسلامية، كارل بروكلمان، ص ٢٤٥.

٣.الكامل لابن الاثير ٥ / ٢٦٩.

ولم تمض اسابيع على ذلك حتى خلع عن الخلافة وسملت عيناه[١]. وقد هم معز الدولة بأن يعين خليفة علوياً مكانه او باعلان البيعة للخلفاء الفاطميين الذين كانوا قد ظهروا يومذاك بقوة في افريقية، ولكن الخليفة الفاطمي لم يكن له بإمام فهو اسماعيلي سبعي، ومعز الدولة زيدي يقول بامامة المفضول مع وجود الأفضل. وقد فضل من جهة اخرىٰ الا يعيّن علوياً يعتقد امامته لئلا يصبح تابعاً من اتباعه يلزمه أمره، ولذلك عين خليفة عباسياً مكان المستكفي وهو «المطيع»[٢]. ووقعت الخلافة العباسية لاول مرة في ايدي شيعة متعصبين ساموا الخلفاء سوء العذاب والاهانة. وقرروا للخليفة راتباً يومياً قدره خمسة آلاف درهم[٣].

ان زوال هيبة الخلافة وازدياد امرها ادباراً شجع الآخرين ومنهم شاعرنا الخوارزمي على توجيه لسان الهجاء والانتقاد للخلافة العباسية وبخاصة بعدما فقد الخليفة موارده واكتفىٰ بمنح الالقاب للآخرين اذ يقول الخوارزمي[٤]:

مـالي رأيتُ بـني العباسِ قَـدْ فَـتَحوا ... مِـنَ الكُـنىٰ وَمِـنَ الالقـابِ أَبـوابـا

ولقّـبوا رجـلاً لو عـاشَ أَوَّلُـهُم ... مـاكـان يـرضىٰ بـه لِـلحَشِّ بَـوّابـا[٥]

قـلَّ الدَّراهـمُ في كـفّي خـليفتنا ... هـذا فأنـفَق في الأقْـوامِ أَلقـابا

وفي هذه الابيات اشارة واضحة الى الحال التي آلت اليه الخلافة، ومقارنة واضحة بين الخلافة العباسية في بدايتها وما آلت اليه في هذا الزمن.

ولم يكتف الخوارزمي بانتقاد الخلافة العباسية أيام زمانه بل وجه انتقاده وهجاءه الى الخلفاء السابقين مثل هارون الرشيد وذلك لان حرمة الخلافة العباسية قد زالت، اسمعه يقول[٦]:

هـارون يـامَنْ أَمْـرُهُ بِـدْعَهْ ... جـاوَزْتَ قـبراً قـربُهُ رِفْـعَهْ

تـريدُ أَنْ تُـفلِحَ مِـنْ أَجْـلِهِ ... لَـنْ تَـدْخُلَ الجـنّةَ بـالشُّفْعَهْ

وقد نتج عن هذا الانقلاب السياسي في بغداد نتائج خطيرة، وردّات فعل عنيفة من جانب

١.النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠.

٢.الكامل لابن الاثير ٥ / ٢٧٠.

٣.المصدر السابق ٥ / ٢٦٩.

٤. القطعة ٢٢ / ١ - ٣.

٥. الحُش والحَش: النخل المجتمع والبستان او القصر.

٦. القطعة ١٢٥ / ١ - ٢.

القوىٰ السياسية المتنمرة في العراق من القرامطة والبريدية والحمدانيين والقواد الترك. لكن معز الدولة خرج من هذه الصراعات اعزّ جانباً واوسع رقعة، وقد عرف العراق في عهده عصراً من الفتن الطائفية ببغداد وثورات الجند وانتشار الخوف والفوضىٰ، كما عمل بدوره على اضعاف الحمدانيين ومحاربتهم في الموصل وفي تكريت. وحارب البريديين وانتزع منهم البصرة حتى خُطب له في عُمان[١]. ولم تكن سياسة معزّ الدولة مع الخليفة وغيره بدعاً في تلك الفترة فقد تابعوا فيها سياسة من سبقهم من أمراء الترك دون ان يحسنوها.

ولما مات معز الدولة سنة ٣٥٦ هـ جاء ابنه بختيار بسياسة اللهو والفساد، وتفاقم النزاع الطائفي بين الشيعة والسنة في بغداد، وبين الجند من الترك والديلم، واغتصب بختيار الاقطاعات من اصحابها، وبطلت الوزارة والدواوين حتى وصلت الفوضىٰ أقصاها فقرر بختيار الاستعانة بابن عمه عضد الدولة بن الحسن عليها، وكان ابوه معز الدولة قد أوصاه بطاعة عضد الدولة لانه اكبر منه سناً[٢]، وكان هذا الرجل (عضد الدولة) يطمع في العراق ويتصل سراً بجند بختيار لعزلهم عنه، فجاء بغداد ولم يتردد في القبض على بختيار لولا انه تلقىٰ تهديداً من أبيه ركن الدولة فأبقاه نائبا عنه في العراق. فلما مات هذا الاب حاربه عضد الدولة وهزمه في واسط[٣]. وكان ركن الدولة والد عضد الدولة صاحب اصفهان والري وهمدان وعراق العجم واعمال الجبل[٤]. واشاد به ابن الاثير لكرمه وبذله وحسن سياسته مع جنده ورعاياه وتدينه والتزامه الصلاة في المساجد وتعهد العلويين بالاموال الكثيرة والتصدق على المحتاجين بالاموال الجليلة[٥]. اما اولاده فهم عضد الدولة وفخر الدولة ومؤيد الدولة. وكان ابو الفضل بن العميد وزيره والصاحب بن عباد وزير ولديه مؤيد الدولة ثم فخر الدولة.

ويبدو من متابعة اشعار الخوارزمي انه كان قد اتصل بركن الدولة ولذلك فانه رثاه بعد وفاته ٣٦٦ هـ قائلاً[٦]:

أَلَسْتَ تَرىٰ السيفَ كيف انثلَمْ   وركنَ الخلافةِ كيف انهدَمْ

---

١. الكامل لابن الاثير: ٥ / ٢٨٠، ٢٨٦، ٣١٤، ٣٣٣، ٣٤٠، ٣٤١.
٢. الكامل لابن الاثير ٥ / ٣٤٧.
٣. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤٢٦ - ٤٢٧.
٤. النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣ / ١٢٧.
٥. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤١٤.
٦. القطعة ١٩٣ / ١ - ١٣.

طــوىٰ الحســنَ بــن بــويه الرَّدىٰ أيــدري الرّدىٰ أيَّ جــيشٍ هَــزَمْ

واذا اردنا مقارنة رثاء الخوارزمي لركن الدولة وماذكره ابن الاثير من خصاله الحميدة واخلاقه العالية لانجد الخوارزمي مُغرقاً في مدحه. والظاهر ان الخوارزمي كان قد لقي منه الاحترام والتبجيل اذ نراه يقول فيه:

يكــيل الرجــال بأقــدارهــا ويــرعىٰ البــيوتات رعــي الحَــرَمْ

كما ان عطاياه للشاعر كانت كثيرة لانه يصفه في البيت الذي يلي البيت السابق بأنه كان جواداً كريماً لايفرط بأصحابه وبقومه. ولعل حادثة نهيه ابنه عضد الدولة من القبض على بختيار دليل على كرم نفسه ومروءته وحسن عهده وصلته لرحمه وبخله بقومه كما اشار الى ذلك ابن الاثير[1].

وكان علي بن كامة مقدم عسكر ركن الدولة وابن اخته والذي توفي سنة ٣٧٤هـ[2] هو الذي عرّف ركن الدولة الى الخوارزمي وفتح للاخير طريقاً الى ركن الدولة. والظاهر ان الخوارزمي كان نديماً لابن كامة منذ مقتبل عمره وظلت العلاقة بينهما وثيقة الى النهاية[3]. والخوارزمي يفتخر بهذه المنادمة حيث يقول[4]:

أَقْـرِ الســلامَ عَـلَى الامـيرِ وقـلْ لَـهُ إنّ المــنادمةَ الرّضــاعُ الثــاني

إنّ المــنادمةَ التي نــادَمْتَني رفــعتْ عــناني فــوقَ كُــلِّ عــنانِ

ولم تقتصر علاقة الخوارزمي عَلَى رُكن الدولة، بل نرىٰ هذا الولاء للبويهيين يستمر في أيام اولاد ركن الدولة الثلاثة وهم: عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة.

وقصد عضد الدولة بغداد بعد وفاة والده ركن الدولة سنة ٣٦٦ هـ، وحارب ابن عمه بختيار في واسط وانتصر عليه وارغمه على الفرار من بغداد، فقصد الحمدانيين في الموصل واستعان بأبي تغلب بن حمدان، والتقىٰ الجيشان بنواحي تكريت، ولكن الهزيمة حلت ببختيار، وأُسِر وسيق الى بغداد فقتله عضد الدولة[5]. ثم استولىٰ عضد الدولة على الموصل وديار ربيعة

---

١. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤١٤.
٢. المصدر السابق ٥ / ٤٦٢.
٣. رسائل الخوارزمي ص ٢٠٣ – ٢٠٥.
٤. القطعة ٢٣٤ / ١ – ٢.
٥. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤٢٧ – ٤٢٨.

ومیافارقین وآمد ودیار بکر. ولم یبلغ احد من امراء بني بویه مابلغه عضد الدولة من سعة الملك وبسطة السلطان حتى دان له سائر امراء بني بویه، وامتد سلطانه على «بغداد والعراق وكرمان وفارس وعمان وخوزستان والموصل ودیار بكر وحرّان ومنبج»[1] وتوفي عضد الدولة سنة ٣٧٢ هـ ودفن في مشهد الامام علي علیه السلام[2].

وقد انشد الخوارزمي في عضد الدولة قصائد عدیدة لم یصل منها الینا الا سبع قطع بلغت ابیاتها ٣٢ بیتاً[3] ومدحه في احدىٰ قصائده قائلاً[4]:

یــــاعـــــضدَ الدولةِ مـــن یمــناها ‌ ‌ ‌ یـــــامهجة قـــالَتْ لهـــا اعــلاها

مـــــن أســـخطَ الدرهـــمَ أرضىٰ الله ‌ ‌ ‌ ومـــــن أزالَ المـــالَ صـــان الجـــاها

وللخوارزمي قصیدةٌ اخرىٰ في عضد الدولة منها[5]:

ولمّـــــا اكـــثرَ الحسّـــادُ فـــیه ‌ ‌ ‌ وقـــالوا قـــد تَـــغضَّنتِ الخـــدودُ

أجـــابَ الفـــضلُ عـــنه حـــاسدیه ‌ ‌ ‌ (لأمـــــر مـــایسوَّدُ مـــن یســـودُ)

ولابي بكر الخوارزمي قصیدة اخرىٰ یمدح فیها عضد الدولة ولعله یشیر فیها الى مافعله بأبي الفتح بن العمید عندما امر بالقبض علیه وقام الاخیر بتطلیق زوجته (ابنة جستان) لئلا یلزمه العار فیها[6] حیث یقول[7]:

وصـــارخـــة للـــزوج كـــانَ غِـناؤُها ‌ ‌ ‌ (لهـــا كـنیة عـمرٍو ولیس لهـا عـمرو)

فـــــصیّرتها ثكـــلىٰ وأصـــبحَ قـــولُها ‌ ‌ ‌ (كذا فـلیجلّ الخـطبُ ولْـیفدحِ الأمـرُ)

ویبدو ان الخوارزمي قد نال من هبات عضد الدولة ومن عطایاه الشيء الكثیر[8] ولذلك نراه یمدحه بقصیدة منها:[9]

---

١. تاریخ المسلمین لابن العمید، ٢٣٦ – ٢٣٩. ‌ ‌ ٢. الكامل لابن الاثیر ٥ / ٤٤٩.

٣. راجع القطعة: ١٢، ٤٩، ٥٦، ٨٣، ٨٤، ١٥٤، ١٨١.

٤. القطعة ١٢ / ١ – ٢. ‌ ‌ ٥. القطعة ٥٦ / ١ – ٥.

٦. معجم الادباء (ط دار احیاء التراث العربي): ١٤ / ٢٠٩ – ٢١٠؛ الكامل لابن الاثیر ٥ / ٤١٧ – ٤١٨.

٧. القطعة: ٨٣ / ١ – ٣. ‌ ‌ ٨. الیتیمة: ٤ / ٢٣٧.

٩. القطعة ١٥٤ / ١ – ٦.

بِحَمدكَ لا بِحَمدِ النـاسِ أَضحىٰ وكيلي ليسَ يكفيهِ وكيلُ

والظاهر ان الاموال الكثيرة التي حصل عليها من عضد الدولة مكنته عند العودة الى نيسابور ان يقتني بها ضياعاً وعقاراً[١]. وكان **الخوارزمي** قد زار عضد الدولة مرتين بشيراز، اغلب الظن ان الاولىٰ كانت قبل سنة ٣٧٠ هـ وذهب اليها وهو يحمل رسالة من الصاحب بن عباد والثانية قبل سنة ٣٧١ هـ حيث عاد منها وهو يحمل رسماً يصل اليه في كل سنة بنيسابور مع المال الذي كان يُحمل من فارس الى خراسان. وبذلك تحسنت حالته وأمن مستقبل حياته وحياة عائلته ولذلك تفرغ بعد ذلك لحياته الادبية والعلمية[٢] ولم يأبه الى السامانيين الذين كانوا يعادون البويهيين ولم يخش من زيارته عضد الدولة مرتين والتي كانت السبب في سجنه من قبل ابي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور مدة لانعرف أمدها، ولكن احداث التاريخ تقتضي ان يكون قد خرج من الحبس قبل شهر جمادىٰ الاولىٰ سنة ٣٧١ هـ[٣].

ولم يكتف الخوارزمي بمدح عضد الدولة بل انه انشد قصيدة في مدح فرسه الذي كان يدعىٰ السِّماك حيث يقول[٤]:

حَسَدَ السِّماكَ سميُّهُ لما بدا في سرجِهِ شخصُ الهمام الأبلجِ
وغدا فاضحىٰ لاحقاً ضد اسمه وأراك أعوج وهو عينُ الأعوجِ
فَلَوَ أنَّ شاعِرَ بحترٍ في عصره ماقال في فرسٍ ولا في أعوج
(خفَّتْ مواقِعُ وطئه فَلَو أنَّه يجري بِرَملةِ عالجٍ لم يرهجِ)

وهنا نقف على ظاهرة من ظواهر التلون السياسي، أو قل النفاق السياسي التي طالما اتصف بها الشعراء غير الملتزمين وهي ان الخوارزمي قد مدح عضد الدولة كل هذا المدح ولكنه كان قبل ذلك قد اتصل بابي الفتح بن العميد مباشرة او بصورة غير مباشرة ومدحه قائلاً[٥]:

لئن كنتُ أضحي من عطاياك شاعراً لقد صرتُ أُمسي من جنابك مفحما

وعندما يقتل ابن العميد بأمر من عضد الدولة بعد ان تسمل احدىٰ عينيه ويجدع انفه نرىٰ

---

١. اليتيمة: ٤ / ٢٣٧.
٢. اليتيمة: ٤ / ٢٣٧.
٣. كتاب الامثال للخوارزمي، المقدمة: ص ع.
٤. القطعة: ٤٩ / ١ – ٤.
٥. القطعة ١٨٨ / ١ – ٣.

الخوارزمي يرثيه بقصيدة منها[١]:

يـــادهرُ إنّكَ بـــالرجـــالِ بَـصيرُ   فـــلطالما تجـــتاحُهُم وتـــبيرُ

يـــادهرُ غـــيري مـن خـدعتَ بـباطلٍ   وابـــنُ العـــميد مـــغيّبٌ مـــقبورُ

الآن نـــادتنا التـــجاربُ طـــلّقوا   دنـــياكـــمُ إنّ السرور غـــرورُ

ويمضي في قصيدته يرثيه ويذرف الدموع عليه الى ان يقول:

قـــد مِتُّ بـــعدكَ مـــيتةً مســـتورةً   قـــد ســـاقها لي مـــوتُكَ المـــشهورُ

ودفـــنتُ في قـــبر الهـــموم وضَـــمّني   كـــفنان ضـــيقُ الصـــدرِ والتـــفكير

ويستمر في رثائه الى ان يقول:

أهـــوىٰ القـــيامةَ لا لشيء غـــير أنْ   ألقـــاكَ فـــيها والانـــامُ حـــضورُ

وأُحبُّ فـــيكَ المـــوتَ عِـــلْماً أنّـــنا   بـــعدَ المـــماتِ الى اللـــقاءِ نـــصيرُ

ولذلك نجد ان الخوارزمي لا يلتقي عضد الدولة بشيراز بعد ان عظم سلطانه وقصده الادباء والشعراء حتى المتنبي، الا بعد ان يأخذ معه توصية ورسالة من الصاحب بن عباد اليه، ولعل هذه الرسالة هي التي خففت ما في قلب عضد الدولة على الخوارزمي الذي مدح ورثا مقتوله ابن العميد. وهذا دليل اخر يمكن ان نسوقه على عدم الالتزام السياسي وعلى عدم الوفاء الذي اعتاد عليه كثير من الشعراء فترىٰ الشاعر يرثي المقتول ثم يمدح القاتل!!

ومن الشخصيات السياسية الاخرىٰ التي عاصرها الخوارزمي في هذه الفترة وانشد فيها مدحاً شخصية مؤيد الدولة ابن ركن الدولة واخي عضد الدولة. وكان أميراً على الري واصبهان وهمدان وجرجان. ويبدو ان الخوارزمي كان على اتصال به لاسيما وان الصاحب بن عباد كان وزيره وقد التقاه الخوارزمي وصحبه مدة من الزمن. وفي احدىٰ حروب مؤيد الدولة التي ينتصر فيها على عدوه المسمىٰ كوشيار ويفتتح قلعته التي كانت تعد من أبكار القلاع، يمتدح الخوارزمي مؤيد الدولة ويقول[٢]:

---

١. القطعة ٨٦ / ١ – ٣، ٨ – ٩، ١٤ – ١٥.   ٢. القطعة ١٩٢ / ١ – ٤.

وكـــنتَ سماءً والعـــجاجُ ســحائباً وخـــيلُكَ أبــراجاً وجــيشُكَ أنجُـــما

وانـــزلتَ مـــنها كــوشيارَ وانَّمـــا تـــقنّصتَ مَـــنْ فَـــوقِ المجـرّةِ ضَـيغَما

عَــرَفتُكَ صــيّادَ الاســودِ ولم اكُـــن عَــرَفتُكَ صــيَّادَ الاســودِ مـــن السَّما

خـــدمْتكُمْ يـــا آل بـــويةَ مُـــدَّةً غـــدا بـــينها فـرخُ الوسـائلِ قَشْـعَما[1]

وفي الابيات وبخاصة البيت الاخير اشارة واضحة الى ولاء الخوارزمي لآل بويه وربما كان ذلك للعقيدة المشتركة التي كانت تجمعهما.

وعندما يتوفىٰ مؤيد الدولة سنة ٣٧٣ هـ يتولىٰ الامر بعده اخوه فخر الدولة الذي كان قد أُبعد عن الامارة ايام عضد الدولة[2] سنة ٣٦٩ هـ، يتولىٰ الامارة بسعي من الصاحب بن عباد[3] وبهذه المناسبة ينشد الخوارزمي قصيدة يرثي فيها مؤيد الدولة ويعزي ويهنئ فيها فخر الدولة منها[4]:

رُزئتَ أخاً لو خُـــيِّرَ المجـــدُ في أخٍ من النـاسِ طُـهراً مـاعداه ولا اسـتثنى

وقـــد جـــاءت الدنـيا اليكَ كـما تـرىٰ طـــفيلية قـد جـاوبت قـبل أن تُـدعىٰ

وفي الأبيات اشارة واضحة الى خروج فخر الدولة من همدان هارباً الى الديلم ومنها الى جرجان ولجوئه الى قابوس بن وشمكير[5].

ومن الشخصيات السياسية التي اتصل الخوارزمي بها وربطته علاقة متينة معها شخصية الصاحب بن عباد الذي وزر لكل من مؤيد الدولة واخيه فخر الدولة[6] في الفترة الواقعة بين ٣٦٠هـ - ٣٨٥هـ[7]. ونقلت عن الخوارزمي ابيات كثيرة تخص الصاحب بن عباد اذ بلغ عدد

---

١. القشعم: الحسن من الرجال والنسور، وقيل هو الفخم المسنّ من كلّ شيء.

٢. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤٣٨؛ تاريخ طبرستان، لابن اسفنديار كاتب، جلد اول، قسم دوم، ص ٤.

٣. المصدر السابق ٥ / ٤٥٤.

٤. القطعة ١٦ / ١ - ٦.

٥. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤٣٨ - ٤٣٩؛ تاريخ طبرستان لابن اسفنديار، ص ٤ - ٥.

٦. البداية والنهاية لابن كثير ١١ / ٣٥٩ - ٣٦١؛ الكامل لابن الاثير ٥ / ٥١٠؛ اليتيمة ٣ / ٢٢٥ - ٣٣٦.

٧. موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، ص ٣٠٢.

هذه القطع ١٦ قطعة وبلغت ابياتها ٧٢ بيتاً[١] لعلها اكثر الابيات التي وصلتنا عن الخوارزمي وتخص شخصية معينة، وهذا ان دلّ على شيء فيدل على أُنسهِ بالصاحب لاسيا وان الاخير كان اديباً ايضاً اجتمع في حضرته من الادباء والشعراء والكتاب والعلماء مالم يجتمع لاحد في عصره اذ يشبّه ديوانه ببلاط هارون الرشيد او سيف الدولة الحمداني[٢]. ولكن رغم كل هذه العلاقة الوطيدة التي كانت تربط الخوارزمي بالصاحب فان الأخير لم ينجو من هجاء الخوارزمي له فقد قال فيه[٣]:

لاتمدحنّ ابن عّبادٍ وان هطلتْ   كفّاه بالجودِ سحّا يُخجلُ الدّيما

فإنّها خَطراتٌ مِنْ وَساوِسِهِ   يُعطي ويمنع لا بُخلاً ولا كَرَما

وسنفصل الحديث عن علاقته بالصاحب عندما نتحدث عن عصر الخوارزمي الثقافي في قسم لاحق. أما الدولة البويهية بعد هذه الفترة فانها تتميز بالسير نحو الضعف والانحلال. ففي سنة ٣٧٦ هـ يخرج شرف الدولة علىٰ اخيه صمصام الدولة، ويُصبح له الامر من دونه حتى يتوفىٰ سنة ٣٧٩ هـ، فيخلفه اخوه ابو نصر الملقب ببهاء الدولة وضياء الملة (٣٧٩ – ٤٠٣ هـ) ثم ولي بعده ابنه سلطان الدولة (٤٠٣ – ٤١٥ هـ) وانتزع الملك منه اخوه شرف الدولة صاحب كرمان وتوفي سنة (٤١٦ هـ) فخلفه اخوه جلال الدولة (٤١٦ – ٤٣٥ هـ)[٤]، ولا يلبث محمود الغزنوي ان يستولي من يد مجد الدولة بن فخر الدولة على الري واصفهان وبلاد الجبل[٥]، وتعظم الفوضىٰ في عهد جلال الدولة ويخلفه ابو كاليجار محيي الدولة (٤٣٥ – ٤٤٠ هـ) ويعظم في عصره شأن السلاجقة ويستولون على كثير من ايران، ويتوفىٰ ابو كاليجار غمّاً، ويخلفه الملك الرحيم، ويدخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧ هـ ويتقوض بذلك سلطان البويهيين في العراق وايران نهائياً[٦].

---

١. القطع: ٢٥، ٨٥، ٩٦، ١١١، ١١٤، ١٢٦، ١٣٢، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٤، ٢١٤، ٢١٨، ٢٥٠.

٢. راجع اليتيمة ٣ / ٢٢٦.   ٣. القطعة ٢١٤ / ١ – ٢.

٤. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤٦٨، ٤٧٧، ٥٩٩، ٦ / ١١، ١٢٠.

٥. المصدر السابق ٦ / ٣٣ – ٣٤.

٦. المصدر السابق ٦ / ١٣٩، ١٤٩، ١٥٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٠.

الدولة الحمدانية

والبيئة السياسية الثالثة التي عاصرها الخوارزمي وعاش في اكنافها ردحاً من الزمن، هي بيئة الحمدانيين في حلب والتي كانت جزءاً من البيئة الحمدانية في الموصل والجزيرة، حيث عاشت الدولة الحمدانية مايقارب قرناً من الزمان في الفترة (٢٩٣ - ٣٩٤ هـ)[١]، اذ سيطر ابو الهيجاء على مدينة الموصل سنة ٢٩٣ هـ وظلت في يده ويد ابنه ناصر الدولة وحفيده ابي تغلب المتوفىٰ سنة ٣٦٩ هـ[٢]، وقد استطاع ابنه علي الملقب بسيف الدولة ان يستولي من الدولة الاخشيدية على حلب وحمص واللاذقية وانطاكية وأسس فيها جميعاً امارة مستقلة منذ سنة ٣٣٣هـ متخذاً حلب عاصمة له وحاول الاستيلاء على دمشق من الاخشيد، غير ان المصريين ردّوه على اعقابه فاكتفىٰ بامارته.

وسرعان مااشتهر سيف الدولة بموقفه من الروم وشراسة دفاعه وحروبه لهم، اذ قاد ضدّهم مايزيد على اربعين غزوة كانت حتى الهجومية منها نوعاً من الدفاع لانه لم يستطع استغلالها للتغلغل حتى القسطنطينية ولا كان له أمل في ذلك. وأخيراً فقد توفي سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ[٣] بعد ان اوصىٰ بعمل لبنة من الغبار الذي غمره في الحروب توضع تحت رأسه[٤]. وبقيت امارة الحمدانيين في حلب حتى اواخر القرن الرابع الهجري. ويرىٰ الدكتور شوقي ضيف ان الامارة لم تكن لهم حقاً الا في عهد سيف الدولة المجيد[٥].

وغادر الخوارزمي بغداد متوجهاً الى حلب ويرى الاعرجي ان ذلك قد تم قبل سنة ٣٤٦هـ اي في عهد سيف الدولة التي فتحها سنة ٣٣٣ هـ اي بعد ثلاث عشرة سنة من استقرار سيف الدولة بها وتألقه وتألق بلاطه فيها ولكننا لانلحظ اي اشارة من الخوارزمي الى سيف الدولة لا في شعره ولا في رسائله سوىٰ اشارة عابرة الى اسمه حين مدحه المتنبي[٦]، على الرغم من المذهب

---

١. موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، شاكر مصطفىٰ، ج١، ص ٣٥٣؛ ولكن جرجي زيدان اعتبر تاريخ الدولة الحمدانية في الفترة ٣١٧ - ٣٩٤ هـ راجع: تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان المجلد الاول (ج ١ و ٢) ص ٥٣١. ولكننا اذا اعتبرنا ان مؤسس الدولة الحمدانية في الموصل هو ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان فقد كان هذا والي الموصل منذ سنة ٢٩٣ هـ ولذا فان التاريخ الاخير يمكن اعتباره بداية للدولة الحمدانية.

٢. الكامل لابن الاثير ٤ / ٦١٧، ٥ / ٤٣٣ - ٤٣٤. ٣. الكامل لابن الاثير ٥ / ٣٥٠ - ٣٥١.

٤. عصر الدول والامارات - الشام - الدكتور شوقي ضيف، ص ٢٢.

٥. المصدر السابق ص ٢٣. ٦. رسائل الخوارزمي، ص ١٤.

المشترك الذي كان يجمع الى حد ما الخوارزمي بالحمدانيين اذ كانوا شيعة امامية اثني عشرية [١].
كما ان الجهاد الذي كان يقوم به سيف الدولة ضد الروم والصليبيّين لم يتعرض اليه الخوارزمي من قرب او بعد وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ابتعاد الخوارزمي عن مثل هذه القضايا وانشغاله بالتعلّم واغتراف انواع العلم والمعرفة.

الدولة الزيارية

ومن الذين ارتبط بهم الخوارزمي ومدحهم شمس المعالي قابوس بن وشمكير من أمراء الدولة الزيارية التي اسسها مرداويج بن زيار سنة ٣١٦ هـ التي شملت قزوين والري وهمدان وكنكور والدينور وبروجرد وقم وقاشان واصبهان وجرباذقان وجرجان وطبرستان وتوفي سنة ٣٢٣ هـ وتولىٰ الامارة بعده اخوه وشمكير بن زيار وهو والد قابوس الذي لم يستطع الاحتفاظ باكثر من رقعة صغيرة منها على بحر الخزر واعترف بالسامانيين ليضمن بقاءه فيها حين بدأت دولة بني بويه بالظهور.

استقر وشمكير في امارته الصغيرة في ظل السامانيين ثلاثاً وثلاثين سنة (٣٢٣ – ٣٥٦ هـ) يحكم الري او جرجان بحسب الظروف السياسية. وقد ارسل في مطلع حكمه جيشاً كثيفاً انتزع أصبهان من ركن الدولة البويهي ثم سار الى قلعة ألموت العصية فامتلكها [٢]، ثم عاد ركن الدولة فاسترد أصبهان في السنة التالية اي سنة ٣٢٨ هـ [٣]. وبدأت عداوة بين الطرفين استمرت اقل من اربعين سنة. فقد شكل ركن الدولة حلفاً ضد وشمكير واخذ منه الري سنة ٣٢٩ هـ [٤] بعد معركة قتل فيها ماكان بن كالي وهرب وشمكير الى طبرستان وطلب طاعة آل سامان فقبلوه واستطاع ان يسترد الري فترة قصيرة، لكن ركن الدولة مع أخيه عماد الدين استطاعا طرده منها [٥]. ثم إنه اخذ جرجان اربع سنوات (٣٣٣ – ٣٣٧ هـ) ومازالت هذه حاله حتى توفي مطلع سنة ٣٥٦ هـ في سقطة عن حصانه [٦]. وتلاه ابنه ظهير الدولة ابو منصور بيستون. وقد بقي عشر

---

١. سيف الدولة الحمداني، الدكتور مصطفىٰ الشكعة ص ١٦٦ – ١٦٩.
٢. المصدر السابق ٥ / ٢٠٨.
٣. المصدر السابق ٥ / ٢١٠.
٤. المصدر السابق ٥ / ٢١٧.
٥. المصدر السابق ٥ / ٢٣١.
٦. المصدر السابق ٥ / ٢٦٥، ٢٨٧، ٣٢٦، ٣٤٨.

سنوات وأهم اعماله انه تصالح بعد طول عداوة لابيه وله مع ركن الدولة البويهي الذي توفي معه في السنة نفسها[١] وكانت وفاة بيستون بجرجان وخلف وراءه طفلاً طمع جده لأمه ان يأخذ الملك منه فبادر الى جرجان، ولكن قابوس اخا بيستون الذي كان في زيارة لخاله رستم بجبل شهريار عندما بلغه الخبر سارا الى جرجان، فلما قاربها خرج الجيش اليه واجمعوا عليه وملكوه وهرب من كان مع طفل بيستون فأخذ قابوس الطفل وكفله واستولىٰ على جرجان وطبرستان. واستمر قابوس في الحكم الى سنة ٤٠٣ هـ، غير ان عضد الدولة كان قد أجلاه عن جرجان وطبرستان سنة ٣٧١ هـ ولم تنفع محاولاته في اعادتها، وبقي منفياً عنها بأمر مؤيد الدولة البويهي حتىٰ سنة ٣٨٩ هـ وقد استطاع بعد عودته من المنفىٰ ان يسترد منطقة جيلان كلها وولايتها القديمة[٢].

ولاندري بالضبط الفترة التاريخية التي اتصل الخوارزمي بشمس المعالي قابوس ومدحه فيها. وهل كانت قبل نفيه سنة ٣٧١ هـ او خلال نفيه ونستبعد ان تكون بعد عودته الى طبرستان وجرجان سنة ٣٨٩ هـ لان الخوارزمي كان قد مات سنة ٣٨٣ هـ الا اذا اخذنا بالرواية الثانية التي تقول انه توفي سنة ٣٩٣ هـ. ويبدو من احدىٰ القصائد التي انشدها الخوارزمي في قابوس ان الاخير كان في المنفىٰ[٣] حيث يقول الخوارزمي فيها[٤]:

شموسٌ لهنّ الخدرُ والبدرُ مغربٌ ... فطالِعُها بالبين والهجر غاربُ

ولكنّا شمسُ المعالي خلافُها ... مشارقُهُ ليست لهنّ مغاربُ

فما لقّبوه الشمسَ إلّا وقد رَوَوا ... «بأنك شمس والملوك كواكبُ»

ولابد لنا ان نتساءل كيف استطاع الخوارزمي ان يوفق بين مدحه لقابوس وبين ولاءه لمؤيد الدولة وعضد الدولة البويهي؟ وقد رأينا ان مؤيد الدولة هو الذي نفاه لانه اكرم اخاه فخر الدولة. وهنا لابد لنا ان نجيب بأن كثيراً من الشعراء ومنهم الخوارزمي لايلتزمون الا بما يحقق مصالحهم ويؤمن لهم العطاء. فقابوس جاء نيسابور والخوارزمي بها ولابد انه نال عطاء جزيلاً من مدحه قابوس هذا. ولكن السؤال الذي يبقىٰ وهو لماذا لم يمدح صاحبه فخر الدولة في هذه

---

١. المصدر السابق ٥ / ٤١٢، ٤٢٥.

٢. المصدر السابق ٥ / ٥٣٠ – ٥٣١.

٣. تاريخ يميني للعتبي، ص ١٧٧.

٤. القطعة ٢١ / ١ – ١٥.

الفترة؟ ويمكن ان نقول ربما مدحه في ديوانه، ولكننا لم نعثر عليه.

اما القصيدة الاخرىٰ التي وصلتنا عن الخوارزمي في قابوس فالظاهر انها كانت في ايام المنفىٰ أيضاً اذ فيها اشارات الى محاربة الدهر له وتجشمه عناء مكاره الدنيا وبلياتها. يقول الخوارزمي فيها[1]:

قامَتْ تودّعني بالادمعِ السّجمِ والصمتُ بينَ يدٍ منها وبينَ فَمِ

البينُ أخرسَها والبينُ أنطَقها وهذه حالةٌ في الناس كلِّهمِ

قد طالما انهزمتْ عَنّا السيوفُ فلا تُحاربينا بجيشِ الوردِ والعنَمِ

ولكنّ السؤال الذي أثرناه سابقاً لايزال يحفل بقوته هنا ايضاً وهو كيف استطاع الخوارزمي ان يوفق بين ولائه للبيت البويهي وبين مدحه لمن أبعدوه وطردوه واجبروه على العيش في المنفىٰ مدة تقرب من العقدين من الزمان!!

شخصيات سياسية اخرىٰ

ومن الشخصيات السياسية الاخرىٰ التي نجد لها في اشعار الخوارزمي ذكراً،خوارزمشاه ولاندري اي واحد منهم واغلب الظن هو ابو علي مأمون الاول بن محمد الذي حكم اقليم خوارزم في الفترة ٣٨٢ – ٣٨٧ هـ وكان في مستهل أمره عاملاً لبني سامان[2] لان الخوارزمي عاصره. وكان الخوارزمي قد بعث اليه برسالة يشكره ويمدحه، ويقول فيها: «وأتاني خلال ذلك فرح لايسعني جلدي منه فرحاً، ولاتحملني اعداد سرجي مرحاً فأنشدت[3]:

واذا نظرتُ الى أميري زادني ضِنّاً به نظري الى الأمراءِ[4]

كما وردت بعض الابيات الاخرىٰ في رسائله ايضاً الى وزير صاحب خوارزم يمدحه قائلاً[5]:

لو كنت اهدي على قدري وقدركُمُ لكنتُ أهدي لك الدنيا ومافيها

---

١. القطعة ٢١٣ / ١٨.

٢. موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، ص ٤٦٠.

٣. رسائل الخوارزمي، ١٧٨.

٤. القطعة ٥ / ١، والضّنّ: الشيء النفيس تضنّ به لمكانته منك وموقعه عندك ويقال: فلان ضنّي، وهو ضنّي من بين اخواني: يعني خاصتي.

٥. القطعة ٢٤٨ / ١.

وورد بيتان له في رسالة بعث بها الى صاحب جيش خوارزم يعتذر اليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة[١].

وورد له بيتان اختتم بها رسالة كان قد بعثها الى وزير خوارزمشاه لما نكب وكان خريجة هرجة[٢].

كما ورد له بيتان في ابي منصور بن احمد عامل «ملك» الصغانيان (= جغانيان) الذي تولىٰ الحكم سنة ٣٤٠ هـ[٣].

وكان الخوارزمي قد ذكر هذين البيتين في رسالة بعثها اليه يعزيه في عمه ابي سعيد.

الخلاصة

بعد هذا الاستعراض السريع لعصر الخوارزمي السياسي والبيئات السياسية التي عاصرها الخوارزمي، او عاش في اكنافها ردحاً من الزمن، يتبين لنا ان الخوارزمي لم يكن ليتمتع بتلك الشخصية التي تتخذ موقفاً سياسياً ثابتاً تجاه الاحداث والشخصيات، ولا بتلك الشخصية التي تتخذ موقفاً تجاه القضايا التي يعيشها المجتمع او تعيشها الامة الاسلامية مع اعدائها الاجانب كالصّليبيين مثلاً، اذ لم نعهد له حتى موقفاً واحداً تجاه هذه القضايا. كما لم يُعر الخوارزمي أية أهمية للمصائب والنكبات والفتن التي كانت تعصف بداخل المجتمع الاسلامي وتضعفه، فلم يهب للدفاع عن القيم التي ديست من قبل مختلف التيارات الحاكمة في المجتمع الاسلامي. ونستطيع القول أنَّهُ وكالكثير من الشعراء لم يكن ينظر الى الامور الا بمنظار مصالحه الشخصية ولم يكن بذلك الانسان الشاعر الذي يرتفع فوق دائرته الشخصية الضيقة ليطير في الآفاق الأرحب لامته ومجتمعه ليعبر عن آمال المجتمع وآلامه. ولما كانت كل اشعاره لم تصل الى ايدينا، فاننا قد نعذره في وجود ابيات في هذا المجال حالت صروف الزمان دون وصولها الى ايدينا، إلا أننا نعتبر ذلك احتمالاً ضعيفاً جداً. كما ان حكمنا لايمكن ان يكون قطعياً البتة، ذلك لان الخوارزمي نفسه لم ينقل الينا آراءه في شعره، وانما نُقل الينا من شعره بواسطة اشخاص آخرين اقتطفوا واختاروا منه ما كان يتلاءم والهدف الذي تابعوه من نقلهم شعره، او الاستشهاد به وهذه مشكلة سنعانيها في المجالات التي سنتحدث فيها عن الخوارزمي الشاعر كافة.

---

١. القطعة ٢٠٧ / ١. ٢. القطعة ١٦٣ / ١ - ٢.

٣. القطعة ٢٠٥ / ١؛ ٢٠٦ / ١.

ب ـ الحياة الاجتماعية في عصر الشاعر

اذا اردنا ان نتحدث عن الحياة الاجتماعية لبلد من البلاد او مجتمع من المجتمعات، فلابد ان يتطرق الحديث الى ذكر طبقات المجتمع في هذا البلد او المجتمع من حيث الجنس والدين، وعلاقة كلّ من هذه الطبقات بعضها ببعض، والبحث عن النظام الاسري والعائلي، ووصف بلاط الحكام، بالاضافة الى وصف الاعياد والمواسم والولائم والحفلات واماكن النزهة وما الى ذلك من مظاهر المجتمع[1]. ولابد لنا ونحن نتحدث عن عصر الخوارزمي الاجتماعي اي القرن الرابع الهجري ان نتأخر قليلاً الى الوراء لنرىٰ ان المجتمع في العصر العباسي الاول وفي عاصمة الخلافة كان خليطاً من العناصر المختلفة من عرب وفرس ومغاربة وغيرهم، وقد ادخل العنصر التركي في عهد الخليفة المعتصم بالله مساهماً مع هذه الجنسيات بعاداته وتقاليده، وعندما بدأ حكم الديالمة ببغداد أصبحت لهم ضجة وسطوة في حكم بني بويه[2].

التناقض الاجتماعي والنزاع الطائفي والقومي:

وقد جنى عهد بني بويه ثمرة التناقض الاجتماعي والعنصري في مختلف العصور العباسية، وأصبحت عاصمة الخلافة مسرحاً للعصبيات الجنسية والمذهبية، وساهم الاتراك والديلم في اذكاء جذوة الخلافات والفتن والاضطرابات بعد ان تخلصت هذه العناصر من الحدود الصارمة التي كانت تفرضها هيبة الخلافة. وشهدت بعض المدن والحواضر الاسلامية ايام الاحتفالات الدينية كثيراً من المآسي والفواجع، وكان على هذه الحواضر ان تشيع ضحاياها بعد كل فتنة دينية او حديث عن غزو مطبق على ابواب تلك الحاضرة[3]. ويحدثنا ابن الاثير في تاريخه عن فتن كثيرة وقعت بين السنة والشيعة في بغداد وبقية الحواضر الاسلامية في القرن الرابع الهجري وبخاصة في عهد البويهيين[4]، الى درجة ان السنة في باب البصرة أخذوا يحتفلون بعد ثمانية ايام

---

١. تاريخ الاسلام السياسي، الدكتور حسن ابراهيم حسن، ج ٢ ص ٣٩٥ وج ٣ ص ٤٢٢.

٢. ظهر الاسلام، احمد أمين، ج ١، ص ٧٥.

٣. مهيار الديلمي، حياته وشعره، الدكتور عصام عبد علي، ص ٢٥.

٤. الكامل لابن الاثير ٥ / ٢٩٨، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٦٦، ٣٥٥، ٣٧٧، ٤٣٩، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٤٠.

من احتفال الشيعة بعيد الغدير، في السادس والعشرين من ذي الحجة ويقيمون وسائل الزينة والفرح مدعين انه يوم دخل النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وابو بكر الغار. كما عمل السنة في باب البصرة بعد ثمانية ايام من يوم عاشوراء مثل ما يعمل الشيعة في عاشوراء من الحزن وقالوا انه يوم مقتل مصعب بن الزبير[١]، ويرىٰ الدكتور شوقي ضيف ان ايران كانت في هذه الفترة اكبر مركز للتشيع[٢]، ولكن آدم متز يقول «اما في جميع المشرق فكانت الغلبة لأهل السنة إلّا أهل قم فانهم كانوا شيعة غالية قد تركوا الجماعات وعطلوا الجامع الى ان ألزمهم ركن الدولة عمارته ولزومه»[٣] ويبدو ان ماذكره آدم متز اقرب الى الصحة، فان اشتهار قم بالشيعة قد غلب عليها الى درجة ان المثل كان يضرب بها. وقد اشار الى ذلك ابوبكر الخوارزمي في قصيدة له ميمية منها[٤]:

يـــامَنْ يـــدرسُ خـــالياً حـــجابه ... سهـــلُ الحـــجاب مـــؤدبُ الخـــدامِ

كـــم تـــطرد الدنـــيا وتـــرجـــع بـــعدما ... «قـــد طـــلّقتْ تـــطليقةَ الاســـلام»

فَكَأَنّهـــــا شـــــيعية قمـــيّة ... وكأنَّ ســـيدنا الوزيـــر إمـــامي

ويـــقول للـــخطاب غـــيرك «ليس ذا ... وقتَ الزيـــارةِ فـــارجـــعي بســـلام».

وفي البيت الثالث اشارة واضحة الى شيعية قم وكأنها انفردت بين سائر المدن الايرانية في ذلك، وظاهر البيت يدل على ان قم كانت شيعية إمامية.

اما اصفهان فكانت تخالف قم كل المخالفة. ففي عام ٣٤٥ هـ شهدت المدينة فتنة كبيرة نشأت بسبب عامل طائفي. وكان سببها كما قيل ان رجلاً قمياً كان احد افراد الشحنة باصفهان، سب الصحابة، فثار أهل اصفهان، واجتمع خلق لا يحصون كثرة ووقع بينهم قتلىٰ، ونهب أهل اصفهان أموال التجار من أهل قم. وبلغ الخبر ركن الدولة فغضب لذلك وارسل اليها فطرح على أهلها مالاً كثيراً[٥]. وكان البويهيون يشجعون هذا النزاع الى حد ما. فقد امر معز الدولة الشيعة

---

١. المصدر السابق، ٥ / ٥٤٠ – ٥٤١.

٢. عصر الدول والامارات (الجزيرة العربية، العراق، ايران)، ص٥٠٩.

٣. الحضارة الاسلامية، آدم متز، ص ١٠٠.

٤. القطعة ١٨٥ / ١ – ٤.

٥. الكامل لابن الاثير ٥ / ٣١٢

في عام ٣٥١ هـ بأن يكتبوا على المساجد ما هذه صورته: لعن الله معاوية بن ابي سفيان، ولعن من غصب فاطمة (رض) فدكاً، ومن منع من أن يدفن الحسن عند قبر جدّه عليه السلام ومن نفىٰ ابا ذر الغفاري ومن اخرج العباس من الشورىٰ. ولم يستطع الخليفة العباسي ان يفعل شيئاً لانه كان محكوماً من قبل آل بويه. فلما جاء الليل حَكَّهُ بعض الناس، فأراد معز الدولة اعادته واشار عليه الوزير ابو محمد المهلبي بان يكتب مكان مامحي: لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ولا يذكر احد في اللعن الا معاوية، ففعل ذلك[١].

وعند استقراء الابيات التي وصلتنا عن الخوارزمي لم نجد فيها صدىً لهذه الخلافات الطائفية، على الرغم من انّ الخوارزمي قد ادخل نفسه في هذه الصراعات، فرسالته الى الشيعة من أهل نيسابور تدل دلالة واضحة على اتخاذه موقفاً في هذه القضية[٢]. ولكن لماذا لانجد اي رجع صدىً للخوارزمي في هذه القضية؟ ولعل الجواب يكمن في أن الذين نقلوا الينا ابيات الخوارزمي لم يشاركوه الرأي في هذه القضية، فأهملوا كل ماله في هذا المجال. وهناك احتمال آخر ربما يبدو ضعيفاً، وهو ان الخوارزمي لم ينشد شيئاً في هذا الباب. ويبدو الجواب الاول أرجح من الثاني.

وبالاضافة الى النزاعات الطائفية بين السنة والشيعة، فقد كانت في هذا العصر نزاعات وصراعات قومية وبخاصة بين الترك والديلم، اذ قامت المنافسة بينهما عندما استلم البويهيون السلطة اذ انتسبوا الى الديلم واعتمدوا عليهم في اقرار نفوذهم. ووقع بنو بويه فيما وقع فيه العباسيون من قبل، واصبح الديلم خطراً يهدد كيان الدولة العباسية بسبب قيام المنافسة بينهم وبين الاتراك من جهة، وبسبب استعانة البويهيين بهؤلاء تارة وبأولئك تارة اخرىٰ. وقد ادرك معز الدولة هذا الخطر فأوصىٰ ابنه بختيار بمداراة الديلم والتودد الى الاتراك[٣]، لكن بختيار على الرغم من استعانته بالاتراك لم يسلم من شرهم. وكان لهذا الصراع اثره في اذكاء الصراع الطائفي أيضاً اذ كان اهل السنة ينصرون الاتراك، وكان الشيعة ينصرون الديلم[٤].

وقد لعبت الخلافات الطائفية والعنصرية دورها في ايجاد التناقض الاجتماعي في المجتمع

---

١. الكامل لابن الاثير ٥ / ٣٢٧؛ النجوم الزاهرة ٣ / ٣٣٣؛ البداية والنهاية لابن كثير ١١ / ٢٧٤.

٢. من ادب التشيع بالخوارزم، الدكتور صادق آئينه‌وند، ص٢٧ – ٤٢.

٣. الكامل لابن الاثير ٥ / ٣٤٧.

٤. المصدر السابق ٥ / ٣٨٨ – ٣٨٩.

الاسلامي في القرن الهجري، بالاضافة الى عامل آخر هو العامل الاقتصادي الذي لعب هو الآخر دوره في تعميق هذا التناقض. ويتلخص اثر العامل الاقتصادي في نشوء طبقتين: تمثل الاولىٰ ارباب الملك والسلطان والحاشية بنفقاتها الباهضة واسرافها الباذخ في مجال التأنق في مختلف نواحي حياتها. وتمثل الثانية الطبقة العامة من فلاحين وكسبة وعمال وهي ابعد ما تكون عن امجاد السلطان، تلاقي الشقاء والبؤس والعذاب على ايدي عمال الضرائب الذين عيّنوا بالرشوات[1].

ويروي لنا التاريخ امثلة للأموال الضخمة التي كانت في خزائن بعض الامراء. ويُروىٰ عن فخر الدولة البويهي صاحب همدان والجبل والدّينور وجرجان من أنه خلف بعد وفاته «ألفي الف وثمانمائة الف وخمسة وسبعين الفاً ومائتين واربعة وثمانين ديناراً ومن الورق والنقرة والفضة مائة ألف الف وثمانمائة الف وستين الف وسبعمائة وتسعين درهماً، ومن الجواهر واليواقيت الحمر والصفر والحليّ واللؤلؤ والبَلَخْش والماس وغيره اربعة عشر ألفاً وخمسمائة وعشرين قطعة، قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار، ومن اواني الذهب ما وزنه ثلاثة آلاف ألف دينار ومن البلور والصيني ونحوه ثلاثة آلاف، ومن السلاح والثياب والفراش ثلاثة آلاف حمل»[2] والصورة الأخرىٰ لهذه الطبقة المترفة هي ما انفقته على بناء القصور لها، فقد انفق معز الدولة ثلاثة عشر ألف ألف درهم على بناء دار له ببغداد[3]. كما بنىٰ الصاحب بن عباد قصراً له طلب من الشعراء والكتاب حوله أن يصفوه، فوصف ذلك القصر ثلاثة عشر شاعراً مما دعا الثعالبي الى ان يخصص باباً له سماه بالقصائد الداريات[4] ولم يتخلف شاعرنا الخوارزمي عن وصف هذا القصر بل انشد فيه قصيدة عارض فيها قصيدة ابي سعيد الرستمي في الوزن والقافية، ويصفها الثعالبي بانها من اجود القصائد[5] فنها[6]:

أَكُلُّ بناءٍ أنتَ بانيه مُعجزٌ ... بنيتَ المعالي أم بَنَيتَ المنازلا

فلا الإنسُ تَبني مثلهنّ معالماً ... ولا الجنّ تبني مثلهن معاقلا

---

١. تاريخ التمدن الاسلامي، جرجي زيدان، ج ٤، ص ١٨٣.

٢. النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ٤ / ١٩٧ - ١٩٨.

٣. الكامل لابن الاثير ٥ / ٣٢٢.

٤. اليتيمة ٣ / ٢٤٠ - ٢٥٢.

٥. المصدر السابق ٣ / ٢٥٢.

٦. القطعة ١٥٦ / ١ - ١٦.

كـــنائس أضـحتْ للـغَمام عـمائماً   عـلواً وأمستْ في الظّلامِ قـنادلا

وأنت تجد عند قراءتك الابيات هذه ومايليها، الوصف الدقيق لذلك القصر الفخم الذي بناه الصاحب بن عباد، والله يعلم كم أنفق عليه من الأموال، ولم ينس الشاعر وهو يصف بناء القصر وروضاته ان يمدح صاحب البناء أيضاً ويشير الى بذله وكرمه، كما يشير الشاعر الى الغنىٰ الذي كان الصاحب عليه والاموال التي كان يمتلكها:

وانت امـرؤٌ اعـطيتَ مـالو سألتـه   إلهكَ قـال النـاسُ أسْرَفْتَ سـائلا

وقد علق الثعالبي على هذا البيت قائلاً: « في هذا البيت مبالغة بغيضة »[1].

ويشير الثعالبي الى الاموال الطائلة التي كان يمتلكها ابو الفتح ابن العميد في معرض حديثه عن اعتقاله وتعذيبه بانه كان يمتلك « مالا يحصىٰ من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره »[2]. كما يذكر الثعالبي قصراً بناه فخر الدولة بجرجان وامتدحه الصاحب بن عباد[3]. ومن مظاهر التناقض الاجتماعي تفنن الطبقة العليا والوسطىٰ في الملبس والمطعم، فكانوا يلبسون الدراريع، وهي ثياب مشقوقة من الصدر كما كانوا يلبسون الاقبية والسراويل والحلل المطرزة، وكانوا يلبسون الخز صيفاً والفراء والصوف شتاءً، كما كانوا يلبسون الجوارب القطنية والصوفية والحريرية. وكانت النساء، حرائر وجواري، اكثر تفنناً في اناقتهن، فكن يلبسن الاستبرق والسندس والوشي. وكن يتحلّين بالجواهر النفيسة من كلّ صنف، وكن يتعطرن بأنواع الطيب والمسك الغالية[4].

وبالاضافة الى ذلك فان الطبقة العليا كانت تتفنن في الوان الاطعمة والاشربة وذكر لنا الثعالبي قصائد في بيان انواع الطعام وفوائده[5] ولكن الخوارزمي وقد قضىٰ ثلثي عمره تقريباً في فاقة وحرمان تقريباً لا نجده يصف هذه الالوان الغريبة من الاطعمة والاشربة بل انه يصف المتعارف والشعبي منها كالقثاء والريحان والهريسة والرغيف والزعفران[6].

---

١. اليتيمة: ٤ / ٢٥٧.   ٢. اليتيمة ٣ / ٢٢٢.

٣. اليتيمة ٣ / ٣١٣.

٤. عصر الدولة والامارات (الجزيرة العربية – العراق – ايران) للدكتور شوقي ضيف، ص ٥٠٥.

٥. اليتيمة ٣ / ١٩٧ – ٢٠٢.

٦. راجع على التوالي القطع ٧٨، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٧، ٢٢١.

الاحتفال بعيدي النيروز والمهرجان

ومن الظواهر الاجتماعية التي سادت وتركزت في القرن الرابع ظاهرة الاحتفال بعيدي النيروز والمهرجان وليلة السّذَق. وطبيعي ان تتخلل هذه الاحتفالات مجالس اللهو والطرب وشرب الخمر، وان يشترك في مثل هذه المجالس الامراء من مثل فخر الدولة والوزراء من مثل ابي الفتح بن العميد والقضاة من مثل القاضي ابي احمد منصور الهروي. وبلغ من تفشي الغناء والرقص في فارس ان نجد عضد الدولة يفرض ضريبة فيها على المغنيات والراقصات[١]. ولكننا لا نجد صدىٰ لمثل هذه الظواهر فيما بين ايدينا من شعر الخوارزمي الا ما يخص الخمرة ووصفها[٢]، وبلغ تعلقه بالخمرة الى درجة انه نسي عقيدته وقال بما يسيء اليها[٣]:

سَقانيَ الوجهُ الحَسَنْ كأساً فخلّيتُ الرَّسَنْ
وصارَ عندي حسناً قَتْلُ الحسينِ والحَسَنْ

وهذا مثال آخر يمكن ان نسوقه مدلّلين على عدم الالتزام الذي اتصف به الخوارزمي الشاعر – على اقل تقدير – لانّ الإلتزام يقوم بالدرجة الاولىٰ على الموقف الذي يتخذه الاديب، وهذا الموقف يقتضي صراحة واخلاصاً وصدقاً واستعداداً من الشاعر الملتزم لأن يحافظ على التزامه دائماً ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام. ومن هنا كان الالتزام مرتبطاً بالعقيدة، منبثقاً من شدّة الايمان بها، صادراً في جميع أشكاله وأحواله عن عقيدة معينة يدين بها الشاعر الملتزم، وبخاصة اذا علمنا ان الالتزام يعني حرية الاختيار ويعني المبادرة الايجابية الحرة من ذات صاحبه، ويعني الاستجابة لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه وقلبه[٤]. ولكننا نجد الخوارزمي الشاعر يضحي بعقيدته وبقدسيتها –ولو لفظاً– عندما يسقىٰ بكأس من يد من يتمتع بالحسن والجمال. وأين هذان البيتان من تلك الرسالة المطولة التي كتبها للشيعة في نيسابور؟ ولماذا لم يلتزم الشاعر بافكاره وعقائده على طول خط

---

١. عصر الدولة والامارات (الجزيرة العربية – العراق – ايران)، ص ٥٠٦.

٢. راجع القطع: ٧٥، ٩٨، ١٧٣، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٢٧، ٢٢٩.

٣. القطعة ٢٢٩ / ١ – ٢.

٤. الالتزام في الشعر العربي، الدكتور احمد ابو حاقة، ص ١٤.

حياته؟ ولماذا يجرئ الآخرين على النيل من مقدساته ؟! هذه اسئلة تثار ولا نجد لها جواباً، وربما قائل يقول: ان هذين البيتين من باب «فسق الالسن..»، ولكن هذا الجواب لا ينسجم أبداً مع الالتزام الذي عرف عنه وبخاصة فيما يتعلق بعقيدته وافكاره.

ولعل هذه الاوضاع الاجتماعية التي تميزت بالتناقض الاجتماعي والتمايز الطبقي قد أدت الى تضايق عدد من العلماء ورجال الادب وتبرمهم بهذه الحياة وباوضاعها، والى نشوء ما يسمى بأدب الشكوىٰ من سوء الحال والحظ وتقلبات الدهر[1] حتى أصبحت هذه الشكوىٰ مرض العصر البويهي.

والخوارزمي قد سرىٰ اليه هذا التذمر من الدهر ومافعلت به الايام ولذلك لانراه يحمل فكرة ايجابية عن الدهر، بل دائم التبرم بالدهر وبفعاله وبما علمته التجارب من عدم الاعتماد على الخير الذي يصيبه. فنراه يقول[2]:

لاتشكرِ الدهرَ لخيرٍ سبَّبهْ ... فإنَّهُ لم يتعمّد بالهِبهْ

وإنَّما أخطأ فيكَ مذهَبَهْ ... كالسّيل اذ يسقي مكاناً خَرَّبَهْ

والسمّ يستشفي به مَنْ شَرِبَهْ ... ما أثقلَ الدهرَ علَى مَنْ رَكِبَهْ

حَدَّثَني عنهُ لِسانُ التّجربهْ ... ما أهونَ الشوكةَ قَبْلَ الرّطبهْ

وأسهل الكدّ على من أكسبه

ولعل صروف الزمان وحوادث الايام والتقلبات السياسية علمته عدم الاعتماد، وعدم الوثوق بالاصدقاء، بل يعتبر المال اوثق شيء يُعتمد عليه اذ الدهر لايحترم الفقير، بل يجل الغنيّ ويحترمه، فالمال وسيلة الحياة الاقوىٰ، وهو يقول[3]:

ولقد بلوتُ الاصدقاءَ فَلَمْ ... أَرَ فيهمُ أوفىٰ من الوَفْرِ

وكذاكَ لم أَرَ في العِدا أحداً ... أنكىٰ لِمنْ عادىٰ من الفقر

ويتبرّم الخوارزمي بالدهر وبالايام التي لاتقيم وزناً للادب والاديب

---

١. ظهر الاسلام، احمد أمين، ج ١ ص ١٢١ ومابعدها.

٢. القطعة ٢٧ / ١ – ٥.

٣. القطعة: ٨٩ / ١ – ٥.

وانما تعاكس الاديب وتخالفه، اسمعه يقول[١]:

عــــجبتُ للـــــدهر في تـــــصرّفه وكـــــــــل افـــــعالنا عـــــجبُ
يـــــباين الدهـــــرُ كـــــلَّ ذي أدبٍ كأنّمـــــــــا نـــــاكَ أمَّـــــهُ الأدبُ

ولعل هذا التناقض الاجتماعي الذي عاشه المجتمع في القرن الرابع الهجري هو السبب الذي يدفع بالانسان اذ حصل على منصب ان يتنكر لاصدقائه ولمن أحسنوا اليه، لانَّهُ لايُريد أن يعود الى تلك الحالة التي كان عليها، ولايريد ان يعود الى اولئك الذين احسنوا اليه خوفاً على ماحصل عليه. والخوارزمي قد عانىٰ من مثل هؤلاء الافراد الذي احسن اليهم وتـنكروا له حيث يقول في ذم من تكبّر على اصدقائه لغناه وسلطانه[٢]:

وَصَـــلْتُكَ بـــالسُّلطانِ حـتّى اذا اعـتلىٰ مكـــانُكَ واسـتمكنتَ لم تمـلكِ الحِـقْدا
كـــــمقتدحٍ نـــــاراً بـــزندٍ لحـــاجةٍ فَــلَمّا تَــلَظَّتْ نــارُهُ أحــرقَ الزَّنــدا

ويشكــو الخـــوارزمـــي الفـــقر وقـلة اليـد وكـيف انـه لايجـد مـايسد رمـقه حـتى اصبح هزيلاً نحيفاً مضموراً ولاندري أكانت هذه الشكوىٰ واقعية منه ام انه ساقها ليستدر عطف ممدوحه وعطاياه وصلاته، حيث يقول[٣]:

ضَــنيتُ فـلو أُلقــيتُ في حـلق بَـقَّةٍ خـــــريفيةٍ مـــن دقّــتي لم تَــغُصّ بي
واصـــبَحَ قـلبي في يَـدِ الهَـمِّ واغـتدتْ أمـــــانيَّ في أظـــفارِ عـــنقاءَ مُـــغربِ

فهو هنا يضرب المثل بالبقة لصغرها وضعفها، ويضرب المثل بالعنقاء لان امانيه في الغنىٰ والثراء بعيدة جداً لايمكن ان تتحقق يوماً من الايام. واغلب الظن انه نظم هذين البيتين قبل اتصاله بعضد الدولة وقبل حصوله على عطاياه وصلاته التي أَغْنَتْهُ وحسنت كثيراً من حاله. ولكن الخوارزمي وهو يتبرم بالدهر لاينسىٰ هذا المعنىٰ وهـو ان الدهـر لايمكـن ان يـفعل بالانسان شيئاً وانما هو مظهر من مظاهر ارادة الله تعالىٰ وهو القضاء الذي لابد للانسان ان يتحمله ويواجهه ويستسلم له، اذ يقول[٤]:

---

١. القطعة ٣٠ / ١ – ٢.
٢. القطعة ٧٠ / ١ – ٢.
٣. القطعة ٤١ / ١ – ٢.
٤. القطعة ٨ / ١.

وكـم نكـنّي وكـم نهـجو الليالي ... وليس بخـصمنا الا القـضاءُ

التحلل الاجتماعي

وكان تأثير العناصر الدَّخيلة على المجتمع الاسلامي كبيراً في الانحلال الاجتماعي الذي ساد مختلف الطبقات، وساعد على ذلك نشاط تجارة الرقيق التي افسدت المجتمع، وكثرت نتيجة ذلك محلات القيان والغلمان، واعتاد الناس التردد عليها. وكل هذا أدّىٰ الى ان تطرح الحشمة جانباً، وتلوك الالسن بعض الالفاظ المستهجنة من دون حياء حتى تداولها الادباء، وتكوّن لدينا ادب خليع ماجن لايتورع الكثير من الولوج فيه حتى الكتّاب والوزراء من امثال ابن العميد والصاحب بن عباد[1]. ولم يكن الخوارزمي بمبتعد عن هذا المجال فقد جاءت بعض هذه الالفاظ الماجنة الخليعة في بعض ابياته منها قوله[2]:

فـعليكَ كـلُّ مـؤونةٍ ... وعـلى شريكك ان يـنيكا

ولم يكـتف الخـوارزمـي القـول بهـذه الالفـاظ لعـامة النـاس بـل نـراه يخـاطب الصاحب بن عباد فيقول[3]:

مـن يـقل اني ثـقيل أُمّـهُ ... حِـرها اوسـعُ مـن درب طـبس

ولكنه في بعض الاحيان يكني عن الا... و الف... ولا يأتي بهما صريحاً غير ان كنايته هذه غير مقبولة لان فيها تشبيه بمقدسات يترفع الانسان الملتزم ان يأتي بها في مثل هذا المجـال. فاسمعه يقول[4]:

ولم تُـصبح عـلى الاسـلام سـيفاً ... وأنتَ كـما عـلمت مـن الغـمودِ

وتـزهد في الصـلاة وفي ذويهـا ... ولكـن ليس تـزهد في السـجود

وهذه الابيات ان دلت على شيء فانما تدل على ظاهرة التفسخ الاخلاقي التي كانت سائدة

---

١. اليتيمة ٣ / ٢٠٦، ٢٩٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩.

٢. القطعة ١٤٤ / ٢.

٣. القطعة ١١٤ / ١.

٤. القطعة ٧٢ / ١ – ٢.

آنذاك الى درجة جعلت الاتيان بهذه الالفاظ لايعد عيباً.

هذا الاتيان بألفاظ المجون يتجاوز حدّه ليعبر عن افعال تعد حراماً في الشريعة الاسلامية، ويترفع عنها الذوق السليم، ولكننا نجدها شائعة في ذلك العصر منها قوله[1]:

واللهِ لافـــــارقتْ كـــــفّي قـــفاهُ ولم ... يـــنسج ابـــو قـــلمونٍ في نـــواحـــيه

اذ في هذا البيت تشبيه لما تتركه كفه من آثار على قفا خصمه. ولايتورع الخوارزمي في ذكر من يتعاطىٰ الذكر والانثىٰ فيقول[2]:

اذا فـــــاته تحـــــصيل ظـــبي مـــقنعٍ ... فـــــهمّتُهُ تحـــــصيل ظـــبي مـــعمّمِ

يـــصيد كـــلا الظـــبيين هـــذا وهـــذه ... حـــنيف ولكـــن فـــعله فـــعلُ مُجـــرمِ

كل هذه اشارات ودلالات على ما آل اليه المجتمع من الفساد الاخلاقي والانحلال الخلقي.

وبالاضافة الى ذلك لايخلو شعر الخوارزمي من التغزل بالقيان التي شاعت وراجت في ذلك العصر، ومما وَصَلَنا في هذا المجال قوله[3]:

وقـــــينةٍ أحســـــن مـــــن لقـــياها ... تمـــــلي كـــــتابَ الحســـنِ مـــقلتاها

ونـــــقطة وشكـــــلة خـــــدّاهـــــا ... اذا اجـــــتلاها اللـــحظ انشـــدناها

«واهاً لِـــــــــرَيّا ثم واهاً واهـــــــــا»

كما ان الغزل بالمذكر والغلمان قد راج في ذلك العصر نتيجة ظاهرة تفشي الرقيق والغلمان وكانت هذه الظاهرة قد تفشت في البداية عند علية القوم فنرىٰ ان بختيار بن معز الدولة البويهي كان يميل الى غلام تركي له وقد أخذ في جملة الاسرىٰ الذين اسرهم عضد الدولة عند مسيره الى العراق، وقد انقطع خبره عن بختيار فحزن لذلك، وامتنع من لذاته والاهتمام بما دفع اليه من زوال ملكه وذهاب نفسه، حتى قال على رؤوس الاشهاد: ان فجيعتي بهذا الغلام اعظم من فجيعتي بذهاب ملكي[4]. ثم بدأت هذه الظاهرة تسري بين الناس العاديين وبخاصة في اواخر

---

١. القطعة ٢٤٦ / ١.

٢. القطعة ٢١١ / ١ – ٢.

٣. القطعة ١١ / ١ – ٣.

٤. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤١٥.

القرن الرابع وفي القرن الخامس الهجري حتى ان فتوىٰ صدرت بجواز ذلك[١]. وقد سرت هذه الظاهرة الى الخوارزمي لكننا لانرىٰ فيما وصل الينا من شعره وصفاً ماجناً للغلمان بل نرىٰ غزلاً محتشماً الى حد ما، فنراه يقول[٢]:

قـــلتُ لمـــا دمـــعتْ عـيناكَ والدمـع سـجام
انمـــا عـــوقبتَ عـــن عـــينيَّ فـاعلم يـاغُلام
لأُصـــيبتْ هـــذه العـــينُ بـــعيني والســـلام

التسامح مع اتباع الديانات الاخرىٰ

ولعل من تناقضات المجتمع آنذاك ان يقتتل المسلمون في مهرجاناتهم الدينية، وان تسود من جهة اخرىٰ روح التسامح مع الفئات الدينية الاخرىٰ من مسيحيين ويهود حيث كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في امن ودعة[٣]. وشارك المسلمون اهل الكتاب في اعيادهم ومباهجهم وكان عيد الفصح فرصة الالتقاء بين أهل الطرب من المسلمين والمسيحيين في «دير سمالوا» اذ لا يبقىٰ احد من اهل اللهو والطرب الا حضره[٤]. والظاهر ان الاحتفال بعيد الفصح كان ظاهرة عامة الى حد ما وقد دخل هذا المصطلح الادب حيث نرىٰ الصاحب بن عباد يكتب الى الخوارزمي مهنئاً بعيد الفصح[٥]:

أَســـــعدكَ اللهُ بـــــيومِ الفِـــصْحِ وعشتَ مـــاشِئتَ بـــيومٍ سَمْـــحِ
يـــــارأسَ مـــالي في الورىٰ وَربحـــي وظـــفري ونُـــصرتي ونجـــحي
شرباً ولاتُـــصغِ لأهـــلِ النُّـــصحِ فـــالحزمُ أَنْ تَسْكَـــرَ قـــبلَ تُـــصحي
سكـــر النـــصارىٰ في غَـــداةِ الفِـصْحِ

وبـــالتأكـــيد فـــان الخـــوارزمـــي لابـــد وانـــه اجـــاب الصـــاحب

---

١. طبقات الشافعية، للسبكي، ج ٣، ص ١٨.
٢. القطعة ١٧٩ / ١ - ٣.
٣. الحضارة الاسلامية، لآدم متز، ج ١ ص ٦٧.
٤. المصدر السابق ص ٢٧٩.
٥. اليتيمة ٣ / ٣٠٩.

بقطعة مماثلة او انه كان البادئ في ذلك، لأن العادة جرت بذلك بين الشعراء وبخاصة اذا كان احد الاطراف شاعراً ووزيراً، ولكننا لم نعثر في الابيات التي بين ايدينا عن قطعة شعرية للخوارزمي في هذا المجال.

الخلاصة:

ونستنتج من هذا الاستعراض السريع لملامح العصر الاجتماعية، ان العصر هذا قد مثّل صراعاً حاداً بين مختلف القيم والطبقات والابعاد وان بعض انواع الصراع هذا قد وجدنا له صدىً في شعر الخوارزمي ولم نعثر على البعض الآخر، فلربما كانت موجودة في ديوان الخوارزمي ولم تُنقل في مصادر اخرىٰ.

ج ـ الحياة الثقافية في عصر الشاعر :

إن الحديث عن الثقافة بانواعها وابعادها المختلفة في عصر الخوارزمي اي في القرن الرابع الهجري يعد مكملاً للقسمين السابقين، حتى تكتمل الصورة واضحة عن العصر الذي عاشه الخوارزمي بكل ابعاده السياسية والاجتماعية والثقافية. وضرورة البحث في هذا الجانب تكمن في التعرف على العوامل التي صقلت شخصية الخوارزمي وانضجتها فكرياً، وساهمت الى حد بعيد في وصولها المرحلة التي بلغتها.

وكما اشرنا عند الحديث عن الحياة السياسية لعصر الخوارزمي الى البيئات المختلفة التي عاشها الخوارزمي وتأثيراتها عليه وتأثره بها، فلا مندوحة لنا أن نتحدث هنا عن البيئات الثقافية التي ساهمت في تكوين شخصيته العلمية والادبية. ويمكن حصر هذه البيئات بثلاث رئيسة هي:

١ - بيئة خوارزم الثقافية.

٢ - بيئة حلب الثقافية.

٣ - بيئة العراق وايران الثقافية.

وذلك لان الخوارزمي عاش البيئة الاولىٰ في مقتبل عمره، وعاش البيئة الثانية في مراحل نضج شخصيته، وعاش البيئة الثالثة في بداية نضج شخصيته وفي مرحلة تكامل شخصيته وشروعها بالعطاء الثر في مختلف الابعاد الثقافية.

بيئة خوارزم الثقافية

والبيئة الاولىٰ التي نتحدث عنها هي بيئة خوارزم وبلاد ماوراء النهر حيث ولد الخوارزمي هناك واصطبغت حياته الاولىٰ بتلك الصبغة الى درجة اننا نرىٰ الثعالبي يعده من أدباء خوارزم[1] ويذكره ضمن الفصل الخاص بأدباء تلك الديار.

وكانت الحياة العلمية العقلية قد ازدهرت في بلاد خوارزم بعد فتح المسلمين لها بحيث أثّرت في طريقة تفكير الادباء وفي عقلياتهم وفي نتاجاتهم الادبية، شعرية كانت أم نثرية. وظهر ذلك واضحاً في اساليبهم وصورهم الشعرية وفنونهم المتنوعة، وربما كان هذا اثراً من آثار الثقافات التي تمازجت في افكار أدبائها وعلمائها. وقد ادىٰ هذا الوضع الى ايجاد حياة علمية وادبية عالية. فقد ضم اقليم خوارزم، بحكم موقعه الجغرافي - أمماً شتىٰ كالفرس والترك والروم الارثودكس واليهود الى جانب العنصر العربي الفاتح لهذه البلاد. وربما كان لهذا التنوع القومي أثره فيما تميز به هذا الاقليم من حياة عقلية. اذ لكل جماعة مزاياها الخاصة بها. كما يمكن ان يكون العمران الذي كان عليه هذا الاقليم. سبباً آخر في ازدهار حياته العقلية والعلمية. وقد اشار ابن خلدون[2] الى هذه الظاهرة مؤكداً العلاقة الموجودة بين كثرة العلوم وقلتها وكثرة عمران الامصار وقلتها. كما يمكن ان يكون تعاقب الثقافات والدول المختلفة على هذا الاقليم سبباً ثالثاً لازدهاره العلمي والثقافي اذ تعاقبت عليه دول السامانيين والبويهيين والسلاجقة والخوارزميين. ومع ان هذه المنطقة كانت موحدة الحكم في عهد كل هؤلاء، فقد كانت تياراتها الثقافية، تجري هنا وهناك بين مجتمع من الفرس والترك والعرب والاقليات الاخرىٰ، مما حدا بجغرافي كالمقدسي يقول فيه[3]: «ان اقليم خوارزم من أجلّ الاقاليم واكثرها أجلة وعلماء».

---

١. اليتيمة ٤ / ٢٢٣. ٢. مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٤.

٣. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، للمقدسي، ص ٢٦٠.

ووصفه آخر بأنه كان مزداناً بالمدارس والمكاتب واهل الفضل[١].

ويرىٰ المستشرق آربري ان النشاط الادبي الفارسي في جميع بلاد فارس آنذاك، بما فيها اقليم خوارزم، اقتصر في القرون الاسلامية الثلاثة الاولىٰ التي تلت الفتح الاسلامي، اي من القرن السابع الى القرن التاسع الميلاديين، على تسجيل النصوص الزرادشتية المقدسة ورواياتها، ولعل هذا يفسر لنا عدم عثورنا على ادب عربي في هذه القرون التي تلت الفتح.

وبعد هذه الحقبة عرف اقليم خوارزم طائفة من الشعراء كان بعضهم قد اسهم بنشاط شعري غزير. ويذكر لنا الثعالبي اسماء بعضهم ممن ترجم له وذكر بعضاً من اشعارهم وفي مقدمتهم شاعرنا الخوارزمي وابو سعيد احمد بن شبيب الشبيبي، وابو الحسن مأمون بن محمد بن مأمون، وابو عبد الله محمد بن ابراهيم التاجر الوزير وابو محمد عبد الله بن ابراهيم الرتاشي وابو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي وابو القاسم احمد بن ضرغام وكلهم تقريباً ممن عاصر الخوارزمي ابا بكر[٢].

ولم نعثر في شعر الخوارزمي الذي بين ايدينا شعراً يخص هؤلاء الا واحداً منهم وهو ابو سعيد احمد بن شبيب الشبيبي الذي يصفه الثعالبي بأنه «فرد خوارزم ومفخرتها وكان جامعاً بين ادب القلم والسيف وفروسية اللسان والسنان .. ولما اختص بالدولة السامانية، والدولة البويهية، سُمي صاحب الجيشين وشيخ الدولتين»[٣].

وبين الخوارزمي والشبيبي قصائد وابيات متبادلة. فعندما يزور الشبيبي نيسابور وابو بكر الخوارزمي مقيم بها يكتب الاخير اليه رسالة يبتدؤها بأبيات منها[٤]:

مَرْحَباً بالقَمَرِ الطّا   لعِ في جُنحِ الظَّلامِ
مَرْحَباً بالأَسَدِ الور   دِ وبالجيشِ اللّهامِ
مَرْحَباً بابنِ شَبيبٍ   وأَيادِيهِ الجِسامِ

ويلاحظ من هذه الابيات انها الى النثر اقرب منها الى الشعر وهذه ميزة تميز بها الكتاب

١. كنز العلوم واللغة، محمد فريد وجدي، ص ٤٤٨.
٢. اليتيمة ٤ / ٢٧٧ - ٢٩٣.
٣. المصدر السابق ٤ / ٢٧٧.
٤. القطعة ٢٠٤ / ١ - ٦

الشعراء آنذاك.

وهناك بيت آخر للخوارزمي ضمنها رسالة اخرىٰ له لابن شبيب هو[١]:

ولّمـــا رأيتُ النّـــاسَ دونَ محــلّه تَـــيَقَّنْتُ أَنَّ النّــاسَ للــنّاسِ نــاقِدُ

ولكن لاأدري لماذا كان ابو سعيد الشبيبي لا يطمئن كل الاطمئنان للخوارزمي وكان رأيه في الخوارزمي انه انسان ليس بدائم الوفاء لخلّانه على الرغم من أدبه وفضله. فقد روىٰ الثعالبي ان ابا سعيد انشد ابا عبد الله محمد بن حامد لنفسه في ابي بكر الخوارزمي مايلي[٢]:

أَبـــو بَكْـــرٍ لَـــهُ أَدَبٌ وَفَـضْلٌ ولكـــنْ لايَـــدومُ عَــلَى الإخــاءِ

مَـــوَدَّتُهُ إذا دامَتْ لِخِـــلٍّ فَـــمِنْ وَقتِ الصَّـــباحِ إلى المَســاءِ

ويبدو ان رأي الشبيبي في الخوارزمي كان بسبب عتاب الاخير له على الرغم من مودته اليه. وينقل لنا الثعالبي قصيدة للخوارزمي يرثي بها ابا سعيد الشبيبي ويؤكد ان الاول كان وادّاً للثاني عاتباً عليه ومّما قال فيه[٣]:

أيَـــدري السَّـــيفُ أَيَّ فـــتىً يُـــبيدُ وأيـــةَ غـــايةٍ أَضْـــحىٰ يُـــريدُ

لَـــقَدْ صـــادتْ يَـــدُ الأيّـــام طَـــيْراً تَـــضيقُ بـــهِ حَـــبالَةُ مَـــنْ يَـــصيدُ

وأَصْـــبَحَ في الصَّـــعيدِ أبـــو سَـــعيدٍ ألا انَّ الصَّـــعيدَ بِـــهِ سَـــعيدُ[٤]

ويستمر الخوارزمي في قصيدته يرثي ابا سعيد الشبيبي ويصف ما أصابه من حزن وأسىً، ولكنه في نفس الوقت يسوق عتابه وألمه من مرثيّه. ويبدو من القصيدة ان العلاقة ربما كانت متوترة بينهما في الفترة الاخيرة من حياة المرثي الا انها لم تصل الى درجة القطيعة والهجاء، ولذلك فان الخوارزمي متردد بين الحزن وسكب الدموع على مفجوعه وبين الفرح والسرور من خلاصه منه لفعاله المشينة بالنسبة اليه. وهذه حالة من التناقض يوضحها الخوارزمي

---

١. القطعة ٦٦ / ١.

٢. اليتيمة ٤ / ٢٧٧.

٣. القطعة ٥٨ / ١ - ١٢.

٤. الصعيد: الثرىٰ او القبر او المرتفع من الارض وقيل: هو وجه الارض او كل تراب طيب.

ويصفها بانها حالة قلّما توجد مثلها في الحياة. اسمعه يقول[١]:

إذا سَفَحَتْ عَلَيهِ دُموعُ عَيْني ... نَهاها الهَجْرُ مِنْهُ والصّدودُ

وآثارٌ لَهُ عِنْدي قِباحٌ ... يُجَمِّشُ بَينها الرأسَ الحديدُ[٢]

فَنِصفٌ مِنْ مَدامِعِها سَخينٌ ... وَنِصفٌ مِنْ مَدامِعِها بَرودُ

فَمَنْ هذا رأىٰ في النّاسِ مِثْلي ... أُريدُ مِنَ المُنىٰ مالا أُريدُ

ونتيجة حالة التناقض هذه التي يعيشها الخوارزمي تجاه من يرثيه فقد انقسم الناس الى فئتين: فئة تتصور انه كان عدواً له لذا فان هذه الفئة تقدم التهاني للشاعر لموت عدوه وخصمه؛ وفئة اخرىٰ تقدم العزاء والسلوان للشاعر لانه فقد صديقاً ودوداً له، اذ يقول:

فَذا هَنّىٰ وقالَ مَضَىٰ عَدُوٌ ... وذا عَزّىٰ وقالَ مَضَىٰ ودودُ[٣]

ولكن الشاعر، وهو يعيش حالة التناقض هذه، يتذكر مرثيه وخصاله الحميدة فيندفع يمدحه ويشبهه بالبحر ويمد البحر:

وقالوا البحرَ جَزرٌ ثم مَدٌّ ... فَمالَكَ قَد جَزَرْتَ ولاتَعودُ[٤]

ولذلك فان موته قد اجرىٰ العين دمعاً عليه مثلما كانت فعاله السيئة في حياته تجري العين دمعاً ألماً منه اذ ان المرثي قد ابكىٰ الشاعر حياً وميتاً، حياً من سوء فعاله تجاه الشاعر، وميتاً لحزن الشاعر عليه، اذن فالشاعر يصور لنا مشاعره المتناقضة تصويراً جميلاً تجاه المرثي ويرسم لنا صورة التناقض النفسي هذه بريشة أحاسيسه الرقيقة التي تظهره ودوداً في جانب من هذه الصورة ومايحمله الودود من مشاعر نبيلة تجاه من يود، وتظهره باغضاً في جانب آخر من الصورة بما يحمله الباغض من مشاعر الكراهية والبغض للمرثي وفرحه وسروره لموته، تصوير رائع يقدمه الخوارزمي لنا وهو يتحدث عن شخصية يحمل لها كلّ تلك المشاعر المتناقضة التي يحملها بين اضلاعه ولم يستطع الموت ان يوحدها أو أن يمحو جانباً واحداً منها

---

١. القطعة السابقة، ١٤ – ١٧.
٢. جمشت النورة الشعر: أزالته.
٣. القطعة السابقة، ١٩ و ٢٤.
٤. القطعة السابقة، ١٩ – ٢٤.

ليبقى الثاني وحيداً ليس له منافس[١]:

بَكَيْتُ عَلَيكَ بالعَينِ الَّتي لَمْ تَزَلْ مِنْ سوءِ فِعْلِكَ بي تَجُودُ
فَقَد أَبكَيتَني حَيّاً وَمَيتاً فَقُل لي أيُّ فِعْلَيكَ الرَّشيدُ
فَها أَنا ذا المُهَنّأُ والمُعَزّىٰ وها أنا ذا المُباغِضُ والوَدودُ
وَها أَنا ذا المُصابُ بِكَ المُعافىٰ وها أنا ذا الشَّقيُّ بِكَ السَّعيدُ

ويمضي الخوارزمي موضحاً حالة التناقض والازدواجية تجاه الشبيبي حتى يقول[٢]:

فَلا يومٌ تَموتُ بِه مَجيدٌ ولا يَومٌ تَعيشُ بِهِ حَميدُ
وما أصْبَحتُ إلّا مِثْلَ ضِرسٍ تَآكَلَ فَهْوَ مَوْجودٌ فَقيدُ
فَفي تَرْكي لَهُ داءٌ دَوِيٌّ وَفي قَلْعي لَهُ أَلَمٌ شَديدُ

واخيراً فان الخوارزمي يصف مرثيه ويمدحه بانه كان كالحديد بالنسبة للسيف وانه كان للدنيا جميعاً[٣]:

وإنَّكَ أنتَ للسَيفِ الحَديدُ وإنَّكَ أَنتَ لِلْعِلْمِ السَّديدُ
وإنَّكَ أَنتَ للدّنيا جَميعاً ولكِنْ لَيسَ للدّنيا خُلودُ

وبيان هذه العواطف التي حملها الخوارزمي للشبيبي نستطيع ان نفهم البيتين اللذين نظمها الشبيبي في الخوارزمي والتي يمكن ان نستنتج منها ان الخوارزمي لم يكن دائم الوفاء لصديقه، فاذا انزعج واستاء منه فانه لايستطيع ان يخفي انزعاجه واستياءه، وهذا ما شاهدناه في رثاء الخوارزمي للشبيبي فانه وعلى الرغم من ان قصائد الرثاء تتضمن عادة الاشادة بخصال المرثي وبفعاله الحسنة نرىٰ الخوارزمي قد ذكرها كالمعتاد، لكنه لم يكتفِ بها بل ذكر الجانب الآخر الذي يمثل الاستياء من المرثي.

وللخوارزمي نقد لشعر الشبيبي حيث يقول: كان الشبيبي في ايام شبابه يقول شعراً غليظاً

---

١. القطعة السابقة، ٢٥ – ٢٨.
٢. القطعة السابقة، ٣٠ – ٣٢.
٣. القطعة السابقة، ٣٤ – ٣٥.

جاسياً كأشعار المودّبين، فلما عاشر الناس ولقي الافاضل لطف طبعه، ورق شعره[١].

كما ان الشبيبي كان في البداية يتطلع الى الخوارزمي وكانت العلاقة بينهما جيدة. اذ نعثر على قطعة له يمدح بها الخوارزمي مخاطباً اياه[٢]:

للشبيبي صَنيَعتِكَ حَسَراتٌ لِفُرْقَتِك
واشتياقٌ إلى لِقاءِ تباشير طَلْعَتِك
رَبِّ سَهِّل لقاءَه ياإلهي بِرَحمَتِك

ومن الشعراء الآخرين الذي كانت لهم علاقة وارتباط بالخوارزمي هو ابو القاسم احمد بن ابي ضرغام وكان على حد وصف الثعالبي له «احد شعراء خوارزم المفلقين المذكورين»[٣] ولكننا لم نعثر للخوارزمي شعراً فيه ولا لأبي القاسم في الخوارزمي وكل ماعندنا مانقله الثعالبي من انّ ابا القاسم كان يهاجي ابا بكر الخوارزمي ويسابه في عنفوان شبابه[٤].

ومن المراكز الثقافية الاخرىٰ في بيئة خوارزم وبلاد ماوراء النهر كان البلاط الساماني في بخارىٰ[٥]، المدينة التي وصفها الثعالبي بقوله «كانت بخارىٰ في الدولة السامانية مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع افراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الارض، وموسم فضلاء الدهر، حدثني ابو جعفر محمد بن موسىٰ الموسوي: «قال: اتخذ والدي ابو الحسن دعوة ببخارىٰ في ايام الامير السعيد (نصر الثاني بن احمد ٣٠١ – ٣٣٠ هـ)، جمع فيها افاضل غربائها: كأبي الحسن اللحام، وابي محمد ابن مطران، وابي جعفر بن العباس بن الحسن، وأبي محمد بن ابي الثياب، وابي النصر الهرثمي، وابي نصر الظريفي ورجاء بن الوليد الأصبهاني، وعلي بن هارون الشيباني، وابي اسحاق الفارسي، وابي القاسم الدّينوري، وابي علي الزوزني، ومن ينخرط في سلكهم، فلما استقر بهم مجلس الانس، أقبل بعضهم على بعض يتجاذبون أهداب المذاكرة، ويتهادون ريحان المحاضرة، ويفتقون نوافق الادب[٦]، ويتساقطون عقود الدر[٧] وينفثون في عقد السحر[٨]. فقال

١. اليتيمة ٤ / ٢٧٧.
٢. المصدر السابق ٤ / ٢٧٧.
٣. اليتيمة ٤ / ٢٩١.
٤. اليتيمة ٤ / ٢٩١.
٥. تاريخ الاسلام السياسي، الدكتور حسن ابراهيم حسن، ٣ / ٣٣٣ – ٣٣٤.
٦. اي يقتحمون اوعية الادب التي تشبه نوافق المسك.
٧. يشبّه مايجري في المجالس من حديث بمنثور الدر يتساقط من العقود.

لي: ياابني هذا يوم مشهود مشهور، فاجعله تاريخاً لاجتماع اعـلام الفـضل وافـراد الوقت، واذكره بعدي في اعياد الدهر وأعيان العمر فما أراك ترىٰ على السنين امثال هؤلاء مجـتمعين. فكان الامر على ما قال ولم تكتحل عيني بمثل ذلك المجتمع»[1].

وفي هذه المدينة كانت مكتبة نوح بن نصر الساماني التي وصفت بانها عديمة المثل، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لايوجد في سواها ولاسمع باسمه فضلاً عن معرفته[2].

ويشير بعض المؤرخين الى ان تاريخ السامانيين الثقافي أهم بكثير من تاريخهم السياسي اذ ازدهر العلم وكثر الفقهاء والمحدثون والشعراء والنحويون واللـغويون والادبـاء والمـتكلمون والفلاسفة والاطباء والزهاد والقراء والمؤرخون في أيامهم وكلهم ممن كتب بالعربية. فقد كتب ابو بكر الرازي كتاب المنصوري واهداه الى ابي صالح منصور والي سجستان الساماني (٣٥٠ – ٣٦٥ هـ)، وظهر ابن سينا بعد وكتب القانون معتمداً على مكتبة بخارىٰ، وظهر آخرون غير هذين الا ان حديث السامانيين ومكاتباتهم الداخلية كانت باللغة الفارسية وهذا ماأحييٰ هذه اللغة من جديد. ويرى براون اننا يجب الا نتصور غلبة هذا الاقليم على الاقاليم الجنوبية من ايران في الادب والعلم وعلى الخصوص اقليم «فارس». كما يرىٰ ان بعث اللغة الفارسية الادبية بعد الفتح الاسلامي كان في هذا الاقليم لانه كان اقصىٰ ولايات الخلافة واكثرها بـعداً عـن «بغداد» حاضرة «الثقافة الاسلامية» التي ظلت تستعمل اللغة العربية كلغة الادب المعترف بها في الولايات الممتدة من اسبانيا الى سمرقند حتىٰ حطّم المغول الخلافة في منتصف القرن السابع الهجري[3]. غير ان محمد تقي بهار يرد على هذا التعليل ويؤكد ان خراسان وسيستان بقيتا تحت نفوذ مركز الخلافة حتى وقت متأخر وان الصبغة العربية كانت تطغىٰ عليهما، كما ان الادبـاء والكتاب في تلكما الديار لم يكونوا بأقل من بقية المدن الغربية والمركزية والشمالية في انشـاد

← ٨. يشبّه الكلام الجيد في قوّة تأثيره بالعقد التي يعقدها الساحر وينفث فيها من فمه.

١. اليتيمة ٤ / ١١٥.

٢. تاريخ الاسلام السياسي، الدكتور حسن ابراهيم حسن، ٣ / ٣٣٤.

٣. تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي، ادوارد جرانفيل براون، ترجمة الدكتور ابراهيم امين الشواربي، ص ١٠٧ – ١٠٨.

الشعر وتأليف الكتب باللغة العربية، ويستدل على ذلك بما جاء في اليتيمة للثعالبي ودمية القصر للباخرزي وفي رسائل ابي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني وغيرهم. ويضيف انه مما لاشك فيه ان اهتمام السامانيين وبعض من الصفاريين والغزنويين بالشعر العربي لم يكن بأقل من اهتمام البويهيين والصاحب بن عباد وشمس المعالي قابوس[١].

ولم يكن الذين ظهروا وكتبوا بالفارسية الى جانب التأليف باللغة العربية بالعدد القليل، كالبلعمي الذي ترجم تاريخ الطبري الى الفارسية. والرودكي، ثم مهيار الديلمي (ت ٤٠٦ هـ) والمجوسي الطبيب (ت ٣٨٤ هـ) والنرشخي المؤرخ (ت ٣٣٠ هـ) والعتبي (ت ٤٠٩ هـ) وابن سينا[٢].

ويذكر لنا الثعالبي اسماء الشعراء المعاصرين له ممن اقاموا ببخارَى وهم[٣]:

١ - ابو الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني.

٢ - ابو محمد المطراني الحسن بن علي بن مطران.

٣ - ابو جعفر محمد بن العباس بن الحسن.

٤ - ابن ابي الثياب ابو محمد.

٥ - ابو الحسن علي بن هارون الشيباني.

٦ - ابو النصر الهزيمي، المعافي بن هزيم.

٧ - ابو نصر الظريفي الأبيوردي.

٨ - رجاء بن الوليد الاصبهاني، ابو سعد.

---

١. سبک شناسی یاتطور نثر فارسي، محمد تقي بهار، ج ١، ص ٢٢ - ٢٣.

٢. موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، ص ٤٣٦.

٣. اليتيمة ٤ / ٥٢٧ - ٥٢٩..

٩ - ابو القاسم الدّينوري، عبد الله بن عبد الرحمن.

١٠ - ابو منصور احمد بن عبد الله.

١١ - ابو منصور احمد بن محمد البغوي.

١٢ - ابو علي محمد بن عيسىٰ الدامغاني.

١٣ - ابو علي الزوزني الكاتب.

١٤ - ابو عبد الله الشبلي.

١٥ - ابو علي المسبحي.

١٦ - ابو الحسن احمد بن المؤمل.

١٧ - ابو اسحاق ابراهيم بن علي الفارسي.

١٨ - ابو جعفر الرامي، محمد بن موسىٰ بن عمران.

١٩ - ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الجرجاني، الملقب طرمطراق.

٢٠ - ابو محمد عدي بن محمد الجرجاني.

٢١ - عبد الرحيم بن محمد الزهري.

٢٢ - ابو القاسم اسماعيل بن احمد الشجري.

٢٣ - ابو الحسن محمد بن احمد الإفريقي المُتيّم.

٢٤ - ابو الحسن احمد بن محمد بن ثابت البغدادي.

٢٥ - ابو منصور البوشنجي (مضراب الشعر).

٢٦ - ابو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني.

٢٧ - ابو محمد عبد الله بن عثمان الواثق.

ويبدو من هذه القائمة ان الخوارزمي كانت له علاقة مع بعض من هؤلاء لايتجاوز عددهم الثلاثة وذلك استناداً الى مابين ايدينا من شعره. وهؤلاء الثلاثة هم:

١ - ابو الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني.

٢ - ابو جعفر.

٣ - ابو سعد (سعيد) رجاء بن الوليد الاصبهاني.

وسنتحدث فيما يأتي عن هؤلاء، وعن العلاقة بينهم وبين الخوارزمي:

١ - ابو الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني: وقد ذهب الى بخارىٰ واقام بها أيام الامير الحميد نوح الاول بن نصر الثاني (حكم في الفترة ٣٣١ - ٣٤٣ هـ) وبقي بها الى آخر ايام الامير السديد أبي صالح منصور الاول بن عبد الملك بن نوح (حكم في الفترة ٣٥٠ - ٣٦٥ هـ). ويحدثنا الخوارزمي انه وهو حدث تحكك باللحام فقال فيه:[1]

رَأَيْتُ لِلَّحّام في خَلْقِهِ ... لِلشِّعْرِ تَطبيقاً وتَجْنيسا

نَخْوةُ فِرْعَونَ ولكنَّهُ ... جانَسَ في حَمْلِ العَصا مُوسىٰ

قَرينُهُ إبليس لكنَّهُ ... خالَفَ في السَّجْدَةِ إبليسا

مشيراً الى أنه اراد ان يفتح باباً الى مهاجاته ولكن اللحام أبىٰ ذلك فلم يجبه جارياً على ماقال المتنبي: واغيظ من ناداك من لاتجيبه[2]. ومن هذا يبدو لنا ان الّلحّام كان شاعراً مشهوراً ايام حداثة الخوارزمي فأراد الخوارزمي بذلك ان يشتهر ويذيع صيته بمهاجاة اللحام وبخاصة وقد وصفه الثعالبي بأنه «من شياطين الإنس ورياحين الأنس ... لايسلم احد من الكبراء والوزراء والرؤساء من هجائه اياه، وكان لايهجو الا الصدور». ولم نعثر على ابيات اخرىٰ للخوارزمي او للّحّام في الخوارزمي غير ذلك وربما كانت، ولكن صروف الدهر قد ذهبت بها. ومن الابيات الطريفة له هجاؤه لاهل خوارزم حيث يقول[3]:

ما أَهْلُ خوارزمٍ سلالة آدمٍ ... ماهم وحقِّ الله غير بهائمِ

أَتَرىٰ شبيةَ رؤوسِهِمْ ولُغاتِهِمْ ... وَصِفاتِهِمْ وَثيابِهِمْ في العالَمِ

---

١. القطعة ١١٣ / ١ - ٣.

٢. اليتيمة ٤ / ١١٦

٣. المصدر السابق ٤ / ١٢٧.

إنْ كانَ يَقْبَلَهُمْ أَبونا آدمٌ فَأنا بريءٌ مِنْ أبينا آدمِ

ولربما كان هذا الهجاء قد أثار الخوارزمي ليفتح باب الهجاء مع هذا الشاعر الا انه لم يفلح.

٢ – أما الشاعر الآخر الذي عثرنا على اسم له لا بل على كنيته في احدى القطع الشعرية للخوارزمي هو ابو جعفر. ولاندري أيَّ ابي جعفر هذا، ولدينا في قائمة شعراء بلخ شاعران يكنّيان بأبي جعفر: أحدهما ابو جعفر محمد بن العباس بن الحسن وكان وزيراً للمكتفي والمقتدر رمت به حوادث الدهر الى بخارىٰ فأُكرم مثواه[١]. اماابو جعفر الثاني فهو ابو جعفر الرامي محمد بن موسىٰ بن عمران وهو من الادباء والشعراء بخراسان عامة ونيسابور خاصة اذ يرجع في اصله الى «رام» احدىٰ قرىٰ نيسابور. وتطورت حاله من التأديب بنيسابور الى التصفح في ديوان الرسائل ببخارىٰ بعد ابي اسحاق الفارسي[٢]. واذا اردنا ان نرجح احد هذين الشاعرين في الذي قصده الخوارزمي بأبي جعفر، فاننا نرجح الثاني لانه كان في ديوان الرسائل ببخارىٰ ولعل الخوارزمي أراد منه شيئاً وقد وعده أبو جعفر ذلك، والابيات الثلاثة هي:

أبا جعفرٍ لَستَ بالمُنصِفِ وَمِثْلُكَ إنْ قالَ قَوْلاً يَفي

فإن أَنْتَ أَنْجَزْتَ لي مَوْعِدي وإلّا هَجَنتُ وأدخلتُ في[٣]

وقد علم الناسُ مابعدَهُ فَغَطِّ الحَديثَ ولاتَكْشِفِ

٣ – والشاعر الثالث الذي جاء اسمه فيما وصل الينا من أبيات الخوارزمي هو رجاء بن الوليد الاصبهاني، ابو سعد (سعيد)[٤]، ويصفه الثعالبي بانه كان من جملة الكتاب والعمال المتصرفين من الحضرة على اعمال خراسان، وكان له ادب فائق وشعر رائق، وكان به طرش، فاذا كلمه من لا يسمعه قال له: ارفع صوتك فإنّ باذني بعض ما في روحك[٥]. وقد قال الخوارزمي فيه وفي أخيه[٦] ابي القاسم العباس:

---

١. اليتيمة ٤ / ١٤٠. ٢. المصدر السابق ٤ / ١٧١.

٣. استعمل الخوارزمي في هذه الابيات طريقة مشهورة من طرق العرب وهي القطع والاستغناء عن ذكر ماألغز.

٤. وردت كنيته ابو سعد في اليتيمة ٤ / ١٥٤ وابو سعيد في اليتيمة ٤ / ٢٦٧.

٥. المصدر السابق ٤ / ١٥٤. ٦. القطعة ١٥٩ / ١ – ٣.

وَلَمّـــــا أن رأيتُ ابــــني وليــــدٍ ... وبــــينهما اخــــتلافٌ في الفِــــعال

وَهَــبْتُ قــبيحَ ذا لجـميلِ هـذا ... وأســلفتُ العــواقبَ واللّــيالي

اذا اليــدُ أحْسَــنَتْ مِــنْها يمــينٌ ... فســـوّغنا لهـــا ذنبَ الشّمال

ويبدو من هذه الابيات ان الاخوين كانا يختلفان في اخلاقهما وافعالهما، وكان احدهما ممن يستحسنه الخوارزمي اما الآخر فكان يستاء منه . ولانجد الابيات تحمل حرارة شاعر في أحاسيسه ووجدانه بل هي اقرب الى النثر منها الى الشعر .

ومن المراكز الثقافية الأُخرىٰ في البيئة الخوارزمية في القرن الرابع بلاط خوارزم في خيوة وبخاصة بلاط خوارزم شاه مأمون الثاني بن مأمون الذي آلت بلاده الى حكم الغزنويين وكان قد تولىٰ الحكم في الفترة ٣٩٩ – ٤٠٧ هـ. وهذا يعني ان عهده يلي عهد الخوارزمي الذي توفي سنة ٣٨٣ هـ. ولكننا عثرنا في رسائل الخوارزمي على رسائل كانت قد بعث بها الى خوارزم شاه ولكن اي واحد منهم فهذا ما لانستطيع تحديده بالضبط ولكننا نستطيع الاحتمال انه كان واحداً من هذين وهما: ابو سعيد احمد بن محمد (حكم في ٣٤٠ – ٣٨٥ هـ) وابو علي مأمون الاول بن محمد الذي حكم في الفترة ٣٨٢ – ٣٨٧ هـ وكان في مستهل أمره عاملاً لبني سامان[١] . وهذا ماتحدثنا عنه خلال الفصل الاول . اما فيما يخص الحياة الثقافية فلا نجد أية آثار تشير الى علاقة قائمة بين الخوارزمي وبين رجال الثقافة في هذا المركز .

بيئة حلب الثقافية

والبيئة الثانية التي نتحدث عنها في هذا الفصل هي بيئة حلب الثقافية وبخاصة على ايام سيف الدولة الحمداني في الفترة (٣٣٣ – ٣٥٦ هـ) . ويبدو ان هذه البيئة كان لها اثر كبير على شخصية الخوارزمي الثقافية وعلى تفتح مواهبه وصقلها اذ كان يقول عنها: « ما فـتق قـلبي وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وارهف حد لساني ، وبلغ هـذا المـبلغ بي ، الا تـلك الطـرائـف الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي ، وامتزجت باجزاء نفسي ، وغـصن الشـباب

---

١ . موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها ، ص ٤٦٠ .

رطيب، ورداء الحداثة قشيب[١]. ويؤكد الثعالبي ان العلم الذي درسه ابوبكر الخوارزمي في هذه البيئة، والادب الذي اقتبسه منها، ومحاسن الالفاظ التي استفادها هناك، وشوارد الاشعار التي اصطادها في تلك البيئة هي التي جعلت منه حين تخرج منها و غادرها، احد افراد الدهر، وامراء النظم والنثر[٢] ولا يكتفي الثعالبي بذلك بل يسوق دليلا اخر على اهمية تلك البيئة الثقافية بما يرويه عن الصاحب بن عباد من انه كان معجبا بطريقة شعراء هذه البيئة اذ كان يعدها الطريقة المثلىٰ في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة وكان يحرص على تحصيل الجديد من اشعارهم، ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف[٣]. وقد علل الثعالبي هذا التفوق لهذه البيئة على البيئات الاخرى من الناحية الادبية والشعرية، قرب هذه البيئة من خطط العرب ولاسيما اهل الحجاز، وبعدهم عن بلاد العجم، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لالسنة اهل العراق لمجاورة الفرس والنبط، ومداخلتهم اياهم، وقد جمع شعراء العصر من اهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة[٤]، وقد غاب عن الثعالبي وهو يذكر هذه العلة قرب الشام من بلاد الروم و اختلاط عرب الشام بالروم، وان هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سببا في فساد ألسنة العرب من أهل الشام[٥].

كما ان بروكلمان يؤكد اهمية هذه البيئة لما احتوته من شعراء وعلى رأسهم المتنبي، ومن علماء وفلاسفة وعلى رأسهم الفارابي، وما ساهم به هؤلاء وغيرهم في إغناء هذه البيئة ثقافيا وادبيا وفكريا كانت السبب في شهرة سيف الدولة بالاضافة الى جهاده الموفق ضد الروم[٦].

وكانت حلب في عهد سيف الدولة عاصمة هذه البيئة التي يمتد نفوذها السياسي من الموصل حتى تكريت على دجلة، ومن عانة على الفرات حتى البحر المتوسط مرورا بجنوبي حمص[٧].

اذن، هذه البيئة الثقافية كان محورها سيف الدولة الحمداني حيث كان (مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الادباء، وحلبة الشعراء، ويقال: انه لم

---

١. اليتيمة ١ / ٣٥ - ٣٦.
٢. المصدر السابق ١ / ٣٥
٣. اليتيمة ١ / ٣٤.
٤. المصدر السابق ١ / ٣٣ - ٣٤.
٥. المصدر السابق ج١ المقدمة لمحمد محي الدين عبد الحميد ص ١٧.
٦. تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ص ٢٤٣ - ٢٤٤.
٧. سيف الدولة وعصر الحمدانيين، سامي الكيالي، ص ٥٢.

يجتمع قط بباب احد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر، وانما السلطان سوق يجلب اليها، ما ينفق لديها)[1] فكان خطيبه ابن نباتة الفارقي، ومعلمه ابن خالويه، و مطربه الفارابي، وطباخه كشاجم، وخزّان كتبه الخالديان والصنوبري، ومدّاحه المتنبي والسلامي والوأواء الدمشقي والببغاء والنامي وابن نباتة السعدي والصنوبري وغيرهم[2]. وممن ضمتهم هذه الندوة التي كانت قائمة في هذه البيئة وتخرّجوا فيها من غير الشعراء المشهورين: ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الناقد صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، وابو الفتح ابن جني اللغوي النّابِه، وابو الطيب اللغوي، وابو علي الفارسي الذي كان مؤدبا لعضد الدولة البويهي[3]. ولم تكن هذه الندوة تخلو من عوامل الظرف والفكاهة خصوصا ما كان ينقلها ابو نصر البِنْص الذي كان من اهالي نيسابور وكان مشهورا بالطيبة والخلاعة، وخفة الروح، وحسن المحاضرة مع عفة وستر، وكان يتناول الامير نفسه في بعض الاحيان بالنكتة ولم يغضب سيف الدولة لذلك[4]. وكان سيف الدولة نفسه يشترك في الندوة اذ كان يجالس الشعراء وينتقد اشعارهم نقدا يدل على شاعرية وعلم[5].

وكان الشعراء في حلب كالعقد النضيد الثمين يتسابقون في مدح سيف الدولة، وكل منهم يلقىٰ من التقدير الادبي والمادي ما يرضيه، فلا عجب إذن ان يضم بلاطهُ اعظم شعراء العربية آنذاك من مختلف الاوطان، بعضهم من ابناء الشام والجزيرة والبعض الاخر وافدون. فكان من حلب، الصنوبري والخليع الشامي، ومن منطقة الموصل: السري الرفاء وابو بكر الخالدي واخوه ابو عثمان والببغاء وابن جنيّ، ومن اصقاع الشام كشاجم والوأواء الدمشقي والتلعفري وابناء كيغلغ وابناء ورقاء والنامي وابو الفرج العجلي وابو الفتح البكتمري، ومن العراق: ابو الطيب المتنبي والزاهي والناشئ الاصغر وابن نباتة السعدي والسلامي والحاتمي، ومن العراق

---

١. اليتيمة ١ / ٣٧

٢. مطالع البدور ومنازل السرور، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي، ج ٢ / ١٧٦.

٣. سيف الدولة الحمداني، للدكتور مصطفى الشكعة، ص ١٨٢؛ تاريخ الادب العباسي، رينولد .ا. نكلسن، ترجمة الدكتور صفاء خلوصي، ص ٤٠ - ٤١.

٤ - نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، القاضي ابو علي المحسن بن علي التنوخي ج ١ / ٩٥ - ٩٧.

٥. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، المجلد الاول ص ٥٣٧.

العجمي ابن خالويه وابو علي الفارسي وعلي بن عبد العزيز الجرجاني وابو بكر الخوارزمي[١].

اما العلماء والادباء الذين ألفوا التصانيف في عهد سيف الدولة فيمكن ان نذكر منهم في الهندسة والرياضيات والفلك ابو القاسم الرقي المنجم، والمجتبي الانطاكي ودينسيوس بطريك اليعاقبة وقيس الماروني ولكل واحد منهم مؤلفات جليلة[٢].

ومن الفلاسفة والاطباء الذي عاش في كنف سيف الدولة ابو نصر الفارابي محمد بن طرخان (ت ٣٣٩ هـ) وكان فيلسوفاً وموسيقياً وله مؤلفات في الفلسفة والموسيق[٣].

اما في اللغة وعلومها فقد ألف الحسين بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) كتبا كثيرة مثل كتاب «أسماء الاسد» و «إعراب ثلاثين سورة» وكتاب «البديع في القراءات» و «كتاب الاشتقاق» وكتاب «ليس في كلام العرب» وكتاب «اشتقاق خالويه» وكتاب «الألفات» و «شرح مقصورة ابن دريد» وكتاب «المذكر والمؤنث» وكتاب «الجمل في النحو»[٤].

وألف ابوالطيب عبد الواحد بن علي الحلبي اللغوي (ت ٣٥١ هـ) كتاب «مراتب النحويين» وكتاب «شجرة الدر» وكتاب «الاضداد» وكتاب «الابدال» وكتاب «المثنى» وكان نجماً ساطعاً في سماء حلب.

وألف ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) كتبا كثيرة اهمها كتاب «الخصائص» و «سر صناعة الاعراب» و «المصنف في شرح تصاريف المازني».

والف ابو علي الفارسي الحسن بن احمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧ هـ) اثناء وجوده في حلب كتاب «المسائل الحلبية».

وفي الجغرافيا ألف ابو القاسم بن حوقل محمد البغدادي الموصلي (ت بعد ٣٩٠ هـ) كتاب «المسالك والممالك».

كما شارك بعض شعراء سيف الدولة في التأليف والتصنيف. فالشاعران الخالديان ألفا وصنفا كتباً كثيرة اهمها كتاب «حماسة شعر المحدثين». وكتاباً في «اخبار ابي تمام ومحاسن

---

١. سيف الدولة الحمداني للدكتور مصطفى الشكعة، ص ٢٠١.
٢. المصدر السابق ص ٢٢٤.
٣. سيف الدولة وعصر الحمدانيين لسامي الكيالي، ص ١٦٥ – ١٧٢.
٤. حلب والتشيع، الشيخ ابراهيم نصر الله، ص ٥١.

شعره»، وكتاب «اخبار الموصل»، وكتاباً في «اخبار شعر ابن الرومي» وكتاب «اختيار شعر البحتري» وكتاب «اختيار شعر مسلم ابن الوليد»[١]، و «المختار من شعر بشار» وكتاب «الديارات». وألف السري الرفاء الشاعر (ت ٣٦٢ هـ)، كتاب «الديرة»، وكتاب «المحب والمحبوب»، وكتاب «المشموم والمشروب»[٢] والف كشاجم ابو الحسن محمد بن السندي بن سـاهك (ت ٣٦٠ هـ) كتاب «ادب النديم»، وكتاب «المصايد والمطارد» و كتاب «البيزرة»[٣].

كما عاش في كنف سيف الدولة عدد من الكتاب ومن اشهرهم: ابو الفرج الببغاء عبد الواحد بن نصر المخزومي (ت ٣٩٨ هـ)، وكشاجم ولهما آثار في الكتابة الديوانية والاخوانية ربما تطغى منزلتها عن مثيلتيهما في العِراقَيْنِ[٤]. إذن في مثل هذه البيئة الثقافية قضى الخوارزمي وطرا من حياته، وفي مثل هذه الاجواء تفتق ذهنه وصقلت مواهبه، فلا عجب عندما نراه يمتدح هذه البلاد وهذه البيئة، ولعله كان قد حدّث تلميذه الثعالبي كثيراً عنها لدرجة ان الثعالبي تعصب لهذه البيئة وفضلها على سائر البيئات الثقافية في عصره -كما اسلفنا ذلك-.

ولكن السؤال الذي يثار دائما، كيف اننا لم نعثر على شيء من نظم الخوارزمي او نثره خلال هذه الفترة التي قضاها في هذه البيئة؟ وكيف نستطيع ان نفسر سكوته طيلة هذه الفترة وهو قد جاءها «في ريعان عمره وحداثة سنه، وهو قوي المعرفة قويم الادب، نافذ القريحة، حسن الشعر»[٥] وطبيعة الشباب تقتضي الاقتحام والولوج في القضايا المختلفة لا الاحجام والانعزال؟! ثم ان اجواء الندوة التي كانت قائمة بحلب تشجع كل من لديه حظ من الشعر والادب ان يلقي ما في جعبته حتى وان كان لا يساوي شيئا. فقد حدثنا التاريخ ان سيف الدولة كان لا يضن على الشعراء الذين لا يحسنون قول الشعر، بالصلات لعلهم يتشجعون فيحسنون ويبدعون، فمن طريف ما ينقل ان سيف الدولة كان منصرفاً من احدى حروبه فدخل عليه الشعراء فأنشدوه، فدخل معهم رجل شامي فأنشده:

---

١. الفهرست لابن النديم البغدادي ص ١٦٩.　٢. معجم الاداب لياقوت الحموي: ١١ / ١٨٥.
٣. سيف الدولة الحمداني للدكتور مصطفى الشكعة، ص ٢٢٥.
٤. المصدر السابق ص ٢٧٤.　٥. اليتيمة ٤ / ٢٣٤

وكانوا كفأرٍ وسوسوا خلف حائطٍ وكنتَ كسِنَّورٍ عليهم تسقّفا

فأمر سيف الدولة باخراجه، فقام على الباب يبكي، فأُخبر سيف الدولة ببكائه فأمر باحضاره وسأله عن سبب بكائه؟ فأجاب انه قصد مولاه بكل مايقدر عليه ليطلب منه بعض مايقدر عليه، فلما خاب أمله بكئ. فقال له سيف الدولة: ويلك فمن يكون له مثل هذا النثر يكون له مثل ذلك النظم!! وكم كنت أمّلت؟ قال: خمسمائة درهم، فأمر له بألف درهم[١]. من يقرأ هذه القصة ويقرأ كلمات الخوارزمي حيث يقول: «والشعر ينقلب مع الجود حيث كان، ويرتاد المعروف والاحسان، وانما هو ماء سارب، بل سيل زاعب، اذا سد عليه طريقه خرق في الارض خرقاً، وجعل لنفسه طريقاً بل طرقا، وما اشبه من اكره الالسن على مدحته الا بمن اكره القلوب على محبته، يحب المديح ابو خالد ويضجر من صلة المادح، كبكر تحب لذيذ النكاح وتفرق من صولة الناكح[٢]» من يقرأ هاتين يقف والحيرة تأخذ منه كل مأخذ، اذ كيف لايستثمر ابو بكر الفرصة المتاحة المهيّأة له ولغيره ولايدلو بدلوه في هذا المضمار وهو من قد عُرف حبه للمال والجاه والمقام؟؟ وكيف يفوّت ابو بكر الخوارزمي كل هذه الفرص والمناسبات ولانجد له ايّ اثر في هذه الندوة الادبية التي ذاع صيتها وانتشر ذكرها في الآفاق؟! واذا كان الخوارزمي نفسه لم يذكر شيئاً عنها، واذاكان الثعالبي تلميذه وهو بنيسابور لم يذكر عنها شيئاً، فكيف اننا لم نعثر على ذكر لها عند الذين عاشوا تلك الندوة او عاصروها او تتبعوا أخبارها؟! لربما يقول قائل ان الديوان المفقود للخوارزمي قد حفل بشيء عن تلك الفترة، ربما يكون هذا القول مصيباً ولكننا نجد ان رسائل الخوارزمي التي جمعها بنفسه لم تحمل لنا اي اثر او اية رسالة عن تلك الفترة أيضاً! فبماذا نعلل هذه الظاهرة؟

وتزداد الحيرة وتزداد الاسئلة شخوصاً اذا علمنا ان الخوارزمي لم يغفل هذه الفترة ولا هذه الندوة نهائياً، بل نرئ الثعالبي يحدثنا عن الخوارزمي وهو يحدثه عن بعض اعضاء تلك الندوة او المشاركين فيها. لكنه مع ذلك لايحمل لنا حتى في تضاعيف كلماته عن اي شيء قاله في تلك الفترة. كان يمكن ان نقول ان الخوارزمي عندما رحل الى حلب لم يكن قد بلغ مرحلة من

١. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطّباخ، ج ١ ص ٢٨٥.
٢. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ١٨ – ١٩.

الادب، فذهب وخصص كل وقته ليستفيد. لربما كان هذا الكلام صحيحاً لو لم ينقل لنا الثعالبي وهو تلميذه ومن الملازمين له اقواله تلك التي تنبئ انه كان قوي المعرفة، قويم الادب، نافذ القريحة، حسن الشعر، ولربما كان الكلام صحيحاً لو لم نقرأ ماكتبه الخوارزمي في احدى رسائله يقول: «وعهدي وأنا بالعراق مفيد»[1]. وعلى كل حال فاننا لا نستطيع ان نجد جواباً مقنعاً لكل تلك الاسئلة المثارة حول الخوارزمي في هذه البيئة الحمدانية التي تأثر بها كثيراً، وبخاصة اذا اضفنا الى ماذكرناه سابقاً قول الثعالبي، ولابد له انه سمع الكثير عن ابي بكر الخوارزمي في بلاد الشام من ابي بكر نفسه، أنّ ابا بكر عندما كان في ريعان عمره وعنفوان أمره، قد دوخ بلاد الشام[2]. فبأي شيء دوخ بلاد الشام؟ وماذا كانت أفعاله ونشاطاته هناك حتى جعلت الثعالبي يستخدم مثل هذا التعبير؟! أكان هذا التدويخ في العلم الذي درسه، والادب الذي اقتبسه، ومحاسن الالفاظ التي استفادها. وشوارد الاشعار التي اصطادها[3]؟ ام كان في شيء آخر. واذا كان فيما ذكرناه فلماذا استخدم الثعالبي لفظ التدويخ؟

وعلى كل حال، فان الخوارزمي لم يغفل هذه البيئة تماماً، وانما اورد الثعالبي له بعضاً من اشاراته وعلاقاته وارتباطاته الثقافية مع هذه البيئة، والتي سنستعرضها فيما يأتي:

فقد روى الثعالبي أن ابا بكر الخوارزمي قال له: انشدني ابن خالويه بحلب لسيف الدولة ... وذكر ابياتاً ثلاثة[4]، ونستشف من هذه الرواية وجود علاقة وارتباط بين الخوارزمي وابن خالويه الذي كان لغوياً، ومن كبار النحاة وقد عهد سيف الدولة اليه بتأديب اولاده وتعليمهم[5].

كما انشد ابو بكر الخوارزمي الثعالبي بيتين لبعض من آل حمدان[6]. كما كتب بخط يده ابياتٍ منسوبةً الى أبي وائل تغلب بن داود بن حمدان[7]، ولحمدان الموصلي[8] ولابي وائل الحمداني[9] لما أسره المبرقع ولابي زهير[10].

---

١. المصدر السابق ص ١٥٦.
٢. اليتيمة ١ / ٣٥.
٣. اليتيمة ١ / ٣٥.
٤. المصدر السابق ١ / ٥٥.
٥. الاعلام للزركلي: ٢ / ٢٣١.
٦. اليتيمة ١ / ١١٥ - ١١٦.
٧. المصدر السابق ١ / ١١٧.
٨. المصدر السابق ١ / ١١٧.
٩. المصدر السابق ١ / ١١٧.
١٠. المصدر السابق ١ / ١١٧.

كما روىٰ الثعالبي ان ابا بكر الخوارزمي قد انشده وقال: انشدني ابن الكاتب لنفسه بالشام... وذكر خمسة ابيات[١]. وابن الكاتب الشامي هو ابو الفتح البكتمري. وتدل هذه الرواية على ارتباط الخوارزمي به، وكان كاتباً اذ ان الخوارزمي قال: انشدني بعضهم لنفسه في ابي الفتح ابن الكاتب، ولم ينصفه فضله:

إن ابا الفتح فتىً كاتبٌ والشعر من آلته فضلُ

أنشدنا شعراً فقُلنا له: ذا غَزَلٌ وَيْحَكَ أَمْ غَزْلُ

وَمِلْتُ عَنْهُ نحو أَصحابِنا أَسأَلُهم: هل عندكم نَعْلُ؟!

وهذه الرواية تدل على ان الخوارزمي كان يرىٰ في ابن الكاتب فضلاً ومقاماً في الكتابة وفي الشعر. وأنشد الخوارزمي الثعالبي ابياتاً لابي الفرج العجلي الكاتب (المتوفىٰ في اواخر القرن الرابع) وكان قد ابدىٰ اعجابه من سلاستها وسهولة مأخذها وعذوبة ألفاظها. ووصفه بأنه كان من افراد مطبوعي تلك البلاد.. وذكر ابياتاً سبعة[٢].

ويبدو ان الخوارزمي كان على صلة بأبي الطيب المتنبي وكان يزوره في بيته، ويصف المتنبي بانه كان بخيلاً ويصدق عليه قول الشاعر:

وان أحقّ الناسِ باللوم شاعرٌ يلومُ على البخل الرجالَ ويبخَلُ

الا ان المتنبي قد اعرب عن عادته وطريقته في قوله:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيحٍ ضاع في الترب خاتمه

ويستمر الخوارزمي في روايته ويقول: فحضرت عنده يوماً وقد احضر مالاً من صلات سيف الدولة، فصب بين يديه على حصير قد افترشه، ووزن واعيد في كيس، واذا بقطعة كأصغر مايكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير، فأكب عليها بمجامعه ينقرها ويعالج استنقاذها منه، ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى توصّل الى اظهار بعضها فتمثل بيت قيس بن الخطيم:

---

١. المصدر السابق ١ / ١٣٣.

٢. اليتيمة ١ / ١٣٥.

تبدّتْ لنا كالشمس بين غمامةٍ ... بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجب

ثم استخرجها، وامر باعادتها الى مكانها من الكيس، وقال: إنها تحضر المائدة[١].

كما يروي الثعالبي عن الخوارزمي انه قال: لما انشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها:

مغاني الشّعب طيباً في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمانِ

وانتهىٰ الى قوله:

وألقىٰ الشرقُ منها في ثيابي ... دنانيراً تفرّ من البَنانِ[٢]

قال له عضد الدولة: لأقرنها في يديك، ثم فعل[٣].

ومما سبق نستشف ان الخوارزمي كان على صلة بالمتنبي وانه تابع أخباره عندما جاء الى ايران وربما حضر المقابلة التي تمت بين المتنبي وعضد الدولة، اي ربما زار الخوارزمي المتنبي عندما سمع بوجوده في شيراز.

ويسوق لنا الثعالبي أمثلة تدل على تأثر الخوارزمي بالمتنبي حيث يقول:

وفصل لابي بكر الخوارزمي – وكيف مدح الأمير بخلق ضنّ به الهواء، وامتلأت من ذكره الارض والسماء، وأبصره الاعمىٰ بلاعين وسمعه الأصم بلا أذن، وهو حل نظم ابي الطيب:

تَنْشدُ أثوابُنا مَدائِحَه ... بِألْسُنٍ ماالهنّ أفواهُ

إذا مررنا على الأصمّ بها ... أغنتهُ عَنْ مِسْمَعَيْهِ عَيناهُ

ولابي بكر من رسالة – ولقد تساوت الالسن حتى حسد الأبكم، وأفسد الشعر حتى أحمد الصمم.

وهو قول ابي الطيب:

ولاتُبال بشعرٍ بعد شاعره ... قد أفسد القول حتى أحمدَ الصَّمَمُ[٤]

---

١. اليتيمة ١ / ١٤٩ – ١٥٠.

٢. ديوان المتنبي، للدكتور عبد الوهاب العزام، ص ٤٣٤ – ٤٣٥.

٣. اليتيمة ١ / ١٥٠.

٤. اليتيمة ١ / ١٥٨ – ١٥٩.

وكما تأثر الخوارزمي في نثره بشعر المتنبي فقد تأثر في نظمه به أيضاً. فعلىٰ سبيل المثال نجد المتنبي قد قال[١]:

فــان تَــفق الأنــام وأنت مــنهم ... فــإن المسك بــعض دم الغــزال

وقال ايضاً:

ومــا أنــا مــنهمُ بــالعيش فــيهم ... ولكــن مــعدن الذهب الرّغــام

وقد أخذ الخوارزمي معنىٰ البيتين وهما قريب من قريب فقال[٢]:

فَــدَيْتُكَ مــابدا لي قَــصْدُ حُــرٍّ ... سِــواكَ مِــنَ الورىٰ إلا بــدا لي

وانّكَ مــنهمُ وكــذاك أيــضاً ... مِــنَ المــاءِ الفــرائِــدُ واللآلي

وتَسْكُــنُ دارَهُــم وكــذاك سكــنىٰ الــ ... ــحجارةِ والزمــرّدِ في الجــبالِ

وقال المتنبي[٣]:

وصرتُ أشُكُّ فــيمن اصــطفيه ... لعــلميَ أنّــه بــعضُ الانــام

واخذه ابو بكر الخوارزمي فقال[٤]:

قــد ظــلمناكَ بحســن الــ ... ظّــنّ يــابعضَ الأنــامِ

ومن الشعراء الآخرين الذين كانت للخوارزمي صلة به، الشاعر ابو الحسين (ابو الحسن) الحلاء علي بن عبد الله بن وصيف المعروف بالناشئ الاصغر، وهو شاعر مجيد، من أهل بغداد وكان امامياً له قصائد كثيرة في اهل البيت. وقصد سيف الدولة بحلب وأملىٰ «ديوان شعره» في مسجد الكوفة فحضر مجلسه بها المتنبي وهو صغير، وتوفي ببغداد سنة ٣٦٦ هـ[٥].

وقد ذكر الخوارزمي ان ابا الحسين (الحسن) انشده بحلب لنفسه ... وذكر اربعة ابيات له[٦].

---

١. ديوان المتنبي لعبد الوهاب عزام، ٢٢٤، ١٠٧.
٢. القطعة ١٥٨ / ١ - ٣.
٣. ديوان المتنبي لعبد الوهاب عزام، ص ٣٧٨.
٤. القطعة ٢٠٢ / ١.
٥. الاعلام للزركلي، ٤ / ٣٠٤ واخطأ مؤلف موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها في ذكر سنة وفاته حيث ذكرها ٣٣٦ هـ راجع ص ٣٦١.
٦. اليتيمة ١ / ٢٨٨.

وممن اتصل بهم الخوارزمي في حلب ابو عبد الله الخليع الشامي، وكان شاعراً مُفلقاً قد أدرك زمان البحتري وبقي الى أيام سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه. وذكر الخوارزمي انه رأى الخليع بحلب شيخاً قد اخذت منه السنّ العالية وثقلت عليه الحركة وقد أنشد الخوارزمي لنفسه... وذكر احد عشر بيتاً[1]. وقد تأثر الخوارزمي بشعره وعارضه في بعض ذلك فعلى سبيل المثال قال الخليع:

سكران سكر هوىً وسكر مدامة أنّىٰ يفيق فتىً به سُكرانِ[2]

وعارضه الخوارزمي قائلا:

صومان صوم نوىً وصوم عبادةٍ أنّىٰ يعيش فتىً له صَومانِ[3]

كما انشد الخوارزمي لابي الفرج محمد بن احمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء (ت ٣٨٥او ٣٩٠ هـ) ابياتاً تسعة[4]. وتحدث عنه قائلاً: كان الوأواء منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه، ومازال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه، ووقع فيه مايروق، ويشوق ويفوق حتى يعلو العيوق. كما ان الخوارزمي عارض احدى قصائد الوأواء[5].

وانفرد الخوارزمي بذكر ابي طالب الرقي الشاعر وقال عنه: إنه احد المقلّين المحسنين الذين يطبقون المفصل في اغراضهم، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم وقد انشد الخوارزمي له ستة عشر بيتاً[6].

كما انشد الخوارزمي للتلعفري ولم يسمّه اربعة ابيات[7]. ووجد الثعالبي ابياتاً للسري الرفاء ولابي الحسن السلامي محمد بن عبد الله المخزومي يهجوان فيها التلعفري مما يدل على ان الأخير كان من شعراء الشام[8].

كما انشد الخوارزمي ابياتاً ثلاثة لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي ذكرها الثعالبي[9].

---

١. اليتيمة ١ / ٣٣٣.
٢. اليتيمة ١ / ٣٣٣.
٣. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ٩٠.
٤. اليتيمة ١ / ٣٣٥، ٣٤٣، والعيوق: نجم احمر مضئ في طرف المجرّة الايمن يتلو الثريا ولايتقدّمها.
٥. راجع القطعة ٢٠٣ / ١ - ٩.
٦. اليتيمة ٤ / ٣٤٦ - ٣٤٧.
٧. المصدر السابق ١ / ٣٤٩.
٨. المصدر السابق ١ / ٣٤٩.
٩. المصدر السابق ١ / ٣٥٥.

والخلاصة: ان الخوارزمي تأثر ببيئة الشام وعاش في اكنافها وروىٰ عن بعض شعرائها الا أنه لم يؤثر عنه شيء من نظم او نثر خلال تلك الفترة. واكثر الظن انه كان في مرحلة النمو والنضج ولم يكن بعد قد دخل مرحلة العطاء الشعري والا لكان قد عرض انتاجه على الشعراء في تلك البيئة ليمتزج آراءهم، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث.

بيئة العراق وايران الثقافية

اما البيئة الثقافية الثالثة التي سنتحدث عنها فهي بيئة العراق وايران في ظل دولة البويهيين حيث تم لهم اخضاع هذه المنطقة الواسعة في فترة من الفترات وبخاصة على عهد عضد الدولة (٣٢٥ – ٣٧٢ هـ)[١]، وتعددت البيئات الادبية في ظل حكمهم فبرزت بغداد والري وأصبهان وشيراز بالاضافة الى طبرستان وخراسان. وقد قضىٰ الخوارزمي فترتين من حياته في هذه البيئة، مرة عندما كان حدثاً يافعاً مهاجراً من موطنه خوارزم وقبل ان يصل الشام، واخرىٰ استمرت منذ عودته من بلاد الشام وتركه بلخ وحتى وفاته بنيسابور. لذا فهو قد عاصر بيئات البويهيين والزياريين والسامانيين الادبية في نيسابور وبغداد واصبهان وارجان وشيراز والري وطبرستان. وتميزت هذه الفترة من حياة الخوارزمي بالعطاء، واليها يعود جلّ، لا بل كل مما وصلنا من نظمه ونثره. لذلك فان تسليط الاضواء على هذه البيئة وسبر اغوارها يعد أمراً ضرورياً لمثل هذه الدراسة لانها تكشف عن العلاقات التي ربطت الخوارزمي برجال هذه البيئة من الادباء والعلماء، ولانها تلقي الضوء على المكانة التي احتلتها هذه البيئة في المجال الادبي والعلمي. ولكننا لسنا بمؤرخين أدب نتعرض الى التاريخ الادبي لهذه البيئة كهدف بحد ذاته، بل سنحاول قدر الامكان ان نتعرض الى الظواهر التي ترتبط من قريب او بعيد بالخوارزمي الشاعر لنكشف عن أبعاده الثقافية الى اقصىٰ حد ممكن، والى الظروف الثقافية التي ساهمت الى حد كبير في تكوين شخصيته الادبية بصورة عامة والشعرية بصورة خاصة وعملت على نضجها واكتمالها.

---

١. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤٤٩.

ولعلنا لن نكون مسرفين اذا قلنا إن القرنين الرابع والخامس للهجرة بايران والعراق يعدّان ازهىٰ قرون هذا العصر من حيث النهضة العلمية وبلوغها القمة المنتظرة. وربما يعود السبب في ذلك الى نشوء الدول والامارات المختلفة في ارجاء العالم الاسلامي عامة، وفي ارجاء ايران والعراق خاصة وماقام بين حكام هذه الدول والامارات من تنافس حدا بهم الى تشجيع العلماء والآداب والعمل على استقطابهم كل نحو عاصمته، وذلك ليزدان بهم بلاطه وَلْيُنشؤوا نهضة علمية وأدبية تساهم الى حد كبير في تركيز سلطتهم وذيوع صيتهم.

وعلى الرغم من ان البويهيين كانوا اعاجم بعيدين عن الثقافة العربية في اول عهدهم، حيث انهم احتاجوا عند احتلالهم بغداد الى من يترجم لهم من العربية الى الفارسية[١]، ولكنهم تأثروا بثقافة عصرهم وأثروا فيها منذ الجيل الثاني منهم، فقد كان مِنْ ملوكهم وأمرائهم من استطاع ان يقرض الشعر ويتفرغ للادب ويتشاغل بالكتب، ويؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء، كما هو الحال بالنسبة الى عضد الدولة الذي كان يقول شعراً كثيراً[٢]، كما انه كان يتصدق بمبالغ تتراوح بين عشرين الف الى خمسين الف درهم عندما كان يفرغ من دراسة كتاب[٣]. كما ان عز الدولة أبا منصور بختيار ابن معز الدولة كان شاعراً[٤]. أما تاج الدولة ابو الحسين احمد بن عضد الدولة فكان آدب آل بويه وأشعرهم واكرمهم وكان يلي الاهواز فادركته حرفة الادب[٥]. وهكذا الحال بالنسبة لابي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة حيث يدل شعره على فضل مستكثر من مثله[٦]. ويتحدث ابن الاثير عن عضد الدولة فيقول: «كان محباً للعلوم واهلها، مقرباً لهم، محسناً اليهم، وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل، فقصده العلماء من كل بلد، وصنفوا له الكتب منها الايضاح في النحو، والحجّة في القراءات، والملكي في الطب، والتاجي في التاريخ الى غير ذلك»[٧].

---

١. الادب في ظل بني بويه، محمود غناوي الزهيري، ص ١٢٦.

٢. اليتيمة ٢ / ٢٥٧.

٣. عصر الدول والامارات (الجزيرة العربية والعراق وايران) للدكتور شوقي ضيف، ص ٥٢١ – ٥٢٢.

٤. اليتيمة ٢ / ٢٦٠. ٥. اليتيمة ٢ / ٢٦١.

٦. اليتيمة ٢ / ٢٦٤.

٧. الكامل لابن الاثير ٥ / ٤٥٢. كتاب الايضاح في النحو والحجّة في القراءات لابي علي الفارسي، والكناش الملكي في الطب لعلي بن العباس المجوسي وكتاب التاجي في التاريخ لابي اسحاق الصابي.

وقد كان من المتوقع ان يشجع آل بويه الثقافة واللغة الفارسيتين كما فعل آل سامان في خراسان[١]، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك بالرغم من أنهم كانوا يحكمون بلاداً اكثر اهلها من الفرس، وربما يعود السبب في ذلك أولاً: الى ان هذه البلاد قد ابتعدت عن لغتها الاصلية وتراثها القومي حقبة طويلة من الزمن، الامر الذي جعل البويهيين يخضعون للأمر الواقع فيشجعون الثقافة القائمة ولغتها، ويرعون اهلها مجاراة للرأي العام وحبّاً بمصالحهم الخاصة، وثانياً: بسبب المنافسة بينهم وبين بقية الامارات والدول في الشام ومصر، لذلك نراهم قد قرّبوا العلماء والادباء وحثوهم على التصنيف والتأليف وفتحوا أبوابهم للشعراء وغمروهم بالعطايا والصلات.

واحصىٰ بعض المؤرخين، الفقهاء والمحدثين المشهورين الذين عاشوا في ظل دولة آل بويه. وكانت وفياتهم في الفترة مابين ٣٤٥ هـ الى ٤٦٥ هـ فبلغوا ١٢٠ فقيهاً ومحدثاً ومفسراً مشهوراً من مختلف المذاهب الاسلامية[٢]، وبلغ عدد النحويين واللغويين المشهورين في هذا العهد ممن توفوا في الفترة بين ٣٤٥ هـ الى ٤٤٢ هـ حوالىٰ ٢٨ لغوياً ونحوياً مشهوراً[٣]. أما أبرز المؤرخين والجغرافيين في هذا العصر ممن فارقوا الحياة في الفترة بين ٣٤٥ هـ الى ٤٦٣ هـ فبلغوا حوالىٰ ٣٦ مؤرخاً وجغرافياً بارزاً[٤]. وبلغ عدد أهم الادباء والكتّاب في ذلك العصر ممن لبوا نداء ربهم في الفترة بين ٣٥٢ هـ الى ٤٤٧ هـ حوالىٰ ٢٤ كاتباً واديباً مهماً، اولهم الوزير المهلبي الحسن بن محمد الازدي ومروراً بابي الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني وابن العميد وابن نباتة والتّنوخي صاحب نشوار المحاضرة والصاحب بن عباد وبديع الزمان وابي هلال العسكري وابي حيان التوحيدي والبستي والثعالبي والشريفين المرتضىٰ والرضي وانتهاءً بأبي القاسم علي بن المحسن بن ابي القاسم التّنوخي (ابن صاحب النشوار)[٥].

اما المتكلمون والفلاسفة والاطباء والعلماء المعروفون ممن عاشوا في هذا العصر البويهي وتوفّوا في الفترة مابين (٣٤٢ هـ - ٤٥١ هـ) فبلغ عددهم حوالىٰ ٣٢ متكلما وفيلسوفاً وطبيباً

١. تاريخ ادبيات در ايران، دكتر ذبيح الله صفا، ج١، ص ٣٥٦ - ٣٥٧.
٢. موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، ١ / ٣٠٢ - ٣٠٩.
٣. المصدر السابق، ١ / ٣١١ - ٣١٢.
٤. المصدر السابق، ١ / ٣١٣ - ٣١٤.
٥. المصدر السابق، ١ / ٣١٤ - ٣١٥.

وعالماً[١].

وبلغ عدد الزهاد والمتصوفة البارزين في هذا العصر ممن فارقوا الحياة في الفترة مابين (٣٤٢ هـ ـ ٤٦٥ هـ) ٣٤ زاهداً ومتصوفاً بارزاً[٢].

اما اشهر القراء الذين عاشوا في ظل هذا العصر وتوفوا في الفترة مابين (٣٥١ هـ - ٤٥٠ هـ) فبلغ عددهم حوالیٰ ١٨ مقرئاً مشهوراً[٣].

وبلغ عدد أشهر الشعراء من الذين عاصروا هذه الفترة وعاشوا في ظل الحكم البويهي ردحاً من الزمن اكثر من ١٥٠ شاعراً مشهوراً[٤].

وهذه الاحصاءات تدل على ما امتاز به عهد آل بويه من خصب علمي وأدبي سواء أكان بتأثير من الامراء البويهيين أنفسهم، او بتأثير وزرائهم الذين كان بعضهم او معظمهم من ابرع الكتّاب وأبرزهم، فلمعت اسماءهم، وعظمت هيبتهم وطار صيتهم في الآفاق فقصدهم أهل العلم والادب فأفادوا منهم كثيراً وأنتجوا كثيراً في ميدان الادب والعلم والفلسفة فكان أثرهم (البويهيين) في الحياة الفكرية قوياً جداً ربما فاق أثر اسيادهم من الخلفاء.

ولعل من الاسباب التي زادت الحركة الادبية تنوعاً ونشاطاً واكسبها خصباً ونماءً، تعدد البيئات العلمية والادبية بتعدد العواصم والاقاليم، وبتعدد الوزراء الذين كانوا يرعون العلم والادب وأصحابها، وبتعدد ميول ونزعات هؤلاء الوزراء، فمن هؤلاء من كان يميل الى الفلسفة كابن سعدان الذي تولیٰ الامارة لصمصام الدولة سنة (٣٧٣ هـ)، ومنهم من كان يميل الى العلم والادب كابن العميد، او الى الادب فقط كالوزير المهلبي الذي كان ندماؤه اعيان الفضل من أهل الادب[٥]، وكالصاحب بن عباد، ومنهم من كان يحب الكتب ويعني بها فيجمعها كسابور بن اردشير (٣٢٦ - ٤١٦ هـ) الذي أنشأ مكتبة ببغداد عام ٣٨١ هـ تحتوي على اكثر من عشرة آلاف مجلد، وقد بقيت حتیٰ احترقت عام ٤٥١ هـ في عهد طغرل بك حين جاء الى بغداد عام ٤٥٠ هـ[٦]. كما ان التنافس بين الوزراء انفسهم حول اجتذاب العلماء والادباء كان قد

---

١. المصدر السابق ١ / ٣١٥ - ٣١٧.
٢. المصدر السابق ١ / ٣١٧ - ٣١٩.
٣. المصدر السابق ١ / ٣٩ - ٣٢٠.
٤. اليتيمة ج ٢ و ٣ و ٤ و ٥.
٥. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ص ١٧٠.
٦. الكامل لابن الاثير ٦ / ٢٠٩.

بلغ الذروة، فابن سعدان على سبيل المثال كان يجتمع في مجلسه طائفة كبيرة من المثقفين منهم: ابو علي عيسىٰ بن زرعة النصراني المتفلسف وابن عبيد الكاتب، وابن الحجاج الشاعر، وابو الوفاء المهندس وابن بكر، ومسكويه، وابو القاسم الاهوازي، وابو سعد بهرام بن اردشير، وابن شاهويه، سوىٰ الطارئين من اهل الدولة[١].

وكان هذا الوزير يعتز بهم كثيراً فيقول فيهم: ماهذه الجماعة بالعراق شكل ولانظير وانهم لأعيان اهل الفضل وسادة ذوي العقل، واذا خلا العراق منهم قضي على الحكمة المروية والادب المتهادىٰ. ثم يوازن بينهم وبين ندماء الوزراء الآخرين فيقول: أتظن ان جميع ندماء المهلبي يفون بواحد من هؤلاء، او تقدر ان جميع اصحاب ابن العميد يشبهون أقل من فيهم، وهل عند ابن عباد الا اصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون وهو فيما بينهم يصيح ويقول قال شيخنا ابو علي وابو هاشم[٢].

اذن قد عاش الخوارزمي في مثل هذه الأجواء الثقافية وعاصر هؤلاء الرجال من العلماء والادباء والشعراء. ولكننا لم نعثر فيما بين ايدينا من مظان عن علاقات واسعة مع هؤلاء الرجال كلهم، ولكنه كان على صلة وعلاقة ببعضهم، وسنحاول فيما يأتي ان نستعرض اولئك الذين ارتبط الخوارزمي بهم او ارتبطوا به، وكانت هناك علاقة قائمة، أيّاً كانت هذه العلاقة وهذا الارتباط.

من الذين ارتبط الخوارزمي بهم عضد الدولة البويهي، فقد وصلتنا سبع قطع شعرية[٣] له ضَمّت اثنين وثلاثين بيتاً، وقد تحدثنا عنه في الفصل الخاص بالحياة السياسية في عصر الخوارزمي، ضمن الشخصيات السياسية التي ارتبط الخوارزمي بها. ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد، بل نرىٰ الخوارزمي يروي بعض ابيات عضد الدولة والمناسبة التي قيلت هذه الابيات فيها. فعلىٰ سبيل المثال نجده يقول:

كان ينادم عضد الدولة بعض الادباء الظرفاء، ويحاضر بالاوصاف والتشبيهات، ولا يحضر شيءٌ من الطعام والشراب وآلاتها وغيرها، الا وأنشد فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً،

---

١. الصداقة والصديق، ابو حيان التوحيدي ص ٣٠.

٢. المصدر السابق، ص ٣١.

٣. القطع: ١٢، ٤٩، ٥٦، ٨٣، ٨٤، ١٥٤، ١٨١.

فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته اذ قدمت «بهطة»[١] فنظر عضد الدولة كالآمر إياه بأن يصفها، فارتجّ عليه، وغلبه سكوت معه خجل، فارتجل عضد الدولة وقال:

بَهْــطَةٌ تَــعجزُ عَــنْ وَصْــفِها ... يــامدّعي الأوصــاف بــالزُّورِ

كأنَّهــا في الجــام مجــلوَّةٌ ... لآلئٌ في مــــاءِ كــــافورِ

كما يروي الخوارزمي قصة عن الوزير المهلبي ايام فقره وقبل ان يستوزر من قبل معز الدولة البويهي سنة ٣٣٤هـ[٢].

وحول القاضي التنوخي ابي القاسم علي بن محمد ابن ابي الفهم داود بن ابراهيم بن تميم (٢٧٨ - ٣٤٢ هـ) الشاعر والاديب والعالم بأصول المعتزلة والذي كان قد تولىٰ القضاء بالبصرة والاهواز وغيرهما، وكان من ندماء الوزير المهلبي أيضاً[٣]، يبين الخوارزمي رأيه في بيتين له ويستظرفهما[٤].

ولابي بكر الخوارزمي شعر في الوزير أبي الفتح بن العميد، قطعتان[٥] نظمهما، كانت احداهما في رثائه وقد تحدثنا عنهما خلال الحديث عن الحياة السياسية في عصر الخوارزمي.

ومن أشهر الذين ارتبط بهم الخوارزمي في هذه الفترة هو الصاحب ابو القاسم اسماعيل بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥هـ) الذي وصف بأنه وزير غلب عليه الادب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي. استوزره مؤيد الدولة ثم اخوه فخر الدولة[٦] ولقب بالصاحب لصحبة مؤيد الدولة من صباه، فكان يدعوه بذلك[٧].

ولم نؤثر ان نتحدث عنه في فصل الحياة السياسية في عصر الخوارزمي، بل اشرنا اليه اشارة عابرة، واوكلنا الحديث عنه الى هذا الفصل، لما وصف به من انه وزير غلب عليه الادب[٨]، ولميله الشديد الى الظهور بمظهر الاستاذ القدير، اذ كان يتزيّىٰ بزيّ اهل العلم متطلساً،

---

١. البهطة: الأرز يطبخ باللبن والسمن.
٢. المصدر السابق ٢ / ٢٦٥ - ٢٦٧.
٣. الاعلام للزركلي ٥ / ٣٢٤ - ٣٢٥.
٤. اليتيمة ٢ / ٣٩٥.
٥. القطعة: ٨٦، ١٨٨.
٦. راجع قسم الحياة السياسية في عصر الخوارزمي.
٧. الصاحب بن عباد، حياته وأدبه، الشيخ محمد حسن آل ياسين، ص ٢١٤.
٨. الاعلام للزركلي ١ / ٣١٦، الحضارة الاسلامية لآدم متز، ص ١٧٢.

متحنكاً، مستخفاً بتقاليد الوزارة[١]. وكان قد مدحه خمسمائة شاعر من أرباب الدواوين[٢]، وكانت كتبه ماتحمل على اربعمائة جمل او اكثر وبلغ فهرسها عشر مجلدات[٣]. وكان الصاحب يقول: مدحتُ، والعلم عند الله، بمائة الف قصيدة شعر، عربية وفارسية، وقد انفقت اموالي على الشعراء والادباء والزوار والقصاد[٤]. ولعلنا لانعثر على ابلغ من وصف الثعالبي له حيث قال: «ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب، وجلالة شأنه في الجود والكرم... لان همة قولي تنخفض عن بلوغ ادنىٰ فضائله ومعاليه، وجهد وصفي يقصر عن ايسر فواضله ومساعيه ولكنّي اقول: هو صدر المشرق وتاريخ المجد وغرة الزمان... وكانت ايامه للعلوية والعلماء، والادباء والشعراء، وحضرته محط رحالهم، وموسم فضلائهم، ومترع آمالهم، وأمواله مصروفة اليهم، وصنائعه مقصورة عليهم»[٥]. ثم يستمر الثعالبي في مدحه للصاحب مبيناً الاسباب التي جعلته محوراً من محاور الثقافة والادب في عصره، ومركزاً ترنو اليه الابصار وتهفو اليه قلوب الادباء والشعراء، فيقول: (ولما كان نادرة عطارد في البلاغة، وواسطة عقد الدهر في السماحة، جلب اليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خطاب جزل، وقول فصل، وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام، وبدائع الافهام ... واحتف به من نجوم الارض، وافراد العصر، وابناء الفضل، وفرسان الشعر، من يربي عددهم على شعراء الرشيد، ولايقصرون عنهم في الاخذ برقاب القوافي وملك رق المعاني .. وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان، والري وجرجان مثل، أبي الحسين السلامي، وابي بكر الخوارزمي، وابي طالب المأموني، وابي الحسن البديهي، وابي سعد الرستمي، وابي القاسم الزعفراني، وابي العباس الضبّي، وابي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني، وابي القاسم بن ابي العلاء، وابي محمد الخازن، وابي هاشم العلوي، وابي الحسن الجوهري، وبني المنجم، وابن بابك، وابن القاشاني، وابي الفضل الهمذاني، واسماعيل الشاشي، وابي العلاء الاسدي، وابي الحسن الغويري، وابي دلف الخزرجي، وابي حفص الشهزوري، وابي معمر الاسماعيلي، وابي الفياض الطبري،

---

١. معجم الادباء لياقوت الحموي، ٦ / ٢٥٢، ٢٥٧..
٢. المصدر السابق ٦ / ٢٥٧.
٣. المصدر السابق ٦ / ٢٥٩، ٢٦٣.
٤. المصدر السابق ٦ / ٢٦٣.
٥. اليتيمة ٣ / ٢٢٥.

وغيرهم[١]. من كل هذا نستشف أهمية الصاحب ودوره في الحركة الثقافية في عهده، ولهذا فقد آثرنا الكلام حوله في هذا الفصل.

أما عن العلاقة بين الصاحب والخوارزمي، فما بين ايدينا من شعر الاخير يشير الى حجم هذه العلاقة ومداها. فقد بلغت القطع الشعرية التي وصلتنا عن الخوارزمي في الصاحب بن عباد ثماني عشرة قطعة[٢] بلغت ابياتها حوالي ثلاثة وسبعين بيتاً، هذا اذا علمنا ان هذه القطع اجزاء متقطعة ومقتطفة من قصائد انشدها الخوارزمي، اذا علمنا هذا فانا نستطيع ان نقدر عدد الابيات التي انشدها في الصاحب بمئات الابيات.

والخوارزمي كان يراسل الصاحب ويكتب اليه[٣]، واذا تأخرت الاجوبة نراه يتألم وينشد قائلاً[٤]:

تَأَخَّـرَ عَـنْ كُـتْبِي الجَـوابُ، وإنَّما ... تَأَخَّـرَ بَـرْدُ المـاءِ عَـنْ كَبِدٍ حَـرّىٰ

فَـلا تُـفْسِدَنْ عِـشرينَ الفاً وَهَـبْتَها ... بِعشرينَ حَـرْفاً مِـنْ كَـلامِكَ تُشْـتَمْرىٰ

انه يعاني كثيراً من تأخر الجواب كمعاناة الكبد الحرىٰ من عدم وجود الماء، ثم ان الجواب عنده مهم وقد يزداد أهمية على الصلة التي اخذها من الصاحب.

وهو يطمع دائماً في الصاحب وصلاته وعطاياه، شأنه في ذلك شأن الشعراء الآخرين ولذلك نراه ينشد في رسالة له بعثها اليه قائلاً[٥]:

إذا كـنتُ لا أنْـفَكُّ أغـدو مُـطالباً ... فَـلِمْ أنتَ عـبادٌ ولِمْ أنـا شـاعرُ

ويبدو ان علاقة الخوارزمي كانت وثيقة بالصاحب بن عباد فالاول كان يتتبّع اخبار الثاني واحواله وعندما يطرق سمعه ان الصاحب قد اصابته وعكة صحية سرعان ماينشد قصيدة فيه منها[٦]:

---

١. اليتيمة ٣ / ٢٢٦.

٢. راجع القطع: ٢٥، ٨٥، ٩٦، ١١١، ١١٤، ١٢٦، ١٣٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٤، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٥٠.

٣. رسائل ابي بكر الخوارزمي: ٣٣، ٧٥، ٨٥، ١٠٤، ١٩٤.

٤. القطعة ٨٥ / ١ – ٢.

٥. القطعة ٩٦ / ١.

٦. القطعة ١١١ / ١ – ٣.

نَـعَوا ليَ نـفسَ المجـدِ سـاعَةَ أخْـبَروا ... بِمـا يَشْـتَكي مَـنْ سـقمِهِ ويُمـارِسُ
فَـهلّا فَـداهُ مـنهُ مَـنْ لَـيْسَ مِـثْلَهُ ... ومـن ربـعهُ في سـاحة الجـودِ دارسُ
جـزىٰ الله عـنّي الدّهـرَ شَرّاً فـإنّهُ ... يُـضايِقُني في واحِـدٍ ويُـنافِسُ

والظاهر ان سرعته في إنشاد هذه القصيدة جعلته يقع في زلة قلّما تغتفر لشاعر من مثله. اذ ان استعماله كلمة (النعي) في هذا المجال لم يكن بمستساغ ولابمستحسن وبخاصة للمريض، اذ هي تهيئ الاذهان الى الموت، وكأن الدهر بدأ ينافسه في صاحبه، ومامعنىٰ المنافسة هنا؟ الا تعني الموت في بعد من أبعادها؟! هذه زلة اخرىٰ بالاضافة الى الزلة الاولىٰ. ولكننا لاندري ماذا كان رد فعل الصاحب تجاه الابيات هذه؟!

ومن زلات الخوارزمي أيضاً قوله[1]:

وَمَـهيبٍ كأنّمـا أذنبَ النّـا ... سُ فَـهُم مُـغشون ذُلّا
وظـريفٍ كأنَّ في كـلِّ فـعلٍ ... مِـنْ أفـاعيله عَـرائِسُ تُجـلىٰ

ويتطابق البيت الاول مع المعلومات الواردة عن هيبة الصاحب بن عباد اذ كان كل واحد من الامراء والقواد اذا وقعت عينه على الصاحب قبّل الارض ثم توالىٰ بعد ذلك الى ان يقربَ منه ويأمره بالجلوس فيجلس. وماكان يتحرك ولايستوفز لأحدٍ[2]. وكان أكابر الدولة اذا رأىٰ احدهم واحداً من حجّابه، بل احد الاصاغر من حاشيته، فانّ فرائصه كانت ترتعد، وجوانحه كانت تصطفق الى ان يعلم مايريده منه ويخاطبه به[3].

اما البيت الثاني فقد وصفه بالظريف، والظرف من اوصاف الاحداث والشبان، كما لاتشبه اعمال الكبار بعرائس تجلىٰ. وهذه زلة اخرىٰ وقع فيها الخوارزمي.

والظاهر ان الخوارزمي كان يطالب بين الحين والآخر الصاحب بصلة وعطايا حيث نراه ينشده قائلاً[4]:

---

١. القطعة ١٥٣ / ١ – ٢.
٢. معجم الادباء ٦ / ٢٣٩.
٣. معجم الادباء ٦ / ٢٤٧ – ٢٤٨.
٤. القطعة ١٥٠ / ١ – ٣.

كـتبتُ ابـنَ عـبادٍ اليكَ وحـالتي كـحالِ صَـدٍ طـمتْ عـليه مـناهلُه

ومـاتركتْ كـفّاك فيَّ خـصاصةً ولكـنّ شـوقاً قـد غـلت بي مـراجـلُه

أبـيت اذا أجـريتُ ذكـرك مـنشداً «كأنك تـعطيه الذي أنت سـائلُه»

انه في هذه الابيات يؤكد حصوله على عطايا الصاحب الوافرة التي ابعدت الفقر والفاقة والحرمان عنه، لكنه كتب يشتاق اليه اشتياق الظمآن الى الماء. أترى هذا الاشتياق للصاحب؟ او لعطاياه ومناهله ؟!

ومنال الصاحب في رأي الخوارزمي امجاد أصيلة وليست بنوافل فما يقوم به من فعال واعمال لا يستطيع احد أن يضاهيه، وهو بأعماله يتحدى الآخرين أن يقوموا بعمل من مثلها، اسمعه يقول:[١]

وَجَـدنا ابـنَ عـبادٍ يـؤدي فـرائـضاً مـن المجـد ظـنتّها اللـئامُ النّـوافِـلا

جَـديرٌ بأن يـغشى الكـريهةَ مُـنْشِداً (أُقـاتِلُ حـتّى لا أرَىٰ لي مُـقاتِلا)

ومرة اخرى يشيد الخوارزمي بممدوحه الصاحب وبهيبته التي تتصاغر اعاظم الرجال تجاهها:[٢]

وابـيض وضّـاح الجـبين كأنّما مُحـيّاه قـد درّتْ عـليه شمائِـلُه

يـقبّلُ رجـليه رجـالٌ أقـلُّهم تُـقبَّلُ في الدستِ الرفـيعِ أنـامِلُه

وهو لا يكتفي بهذا المدح، بل هو ايضاً يقبّل اشعاره وابياته التي انشدها للصاحب لانها تحتوي على اسمه في تضاعيفها، ويشم ملابسه التي يدّثر بها لانها من صلاته وعطاياه:

أقَـبِّلُ أشـعاري اِذ اسمكَ حَشْـوُها وأشُمُّ مـلبوسي لانّك بـاذلُه

وأخـطُرُ في حـانات دارِ مـلأتَها طرائفَ بـاقي العـيش مـنها وحـاصِلُه[٣]

اذن فداره والاموال التي وصلت اليه من الصاحب أخيراً تكفيه ان يعيش رغداً فما تبقّ

---

١. القطعة ١٥١ / ١ - ٢ ٢. القطعة ١٥١ / ١ - ٢

٣. القطعة ١٥٥ / ٣ - ٤.

من عمره.

ويبني الصاحب بن عباد داراً ويدعو الشعراء الى وصفها، وينبري الشعراء في وصفها والاشادة بها، ويبادر حوالي اثني عشر شاعراً في انشاد قصائدهم حتى ان الثعالبي يفرد لها عنواناً هو «القصائد الداريات»[1].

ولا يتخلف الخوارزمي عن زملائه بل ينبري هو أيضاً بالاضافة الى اولئك في انشاد قصيدة وربما قصائد في وصف تلك الدار وقد عارض بها قصيدة الرستمي في الوزن والقافية والتي منها[2].

نَصَبْنَ لِحَبّاتِ القُلوبِ حَبائِلا عَشِيَّةَ حَلَّ الحاجباتِ حَبائِلا

نَشَدْنَ عُقولاً يوم برقة مُنْشد ضَلَلْنَ فَطالَبْنا بِهِنَّ العَقائِلا

عقائل من أحياء بكرٍ ووائلٍ يُحَبِّبْنَ للعُشّاقِ بَكْراً ووائِلا

ويبدو ان الخوارزمي لم يكن حاضراً الاحتفال بافتتاحها بل نقل اليه خبرها ابو محمد الخازن، ونقل اليه بعض ما قيل يومذاك[3] أما قصيدة الخوارزمي فمنها:[4]

أكلُّ بناءٍ أنتَ بانيه مُعجزٌ بنيتَ المعالي أم بنيتَ المنازِلا

فَلا الإنسُ تبني مثلهنَّ معالماً ولا الجنُّ تبني مثلهنَّ مَعاقِلا

كنائِسُ أَضْحت للغَمامِ عَمائماً عُلُوّاً وأمستْ في الظّلام قَنادِلا

رِحابٌ كأن قد شاكلت صَدْرَ ربِّها وبيضٌ كأن قَدْ نازعتهُ الشّمائِلا

وبهوٌ تباهي الارضُ منهُ سماءَها بأوسع منها آخِراً وأوائِلا

وصف رائع ودقيق واستعارات جميلة وبليغة استخدمها الخوارزمي في ابياته هذه، لانه يقصد من ورائها هدفين ويريد ان يصيب عصفورين بحجر واحد، فهو يريد ان يلبي طلب الصاحب في وصف قصره الذي اشاده واعتز به، وهو يريد هدفاً آخر ألا وهو ادلاء دلوه في السباق والتنافس والحلبة الشاعرية بأحسن ما يكون، وبأبرز ما يكون، انه يستهدف ان ينال

---

١. اليتمية ٣ / ٢٤٠ – ٢٥٢

٢. المصدر السابق ٣ / ٢٤٣

٣. اليتمية ٣ / ٢٤٠

٤. القطعة ١٥٦ / ١ – ١٦

قصب السبق في هذه المباراة ليخلده الدهر، ولتخلده الايام على طول تاريخها وامتدادها، فالقصر هنا ليس شيئاً مادياً ينظر اليه الخوارزمي، بل هو اضافة الى ذلك ملئ بالمعاني العالية، فلو كان القصر كقصور الآخرين لما امتاز عنها ولكنه قصر تعجز الجن والانس عن تشييد مثله. هذا القصر تزينه القباب العالية التي اضحت كالعمائم للسحاب نهاراً، وكالقناديل المتدلية من السماء ليلاً. والخوارزمي اثناء وصفه القصر لا ينسى الصاحب بن عباد بل يشبه رحاب القصر بصدر الصاحب، وبحلمه الواسع كالصحراء، وهو تشبيه مقلوب كما نعلم زيادة في مدح الصاحب ومبالغة فيه. والبهو واسع الى درجة ان الارض تفتخر به على السماء في سعته ورحابته. ويستمر الخوارزمي في قصيدته قائلاً:

وَصَحْنٌ يَسيرُ الطَّرفُ فيه ولم يَكُنْ ... لِيَقْطَعَهُ بالسَّيرِ ألّا مَراحِلا

تلوحُ نقوشُ الجَصِّ في جدرانهِ ... كما زيَّنَ الوشمُ الدقيقُ الأَنامِلا

وماءٌ إذا أَبْصَرْتَ مِنْهُ صَفَاءَهُ ... حسبتَ نُجومَ الليلِ ذابتْ سوائِلا

رأيتُ سُيوفاً قد سُلِلْنَ عَلَى الثَّرىٰ ... وصارَتْ لها أيدي الرِّماحِ صَياقِلا

صحن القصر وفناؤه واسع لا يستطيع الانسان ان يقطعه الا على عدة مراحل، ونقوش الجص دقيقة كالفسيفساء، أما الماء الذي يتساقط من النافورات فهو في صفاءه ولمعانه كالسيوف المصقولة الوضاءة حيث تُسَلُّ وترتفع لتهوي كالبرق اللامع على ضحيتها. ويواصل الخوارزمي قصيدته:

وروضٌ كعيشِ السائليكَ نضارةً ... ووجهكَ بِشْراً حينَ تَلْحَظُ آمِلاً

أصائِلُهُ للنّور أضحت هواجراً ... هواجره للطيب أضحت أصائلا

ولكن الخوارزمي وهو يصف الدار لا ينسى المركز الثقافي الذي يتمتع به الصاحب، ولا ينسى الحركة الادبية والعلمية التي يستقطبها الصاحب بن عباد، ولا ينسى المجالس والندوات الادبية التي لا تخلو منها ايام الصاحب، فهذه الدار ليست كبقية الدور يتمتع بها اهلها فقط؛ اسمعه يقول:

هي الدّارُ أَمْسَتْ مَطْرَحَ العِلْمِ فَاغتدَى ... لها ناهِلُ الآمالِ ريّانَ ناهِلا

إذا مـــاانتحاها الرّكبُ لم يـــتطلّبوا إليهـــا دَليـــلاً عَـــنْ مـنْ كـانَ قـافِلا

وتبلغ النشوة بالخوارزمي اعلاها، ويبلغ المدح بـالصاحب ذراه، وتـصل المـبالغة حـداً لا يستسيغه الانسان المسلم المؤمن، ولكنه شاعر لا يحاسب على ما يقول:

وأنتَ امـــرؤٌ أعـــطيتَ مـــالو سألتَـهُ إلهَكَ قـــالَ النّـــاسُ أَسْرَفْتَ ســـائِلاً

هذه المبالغة قد لا تتسق ولا تنسجم مع ما قرأناه عن الصاحب بن عباد من أنه لم يقدر على عطايا الادباء عن سعة، كما يحكىٰ عمن تقدمه عن إجزال العطاء لهم، فقد كان لا يزيد على مائة درهم وثوب الى خمسمائة، وما يبلغ الى الالف نادر، وما يوفى على الالف بديع[1]. ولكنها مبالغة الشعراء التي لا حد لها ولا حصر.

ويشير الخوارزمي الى طلب الصاحب منه و من بقية الشعراء وصف هذا القصر، كأنه أراد بذلك اقامة ندوة شعرية يتبارى فيها الشعراء، وهذه لاشك حسنة تذكر للصاحب لانه كان يستغل المناسبات لتشجيع الحركة الشعرية ودفعها الى الامام.

اذن فالخوارزمي يشير في قصيدته الى الزام الصاحب الشاعر بالانشاد في هذه المناسبة وهو بذلك قد اعطى مرتين، فمرة هو الذي علّم الشاعر الشعر فما عند الشاعر من شعر يـعود الى الصاحب، ثم انه هيأ الفرصة للشاعر ليدلي بدلوه في هذا المضمار، يقول:

وَإنّي وإلزامـــيكَ بـــالشِّعرِ بـــعدَما تـــعلمتُه مـــنكَ الذّرىٰ والفَـــواضِـلا

كَـــمُلْزِمِ ربِّ الدارِ أجـــرةَ دارهِ ومـــثلُكَ أَعـــطَى مِـنْ طَـريقَينِ نـائِلا

ويبدو ان الخوارزمي لم يكتف بهذه القصيدة في مدح قصر الصاحب بـل انشـد قـصائد اخرى، والدليل على ذلك ما عثرنا له على قطعة في دار الصاحب اغلب الظن انها مختارة من قصيدة له حيث يقول:[2].

بَـــنَيْتَ الدّارَ عـــاليةً كَـــمِثْلِ بِـــنائِكَ الشَّرَفـــا

---

١. اخلاق الوزيرين لابي حيان التوحيدي، ص ١٩٣، وربما اننا لا نستطع الاعتماد على هذا القول لانه صادر عن اتخذ موقفاً عدائياً من الصاحب. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز، ص ١٧٢؛ معجم الادباء لياقوت، ٦ / ٣٠٠.

٢. القطعة ١٢٦ / ١ – ٢

فَـــــلا زالَتْ رؤوسُ عِـــــدا ... كَ في حِـــــيطانها شُرُفـــــا

ولا ينسى الخوارزمي ان يُبلغ الصاحب ما يلم به من مرض وعناء، فمن قصيدة انشدها وهو بأرجان وبعث بها الى الصاحب يصف فيها الحمى التي نزلت به وأضنته وعطلته عن العمل وحبسته راقداً في البيت، ولكن بلا نوم، ومضطجعاً ولكن من دون استراحة، حيث يقول[١]:

ولو أبـــصرتَ في أرجـــان نـــفسي ... عَـــلَيها مِـــنْ أبي يحـــيى ذِمـــامُ

ولي مـــن أمّ مِـــلْدَمَ كـــلَّ يـــومٍ ... ضـــجيج (ضـــجيعٌ) لا يـــلذ له مـــنامُ

مـــقبّلةٌ وليس لهـــا ثـــنايا ... مـــعانقةٌ وليس لهـــا التزامُ

كأنَّ لهـــا ضرائـــرَ مـــن غـــذائي ... فَـــيُغضِبُها شرابيَ والطـــعامُ

ويستمر في قصيدته شارحاً الآلام التي يتحملها والتي جعلته اقرب الى الموت، لا بل يتمنى الموت، ولكن كيف يتمناه والموت يفرق بينه وبين وجه ممدوحه، فالعيش لولا ممدوحه لا طيبَ فيه، والموت لولا انه يفرق بينه وبين ممدوحه لاذامّ له[٢]:

ولولا فَـــقْدُ وَجْـــهِكَ لم أُعَـــبِّسْ ... عـــلى ضـــيفٍ يُـــقال له الحِـــمامُ

فـــا في العـــيش لولا أنتَ طِـــيبٌ ... ولا في المـــوتِ لولا أنتَ ذامُ

ويبدو ان العلاقة بين الخـوارزمـي والصـاحب تـوثقت الى درجـة زال بـينهما التكـلف والاحتشام والوقار حيث نقرأ ان الخوارزمي دخل يوماً على الصاحب بـن عـباد مـن دون اجازة، فقال الصاحب في البداهة[٣]:

كـــلّما قُـــلتُ خـــلا مجـــلسنا ... بـــعث الله ثـــقيلا فـــجلس

فبادره الخوارزمي قائلاً[٤]:

مـــن يـــقل اني ثـــقيلٌ أُمُّـــهُ ... حِـــرها اوســـعُ مـــن درب طـــبس

---

١. القطعة ١٨٤ / ١ - ٤. ٢. القطعة ١٨٤ / ١٠ - ١١.

٣. تاريخ گزيده: حمد الله مستوفي قزويني، ص٦٨٧.

٤. القطعة ١١٤ / ١

ولكننا قد نستهجن ونستنكر صدور مثل هذا البيت عن الخوارزمي للصاحب الذي كان القريب والبعيد يخشاه لسطوته وقدرته، حتى أن أميره فخر الدولة ما كان ليجرء أن يمازحه وينبسط معه[١]. غير ان ظاهر الامر يدل عكس ذلك، اذ يبدو ان مثل هذه الكلمات كانت تتبادل بين الرجال والوزراء يومذاك. اذ يحدثنا التاريخ ان الصاحب قد حضر دار الوزير المهلبي عند وروده الى بغداد مع مؤيد الدولة، فحُجب عنه لِشُغل كان فيه، وجلس طويلاً، فلما تأخر الإذن كتب رقعة الى ابي اسحاق الصابيء وكان حاجب المهلبي وكاتبه فيها:

وأُتْـرَكُ محـجوباً عـلى البـاب كـالخُصى ويـدخل غـيري كـالأُيورِ ويخـرُجُ

فأقرأها الصابيء الوزير المهلبيَّ فأمر بادخاله[٢].

وأخيراً فان الصاحب بن عباد لم ينج هو الآخر من هجاء الخوارزمي له، وربما كان ذلك في اواخر أيامه، ولربما ساءت العلاقة بينهما، ولدينا قطعتان في هجاء الصاحب لا ندري هل انهما جزء من قصيدتين أم لا، وهما[٣]:

صـاحِبُنا أخـوالُـهُ عـاليه لكِـنّما غـرفَتُهُ خـاليَهْ
وإن عـرفتَ السِّرَّ مـن دائِـهِ لم تسألِ اللـهَ سـوى العـافِيَهْ

اما القطعة الاخرى فهي[٤]:

لا تمـدحنّ ابـن عـبادٍ وان هـطلتْ كَـفّاه بـالجودِ سـحاً يُخـجلُ الدِّيَما
فَـإنَّها خـطراتٌ مِـنْ وسـاوسِهِ يـعطي ويمـنع لا بُخـلاً ولا كَـرَما

وكان الخوارزمي يقول في الصاحب: ان مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها، ودب ودرج في وكرها ورضع أفاويق درها وورثها من أبيه[٥].

كما روى الخوارزمي اشعاراً لآخرين في مدح الصاحب وداره[٦]. كما انه كان احياناً يعلق

---

١. معجم الادباء لياقوت ٦ / ٢٨٤.

٢. المصدر السابق ٦ / ٣٠٦ – ٣٠٧.

٣. القطعة ٢٥٠ / ١ – ٢.

٤. القطعة ٢١٤ / ١ – ٢. قارن هاتين القطعتين بالقطعة ١٣٢، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦ ولنا وقفة في هذا المجال في الفصل الذي سنتحدث فيه عن حياة الخوارزمي.

٥. اليتيمة ٣ / ٢٢٦ والافاويق: ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعة بعد ساعة وهو يريد ما اجتمع من اللبن.

٦. المصدر السابق ٣ / ٢٤٠، ٣٠٧، ٣٢٣

على بعض ابيات الصاحب وينقدها[١]. كما ان الصاحب قد كتب الى الخوارزمي بمناسبة عيد الفصح[٢].

ولما مات الخوارزمي بلغ الصاحب وفاتُه فقال[٣]:

أقول لركبٍ من خراسانَ رائح ... أماتَ خوارزميُّكم؟ قيل لي: نعم

فقلتُ: اكتبوا بالجَصِّ من فوق قبرِه ... (ألا لعن الرحمنُ من كَفَرَ النِّعَمْ)

ومن الشعراء الآخرين الذين كانت لهم علاقة بالخوارزمي، هو ابو الفتح محمد بن احمد بن الاشرس (توفي قبل سنة ٤٢٠ هـ) وهو من أهل نيسابور، وكان من تلامذة الخوارزمي، فلما نزف ما في يديه ارتحل الى مدينة السلام[٤]. ولكننا لم نعثر على شعر لأيّ واحد منهما في الآخر.

ومن الشعراء الآخرين الذين ارتبطوا بالخوارزمي، الشاعر ابو سعيد الحسين بن احمد الطبسي، وكان من تلامذة الخوارزمي ورآه الباخرزي شيخاً زاد على الستين وقد انشد الباخرزي لنفسه في مرثية استاذه الخوارزمي قوله:

شيَّبَ فَرْطُ الأسىٰ قَذالي ... وكدَّرَ الدَّهرُ صَفْوَ حالي

وأَرْتَجَعَ الدَّهرُ ماحَباهُ ... وَحَيْعَلَ المجدُ بالزَّوالِ

وعادتِ النَّيِّراتُ بُهْماً ... ونَاحتِ العُصْمُ في الجبالِ

وبلغت القطعة سبعة عشر بيتاً سنوردها كاملة عند الحديث عن حياة الخوارزمي ووفاته[٥].

كما للخوارزمي شعر في ابي بكر النحوي البستي[٦]. وبالاضافة الى ذلك فهناك حوادث ووقائع مختلفة ومتنوعة، وقعت بين الخوارزمي وبين بديع الزمان الهمذاني، آثرنا التحدّث عنها في الفصل الخاص بحياة الخوارزمي.

---

١. المصدر السابق ٣ / ٢٤٠، ٣٠٧، ٣٢٣. ٢. اليتيمة ٣ / ٣٠٩.

٣. معجم الادباء لياقوت ٦ / ٢٥٦.

٤. دمية القصر للباخرزي، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، ج ٢، ٥٠١؛ معجم الادباء، ط دار احياء التراث العربي ١٧ / ٢٠٩ – ٢١١. ٥. المصدر السابق نفسه ٢ / ٥٠٢ – ٥٠٤.

٦. القطعة ١٠٧ / ١ – ٢.

وبالاضافة الى ذلك فاننا نرى الخوارزمي يروي شعراً لعبدان الاصبهاني المعروف بالخوزي[١] ولابي سعيد الرستمي[٢]. كما يرتبط الخوارزمي بعلاقة ومراسلة مع ابي محمد عبد الله بن احمد الخازن الذي يصفه الثعالبي بانه كان من حسنات اصبهان واعيان اهلها في الفضل، ونجوم ارضها وافرادها في الشعر[٣]. وهو الذي اخبر الخوارزمي بيوم الاحتفال بافتتاح دار الصاحب ونقل اليه بعضاً من القصائد التي قيلت في تلك المناسبة، ومنها قصيدة ابي سعيد الرستمي التي عارضها الخوارزمي[٤]. كما روى الخوارزمي بعضاً من شعر ابي محمد الخازن[٥].

وكانت للخوارزمي علاقة بالشاعر ابي العلاء الاسدي من شعراء اصبهان فقد انشد الاخير الخوارزمي شعراً له[٦].

بقي لنا ان نتعرف على الخوارزمي عند قدومه اول مرة بغداد قادماً من موطنه حيث كان لايزال شاباً في مقتبل عمره. وينقل الحاكم ابو عبد الله في تاريخ نيسابور ان الخوارزمي كان يذكر سماعهُ من ابي علي اسماعيل بن محمد الصفار وأقرانه ببغداد[٧]. والصفار هذا اسماعيل بن محمد بن اسماعيل، (٢٤٧ - ٣٤١ هـ) كان عالماً بالنحو وغريب اللغة من اهل بغداد، وله شعر[٨]. ونستدل من وفاة الصفار في ٣٤١هـ ان الخوارزمي كان قد التقاه وسمع منه مدة سمحت له القول بأنه سمع الصفار، لان الاخير كان محدثاً وله كتاب «حديث الصفار[٩]» وهذا يعني ان الخوارزمي وصل بغداد وهو في سن الخامسة عشرة او السادسة عشرة. ولا نستطيع ان نقدر الفترة التي مكث فيها ببغداد، الا اننا يمكن ان نقول انه بقي فترة فيها بعد موت الصفار. اذ يروي الحاكم النيسابوري عن الخوارزمي حكاية نقلها عن القاضي ابي بكر احمد بن كامل بن خلف السجزي[١٠] (ت. ٣٥٠ هـ) الذي كان قاضياً من أهل بغداد، وعالماً بالاحكام والقرآن والادب والتاريخ، وله عدة مصنفات. وقد ولي قضاء الكوفة وكان متساهلاً في الحديث[١١]. غير ان الزركلي لقبه بـ« الشّجري». ولكننا نستطيع ان نجزم بأن الخوارزمي لم يبق في بغداد حتى وفاة

---

١. اليتيمة ٣ / ٣٥٢.
٢. اليتيمة ٣ / ٣٧٦.
٣. اليتيمة ٣ / ٣٧٩.
٤. القطعة ١٥٨.
٥. اليتيمة ٣ / ٣٨٣.
٦. اليتيمة ٣ / ٣٩٤.
٧. الانساب، للسمعاني، ٥ / ٢١٤.
٨. الاعلام للزركلي ١ / ٣٢٢.
٩. المصدر السابق نفسه.
١٠. الانساب للسمعاني ٥ / ٢١٤.
١١. الاعلام للزركلي ٥ / ١٩٩.

السجزي او الشجري (سنة ٣٥٠هـ) اذ انه غادرها قبل هذا التاريخ. ولابد ان يكون غادرها قبل سنة ٣٤٦هـ. لانه اتصل في الشام بالمتنبي وزاره في بيته والمتنبي كان قد غادر الشام الى مصر في هذه السنة. وبذلك يمكن التخمين ان الخوارزمي بقي في بغداد مدة تتراوح بين ٣ - ٥ سنوات. ومن خلال تتلمذه على يد هذين الرجلين نستطيع ان نعرف اتجاهه وميله العلمي في تخصص هذين الرجلين. ولكننا لم نعثر للخوارزمي على شيء يدلنا على ارتباطه بهذين الرجلين.

اذن فالفترة الاولى من حياته في هذه البيئة اقتصرت على التلمذة والتعلم والاستماع. ولا نعلم شيئاً عن مكوثه ببغداد فترة اخرى من الزمن خلال عودته من الشام وذهابه الى المشرق.

أما الارتباط الآخر الذي بقي لنا ان نعرفه، هو ارتباطه بطبرستان. فقد ذهب اليها بعد خروجه من سجن والي سجستان ابي الحسين طاهر بن محمد ولابد ان يكون ذهابه قبل وفاة طاهر هذا سنة ٣٥٤هـ[1] ايام حكم وشمكير بن زيار (٣٢٣ هـ - ٣٥٦ هـ) ولا ندري هل اتصل بوشمكير هذا او بنوح بن نصر (ت ٣٥٦ هـ)[2] ولا نعلم من هو المقصود من هذين الرجلين بصاحب طبرستان الذي اشار اليه الثعالبي[3] ولكنه بالتأكيد غادرها قبيل سنة ٣٥٦هـ وعاد الى نيسابور[4].

والارتباط الآخر بطبرستان ينم عن ارتباطه بأميرها قابوس بن وشمكير، اذ لم نعثر من خلال استقراء القسم الخاص بشعراء وكتاب جرجان وطبرستان على علاقة للخوارزمي بواحد منهم سوى قابوس بن وشمكير وقد تحدثنا عن ذلك في الفصل الخاص بالحياة السياسية في عصر الخوارزمي.

الخلاصة

من هذا الاستعراض للحياة الثقافية في عصر الخوارزمي، نستشف عدم وجود عطاء له

---

١. الكامل لابن الاثير ٥ / ٣٣٩.

٢. المصدر السابق ٥ / ٣٤٩ ويقول ابن الاثير، وكان بطبرستان عدو لركن الدولة يقال له نوح بن نصر شديد العداوة له، لايزال يجمع له ويقصد اطرافه، فمات الآن (٣٥٦).

٣. اليتيمة ٤ / ٢٣٦ ٤. المصدر السابق ٤ / ٢٣٧.

وصلنا عند مكوثه في البيئة الحمدانية او البغدادية في مقتبل عمره، على الرغم من وجود ما يدل على انه كان شاعراً قبل مغادرته مسقط رأسه (خوارزم). وان عطائه الثر يتميز في ايام البويهيين ومعاصريهم من السامانيين، وانه ارتبط بعدد من الشعراء والكتاب والوزراء الكتاب والشعراء كابن العميد الثاني والصاحب بن عباد الذي كانت علاقته به اكثر من غيره.

كما يمكن ان نستشف ظاهرة اخرى من خلال دراستنا للحياة الثقافية في عصر الخوارزمي في القرن الرابع الهجري، وهي كثرة الشعراء والكتاب والعلماء الذين انشدوا وكتبوا وألفوا باللغة العربية. فعلى الرغم من سيطرة الدولة البويهية على وسط ايران وجنوبيها وعلى العراق، ومن سيطرة الزياريين على جرجان وطبرستان، ومن سيطرة السامانيين على خراسان وبخارى، وعلى الرغم من أنَّ هذه الدول لم تكن عربية، بل كانت فارسية في اصولها، وعمل بعضها كالدولة السامانية على احياء اللغة الفارسية واستظهار شعر فارسي لهم ينافسون به الشعر العربي، وظهر شعراء ينشدون بالفارسية مثل الرودكي (ت ٣٢٩هـ) والدقيقي الطوسي (ت ٣٦٧هـ)[١].

ولكن مع كل ذلك نجد ان الاهتمام بالشعر العربي كان لايزال كبيراً حتى ان الدولة البويهية قد آثرت الانضواء تحت لواء الثقافة العربية، واتقن كثير من أمرائهم اللغة العربية، وأنشدوا شعراً بها. وهكذا كانت الحال بالنسبة لبعض وزرائهم الذين كانوا من كبار الادباء بالعربية منهم ابن العميد والصاحب بن عباد المشهوران باشعارهما وكتاباتها باللغة العربية. وان القاء نظرة على اليتيمة تطلعنا على حجم الشعر العربي لشعراء من اصول غير عربية في القرن الرابع الهجري وبداية الخامس.

ويرى الدكتور شوقي ضيف ان الشعر الفارسي الذي أخذ ينظمه شعراء الفرس بايران منذ القرن الثالث الهجري، فُصل عن الشعر العربي، كما يُفصل الرضيع عن أمه، بل لقد ظل الشعر العربي يغذيه طول القرون التالية، حتى ان الشعر الصوفي الذي نشأ في ايران كان متأثراً بالشعر العربي، اذ لا يوجد شاعر صوفي مثل العطار والجامي الا وهو يحسن العربية ويتربّى ثقافياً في مهادها. وهذا وان دل على شيء فانما يدل على ان مظاهر التمسك بالاسلام كانت لاتزال قوية

---

١. تاريخ ادبيات ايران، ذبيح الله صفا، ١ / ٣٥٦ - ٣٥٩ وما بعدها.

الجذور في هذه البلاد، لان العربية كانت تعني ولا تزال لغة الاسلام الذي انتشر الى هذه الآفاق.
ومنذ بدأ التيار القومي يقوى، وعلى اساسه تنشأ بعض الدول، بدأ التيار الاسلامي ينحسر الى حد ما، وتنحسر لغته العربية.

اذن فالقرن الرابع الهجري، كان زاخراً بالادب العربي شعراً ونثراً ولهذا برز شاعرنا الخوارزمي كاتباً وشاعراً في هذا القرن، وَعُدَّ اماماً من أئمة الادب العربي في المشرق الاسلامي.

الفصل الثاني

حياة الشاعر

من الولادة الى الوفاة

اسمه ولقبه

هو ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، المعروف بأبي بكر الخوارزمي، اذ ورد الاسم الاخير في اكثر المصادر التي ذكرته[١]. كما لقب ايضاً بالخوارزمي الطبري، واول من ذكره بهذا اللقب صاحب كتاب مصارع العشاق[٢] نقلاً عن نشوار المحاضرة للتنوخي[٣]، مشيراً الى أنه من طبرية الشام، وتبعهما ابن القيسراني (ت ٥٠٧ هـ) مضيفاً ان الخوارزمي طبري الأب من آمل طبرستان خوارزمي الأم فنسب الى البلدين جميعاً، وهو يذكر ذلك في رسالة، وليس من طبرية الشام[٤] كما يشير الى نسبة جديدة له كان يعرف بها وهي «الطبرخزمي»[٥] وجاء بعدهم السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) فذكر ابا بكر ضمن نسبة الخوارزمي واضاف: وقيل له الطبري، لانه ابن اخت محمد بن جرير بن يزيد الطبري[٦]. كما اشار الى نسبة جديدة اعتبرها مختصة بأبي بكر

---

١. ورد اسم ابي بكر الخوارزمي في اغلب المصادر، راجع على سبيل المثال: الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني، ص ٣٧٧، ديوان المعاني لابي هلال العسكري، ص ١٥٦؛ تاريخ نيشابور تلخيص الخليفة النيشابوري، ص ١٠٣، اخلاق الوزيرين لابي حيان التوحيدي، ص ١٠٧، تاريخ يميني للعتبي، ص ٣٧، يتيمة الدهر للثعالبي، ١٦٦/٤، درج الغرر ودُرج الدرر للمطوعي، ص ٤٠؛ زهر الآداب للحصري القيرواني، ص ٣٥؛ العمدة لابن رشيق، ٤٤، دمية القصر للباخرزي، ٢ / ٨٣٥، شرح ديوان ابي الطيب للواحدي، ص ١٢٢؛ اسرار البلاغة للجرجاني، ص ١١٦، فصل المقال لابي عبيد البكري الأونبي، ص ٢٢١، وغيرها.

٢. مصارع العشاق للسراج القارئ (ت ٥٥٠ هـ)، ص ١ / ٩٠.

٣. نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي (ت ٣٨٤ هـ)، ٦ / ٢٣٦.

٤. الانساب المتفقة لابن القيسراني، ص ٩٥ – ٩٦.

٥. المصدر السابق، ص ٩٧.

٦. الانساب للسمعاني، ٥ / ٢١٣.

وهي «الطبرخزي» لانه طبري الام خوارزمي الاب فركب من الاسمين اسماً[١]. مما سبق نستنتج ان نسبة ابي بكرٍ قد تطورت على مر الزمن من الخوارزمي الى الخوارزمي الطبري الى الخوارزمي الطبري الطبرخزمي ثم الطبرخزي، هذا بالنسبة الى ما في المصادر التاريخية. ولكننا اذا عدنا الى رسائله هو واستقرأناها فاننا نجده يسمي نفسه: ابا بكرة مرة[٢] ومحمد بن العباس الطبري مرة اخرىٰ[٣] وابا بكر الخوارزمي الطبري[٤] تارة ثالثة وابا بكر الخوارزمي مرة رابعة[٥] ولانجد اثراً لنسبة الطبرخزي او الطبرخزمي اللتين وصفه الاخرون بهما. والغريب اننا لم نعثر علىٰ اسم لجده الادنىٰ في جميع المصادر التي اشارت اليه وترجمت لحياته، كما لم نجد اشارة اليه حتىٰ في رسائله المختلفة التي كتبها والتي اشار في بعضها الى نفسه. اذن فنحن لانعرف احداً من آبائه وأجداده.

زمان ولادته:

ولد ابو بكر الخوارزمي سنة ٣٢٣هـ كما يصرح بذلك الثعالبي والسيوطي[٦]، ولاندري لماذا أهملت المصادر الاخرىٰ هذا التاريخ لولادة الخوارزمي والفاصلة الزمنية بين الرجلين حوالي ستة قرون، هذا اذا اخذنا بنظر الاعتبار عدم الاهتمام آنذاك بضبط مواليد الاشخاص، ولان الاهتمام بها يبدأ بعد شهرتهم، الا اذا اخبروا هم عن تاريخ ولادتهم، وحتىٰ إخبارهم هذا يلفه نوع من الضباب. ويبدو من عدم ذكر المصادر التي جاءت بعد الثعالبي لتاريخ ولادته علىٰ الرغم من ذكرها جميعاً تقريباً لتاريخ وفاته ان التاريخ المذكور لايمكن ان يعد قاطعاً وحاسماً في هذا المجال وبخاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار الظروف والاحداث التي مرت بالخوارزمي وتحدث عنها. أما المصدر الاخر الذي يذكر لنا ولادة الخوارزمي فهو معجم المطبوعات العربية والمعربة

---

١. المصدر السابق، ٩ / ٣٧ – ٣٨.
٢. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ١٤.
٣. المصدر السابق، ص ٤٧، ٨١.
٤. المصدر السابق ص ٥٦.
٥. المصدر السابق ص ٦١، ١٠٩.
٦. اول من ذكر مولد الخوارزمي فيما بين يدي من مصادر هو الثعالبي ومن ثم جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه بغية الوعاة ١ / ١٢٥.

واكتفاء القنوع الذي ينص على ان ولادته كانت سنة ٣١٦هـ[١] ومن هنا لانستطيع الا ان نوافق ماذهب اليه زكي مبارك من أننا لانعرف سنة ولادته بالضبط[٢] وانما هي مجرد احتمالات نستطيع ان نوردها استناداً الى الاحداث التي حدثت له وعاصرها.

واذا كان لابد لنا ان نرجح احد التاريخين المذكورين لسنة ولادته فاننا نرجح سنة ٣١٦هـ، ذلك ان الخوارزمي عندما هاجر من وطنه وغادره الى بغداد تتلمذ مدة على ابي علي اسماعيل بن محمد الصفار وعلى القاضي ابي بكر احمد بن كامل السنجري اذ روى الحاكم النيشابوري[٣] عن الخوارزمي حكاية عنه (السنجري)، وان ابا علي الصفار هذا قد توفي سنة ٣٤١هـ[٤] فلابد ان يكون الخوارزمي قد وصل بغداد قبل هذا التاريخ بفترة تتجاوز السنة على اقل تقدير حتى تتيح للخوارزمي ان ينقل الحديث عن استاذه، واذا اخذنا صعوبات السفر آنذاك، ومحاولة الخوارزمي، عندما كان شاباً يافعاً في مقتبل عمره، الاحتكاك بالشاعر اللحام[٥] في مسقط رأسه وهجائه، نستطيع القول ان الخوارزمي عندما وصل بغداد كانت سنه على الاقل قد تجاوزت العشرين سنة. واذن فالسنة التي رجحناها لولادته أقرب الى التصديق من سنة ٣٢٣ هـ، هذا وان كنا نميل الى عدم تحديد سنة بالضبط وانما الى ذكر الولادة في عقد من عقود القرن الرابع وبخاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار مناظرته للبديع وان السن كانت قد بلغت به بحيث قد افقدته بعض امكاناته في الحفظ وغيره[٦] واذا كانت ولادته سنة ٣٢٣هـ فان سنه عند المناظرة حوالى الستين والستون ليست بالسن التي تعطل عندها امكانات الانسان وبخاصة في تلك الازمان. لذلك فالارجح ان سنه عند المناظرة قد تجاوزت السبعين سنة. واذا كان الامر كذلك فان ولادته تكون في اواخر العقد الاول وبداية العقد الثاني من القرن الرابع الهجري.

---

١. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ص ٣٤٠، معجم المطبوعات العربية والمعربة، ص ٨٣٨.
٢. النثر الفني لزكي مبارك، ٢ / ٢٦٠، وهذا يدعونا الى الشك في السنة الواردة في اليتيمة ولربما لم تكن في النسخ الخطية الاصلية وانما اضيفت اليها فيما بعد.
٣. الانساب للسمعاني، ٥ / ٢١٤، ٩ / ٣٨.
٤. الكامل لابن الاثير ٥ / ٣٠١.
٥. اليتيمة ٤ / ١١٦.
٦. معجم الادباء ٢ / ١٧٤.

مكان ولادته:

اما محل ولادته ومكانها فني ذلك قولان: قول ينقله الخوارزمي نفسه ويتحدث عن ذلك في رسائله او شعره؛ تنقله المصادر التاريخية التي تتحدث عن اصله وولادته. فالمصادر متضاربة في اصله فابن القيسراني يدعي أنه طبري الاب من آمل طبرستان، خوارزمي الام[1] اما السمعاني فيذكر انه طبري الام خوارزمي الاب[2]. واول مصدر يتحدث عن مكان مولده هو كتاب اليتيمة للثعالبي اذ يصرح بأن مولده ومنشأه خوارزم الا أن اصله من طبرستان[3] وبذلك يختلف عما ذكرته المصادر اللاحقة له في هذا التفصيل عن امه وأبيه. والثعالبي كان تلميذاً للخوارزمي ملازماً له، وهو لم يتحدث عن هذا التفصيل الذي تحدثت به المصادر فيما بعد والتي نبتعد عن عصر الخوارزمي اكثر من قرن من الزمان، وكلما نبتعد عن عصر الخوارزمي نجد تحديداً اكثر بالنسبة لمولده وأصله فيذكر القاضي نور الله التستري أن اصله من آمل بطبرستان[4] ويستشهد على ذلك بالبيت الذي يرویٰ عن الخوارزمي وفيه يقول:

بآمل مولدي وبنو جرير فأخوالي ويحكي المرء خاله

وهذا البيت الذي نقل لاول مرة في تاريخ بيهق ثم في معجم البلدان هو الذي دفع بعض المؤلفين وبخاصة في العصر الحاضر الى التصور بأن المؤرخين قد اعتبروا مولده في طبرستان وانه كان في مدينة آمل[5]. فالمصادر لم تذكر ولادته في آمل وانما ذكرت ان أصله من آمل بطبرستان.

واغلب الظن ان الذي أوقع البعض في هذا الاشتباه كلمة «بآمل مولدي» اذ تصورها البعض مدينة آمل المشهورة بطبرستان الا اننا نجد مدينة آمل اخرىٰ موجودة في خوارزم تدعىٰ بآمل زم، وآمل جيحون وآمل الشط وآمل المفازة وهي مدينة مشهورة تقع في غربي جيحون على طريق القاصد الى بخارىٰ من مرو[6]. ولذلك فان ماقاله الخوارزمي في هذا البيت لايتناقض مع ماقاله الثعالبي من ان مولده ومنشأه بخوارزم فولادته في آمل بخوارزم لا آمل

---

١. الانساب المتفقة لابن القيسراني، ص ٩٦.
٢. الانساب للسمعاني، ٩ / ٣٨.
٣. اليتيمة ٤ / ٢٣٤.
٤. مجالس المؤمنين، ١ / ٩٨.
٥. الامثال للخوارزمي، المقدمة ص أ.
٦. معجم البلدان، ١ / ٥٨.

طبرستان.

اما قول الخوارزمي نفسه عن مولده ومسقط رأسه فاننا نجده في رسائله عندما يتحدث عن خوارزم يقول: «... في عشي الذي فيه درجت، وبيتي الذي منه خرجت ... في مسقط رأسي ومجمع اسرتي، ومقطع سرتي ... على اني حينما كنت تاجاً على خوارزم معقودا، وشرفاً لها معدوداً، ومشهداً فيها مشهوداً، ومقاماً من مقاماتها محموداً، وكل من رآني مدح بلداً كنت من أهله ..»[١] كما يقول في مكان آخر «... وتذممت من ان اعارض بلسان خوارزمي وعقل طبري وخاطر اعجمي..»[٢]. اذن ماقاله الخوارزمي في رسائله يتفق تماماً مع مانقله الثعالبي من ان مولده ومنشأه بخوارزم واصله من طبرستان، وهذا أيضاً يتفق مع ذلك البيت الذي ينسب اليه اذا علمنا ان اقليم خوارزم يحتوي على مدينة آمل ايضاً.

واستناداً الى ماذكرناه فان التبرير والتفسير الذي حاول الاعرجي ان يأتي به ليستدل على أن هذا البيت موضوع ومنتحل عن لسان الخوارزمي، متأثراً بما قاله ياقوت الحموي[٣] من ان الحنابلة قد وضعوا هذا البيت على لسان الخوارزمي وغرضهم في ذلك الوصول الى البيت الثاني وهو:

فَـــها أنـــا رافـــضي عـــن تـــراث وغـــيري رافـــضي عـــن كـــلالة

اذ يستطيعون بواسطته من اتهام الطبري بالتشيع وتبرير مااتخذوه ضده قبل ذلك[٤]، اقول هذا التفسير والتبرير مردود على هذا الاساس الذي وضحناه.

خؤولة الطبري له وتشيع الخوارزمي

أما المسألة الثانية التي تثار هنا والتي تناقلتها المصادر التاريخية هي خؤولة محمد بن جرير الطبري للخوارزمي[٥]. ولنا هنا وقفة مع هذه القضية.

اول من ذكر ان ابا بكر هو ابن اخت محمد بن جرير الحاكم النيشابوري في تاريخ نيشابور

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٢٢٩.
٢. المصدر السابق ص ٦٥.
٣. معجم البلدان، ١ / ٥٧.
٤. الكامل لابن الاثير ٥ / ٧٤.
٥. انظر على سبيل المثال: تاريخ نيشابور للحاكم ص ١٠٣؛ الانساب للسمعاني ٥ / ٢١٣؛ تاريخ بيهق ص ١٨٥ - ١٨٦؛ وفيات الاعيان ٤ / ١٩٢؛ سير اعلام النبلاء ص ٥٢٦؛ الوافي بالوفيات ٣ / ١٩٢؛ مرآة الجنان ٢ / ٤١٧.

وقد ذكر ذلك انه «ابن اخت محمد بن جرير» ولم يضف شيئاً من النسبة لمحمد بن جرير هذا. ثم لانجد في المصادر التاريخية والادبية الاخرىٰ التي عاصرت الخوارزمي وجاءت بعده اية اشارة الى هذه الخؤولة حتىٰ القرن السادس حينما نواجه السمعاني والبيهقي وهما يتحدثان عن هذه الخؤولة وينسبان محمد بن جرير الذي ذكره الحاكم الى الطبري ويحدّد انه بانه محمد بن جرير بن يزيد المؤرخ والمفسر والمشهور[١].

ثم نواجه ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) في شرحه لنهج البلاغة ينسب البتيين السالفي الذكر الى محمد بن جرير الطبري ويصرح بأنه «ليس هو محمد بن جرير صاحب «التاريخ»، بل هو من رجال الشيعة وأظن أن أمّه من بني جرير من مدينة آمل طبرستان، وبنو جرير الآمليون شيعة مستهترون بالتشيع»[٢]. اذن اصبحنا الآن أمام اثنين يسميان بنفس الاسم. ثم يأتي القاضي نور الله التستري[٣]. فيؤكد ان خال الخوارزمي ليس هو محمد بن جرير الطبري المؤرخ المشهور وانما هو محمد بن جرير الطبري المتكلم والذي هو من كبار رجال الكلام لدىٰ الامامية صاحب كتابي «المسترشد» و «الايضاح» في الامامة وقد عدّه العلامة الحلي من المقبولين في كتابه خلاصة الرجال. ثم يأتي الخوانساري في روضات الجنّات ويتعرض الى هذه القضية ويناقشها بتفصيل اكثر متحدثاً عن المصادر التي تتعرض للرجلين وعن خؤولة احدهما للخوارزمي[٤]، مبيناً رأيه في ترجيح خؤولة الطبري المؤرخ والمفسر المعروف للخوارزمي لان الخوانساري يعتقد بتشيع الطبري المذكور وبالتالي صحة انتساب الخوارزمي له[٥]. ثم يتعرض السيد محسن الامين في موضعين لهذه المسألة: الموضع الاول عند ترجمته لمحمد بن جرير الطبري[٦] والثاني عند ترجمته لابي بكر الخوارزمي ويقرر ان خاله هو محمد بن جرير بن رستم الطبري وهو غير صاحب التاريخ والتفسير وان الذي أوقع ياقوت الحموي في الاشتباه هو اتحاد الكنية والاسم والنسبة[٧]. ويتعرض صاحب كتاب تعليقات نقض الى هذه المسألة

---

١. تاريخ نيشابور للحاكم ص ١٠٣؛ السمعاني ٥ / ٢١٣؛ تاريخ بيهق ص ١٥٨ – ١٨٦.
٢. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ٢ / ٣٧.
٣. مجالس المؤمنين ١ / ٩٨.
٤. روضات الجنات، ٧ / ٢٧٩ – ٢٨١.
٥. المصدر السابق، ٧ / ٢٨٢.
٦. اعيان الشيعة ٩ / ١٩٩.
٧. المصدر السابق ٩ / ٣٧٧.

ويرجح خؤولة محمد بن جرير الطبري المؤرخ المشهور للخوارزمي[١].

اذن نحن – ومن خلال هذا الاستعراض التاريخي – أمام احتمالين:

١ – الاحتمال الاول هو خؤولة محمد بن جرير الطبري المؤرخ والمفسر المشهور للخوارزمي.

٢ – الاحتمال الثاني هو خؤولة محمد بن جرير بن رستم الطبري الامامي للخوارزمي[٢]:

ولكل من هذين الاحتمالين فريقه المؤيد من الباحثين على الرغم من ان اكثر المصادر التاريخية تؤيد الاحتمال الاول[٣].

ولابد لنا هنا من مناقشة الاحتمالين وبيان أيهما اقرب الى الواقع والحقيقة وعلينا في البداية مناقشة الاحتمال الاول:

١ – من ناحية المصادر التاريخية والادبية:

أ – لم تذكر المصادر التاريخية والادبية المعاصرة للخوارزمي شيئاً عن هذه الخؤولة الا ماذكره الحاكم النيشابوري دون اشارة الى اية نسبة. فالثعالبي الملازم للخوارزمي لم يشر الى هذه الخؤولة مطلقاً كما لم يشر تاريخ يميني الى هذه الظاهرة أيضاً.

ب – لم نعثر على اي قول واشارة في رسائل الخوارزمي الى هذه الخؤولة وبخاصة في المواقع التي يتحدث فيها عن نفسه وأصله ووالده. واذا كانت هذه الخؤولة صحيحة حقاً لكان المفروض بالخوارزمي ان يشير اليها عدة مرات وان يفتخر بها. فما المانع الذي كان يمنعه من ذلك؟! ربما يكون المانع الخوف من الحنابلة، ولكننا نعلم ان الغلبة لم تكن للحنابلة في البيئة التي

---

١. تعليقات نقض، ٢ / ٦٨٥.

٢. حول ترجمة هذه الشخصية راجع: رجال النجاشي: ابو العباس احمد بن علي النجاشي الاسدي الكوفي (٣٧٢ – ٤٥٠ هـ) تحقيق محمد جواد النائيني، ص ٢٨٩ وقد وقع المحقق في اشتباه وخلط عند التعليق عليه؛ طبقات اعلام الشيعة في القرن الرابع (نوابغ الرواة في رابعة المئات)، آقا بزرگ الطهراني، تحقيق علي نقي منزوي، ص ٢٥٠ – ٢٥٣؛ الذريعة الى تصانيف الشيعة، آقا بزرگ الطهراني، تنقيح احمد المنزوي، ٢١ / ٩ – ١٠؛ مقاله: ابن رستم طبري، احمد پاكتچي، دائرة المعارف بزرگ اسلامي، شماره ٣، تهران، ١٣٦٩ ش، ص ٥٥١ – ٥٥٣.

٣. انظر على سبيل المثال: الانساب للسمعاني ٥ / ٢١٣؛ تاريخ بيهق ص ١٨٥ – ١٨٦؛ وفيات الاعيان ٤ / ١٩٢؛ سير اعلام النبلاء ص ٥٢٦؛ الوافي بالوفيات ٣ / ١٩٢؛ مرآة الجنان ٢ / ٤١٧.

عاش فيها الخوارزمي بل كانت للحنفية والشافعية [١].

جـ - هذه الخؤولة للطبري المؤرخ المشهور تظهر في القرن السادس نقلاً عن الحاكم النيسابوري ولكن المختصر الذي بين ايدينا لتاريخ نيشابور يشير الى الخؤولة ولكن لايشير الى النسبة ولا الى اسم الجد، وهذه نقطة ضعف تترك بصماتها واضحة على هذه الخؤولة.

د ـ يفتخر البيهقي بهذه الخؤولة للخوارزمي لوجود نسبة بين ابن الخوارزمي والبيهقيين، فلماذا لم يفتخر الخوارزمي بهذه الخؤولة في رسائله وفي مجالسه، ولاينقل الثعالبي - الذي نقل كثيراً عن الخوارزمي ـ هذه الخؤولة.

هـ ـ لانجد اية اشارة الى هذه الخؤولة في المناظرات التي جرت بين الخوارزمي والبديع، كما ان ياقوت يكذب هذه الخؤولة.

٢ - من الناحية المنطقية والزمانية:

أ - يسوق محمد حسين الاعرجي دليلاً زمانياً حسابياً يفنّد من خلاله خؤولة الطبري المورخ سخورازمي نرىٰ من المناسب ذكره هنا في هذا المجال وخلاصته: ان اخت الطبري (ولادته في ٢٢٤ هـ) لو كانت تصغره باربعين سنة لكانت ولادتها سنة ٢٦٤ هـ ولكانت بلغت سن اليأس وهي في الخمسين من عمرها سنة ٣١٣ هـ قبل ان يولد ابو بكر باربع او تسع سنين (بموجب الروايتين المذكورتين سابقاً حول ولادته) [٢]. واذا اردنا ان نجاري المؤرخين على انها اخت الطبري وأنّها قد ولدته ولها من العمر اربع وخمسون او ستون سنة! فأيّ عاقل يقبل هذا؟ واذا افترضنا انها اخت الطبري من أم اخرىٰ، وأن جرير بن يزيد - أبا الطبري - قد تزوج زواجه الاول وهو في العشرين من أم اخرىٰ، ثم تزوج زواجه الثاني الذي أنجب منه أم الخوارزمي فمعنىٰ ذلك انه يكون قد انجبها وله من العمر اربع وتسعون سنة - هذا اذا كانت ام الخوازرمي قد تزوجت وهي ابنة ثلاث وعشرين سنة او تسع وعشرين سنة (بحسب، اختلاف ولادة الخوارزمي) - او أنجبها وقد جاوز المائة اذا كانت قد تزوجت وهي ابنة سبع عشرة سنة او عشرين سنة تقريباً، فاي عاقل يقبل هذا [٣]؟

---

١. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، ص ٣٢٣.

٢. الامثال للخوارزمي، المقدمة ص ج - د.

٣. الامثال للخوارزمي، المقدمة ص ج - د.

ب – ربما يكون الطبري هذا من اخوال أمه اي ليس خاله لَحّاً وما جاء في البيت الشعري المذكور لايتنافىٰ مع هذا، اذ هو لايصرح باسم خاله وانما يصرح بأن بني جرير أخواله.

جـ ـ لماذا يبتعد الخورازمي في شعره ذاك عن لفظة التشيع الى لفظة الرفض؟ أهو يريد ان يجيب من اتهمه بهذا الشيء ويريد ان يجاريه في لفظه؟ ام هناك شيء آخر؟ وبخاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان لفظة الرفض والروافض اطلقت على قوم من الشيعة تركوا بيعة زيد بن علي اي ان هذا الاصطلاح اطلقته الزيدية على الشيعة في البداية[1] ثم نُسي أصله بمرور الزمن واستخدمته الفرق الاسلامية الاخرىٰ ضد الشيعة. أترىٰ أن يَسِمَ أبا بكر نفسه بهذه السمة التي لايرتاح اليها الشيعي مطلقاً؟! او ان الضرورة الشعرية قد ساقته الى ذلك؟ هذا بالاضافة الى اننا لا نمتلك الدليل القاطع على كون الخوارزمي شيعياً إمامياً[2].

د ـ على الرغم من ان الخوارزمي كان عالماً بالانساب – كما صرحت المصادر بذلك – وكان يحاضر في هذا المجال، الا اننا لانجد نسباً له لا عن طريقه ولا عن طريق تلامذته كالثعالبي مثلاً.

أما مناقشة الإحتمال الثاني:

أ – نشأ هذا الاحتمال وبرز الى الوجود في عصر متأخر نسبياً يعود الى القرن الحادي عشر الهجري، فأول من انتبه وأشار اليه هو القاضي نور الله التستري (ت ١٠١٩ هـ) في مجالس المؤمنين ثم الخوانساري في روضات الجنات على الرغم من عدم تأييده لخؤولته للخوارزمي، ثم الامين في اعيان الشيعة. ولذلك فانه لايرقىٰ الى الاحتمال الاول من حيث عدد المصادر المشيرة اليه والمؤيدة له، كما ان تأخره النسبي يضعف من قوته الى حد ما.

ب ـ يستند الفريق المؤيد لهذا الاحتمال على تشيع الخوارزمي ويعتمد في ذلك بالدرجة الاولىٰ على رسالته التي بعث بها الى الشيعة في نيسابور. لذلك فانه حاول تفسير البيتين المذكورين بشكل يتطابق مع تشيع الخوارزمي وتشيع خاله وبخاصة اتحاد الرجلين في الاسم

---

١. لسان العرب ٧ / ١٥٧.

٢. يصرح الاعرجي في مقدمته لكتاب الامثال بكون الخوارزمي شيعياً امامياً (ص ج) ويستدل على ذلك برسالته التي وجهها الى الشيعة بنيسابور على اننا لانمتلك الدليل القاطع في تلك الرسالة على كونه من الشيعة الامامية الاثني عشرية وسنوضح ذلك فيما بعد.

والكنية والنسبة.

جـ ـ لايملك الفريق المؤيد لهذا الاحتمال اي دليل تاريخي له، بل ان الاساس الذي يعتمده في بناء هذا الاحتمال هو البيتان المذكوران سابقاً، فاذا ماانهار ذلك الاساس، انهار هذا الاحتمال لانه بالاضافة الى ذلك لايمتلك معلومات كاملة عن محمد بن جرير بن رستم الطبري الامامي، لا عن ولادته ولا عن وفاته ولا عن تفصيلات حياته، وانما يكتفي بالقول بانه كان معاصراً تقريباً لمحمد بن جرير الطبري المؤرخ. وهذا كله يساهم في إضعاف هذا الاحتمال.

د ـ اذا كان الطبري الامامي هذا معاصراً للطبري المؤرخ المشهور فان الفرضيات الزمنية والمنطقية التي ساقها الاعرجي لتفنيد الاحتمال الاول تصدق وتصلح لتفنيد هذا الاحتمال ايضاً.

هـ ـ ان الطبري المؤرخ كان يعيش في بغداد بعيداً عن طبرستان وخراسان ولا أظن ان له اتباعاً كانوا في خراسان في تلك الفترة. اما الطبري الامامي هذا فقد كانت الدلائل تشير الى حياته في طبرستان في الفترة التي كان العلويون يسيطرون على الحكم هناك (٢٥٠ – ٣١٦هـ)[١]، وربما كان مشهوراً آنذاك، وهذا مما يقوي الاحتمال الثاني، وربما اشار الخوارزمي اليه في البيتين المذكورين آنفاً.

و ـ ومع كل هذا فانّ نسبة الخوارزمي الرفض اليه تبقىٰ محل شك وريبة وترديد لانها ليست من الصفات التي يصف الشيعي فيها نفسه، او يرتاح اليها، وهذه النسبة تبقىٰ نقطة ضعف تنخر باستمرار في الاحتمالين على السواء.

ز ـ نحن لا نمتلك أدلة قاطعة كافية تؤيد اعتناق الخوارزمي للمذهب الشيعي الامامي الاثني عشري حتىٰ ينبري بعض العلماء الشيعة لتبرير هذه الخؤولة. ويبدو أنّ هذين البيتين كانا مشهورين الى الحد الذي لم يتطرق الشك اليهما وانما تطرق الشك الى النسبة فيهما. اما بالنسبة الى تشيع الخوارزمي وهل انه كان شيعياً زيدياً او اسماعيلياً او اثني عشرياً فاننا لا نمتلك نصاً واضحاً يدل على ذلك، وانما نستطيع من خلال رسائله ان نتوصل الى بعض الاحتمالات.

واننا في البداية سنورد بعض النصوص له لعلها تسلط بعض الاضواء على اتجاهه العقائدي المذهبي.

---

١. دائرة المعارف بزرگ اسلامي، ج ٣، ص ٥٥١.

عند استقرائنا لرسائله نجد أنه استخدم عبارات وجمل لو وضعنا بعضها الى جانب بعض لأمكننا ان نتوصل الى الحقائق:

١ - «... المال أيدك الله تعالىٰ حطام ينقص ثم يزيد، وظل ينحسر ثم يعود، والشيخ يقضيه قول أمير المؤمنين رضي الله تعالىٰ عنه «قيمة كل امرىء ما يحسنه[١]».

٢ - «... فان كون مثله في ابي طالب، رغم لأنوف النواصب، وهيهات لقد اعظمت غلطا، وسألت الله شططا، فنجمنا معاشر الشيعة أنحس، وحظنا من الاقبال أبخس، من ان يفلح في الدنيا طالبي ،او يسقي فيها ناصبي...[٢]».

٣ - «... بل كما قالت الست سكينة بنت أمير المؤمنين الحسين رضي الله تعالىٰ عنهما، كنت احسن من السماء، واعذب من الماء...[٣]».

٤ - «...وأقل ما جنته عليّ غيبته أني كنت معتزلياً، فصرتُ مزجياً وقاطعاً على صحة مذهبي، فعدت به واقعياً، هذه اصغر جنايات فراقه عليّ...[٤]».

٥ - «... لا بل هلا حسدهم على ان فيما بينهم مشهد امير المؤمنين سيد الاوصياء، ومشهد الحسين سيد الشهداء، وهلا حسدهم على ان ارضهم واسعة العمارة في خط الاعتدال...[٥]».

٦ - «... وانا اقول مكافياً لا مبارياً، ومتابعاً لا موازياً، اعتدادي بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بي اعتداد الصحابة بالنبي عليه السلام، واعتداد الشيعة بالوصي، واعتداد المعتزلة بالحسن البصري، واعتداد الحجازيين بالشافعي، واعتداد الزيدية بزيد رضي الله تعالىٰ عنه، واعتداد الامامية بالمهدي، لا بل اعتداد العاشق باللقا...[٦]».

٧ - «... واذا نظرت اليها فيومي سعيد، بل عيد، وفصلي مربع بل ربيع، واذا تصبحت بها تصبحت بالنظر الى النبي والوصي عليهما السلام والى البتول ابنة الرسول، والى السبطين الشهيدين الحسن والحسين، والى السجاد زين العابدين صلوات الله تعالىٰ عليهم أجمعين...[٧]».

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص٤١.
٢. المصدر السابق، ص ٤٩ - ٥٠.
٣. المصدر السابق، ص ٥١.
٤. المصدر السابق، ص ٥٦.
٥. المصدر السابق، ص ٦٥.
٦. المصدر السابق، ص٨١.
٧. المصدر السابق، ص ٨١ - ٨٢.

٨ – «...وتلحقه بالنبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وعترته، وبمواليه وشيعته، ليرتع معه في روضه، ويشرب بيده من حوضه...[١]».

٩ – «... وصنّفت فيه ما صنّفه الجاحظ في محاسن احمد بن ابي داود الايادي، واغرقتُ اغراق الامامية في المهدي، وفضلته تفضيل الشيعة للوصي عليه السلام...[٢]».

١٠ – «... فجاء اسمي من جريدة الموتىٰ، ورجعت الى الاولىٰ من الاخرىٰ، وعاش الامل، ومات الوجل، ولولا أني معتزلي لقلت تأخر الاجل...[٣]».

١١ – «... فاذا كنّا شيعة أئمتنا في الفرائض والسنن، ومتّبعي آثارهم في كلّ قبيح وحسن فينبغي ان نتّبع آثارهم في المحن، غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها وعلى آلها ميراث أبيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة، واخر امير المؤمنين عن الخلافة، وسم الحسن رضي الله عنه سراً، وقتل أخوه كرم الله وجهه جهرا، وصلب زيد بن علي بالكناسة، وقطع رأس زيد بن علي في المعركة، وقتل ابناه محمد وابراهيم على يد عيسىٰ بن موسىٰ العباسي، ومات موسىٰ بن جعفر في حبس، وسم علي بن موسى بيد المأمون...[٤]».

١٢ – «... داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة، ونَفىٰ أبا ذر الغفاري الى الربذة واشخص عامر بن عبد قيس التميمي، وغرب الاشتر النخعي...[٥]».

١٣ – «... حتى اذا اراد الله أن يختم مدتهم بأكثر آثامهم، ويجعل اعظم ذنوبهم في آخر أيامهم، بعث على بقية الحق المهمل والدين المعطل، زيد بن علي، فخذله منافقوا اهل العراق، وقتله احزاب اهل الشام، وقتل معه من شيعته نشر بن خزيمة الاسدي، ومعاوية بن اسحاق الانصاري وجماعة ممن شايعه وتابعه وحتىٰ من زوجه وادناه وحتى من كلمه وماشاه، فلما انتهكوا ذلك الحريم، واقترفوا ذلك الاثم العظيم، غضب الله عليهم، وانتزع الملك منهم...[٦]».

١٤ – «...ولا يخفىٰ عليكم حرج عامتهم وحيرتهم كجابر الجعفي، وكرشيد الهجري، وكزرارة بن اعين وكفلان وابي فلان، ليس الا أنهم رحمهم الله كانوا يتولون اولياء الله،

---

١. المصدر السابق، ص ١١٦.
٢. المصدر السابق، ١٢١.
٣. المصدر السابق، ص / ١٣٥.
٤. المصدر السابق، ص ١٦١.
٥. المصدر السابق، ص ١٦٢.
٦. المصدر السابق، ص ١٦٤.

ويتبرّؤون من اعداء الله...[١]».

١٥ – «...ونسأله ان لايكلنا الى أنفسنا، ولا يحاسبنا على مقتضىٰ عملنا، وان يفيدنا من رعونة الحشوية ومن لجاج الحرورية، وشك الواقفية، وارجاء الحنفية، وتخالف اقوال الشافعية، ومكابرة البكرية، ونصب المالكية، واجبار الجهمية والبخارية، وكسل الراوندية، وروايات الكيسانية، وجحد العثمانية، وتشبيه الحنبلية، وكذب الغلاة الخطابية، وان لا يحشرنا على نصب اصفهاني، ولا على بغض لاهل البيت طوسي ... ولا على تشبيه قمي ... ولا غلو في التشيع كرخي ...[٢]».

١٦ – «... ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه زدت فيها سن المنعة...[٣]».

ومن استقرائنا لهذه النصوص المقتبسة من رسائل الخوارزمي، يمكن لنا ان نسجل الملاحظات الآتية:

١ – ان الخوارزمي لم يتعرض أبداً للخليفة الاول والثاني بشكل صريح. بل انه تعرض بشكل غير مباشر حينما اشار الى غصب فاطمة حقها والى تأخير علي عن الخلافة.

٢ – انه يتعرض بشكل مباشر الى الخليفة الثالث عثمان منتقداً اعماله ضد بعض الصحابة.

٣ – لكننا نجد في شعره تعريضاً بالخلفاء الثلاثة[٤]:

اذا أعوز الفقّاع لما طلبتُهُ هجوتُ عتيقاً والدَّ لام ونعثلا

كما نجد في مقابل هذا البيت بيتاً آخر يتعرض فيه للحسن والحسين عليهما السلام[٥]:

سقاني الوجهُ الحَسَن كأساً فخلّيتُ الرَّسَن
وصار عندي حسناً قتلُ الحسينِ والحسن

وهذا يعني ان الشاعر في شعره ولهوه تصدر عنه اشياء لا يمكن محاسبته عليها، ولكن نثره ورسائله لها حساب آخر، لأنها تُكتب وصاحبها يتحمل مسؤولية كتابتها، ويعي مايقول، غير ان الظروف التي أنشد خلالها الابيات السالفة قد وُصِفَتْ بأنه لم يكن في حالة من الوعي

١. المصدر السابق، ص ١٦٥.
٢. المصدر السابق، ص ١٧١ – ١٧٢.
٣. المصدر السابق، ص ٢٣٧.
٤. القطعة: ١٧٣ / ١.
٥. القطعة: ٢٢٩ / ١ – ٢.

كاملة. ولكن مع هذا لو كان الشاعر شيعياً ملتزماً، لما أباح لنفسه أبداً ان يقول ما قاله في الحسن والحسين عليهما السلام.

٤ – نراه يكرر عبارة «رضي الله عنه» عند ذكر امير المؤمنين علي عليه السلام او ابنه الحسن او الحسين وهذا ليس مألوفاً لدىٰ الشيعة الاثنىٰ عشرية. ولو اننا نراه بعض الاحيان يستخدم كلمة «عليه السلام» عند ذكره علياً أو الحسين عليهما السلام[1].

٥ – نجد لدىٰ الخوارزمي نوعاً من الاهتمام بزيد بن علي (رض)، عند ذكره الى جانب ذكر المهدي، وعدم ذكره اي عبارة تجليل للمهدي (راجع الفقرة ٦)، وهذا امر غير مألوف لدىٰ الشيعة الامامية الاثنىٰ عشرية.

٦ – نجد الخوارزمي عند ذكره مشاهد الائمة في العراق يكتفي بالاشارة الى مشهد علي والحسين عليهما السلام ولا نجد له أيّة اشارة الى الجوادين في الكاظمية ولا الى العسكريين في سامراء.

٧ – عند قراءتنا للفقرة (٧) نرىٰ ذكره للنبي والوصي والبتول والسبطين وزين العابدين فقط ولا يتعداهم الى ذكر الائمة الآخرين.

٨ – لم نعثر على اسم لبقية الائمة الاثني عشر بعد زين العابدين الا مرة واحدة حين ذكر حبس موسىٰ بن جعفر وسم الرضا من دون ان يردف اسميهما بعبارة تجليل اعتاد الشيعة وضعها وهي (عليه السلام) او ذكر كلمة الامام أمامهما.

٩ – لا نجد اي ذكر للامام الصادق والجواد والهادي والحسن العسكري في رسائله مطلقاً.

١٠ – نراه ينتقد مركزين للشيعة آنذاك وهي مدينة قم بايران ومحلة الكرخ ببغداد وقد اثارت عبارته تلك صاحب كتاب «شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور» فاشار اليها قائلاً «لم أفهم نسبة التشبيه الى اهل قم وهي وجوه اهل الايمان ومعتمد ثقلهم مدىٰ الاعصار والزمان، وكذا رمي الكرخيين بالغلو مع ان جمهورهم من الطبقة العالية من الشيعة، كيف لا وقد تابعهم المشايخ الثلاثة الذين بهم قام عماد الاسلام[2]». ويقصد بهم المفيد والمرتضىٰ والطوسي.

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

٢. شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور، ص ٣٤٩.

١١ – يعتبر الخوارزمي قتل زيد وصلبه من قبل الامويين اثماً عظيماً كان السبب في غضب الله عليهم وانتزاع الملك من أيديهم.

١٢ – يعد الخوارزمي نهضة زيد هي لاحياء الحق المهمل والدين المعطل. وهكذا نشم هذه الرائحة الزيدية من عباراته وهذا التبجيل الذي يضفيه على زيد (رض) ما لا يضفيه على ائمة الشيعة الاثني عشر غير علي والسبطين عليهما السلام.

١٣ – ومما يثير العجب أننا لا نجد اي ذكر للباقر والصادق عليهما السلام اللذين كان لهما دور كبير في احياء التراث الشيعي الامامي الاثني عشري. كما لا نجد اي حديث عن غيبة المهدي وبيان اسبابها والاشارة الى ظهوره آخر الزمان ليملأالارض عدلاً وقسطاً وبخاصة في المواقع التي يوصيهم بالصبر على المحن والبلايا، بل كل ما يذكره عن المهدي يرتبط بغلو الشيعة فيه وهذا ما لا نعهده ولا نألفه لدىٰ الشيعة الاثني عشرية.

١٤ – ان الخوارزمي لا يتحدث عن اغتصاب حق علي في الخلافة عندما يتحدث عن يوم السقيفة، بل يشير الى تأخيره وهذه العبارة تنسجم مع ما يعتقده الزيدية من جواز تقديم المفضول على الفاضل.

١٥ – يشير الخوارزمي في احدىٰ عباراته الى كونه معتزلياً.

١٦ – لا ندري هل ان عدم اشارة الخوارزمي الى ائمة الشيعة كالباقر والصادق والجواد والهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام – على الرغم من الاشارة الى بعض اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام – كان من باب التقية لانه كان يعاصر البويهيين ويواليهم كما اشار ابن شهرآشوب اليه اذ عدّه من جملة الشعراء الذين يعملون بالتقية[1]، والبويهيّون شيعة زيدية كما هو المشهور عنهم لتأثرهم في بداية امرهم بالعلوية في طبرستان[2]، أو ان ايمانه المذهبي كان في هذا الاتجاه؟ هذا ما لا نمتلك الجواب القاطع عليه، لاننا وكما قلنا نستطيع أن نستنتج بعض الاحتمالات ولا نستطيع ان نبتّ بها بشكل حاسم اذ لا نمتلك الادلة التاريخية الكافية والكاملة.

١٧ – هذا بالاضافة الى اننا لم نعثر حتى على بيت واحد للخوارزمي في مدح أهل البيت

---

١. معالم العلماء لابن شهرآشوب، ص ١٥٢. ٢. الكامل لابن الاثير، ٤ / ٣٦٤.

والائمة الاثني عشر، وعلى الرغم من أن هذا لا يمكن ان يعتبر دليلاً على عدم تشيّعه، اذ أجمعت المصادر على ذلك، كما اننا لا نمتلك ديوانه كاملاً بين أيدينا؛ ولكن هذه الظاهرة يمكن ان تسوقنا الى هذا الاتجاه وهو أنه لم يكن من المهتمين بانشاد مثل هذه الابيات، اذ لو كانت كثيرة لاشار اليها المؤلفون الشيعة كدليل على تشيعه وموالاته، ولأشار اليها غير الشيعة كدليل على رافضيته وغلوّه كما هو الحال بالنسبة الى البيتين المذكورين.

١٨ – اذا وضعنا الى جانب كل هذه النصوص والملاحظات ما صرح به صاحب كتاب «نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر» من ان الخوارزمي كان من كبار الزيدية[١]، فان احتمال كونه زيدياً يرجح على احتمال كونه شيعياً اسماعيلياً او اثني عشرياً.

من كل ما سبق، لا نستطيع ترجيح تشيع الخوارزمي الامامي الاثني عشري، بل ربما ترجح كفة تشيعه الزيدي على سواها، واذا كان الأمر كذلك فان الاحتمال الثاني الذي سبق ان ذكرناهُ وناقشناهُ، سوف ينهار، وبالتالي فان خؤولة الطبري الشيعي الامامي استناداً الى البيتين المذكورين هي الأخرىٰ سوف تنهار أيضاً. كما ان الاحتمال الاول هو الآخر لا يمتلك الادلة التاريخية والمنطقية ليبقىٰ قائماً ثابتاً. وعلى هذا الاساس فان هذه الخؤولة المباشرة للخوارزمي لا نستطيع ان نتيقن منها، بل نستطيع القول – اذا سلمنا بصحة ذينك البيتين – انها خؤولة غير مباشرة، ويقوىٰ احتمال خؤولة الطبري المؤرخ المشهور غير المباشرة للخوارزمي، وكأن الخوارزمي يشير الى انّ الطبري على الرغم من انه لم يكن شيعياً لكنه كانت له آراؤه الخاصة في علي عليه السلام بواسطة تأليف كتاب الغدير وشرحه المسمىٰ «بالولاية»، كما انه لم يتبع احد المذاهب الاربعة[٢]، وهذا مما دفع الحنابلة وغيرهم الى اتهامه بالرفض، فاذا كان الرفض ذلك، فان الخوارزمي رافضي أيضاً لانه يؤمن بحق علي يوم الغدير، لا سيما أن بني جرير من طبرستان وأن أم الخوارزمي طبرستانية، والطبرستانيون كانوا شيعة، فان هذا الاعتقاد الذي يؤمن به الخوارزمي لم يأته عن أبيه لانه خوارزمي وخوارزم لم تشتهر في التاريخ بكونها بيئة شيعية، بل جاءه عن اقارب أمه (عن كلالة).

هذا هو التفسير الذي نستطيع ان نقرره – اذا سلمنا بصحة البيتين المذكورين –؛ اما اذا لم

---

١. ٢ / ٣٧٥.　　٢. روضات الجنات ٧ / ٢٨٢.

نسلم بصحة البيتين المذكورين في نسبتها الى الخوارزمي فان كل هذا البناء الخؤولي ينهار من الاساس.

ونظراً لشيوع ذكر هذين البيتين في المصادر التاريخية ونسبتها الى الخوارزمي فاننا نميل الى تصديق نسبتها مع التفسير الذي اوردناه آنفاً وبخاصة اذا أضفنا اليه ان الخوارزمي ربما لم يكن شيعياً في بدايه أمره وانما اتجه هذا الاتجاه بعد ذهابه الى البيئة الحمدانية الشيعية وتأثر بها في الجانب الادبي - كما يصرح هو بذلك - وربما ان ذلك التأثير قد تجاوز الجانب الادبي الى الجانب العقائدي أيضاً فكانت النتيجة التي قررناها آنفاً.

اسـرتـه

اذن، فالخوارزمي ولد بآمل خوارزم في أسرة يبدو أنها كانت موسرة غنية، كما يبدو ان والده فارق الحياة في سن مبكرة للخوارزمي، وهذا ما نستطيع ان نستنطق الخوارزمي فيه عبر رسائله اذ يقول: «... ان والدي رحمه الله تعالىٰ خلف علي ما لو خلفه على أهل بلد لكفاهم، ولو فرقه على فقراء الدنيا لأغناهم[١]». ولكننا لا نمتلك في المصادر التي ترجمت له اية تفصيلات عن طفولته ونشأته، كما اننا لم نستطع الوقوف عليهما من خلال أدبه المنثور والمنظوم الموجود بين أيدينا، ولذلك فاننا نستطيع القول بكل ثقة واطمئنان، انه ليس في مقدور الباحث ان يحدد ويرسم بدقة معالم هذه الحقبة من حياته تحديداً دقيقاً.

ولكننا نستطيع ان نستنتج ان من يولد في مثل هذه الاسرة الموسرة الغنية لابد وأن يُهتم بتربيته وتعليمه، ولذلك فاننا نجده عندما غادر موطنه كان «قويَّ المعرفة، قويم الادب، نافذ القريحة، حسن الشعر[٢]». ولكنه لماذا غادر وطنه وهو لما يزل في ريعان عمره وحداثة سنّه[٣]»؟ لم تتحدث المصادر التاريخية التي ترجمت له عن ذلك. ولكننا نستطيع ان نستنطق الخوارزمي ليتحدث لنا بنفسه عن العوامل التي دعته لمفارقة وطنه ومسقط رأسه قائلاً «فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاتلني جهراً، وتخاتلني سراً، حتى خرجت منها اعرىٰ من حية، بعدما كنت اكسىٰ من بصلة، وأفقر من الحجر بعدما كنت أغنىٰ من الكعبة، وأعطل من المحرم بعدما كنت

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٢٢٩.
٢. اليتيمة ٤ / ٢٣٤.
٣. اليتيمة ٤ / ٢٣٤.

احلىٰ من الشمسة قد كسرت كسر الجوز، وقشرت قشر اللوز، وجرىٰ عليّ في مسقط رأسي ومجمع اسرتي، ومقطع سرتي من العزم الثقيل ما كان من الثقل اثقل، ومن الذل الطويل ما كان من الطول أطول، ومر على رأسي ما لو مرّ على رأس الشاب لشاب، ولو نزل بالحديد لذاب[1]»
فهذه الظروف هي التي اجبرته على مغادرة وطنه ومسقط رأسه. ولانجد اشارة الى التعلم والاستفادة كسبب من اسباب الهجرة هذه، لا سيما وأنه في بلده ومسقط راسه قد تفتحت قريحته الشعرية ودفعته الى ان يتحكك باللحام الشاعر ويقول فيه:

رأيتُ للّحام في حلقه	للشعر تطبيقاً وتجنيسا
نخوة فرعون ولكنّه	جانَسَ في حمل العصا موسى
قرينة ابليس لكنّه	خالف في السجدة ابليسا

وكان الهدف الذي يستهدفه هو فتح باب الى مهاجاته، غير ان اللحام لم يجبه ولم يعتنِ به[2].

هذا بالاضافة الى انه كان في عنفوان شبابه يهاجي ويباري اباالقاسم احمد بن ابي ضرغام احد شعراء خوارزم المفلقين[3]. من هذا نستنتج ان الخوارزمي قد بلغ مرحلة من النضج الادبي والعلمي ولذلك نراه يدعي انه عندما كان بالعراق كان مفيداً لامستفيداً[4]. اذن فالعوامل الشخصية والسياسية كانت السبب في مغادرته بلاده، لا سيما واننا نراه في مكان آخر يوضح هذه الأسباب ويعددها ويحددها بأربعة اسباب تقرب عليه الممات وتقطع عنه علائق الحياة وهي:

١ ـ خصم فاجر.
٢ ـ سلطان جائر.
٣ ـ بخت عاثر.
٤ ـ زمان غادر.

لذلك فهو دائماً يؤثر الغربة على وطن ينال فيه الاذى، ويختار الظمأ على شراب فيه القذىٰ،

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٢٢٩.
٢. اليتيمة ٤، ١١٦.
٣. اليتيمة ٤ / ٢٩١.
٤. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ١٥٦.

ويفارق دار الهوان[١].

هجرة الخوارزمي وتنقّله:

اذن هذه الظروف التي احاطته واجبرته على الافتقار بعد غنىً، قد دفعته الىٰ الارتحال عن خوارزم فيمّم وجهه شطر العراق وتوجه الى بغداد فاستقر بها، وتتلمذ هناك علىٰ ابي علي اسماعيل بن محمد الصفار والقاضي ابي بكر احمد بن كامل السنجري وغيرهما[٢] ممن لانعرف عنهم شيئاً.

ومن اختصاص هذين الرجلين نستطيع أن نتعرف علىٰ الاتجاه العلمي الذي كان الخوارزمي يتابعه .. فالصفار كان عالماً بغريب اللغة والحديث[٣] والقاضي السنجري كان عالماً بالاحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر وأيام الناس وتواريخ اصحاب الحديث[٤] واذا اخذنا بنظر الاعتبار ما ذكره الحاكم النيسابوري عنه من انه كان يحيره في حفظ الاسامي والكنى والانساب[٥]، وانه كان حافظاً للغة عارفاً باصولها شاعراً مفلقا[٦]، وما تركه الخوارزمي لنا من شعر ورسائل وكتاب في الامثال لا ستطعنا ان ندرك اي العلوم ارادها ببغداد واي اتجاه علمي سار عليه الخوارزمي هناك وهذه التي اهتم بدراستها هناك هي الشعر والنحو وأيام الناس وانساب العرب. فالشعر والنحو كانا من اختصاصاته طول فترة حياته واما علمه في ايام الناس فيظهر واضحاً في كتابه «الامثال» اما أنساب العرب فحديثه فيها يحير العلماء من أمثال الحاكم النيسابوري مما جعله البعض إماماً فيها[٧]. اذن ما أخذه الخوارزمي عن هذين العالمين الفاضلين هذه العلوم وهذا لايعني انه لم يهتم بعلوم القرآن او الحديث بل ان الحاكم النيسابوري كان: يذكر سماعه الحديث عنه.

وعن هذه الفترة لانعرف شيئاً غير ذلك إلا زمالة ابي الحسن عبد العزيز بن احمد الخرازي

---

١. المصدر السابق ص ١٨.
٢. الانساب للسمعاني ٥ / ٢١٤. نقلاً عن الحاكم النيسابوري.
٣. كشف الظنون: ١ / ٥٨٦.
٤. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤ / ٣٥٧.
٥. الانساب للسمعاني ٥ / ٢١٤.
٦. المصدر السابق ٣٨/٩
٧. شذرات الذهب لابن العماد ٣ / ١٠٥.

(ت ٣٩١ هـ) من أهل بغداد له والذي ولي فيما بعد القضاء بالجانب الشرقي منها، وكان فاضلاً حسن النظر، جيد الكلام على مذهب داود بن علي الظاهري ويبدو ان الخوارزمي كان يجالسه ويحضر مناظراته وكان يقول: ما رأيت الخرازي كلّم خصماً له وناظر قط فانقطع.[١]

بقي ان نعرف ونحدد الفترة التي قضاها الخوارزمي في بغداد قبل ان يرحل الى الشام. ونستطيع ان نقول انها محصورة بين سنة ٣٤٠ هـ لان أبا علي الصفار احد شيوخ الخوارزمي كان قد توفي سنة ٣٤١ هـ[٢] وهذا يعني ان الخوارزمي كان قد وصل بغداد قبل هذا التاريخ وبقي فترة يتتلمذ على يد الصفار حتىٰ استطاع ان يروي عن استاذه. كما ان المتنبي غادر سيف الدولة في حلب الى كافور في مصر سنة ٣٤٦ هـ وان الخوارزمي كان قد التقىٰ به وزاره في بيته بحلب[٣]. فلابد ان يكون الخوارزمي قد وصل حلب في تلك السنة او التي سبقتها. ولا نمتلك شيئاً آخر عن الفترة التي قضاها في بغداد، ولا هو يحدثنا عنها لا في رسائله ولا في شعره.

ووصل الخورازمي بلاد الشام قبل سنة ٣٤٦ واقام بها مدة ثم اتجه الى حلب وسكن نواحيها[٤] ولقي سيف الدولة وخدمه واستفاد من يمن حضرته[٥] ولعل الناحية المهمة في هذه الفترة، مشاركة الخوارزمي في الندوة العلمية لسيف الدولة والتي كان يحضرها أركان العلم والادب والشعر آنذاك، امثال ابن خالويه وابي الحسن الشمشاطي وغيرهما من أئمة الادباء، وابي الطيب المتنبي وابي العباس النامي وغيرهما من فحول الشعراء وهو ينهل من هذه الغدوة، بين علم يدرسه، وأدب يقتبسه، ومحاسن الفاظ يستفيدها، وشوارد اشعار يصيدها، ساهمت جميعها في فتق قلبه، وصقل ذهنه، وارهاف حد لسانه، وبلغت به المستوىٰ الذي وصل اليه، اذ كان كثيراً ماينشد الثعالبي تلميذه فيما بعد من تلك الطرائف الشامية واللطائف الحلبية وتلك الغرر التي تجري مجرىٰ السحر، والملح التي يقطر منها ماء الظرف[٦] فالخوارزمي اذن قد استفاد من هؤلاء جميعاً عندما كان شاباً عوده رطب ومنهل صباه عذب، وتركت هذه الايام اثرها في حياته، حتىٰ انه كان يتذكرها و يحن اليها و يتحسر عليها. فقد سُلب تلك الايام سلباً،

---

١. الانساب للسمعاني ٨٨/٥ والذي حملنا على القول بزمالته، سنة وفاته، اذ توفي بعد الخوارزمي بثماني سنوات تقريباً مما يدل على تقارب سنّهما.

٢. نزهة الالباء: لابن الانباري ص ١٥٥.

٣. اليتيمة ١ / ١٤٩ – ١٥٠.

٤. وفيات الاعيان ١ ٤٠١.

٥. اليتيمة ٢٣٤/٤.

٦. اليتيمة ٣٥/١ـ٣٦.

ونزعت من يديه غصباً، فكأنه كان يقطع تلك الفترة وثباً[١]. واستفاد ابو بكر الخوارزمي من ابن خالويه علمه بالنحو واللغة[٢] ومن ابي الحسن الشمشاطي علي بن محمد مؤلف «الانوار في محاسن الاشعار» و «اخبار ابي تمام و المختار من شعره» و « تفضيل ابي نواس على ابي تمام» و «و مختصر تاريخ الطبري»[٣] علمه بشعر المحدثين والتاريخ ومن المتنبي، الشعر والادب. و لذلك فاننا نستطيع ان نعّد هؤلاء من جملة اساتذته[٤].

ولم تكن اتصالات ابي‌بكر الخوارزمي في حلب والشام تقتصر على هؤلاء الذين ذكرناهم، وانما امتدت لتشمل شعراء الشام والشعراء الطارئين عليها كأبي الفتح البكتمري المعروف بابن الكاتب الشامي وابي الفرج العجلي الكاتب وابي الحسين الناشئ الاصغر وابي عبد الله المعروف بالخليع الشامي وابي الفرج محمد بن احمد الغني الدمشقي الملقّب بالوأواء و التـلعفري وعـبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي[٥] حيث كانوا ينشدون اشعارهم له، فيحفظ مايشاء منها ومـا يتذوقه ويرويها في مجالس درسه بنيسابور و بلغ به الامر انه انفرد من بين علماء نيسابور برواية اشعار بعضهم كأبي طالب الرقي[٦].

على ان حياة الخوارزمي في العراق والشام وهو في عنفوان شبابه – لم تكن مقتصرة على طلب العلم ولم تكن تتصف بالجد كلها؛ بل نراه قد غشي مجالس المغنين أيضاً ونادم الشطار والعيّارين وتحدث مع السؤّال والسابلة وقد مكّنه ذلك من تأليف كـتاب «الامـثال» الذي التقطها من افواه الكتاب في الدواوين، والتجّار في الاسواق، والغرباء في الاسفار، والخلفاء في مجالس الطرب، والمتكلمين في مجالس الجدل، والشعراء في مواضع المبادهة والمناداة، والملوك والعمال في مجالس الخلوة والمنادمة.[٧]

وهذه الامثال قد استحدثها ابناء الدولة العباسية من اهل بـغداد وغـيرها مـن العـراق،

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي ص ٢١٨. ٢. نزهة الالباء لابن الانباري ص ٢١٤.
٣. الاعلام للزركلي ٣٢٥/٤.
٤. لقد زعم الدكتور البصير في كتابه «في الادب العباسي» انه، لسوء الحظ لايعرف احداً من اساتذته. ص ٦٤.
٥. اليتيمة ١/ ١٣٣، ١٣٥، ٢٨٨، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٩، ٣٥٥.
٦. المصدر السابق ٣٤٦/١. ٧. الامثال للخوارزمي، ص ٥.

ودمشق، وذواتها من الحجاز،[١] كما أنّ هذا الكتاب قد التقط من افواه الشطّار والعيارين، وجمع في مجالس المغنين والمضحكين، و روي من البمّ والزّير، وحَصَل في أثناء البرابط والمزامير، وسمع اكثر مافيه من السؤال والسابلة، و تلقّف من كلام الظّرفاء والصوفية[٢].

هذه العبارات تسلط لنا الاضواء علىٰ الحياة الاجتماعية للخوارزمي في العراق وبلاد الشام و كيف كان يقضي حياته وأيامه في تلك الفترة، اذ لم تكن ارتياد مجالس العلم والادب فحسب، بل كانت تشمل ارتياد مجالس أخرىٰ كانت قائمة في المجتمع آنذاك. ونستطيع القول ان الخوارزمي بارتياده كل هذه المجالس و المنتديات في تلك الفترة قد عمل على انضاج شخصيته و اكتمالها، وألم بكل ألوان المتع و اللهو التي كانت سائدة آنذاك. ولكنه ليس كغيره ـ كما يبدو ـ يعيش لحظات اللهو واللذة الصرفة، بل نراه يستثمرها و يستفيد منها، ليستخلص منها ما يضعه في تضاعيف كتابه «الامثال».

ان ارتياد الخوارزمي كل انواع تلك المجالس يدل على نشاطه المستمر في فترة شبابه، و على طموحه الذي لا يتوقف عند حد، بل يريد أن يفهم كل ما في الحياة من ألوان المعرفة والجد والهزل والمتع. ولكن الذي يستوقفنا هنا ويثير سؤالنا هو لماذا لا نجد عطاءً للخوارزمي في هذه الفترة من شعر او نثر؟ ثم لماذا لايواصل الخوارزمي اقامته بالشام، ويرحل عنها عائداً الى خراسان وماوراءالنهر؟ والجواب عن ذلك فيما أظن، يكمن في الطموح الذي كان يراود الخوارزمي من جهة، وفي المكانة الواقعية التي كان يحتلها والتي لم تكن لترقىٰ الىٰ مستوىٰ الطموح الذي كان عليه. فحياته في الشام و في ذلك المجتمع الملیء بكبار العلماء والشعراء والادباء، الى جانب اساتذته الذين تتلمذ على ايديهم، لم تكن لتمنحه الفرصة لتحقيق أماله وطموحاته، كما ويبدو ان مستوىٰ ادبه وشعره آنذاك لم يكونا قد بلغا مرحلة تؤهله لأن يدلو بدلوه في ذلك الوسط. إذن فالحياة في الشام، بعد ما نهل منها ماشاء واغترف منها ما أراد، لم تكن مغرية له اذا اخذنا بنظر الاعتبار طموحه وآماله، فلم تكن الظروف مواتية له ليبرز هناك و يلمع بين ذلك العدد من العلماء والادباء لذلك فضل الهجرة منها ومغادرتها و العودة الى بلاده التي تفتقر الىٰ مثل تلك الامكانات التي بدأ يتمتع بها، لعله يستطيع ان يحقق ما يصبو اليه من

---

١. الامثال للخوارزمي، ص ٥.

٢. المصدر السابق، ص ٢.

مكانة مرموقة ومن حياة مادية مرفهة افتقدها في بداية شبابه. وما قلناه لايعني ان الخوارزمي وهو في الشام كان احط منزلة ورتبة من زملائه وأقرانه، بل كان ـ كما يقول ـ لايتأخر عنهم رتبة على الرغم من شبابه وعلى الرغم من غربته و ما يصحبها من ذل، في تلك الديار[١].

وهكذا يترك الخوارزمي بلاد الشام بعد ان اكتملت شخصيته الادبية حيث تخرج و خرج فرد الدهر في الادب والشعر[٢] و غادرها وهو احد افراد الدهر، وأمراء النظم والنثر[٣] ولكن متىٰ غادر الخوارزمي بلاد الشام؟ والىٰ أين يمم وجهه؟

لاتشير المصادر التي ترجمت له الى ذلك، ولكننا نستطيع القول ان الخوارزمي قد غادر بلاد الشام في بداية الخمسينات من القرن الرابع الهجري، لاننا ندري انه وبعد مغادرة الشام والاقامة ببخارىٰ ثم بنيسابور كان قد اتصل بوالي سجستان ابي الحسين طاهر الذي كان قد ولي امر هذه الولاية سنة ٣٥٣ هـ بعد ان استخلفه عليه خلف بن أحمد اثناء حجه، فعصىٰ عليه و استبد بها[٤] واذا اخذنا ظروف السفر آنذاك من الشام الى بخارىٰ واقامته فترة من الزمن هناك مكّنته من توطيد العلاقة بينه وبين البلعمي الوزير ثم مغادرتها الى نيسابور والاتصال بوجهائها واشرافها ومدحهم ثم الاتصال بوالي سجستان،[٥] لا حتجنا الى ثلاث سنوات على اقل تقدير لذلك. ولهذا يمكننا ان نقول ان مغادرة الخوارزمي بلاد الشام كان بين ٣٤٩ هـ و ٣٥٠ هـ وانه في هذه الفترة كان قد تجاوز مرحلة الشباب الىٰ الشيبة[٦] واستطيع ان اقول انه كان قد تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره، و يتفق هذا مع ما ذكرناه من ولادته وأنه في بدايةِ العقد الثاني من القرن الرابع الهجري.

إذن فالخوارزمي قد شرّق بعد ان كان قد غرّب، ووصل بخارىٰ، واتّصل هناك بالوزير ابي علي البلعمي وصحبه مدة من الزمان وانشد في مدحه عند حصوله على هراة قائلاً[٧]:

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٤٣. ٢. اليتيمة ٤/٢٣٤.
٣. المصدر السابق ١/٣٥.
٤. اليتيمة ٤/٢٣٤ ـ ٢٣٥؛ الكامل لابن الاثير ٥/٣٣٨ ـ ٣٣٩. وقد ورد في اليتيمة اسمه طاهر بن محمد أما ابن الاثير فقد اورد اسمه طاهر بن الحسين. ٥. اليتيمة ٤/٣٢٤ ـ ٣٣٥.
٦. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٤٣، راجع لسان العرب مادة شبب و شيب.
٧. القطعة ١٣/ ١ ـ ٢.

تُهَنّأُ بالامير هراةُ اذ قد علا من أن يهنّأَ عن هراها
وكيف تهنّأُ الدنيا جميعاً بناحية من الدنيا احتواها

كما مدحه ايضاً بقصيدة اخرىٰ مطلعها[1]:

إنّ الأُولىٰ خلف الخدور هم الضمائر في الصدور
وقعَ الغُبار عليهمُ فغدا يتيه على العبير

ويستمر في مدحه حتىٰ يقول:

هو الامير ابن الأمير ابن الأمير ابن الأمير

الى ان يقول:

ما صيغَ تاجُ محمدٍ الا من القمر المنير

ولكن يبدو ان الامور مع الامير البلعمي قد جرت بما لا تشتهي السفن، اذ نجد في الرسائل ان ابا بكر كتب الىٰ البلعمي رسالة بعد ابيات استبطأ جوابها معاتباً اياه قائلاً: «قد حملت الى حضرة الشيخ ابياتاً عاتبته بها، بل اعتبته فيها، و هي عروس كسوتها القوافي، و حليتها المعاني، ولعمري قد زففتها الى كفوء كريم....[2] ويبدو ان هذا العتاب استمر، وهذه الرقاع والرسائل المتبادلة هي الاخرىٰ استمرت بين الرجلين. ويكتب الخوارزمي له رسالة لما طال عتابه و كثرت رقاعه اليه يقول فيها[3]: «كيف يقدر، ابقىٰ الله الشيخ، علىٰ الدواء من لايهتدي الى وجه الداء و كيف يداري اعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء .... الكريم، ايد الله تعالىٰ الشيخ، اذا قدر غفر، واذا اوثق أطلق، واذا أسر اعتق .... فليذقني حلاوة رضاه عني، كما أذاقني مرارة انتقامه مني ....».

ويبدو من هذه الرسالة ان الامور والعلاقات وصلت بين الاثنين الى حالة متوترة بلغت حد الانتقام، ويخشىٰ الخوارزمي من هذا الانتقام وما يجره عليه من بلاء و هو الطموح الذي يريد تسلق مدارج العلىٰ. كما يبدو من اسلوب الرسالة ان الخوارزمي لا يتكلم مع وزير، بل مع

---

١. القطعة ٩٩/١ـ٢، ٩، ٢٤.
٢. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ١١٧.
٣. المصدر السابق، ص ١٢٠.

صديق اعلى منه مرتبة فهو يقول له «.... وليعلم ان الحرَّ كريم الظفر، اذا نال أقال، وان العبد لئيم الظفر اذا نال استطال...»[١].

ويتصاعد التوتر بين الرجلين الى درجة عالية، ويخرج توقيع البلعمي بتقريع الخوارزمي فيكتب اليه الاخير رسالة يضمنها انواع الاعتذار ويهاجم الذين سعوا الى تعكير الصفو بينهما، و يقول فيها: « ذكر الشيخ اني تنقلت بعرضه المصون، و تمندلت بقدره المكنون المخزون، وقد كنت أحسب الشيخ أمنع علىٰ السعادة جانباً من ان يقرعوا صفاة حلمه، ويخترقوا بأباطيلهم طريق عزمه و حزمه،ولقد هدم عليّ الوشاة حصناً كنت أعددته، و حلّوا عقداً وثيقاً كنت عقدته، و سلبوني علقاً نفيساً اشتريته بنفسي لا بمالي ..... لعن الله من يفسد ذات البين ويسعىٰ بالنميمة بين المحبين...»[٢] ويظهر من هذه الرسالة ان الخوارزمي كان قد عقد الآمال على مصاحبته البلعمي وما مجيئه الى بخارىٰ إلا لتحقيق بعض ذلك الطموح الذي يكمن بين جنبيه، اما الآن فهو يرىٰ ان كل تلك الآمال والطموحات مهددة بالفناء ولذلك فانه يعتصر الماً علىٰ ذلك، ويلعن الذين كانوا السبب في هذا الجفاء. والظاهر أن كل هذه الاعتذارات لم تجد سبيلها الى قلب البلعمي، بل ان حدة التوتر قد تصاعدت، ويخشىٰ الخوارزمي علىٰ نفسه، فيغادر تلك الديار متجهاً الى نيسابور بعد ان يئس من امكانية استعادة ود البلعمي واعادة ايام الصفاء الى سابق وقتها. وعندما يصل نيسابور يهجو البلعمي قائلاً[٣]:

إن ذا البلعمي والعين غينٌ وهو عارٌ على الزمان وشينُ

إن يكن جاهلاً بِخُفَّي حنينٍ فهو الخفُّ والزمان حنينُ

ولم يكتف الخوارزمي بهذا الهجاء، اذ لم يستطع الشعر ان يطفي غليله، لذلك فقد كتب رسالة اخرىٰ له من نيسابور، يبدو من محتواها ان البلعمي قد دعا الخوارزمي الى العودة اليه ولكن الخوارزمي رفض العودة وفضل البقاء في نيسابور لانه لم يكن مطمئناً من صدق دعوة البلعمي اياه، ويقول فيها[٤]: «كتابي الىٰ الشيخ، وقد امضت الايام فيَّ حكمها، وانفذت في صبري وتجلدي سهمها، والحمد لله تعالىٰ على كل شيء الا غيبتي عن الشيخ فاني أخشىٰ أن

---

١. المصدر السابق نفسه.

٢. المصدر السابق، ص ١١٩.

٣. القطعة ٢٢٢ / ١ - ٢.

٤. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٤٢ ـ ٤٤.

ازداد منها، اذا حمدت الله لها...» ثم يبين الحال الذي وصلت اليه نفسه من عدم الاحترام الذي عومل به هناك فيقول: «....وكوتبت مواجهة، وخوطبت بالكاف مشافهة، وأجلست في صف النّعال، اعني اخريات الرجال، وناظرني من كان يدوس عليّ، وخالفني من كان يختلف اليّ، حتیٰ لقد نشزت عليّ جاريتي، و حرنت عليّ دابتي، وتقدمني في المسير رفيقي ....» ولا يكتف الخوارزمي بتعداد انواع الذل والهوان التي لقيها في حضرة البلعمي، بل يلتفت الیٰ نفسه ويتحدث عن انفته وكبريائه وصبره، وهو يريد و يتوقع من البلعمي ان يعامله معاملة النظراء الاخوان بسبب طول العشرة التي جمعتها والألفة التي كانت بينها والامكانات الادبية التي كان يتمتع بها، «فالادب سلطان ينسي هيبة السلطان ولطول العشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء والاخوان....». والخوارزمي بعد كل هذا الذي لحقه في حضرته ومنه لا يطاوعه قلبه على العودة مرة ثانية الى ذلك الجحيم الذي فر منه وأمنه بعد الابتعاد عنه، اذ لا فائدة من هذا التلاقي الجديد الذي سيولد فراقاً جديداً، لانه لا يتوقع من البلعمي انه سيغير سياسته منه ولا معاملته له «...ورد عليّ كتاب سيدي يدعوني، و مثلي لايجيب داعي القول، دون ان يصدقه داعي الفعل، وبالجملة انا قد تفارقنا على حالة، فان كنا عليها والتقينا فيها فآخر التلاق أول الفراق، ولا يربح من هذا اللقا غير تخريج فراق جديد، و تولد حزن جديد، والمرة من الفراق مرة، فكيف المرتان...» ويبدو ان الخوارزمي قد اعتبر من هذه الصحبة، ورأى في البلعمي ما كان قد سمعه من قبل من الشاعر اللحام وهو يقول فيه[1]:

وزارة البلعميّ منقلبة ... وهو كقفلٍ غدا علىٰ خَرِبَهْ

لم يرع للاولياء حُرمتَهُم ... فيها ولا للوجوهِ والكتبهْ

قد قُلِبَت وجهُ كلّ مكرمةٍ ... متیٰ تراها عليه منقلبه

فهوا أحقّ الوریٰ بداهيةٍ ... تضحي لها رأسه على خشبه

وقال فيه ايضاً[2]:

ابا علي أنلني بعض آمالي ... يرضيك أيري وان لم ترض اقوالي

١. اليتيمة ٤/١٢٣.

٢. المصدر السابق ٤ / ١٢٤.

ان كــان ســـاءكَ أقـــوال نـطقتُ بهــا فسـوف يُـرضيك عــني حسـن أفـعالي

فلابد للخوارزمي قد تذكر هذه الاقوال عندما لم يجب دعوة البلعمي مرة ثانية لانه وكما اشار الى ذلك في رسالته ليس مطمئناً من تغير فعال البلعمي وسلوكه نحو الاحسن وقد شاب على هذه الفعال واعتاد عليها. والنقطة التي تلفت انظارنا هنا هي ما ورد في رسالة الخوارزمي للبلعمي مشيراً الىٰ طول العشرة التي جمعتهما وهذه تسوقنا الى الاعتقاد بان الفترة التي قضاها الخوارزمي هناك لابد وانها قد تجاوزت السنة وربما بلغت السنة والنصف او السنتين. وهـذا يعني ان الخوارزمي غادر بخارىٰ ووافىٰ نيسابور في اوائل سنة ٣٥٢ هـ وفي نيسابور، اتصل ابو بكر بأميرها واحد وجهائها وهو الامير ابو نصر احمد بن علي الميكالي، وعاشر وجهاء وسادة آخرين في نيسابور منهم ابو الحسن القزويني، وابو منصور البغوي وابو الحسن الحكمي فرافقهم وكذلك رافقه الامير احمد ومدحه ونادم كثير بن احمد[1]. وهذا يدلنا على ان الخوارزمي وهو في نيسابور لم ينس طموحه وامكاناته التي يتمتع بها، لذلك فقد صاحب علية القوم حتىٰ يحصل منهم ما يحقق به طموحاته التي يحملها بين جنبيه.

ويبدو ان علاقاته بالامير ابي نصر احمد بن علي الميكالي قد توثقت، وبقيت على حالها حتىٰ بعد خروجه من نيسابور عدة مرات ورجوعه اليها، اذ لم يصل الينا مايدل على انفكاك عرىٰ المصاحبة بينهما. كما لم تصل الينا أية قطعة شعرية يهجو فيها الميكالي، بل بالعكس فقد وصلتنا قطع شعرية في مدحه بلغ عددها ثماني، و بلغت الابيات التي وصلتنا في مدح الميكالي سبعين بيتاً قالها في مناسبات متعددة[2] ولم تقتصر علاقة الخوارزمي الوثيقة بالامير احمد بل تجاوزتها الى ابنه كثير بن احمد وعلى الرغم من اننا لم نعثر على شعر للخوارزمي في هذا الامير إلا أننا نجد بضع رسائل في ديوان رسائله بعث بها الخوارزمي الىٰ كثير بن احمد في مناسبات مختلفة[3].

ويظهر من هذه الرسائل ان كثير بن احمد كان دائم الرعاية للخوارزمي في حلّه بنيسابور او في ترحاله عنها، وان علاقاتهما كانت وطيدة، وان كثيراً هذا كان يحاول دائماً ان يدفع صروف

---

١. اليتيمة ٢٣٤/٤.

٢. راجع القطع: ٤، ٣٣، ١٠٢، ١٥٨، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٧، ١٨٩.

٣. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ١٦، ٧٨، ١٥٦، ٢٥٧.

الزمان عن الخوارزمي «....علمتُ أنَّ الشيخ قصّر عني يد المحنة وهي طويلة، وصرف عني ولاية النحوس وهي بسيطة، ولو بلغه غاية مراده امكانه، وساعده على نيته في زمانه، لحجب صروف الدهر عن فنائي، ولقام بين الحوادث وبين لقائي .... فلعمري لئن كنت اشكر لمن وهب لي مالاً، أني لمن وهب لي روحي أشْكَر...»[١].

و عندما يتعرض الخوارزمي الى غضب الحاكم في نيسابور ويغادرها هارباً وفاراً منه ومن سطوته، يبذل كثير بن احمد جهوده ووساطته لدىٰ الامير والحاكم ليخفف الوطأة على الخوارزمي، ويحاول جاهداً جلب رضا الامير عنه، و يُهيّئ الظروف لعودته، «....ذكر انه تلطف بالامير حتىٰ سلّ منه السخيمة، وحمله علىٰ ان اغتفر الجريمة ....وان كان الشيخ يرضىٰ بعد هذا بظاهر اعتذاري، فقد خرجت اليه من عهدة اضماري، وانا اقر بذنوب العالمين ....[٢]».

والخوارزمي لاينسىٰ الامير كثير بن احمد حتىٰ عندما تتواتر عليه النعمة في الحضرة! فهو لا يذكره عند محنته وبلائه فقط، بل يذكره أيضاً عندما يعيش في بركات دائمة «....كتبت الىٰ الشيخ من داره التي ما ينغصها عليه الا بعده عنها، وخلوها منه، وقد كثرت كتبي اليه كثرة نعمه علي، وتواترت تواتر أياديه إلي ... قد سمع الشيخ اخباري بالحضرة، وأني اكتلت بالصاع الاوفىٰ، واتزنت بالسنجة الكبرىٰ ضعف ماكنت وزنت بالسنجة الصغرىٰ...»[٣] كما يشارك الخوارزمي صاحبه في ايام المصائب كما يشاركه في ايام المواهب لذلك نراه يبادر الىٰ تعزية كثير بن احمد عندما تتوفى بنت له «.....ولكن لابد للمحب ان ينطق لسانه وقلمه، بما يترجم به عن ودائع صدره، ويعبر عن نيته وسره، ولابد لمن شارك ربيبه في أيام الرخاء والمواهب، من ان يشاركه في ايام الغموم والمصائب، ليكون قد خدمه في النوبتين، وتصرف معه في الحالتين، واثبت اسمه في جريدة الشركاء المساهمين مرّتين...[٤]».

ولكن البقاء في نيسابور والعلاقة مع عائلة الامير الميكالي، لم تحقق ـ بحسب الظاهر ـ طموحات الخوارزمي وأماله العريضة، فيغادرها سنة ٣٥٣ هـ الى سجستان وقد وليها واليها الجديد ابوالحسين طاهر الذي عصىٰ على واليها السابق خلف بن احمد واستبد بالولاية عندما

---

١. المصدر السابق، ص ١٦ ـ ١٧.

٢. المصدر السابق، ص ١٥٦، ١٥٧.

٣. المصدر السابق، ص ٢٥٧.

٤. المصدر السابق، ص ٧٨.

استخلفه الاخير حين ذهابه الى الحج[١]، لعله يجد عنده ما يحقق آماله وأمنياته.

ولكن مفارقة الخوارزمي نيسابور لم تكن كمفارقة بقية البلدان. فقد تركت هذه المدينة أثراً في نفسه، فارتبط بها وأحبّها وهذا مما دفعه ـ فيما بعد ـ الىٰ ان يختارها مقراً لاقامته الدائمة وموطناً لاسرته وعائلته «....أنا ايد الله الشيخ، رجل قد اخترت نيسابور داراً،.....حتىٰ جعلتها بيتاً أعمره، والدنيا جسراً اعبره، لآمن بها على مالي وولدي بعد مماتي، ولا أخاف بها على روحي وعرضي في حياتي....[٢]».

كما ان علاقته بآل الميكالي ظلت وطيدة، وبخاصة بالأمير ابي نصر، ونستدل على ذلك بالرسالة التي بعثها اليه يشكره فيها على اصطناعه فقيهاً من تلامذته «....وما اعرف اهل بيت احسن لموضع الصنائع ارتياداً، واجود لأهلها انتقاداً، واصوب لها اصداراً وايرادا، من أهل بيت الشيخ ابقىٰ الله تعالىٰ مشايخهم وشبانهم وجمل بهم مكانهم وزمانهم ... بلغني ما صنعه الشيخ مع [فلان] مما استكثرته قياساً علىٰ قدره العظيم، وبره الجسيم، ولم اتعجب ... من غصن من اغصان الشرف نما علىٰ عرقه في السلف، ومن نفس رضعت ثدي المكارم، وربيت في حجر الاكارم .... ولازال الشيخ يستبضع اليه الشكر من البلدان، فيشتريه بأغلىٰ الاثمان[٣].

والدليل الآخر علىٰ ارتباطه المستمر بهذه العائلة وبهذا الأمير بالذات ما انشده من قصيدة بعث بها الىٰ الأمير ابي نصر وهو في سجن ابي الحسين الطاهر بسجستان،[٤] يستشفع بـه أن ينقذه مما هوفيه.

والدليل الثالث علىٰ ارتباطه بهذه العائلة اتخاذه الامير كثير بن احمد صديقاً ونديماً له على مر الايام ـ كما ذكرنا ذلك آنفاً ـ.

إذن غادر الخوارزمي نيسابور سنة ٣٥٣هـ متجهاً الىٰ سجستان، حيث تمكن من واليها ابي الحسين الطاهر ومدحه ونال صلته[٥]. ولكن الاحوال هنا لم تبق علىٰ هذا الودّ والصفاء، بل تغيرت وهجا الخوارزمي طاهر وأوحشه فقبض الاخير عليه وسجنه وأطال سجنه[٦] فبعث الخوارزمي من السجن الى ابي نصر الميكالي قصيدة يشرح فيها حاله التي وصل اليها وندمه

---

١. الكامل لابن الاثير، ٥ / ٣٣٨ – ٣٣٩.
٢. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ١٥٦.
٣. المصدر السابق، ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩.
٤. القطعة ١٧٧ / ١ ـ ٢٤.
٥. اليتيمة ٤/٢٣٥.
٦. المصدر السابق نفسه.

على تركه نيسابور والأمير ويلعن نفسه التي حاربت حظها وما كانت تنعم به في نيسابور في ظل رعاية الامير الميكالي. ومما قاله في تلك القصيدة مصوراً الحالة التي وصل اليها[١]:

وماء زلالٌ قد تركنا وروده ... زلالاً وبعناه بشربة علقم

لبست ثياب الصبر حتىٰ تمزقت ... جوانبها بين الجوىٰ والتندم

ولم أر قبلي من يحارب بخته ... ويشكو الى البؤسِ افتقاد التّنعّم

ولا أحد يحوي مفاتيح جنّةٍ ... ويقرع بالتطفيل باب جهنّم

ويبدو ان أبا الحسين طاهر قد بلغه هجاء الخوارزمي اياه فاستوحش منه فما قاله الخوارزمي فيه[٢]:

ألا أبلغ بني شار كلامي ... ومن لم يلقهم فهو السعيدُ

علامَ ابتعتمُ فرساً عتيقاً ... وليس لديكم علفٌ عتيدُ

وفيمَ حبستمُ في البيت بازاً ... يحيصُ الطير عنه او يحيد

فلا قربتموه فعلمتوه ... ولا خليتمُ عنه يصيدُ

وهجاه أيضاً في قصيدة اخرىٰ منها:[٣]

وقال انا المليك فقلتُ حقاً ... بقلب اللام نوناً في الهجاء

ولم أر من اداة الملك شيئاً ... لديك سوىٰ احتمالك للّواءِ

ومنها ايضاً:

أحين قلعتُ نابي كلَّ أفعىٰ ... وحادت أُسدُ بيشة عن فنائي

وقال الناس اذ سمعوا كلامي ... ألم تكن الكواكب في السماء

يخوفني الكساد على متاعي ... وهل يخشىٰ فساد الكيمياء

---

١. القطعة ١٧٧/ ١١ ـ ١٢، ١٥ ـ ١٦.
٢. القطعة ١/٥٣ ـ ٤.
٣. القطعة ١/١ ـ ٥.

وله في هجائه من قصيدة اخرى:[١]

لله في كـــل مـــا قـــضاه لطـــائف تحـــتها بـــدائـــع
ســبحان مـــن يـــطعم ابـــن شـــار ويـــترك الكـــلب وهـــو جـــائع

ويبدو ان سجنه لم يطل اكثر من سنة ٣٥٤ هـ وهي السنة التي توفي فيها ابوالحسين طاهر، ولابد انه خرج من سجنه قبل وفاته.

ونشاهد في ديوان رسائله رسالة بعث الخوارزمي بها الىٰ خلف ابن أحمد الذي حارب ابا الحسين طاهر بعد أن كان قد استخلفه على سجستان، ولاندري أكانت الرسالة قبل ذهابه الى سجستان أم بعد ذلك، والارجح انها كانت بعد ذلك، وربما كانت جواباً لتعزية بعث بها خلف بن احمد الى الخوارزمي. ويدعو الخوارزمي في الرسالة للأمير بطول العمر وبعزّ النصر[٢].

ويغادر ابوبكر سجستان متوجهاً هذه المرة الىٰ طبرستان ارض أخواله (على حد زعم البعض) لعله يجد فيها وفي اميرها آنذاك نوح بن نصر الذي كان شديد العداوة لركن الدولة البويهي[٣]، ما يحقق طموحاته وأمانيه، ونحن لانعلم شيئاً عن حياته في ذلك الصقع، فلا المصادر التاريخية اشارت الىٰ ذلك، ولا رسائله واشعاره تحتوي شيئاً يخص حياته هناك، الا ما أورده الثعالبي من اشارة خاطفة اليها[٤]. ولم تكن علاقاته مع صاحب طبرستان بأحسن ممّا كانت مع طاهر بن شار[٥] فقد توترت وساءت واضطر الخوارزمي ان يغادر طبرستان الى نيسابور. ولابد ان تكون هذه العودة الثانية الىٰ نيسابور في سنة ٣٥٦ هـ أو قبلها لان صاحب طبرستان قد توفي في هذه السنة.

وفي هذه الفترة بالذات من حياة الخوارزمي نجد علاقة تربطه بمدينة كرمان وصاحبها ابي علي بن الياس اذ نعثر في ديوان رسائله، علىٰ رسالة كتبها الخوارزمي الىٰ وزيره يعزيه بوفاة ابن له[٦]. ولابد ان هذه العلاقة كانت قائمة سنة ٣٥٦ هـ لأن ابا علي كان قد سار من كرمان الىٰ

---

١. القطعة ١٢٠/١ ـ ٢.
٢. رسائل أبي بكر الخوارزمي، ص ١١٥ ـ ١١٦.
٣. الكامل لابن الاثير، ٣٤٩/٥.
٤. اليتيمة ٢٣٦/٤.
٥. ذكر البعض ان طاهر بن شار هذا كان والياً على غرجستان. ولكني لم استطع أن اعتمد ذلك لعدم عثوري فيما بين يدي من مظان تاريخية على ما يؤيد ذلك. وما اعتمده هذا البعض من مصادر لا تشير أبداً الى ماذهب اليه. راجع دائرة المعارف بزرگ اسلامي، ٥ / ٢٥٠.
٦. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

بخارىٰ ملتجئاً الىٰ الامير منصور وتوفي هذه السنة أيضاً[١] وان عضد الدولة قد ملك كرمان سنة ٣٥٧ هـ وأقطعها ولده أبا الفوارس الذي لقب بشرف الدولة فيما بعد[٢].

مما سبق، نشاهد ابابكر الخوارزمي بعد رجوعه من الشام وهو يتمتع بـتلك الامكـانات ويحمل تلك الطموحات والأماني، يتنقل بين بخارىٰ ونيسابور وسجستان وطبرستان، لعله يحظىٰ بما يريده ويفتش عنه من جاه ومقام ورفاه مادي، والظاهر ان رجال الدولة السامانية لم يولوه ذلك الاهتمام الذي كان يتوقعه ويريده، ولم يفسحوا المجال له لكي يحقق أَمانيه وآماله، لذلك نراه لا يستقر على حال، ويواصل البحث عما يرومه ويبغيه. ولذلك فانه في هذه المرة يمد ببصره نحو صقع جديد، ونحو دولة جديدة، تقع خارج حدود الدولة السامانية، وبخاصة وقد بدأ تألق هذه الدولة يزداد في العراق وايران، وبدأ امراؤها يسـتقطبون الامكـانات الادبـية والشعرية ويولوها المناصب المهمة. والخوارزمي وقد لقي ما لقي من رجال الدولة السامانية، اغتنم هذه الفرصة ويمم وجهه شطر الدولة البويهية، ويبدو انه اتصل بركن الدولة البويهي (ت ٣٦٦ هـ) وبخاصة وانتصاراته كانت متلاحقة منذ عاد الخوارزمي من بلاد الشام، ولربما بدأت علاقاته مع بلاط ركن الدولة في اواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجرى. ويمكن ان علاقته كانت قد توطدت في البداية مع علي بن كامه (ت ٣٧٤ هـ) مقدم عسكر ركن الدولة وواليه على قومس. اذ يتحدث الخوارزمي عن هذه العلاقة فيقول «..... نادمته وانا مـقتبل الشـباب، حدث الاتراب[٣]...» وبقيت هذه العلاقة على قوتها سنين طويلة فيما بعد «...وهاانا قد ألجمني الكبر بلجامه، ولثمني البياض بلثامه، واذا عتقت المنادمة صارت سبباً دانياً، وكانت رضاعاً ثانياً...[٤] ويفتخر الخوارزمي بهذه المناسبة وينشد قائلاً:

أقـــر الســـلام عـــلى الامـــير وقـــل له	ان المـــــنادمة الرضـــــاع الثـــــاني
إن المـــــــــنادمة التي نـــــــادمتني	رفـــعت عـــناني فـــوق كـــل عـــنان[٥]

ويكتب الخوارزمي رسالة له عندما تولىٰ الاخير ولاية قـومس «كـتبت والولايـة التي

---

١. الكامل لابن الاثير ٣٤٨/٥، ٣٥٠، ٣٥٤.
٢. المصدر السابق ٣٥٤/٥.
٣. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٢٠٣.
٤. المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٣.
٥. القطعة ٢٣٤/١ ـ ٢.

شرفت بالامير ولم يشرف بها، وتسببت له، ولم يتسبب لها ... وهو من أهل بيت يحكم بالملك صغيرهم، ويشيب عليه كبيرهم، تقر باسمائهم المنابر النافرة، وتسكن بأعلامهم البلاد الشاغرة....»[1].

ومن الذين ارتبط بهم الخوارزمي في هذه الفترة أيام ركن الدولة حاجبه بالري، ويبدو ان الحاجب قد ارسل رسالة الىٰ الخوارزمي عظّم فيها شأنه وأعانه به على زمانه واهل زمانه، كيف لا وهو يبحث عن ارتباط بالسلطان جديد، وعن علاقة بالحكام ترفع شأنه لدىٰ الناس، وبخاصة بعد ان يئس من رجال الدولة السامانية، لاسيا وان الدولة البويهية تزداد عظمة يوماً بعد آخر وتتجه الانظار اليها. لذلك نرىٰ الخوارزمي يفتخر عندما تصله رسالة حاجب ركن الدولة «الكتاب الذي عظم الحاجب باصداره، شاني، واعانني به على زماني وأهل زماني، ورد وثمرة الفؤاد منه بعد في اكمامها لم تزهر فتغنم، ولم تدرك فتطعم، واذا انتجت الشفاعة من حيث لقحت، وزكت اغراس المعونة من حيث زرعت، ولاحت علىٰ صفحات أحوالي آثار الزيادة، وظهرت فيها مخايل السعادة، اقت رهج الحمد والشكر[2]...».

ونستنبط من هذه الرسالة أنها كانت بداية مازرعه الخوارزمي من علاقة ببلاط ركن الدولة، وان الحاجب كان شفيعه ووسيطه الى ركن الدولة وان هذه الشفاعة والوساطة لما تثمر بعد الثمرة التي كان الخوارزمي يبتغيها، ويعوّل عليها.

ويبدو ان الحاجب لم يوفق الىٰ ايصال الخوارزمي الىٰ ما يريد، ولم يستطع ان يحقق ما كان يصبو اليه من حضرة ركن الدولة، ولذلك فقد صب الخوارزمي جام غضبه عليه عند عزله وهجاه بعبارات لاذعة «....انا اهنئ الدنيا يوم عزلك، كما كنت عزّيتها يوم ولايتك، فلئن عدّ اقبالك في مثالبها، لقد ذكر ادبارك في مناقبها ... ولقد كان معرض النعمة قبيحاً عليك مستغيثاً من يديك... فلقد ظفرت فلم تضبط نفسك نشاطاً، ونكبت فلم تملك أستك ضراطاً، فضقت عن احتمال الفرحة، كما عجزت عن احتمال الترحة ... فلا زلت بعدها غضيض الطرف راغم الانف، صديقك يرحمك، وعدوك يظلمك ويتهضّمك، اقرب الناس اليك اكثرهم بكاء عليك، وادناهم منك، اشدهم هرباً عنك والسلام علىٰ من قال آمين»[3].

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٢٠٥. ٢. المصدر السابق، ص ٩٧.
٣. المصدر السابق، ص ١١٦ ـ ١١٧.

وهذا دأب الخوارزمي يمدح ويتوسل عندما يريد تحقيق أمنية وحاجة في نفسه، فاذا لم تحقق ويئس من الطرف المقابل، يهجوه ويقسو عليه بلسان شديد لاذع عن طريق النثر او الشعر.

ولم نعثر على نثر او نظم قاله الخوارزمي في أيام حياة ركن الدولة البويهي. ويبدو انه لم يستطع الاتصال المباشر به، وانما كانت اتصالاته وعلاقاته بحاشية ركن الدولة واركان بلاطه. ومن هؤلاء أيضاً مسكويه الذي كان يخدم اباالفضل بن العميد (ت ٣٥٩ هـ) وزير ركن الدولة البويهي قبل ابنه ابي الفتح. اذ نجد رسالة بعث بها الخوارزمي الىٰ مسكويه وقد تزوجت أمه ويبدو من الرسالة واسلوبها ان العلاقة بينهما كانت قد بلغت درجة تمكنه من الدعاء لوالدته بالموت العاجل «....وبلغني ما اختارته الوالدة صانهاالله تعالىٰ، فحمدت الله تعالىٰ الذي رزقك والداً لا يلزمك حق أبوته، ووعدك أخاً لايحملك حمل اخوته، وقد كنت اسأل الله تعالىٰ ان يبارك لك في حياتها، والآن اسأله ان يعجل لك بوفاتها، فان القبر اكرم صهر، وان الموت أستر ستر.. والحمد لله الذي كان العقوق من جهتها، ورفع الجفاء من جنبتها...»[١].

ولا ندري أكانت هناك علاقة ربطت الخوارزمي بأبي الفضل بن العميد وزير ركن الدولة أم لا؟ اذ لم نعثر علىٰ رسائل متبادلة بينهما، ولم نعثر علىٰ شعر للخوارزمي فيه، إلا رسالة واحدة يبدو من كلماتها واسلوبها أنها أرسلت الىٰ أبي الفتح بن العميد، اذ ان مكانة ابي الفضل وسنّه لم تسمح للخوارزمي الاتصال به، كما ان الرسالة لم تكن بالمستوىٰ الادبي الذي يخاطَب به ابوالفضل بن العميد وهو الذي وصفه الثعالبي بعين المشرق، ولسان الجبل، وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم، وأوحد العصر في الكتابة .... يدعىٰ الجاحظ الاخير، والاستاذ، والرئيس، يضرب به المثل في البلاغة وينتهى اليه في الاشارة بالفصاحة والبراعة، مع حسن الترسل وجزالة الالفاظ وسلاستها، الى براعة المعاني ونفاستها... وكان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد[٢]. استناداً الىٰ ذلك فلا بد ان تكون الرسالة التي في ايدينا مرسلة الىٰ ابي الفتح بن العميد، ويبدو فيها الخوارزمي يعتذر عن غضب احدهم عليه وهو لم يرتكب ذنباً حتىٰ يستوجب عتباً «كتابي الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد علي خبر سلامته،

---

١. المصدر السابق، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.
٢. اليتيمة ١٨٣/٣.

ونعمة اسبغت علي منذ وقفت علىٰ ما اسبغه الله تعالىٰ عليه من نعمته. ورد علي كتاب الشيخ الذي كل سطر من سطوره كتاب، وكل لفظة من الفاظه باب، بل أبواب ... الذي ما ورد علي الا حسدني مَن رآه بيدي .... فلان قد غضب عليّ وما اعرف لي ذنباً، يستوجب منه عتبا، ولا أنسبه مع ذلك الى التجني، ولا أضع فعله موضع الظلم والتعدي[١] ...».

كما نجد في شعر الخوارزمي ابياتاً يمدح فيها ابن العميد، اذ يقول:[٢]

لئن كنت أضحي من عطاياك شاعراً	لقد صرتُ أمسي من جنابك مفحما
أبيتُ اذا اجريتُ ذكرك منشداً	وأن أعتبَ الايامَ فيه فربّما
ومالي من الاصواتِ مقترحٌ سوىٰ	«أعالجُ وجداً في الضمير مكتّما»

ويبدو ان علاقة الخوارزمي بابن العميد بقيت على حسن حالها ولم تتوتر، ويدل على ذلك رثاء الخوارزمي له حين قتل سنة ٣٦٦ هـ في قصيدة مطلعها[٣]:

يا دهر إنكَ بالرجالِ بصيرُ	فلطالما تجتاحُهم و تبيرُ

و مما تقدم يتبين لنا ان الخوارزمي كان قد اتصل ببلاط ركن الدولة ورجال حاشيته، غير ان الخوارزمي قد رثىٰ ركن الدولة بعد وفاته بقصيدة لم تصل الينا منها سوىٰ ثلاثة عشر بيتاً،[٤] و فيها يقول:

ألست ترىٰ السيف كيف انثلم	وركنِ الخلافة كيف انهدم
طوىٰ الحسنَ بن بويه الرّدىٰ	أيدري الرّدىٰ ايَّ جيش هَزَم

وقد اتصل الخوارزمي بعد ركن الدولة واستيلاء ابنه عضد الدولة علىٰ الملك بعده، بالصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة اخي عضد الدولة والحاكم علىٰ اصبهان و اعمالها بتعيين والده ركن الدولة.

وكان مؤيد الدولة قد استوز الصاحب بن عباد سنة ٣٦١ هـ ومن المستبعد ان الخوارزمي كان قد اتصل بالصاحب في الفترة ما بين ٣٦١ ـ ٣٦٦ هـ لانه كان علىٰ صلة بابن العميد الذي ما

---

١. رسائل ابي ابكر الخوارزمي، ص ١٨٤.
٢. القطعة ١٨٨/١ ـ ٣.
٣. القطعة ٨٦/١ ـ ١٥.
٤. القطعة ١٩٣/١ ـ ١٣.

كان يرغب في الصاحب ودبر أمر ابعاده من الري الى اصبهان[١]. لذلك فمن المرجّح ان الخوارزمي اتصل بالصاحب بعد سنة ٣٦٦ هاي بعد وفاة ابن العميد و خلو الجو للصاحب.

واغلب الظن ان الصاحب بن عباد كان يتطلع الى اتصال الخوارزمي به مثل ما كان الثاني يسعىٰ الىٰ هذا الاتصال لعدة اسباب منها: ان الصاحب كان لابد قد سمع بالخوارزمي وهو في حضرة ركن الدولة البويهي واتصاله بابن الغميد، وكان لابد ان يشعر بحالة من عدم الرضا لاتصاله بمنافسه ابي الفتح بن العميد، ولذلك فانه يشعر بالرضا والحبور عندما يرىٰ شاعر منافسه قد التحق بحضرته؛ هذا بالاضافة الىٰ أن الخوارزمي في هذه الفترة قد بلغ من الشهرة وذياع الصيت حداً يجعل حضرة مثل حضرة الصاحب تطمح اليه وتفرح بانضمامه اليها، كما ان الخوارزمي لابد وانه سمع باستقطاب الصاحب للادباء والعلماء والشعراء واغداقه عليهم، فرغب الا تفوته الفرصة، ووجد في ذلك الجمع مكانه خالياً، وتمنىٰ ان يحظىٰ لديه بما يستطيع ان يحقق طموحه وبخاصة وان ممدوحه ابن العميد قد قتل وان الدور الآن للصاحب.

قصة دخوله على الصاحب بين الحقيقة والخيال

وحول قصة التقاء الخوارزمي بالصاحب تروىٰ بعض الروايات التي تدل على شهرة الخوارزمي وذياع صيته في كثرة الحفظ آنذاك حتىٰ ما كان ليباريه احد في هذا المجال. وهذه الروايات و ان كانت المبالغة تكتنفها[٢] إلا انها تدل علىٰ هذا الذي قررناه آنفا.

واول ما نواجه هذه القصة عند السمعاني حيث يتحدث عن دخول ابي بكر الخوارزمي مجلس الصاحب بن عباد وكان غاصاً بالفضلاء والشعراء من اقطار الارض، فصعد الصّفّة، فاستزراه الحاضرون، فقال واحد منهم ظّناً منه انه لايعرف العربية: من هذا الكلب؟ فقال ابوبكر الخوارزمي: الكلب الذي لا يعرف عشرين لغة في الكلب، فسكت الحاضرون واقرّوا له بالفضل، فذكر لهم اسماء الكلب[٣].

ونواجه هذه القصة مرة أخرىٰ عند ابن خلكان ولكن بتهويل اكثر، وبتفصيل أوسع اذ يقول: دخل ابوبكر الخوارزمي على الصاحب في اول لقائه اياه، فارتفع على الحاضرين في

---

١. اليتيمة ٢٢١/٣.
٢. فى الادب العباسي للبصير، ص ٦٨.
٣. الانساب للسمعاني، ٢١٤/٥.

مجلسه من العلماء والادباء، والجماعة لاتعرفه، فتساءلوا عنه، وغاظهم مارأوا منه، وقال احدهم: من ذا الكلب ـ قولا سمعه ابوبكر ـ فالتفت اليه، وقال: الكلب من لا يعرف للكلب مائة اسم ويحفظ في مدحه مائة مقطوعة وفي ذمّه مثلها، فقال الصاحب: أنت ابوبكر الخوارزمي، قال: نعم عبدك، قال له: حق لك، وقدمه وقرّبه[1].

ولم يكتف ابن خلكان بذكر هذه القصة عن اللقاء الاول بين الصاحب والخوارزمي، بل يذكر لنا عند ترجمته لابي بكر قصة اخرىٰ تختلف عن القصة حول اللقاء الاول بين الرجلين قائلاً: انه قصد حضرة الصاحب وهو بارّجان[2]، فلما وصل الى بابه، قال لاحد حجابه: قل للصاحب علىٰ الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول. فدخل الحاجب وأعلمه، فقال الصاحب، قل له: ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الادباء الا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب، فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له ابوبكر: ارجع اليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال، فقال الصاحب: هذا يريد ان يكون أبابكر الخوارزمي فأذن له في الدخول، فدخل عليه فعرفه وانبسط له[3]. واقتفت اكثر المصادر فيما بعد، حتىٰ المعاصرة، أثر ابن خلكان في ذكر هذه القصة، مستدلة علىٰ شهرة الخوارزمي وبراعته في الحفظ.

ولكننا ونحن ندرس حياة الخوارزمي، لا نستطيع ان نمر على هاتين الروايتين مر الكرام دون ان تكون لنا وقفة معهما، ودون ان تكون لنا أسئلة نثيرها حولهما.

١ – الظاهرة الاولىٰ التي تستلفت الانتباه هي: لماذا لم تذكر المصادر المعاصرة للخوارزمي او القريبة من عهده وعصره هاتين القصتين. فالثعالبي تلميذ الخوارزمي الملازم له، ويشيد كثيراً بحافظة الخوارزمي وحفظه ولكنه لم يتطرق الىٰ مثل هذا أبداً. والحاكم النيسابوري يشيد كثيراً بالخوارزمي وبحفظه ولكنه ايضاً لم يذكر لنا شيئاً من هذا القبيل، وهكذا الحال بالنسبة

---

١. وفيات الاعيان ٤١٦/١.

٢. أرّجان: وعامة العجم يسمونها أرغان: مدينة كبيرة كثيرة الخير، بها نخل كثير وزيتون وفواكه الجروم والصرود، بينها وبين البحر مرحلة وبينها وبين شيراز ستون فرسخاً، وبينها وبين سوق الاهواز ستون فرسخاً، ومن ارجان الى النوبندجان نحو شيراز ستة وعشرون فرسخاً، وبينهما شعب بوان الموصوف بكثرة الاشجار والنزهة. راجع معجم البلدان لياقوت: ١٤٢/١ ـ ١٤٣.

٣. وفيات الاعيان ٤٠١/٤.

الىٰ بقية المصادر، حتىٰ نبتعد حوالى القرنين من الزمان عن عصر الخوارزمي لنواجه السمعاني ينقل هذه الرواية دون الاشارة الى مصدرها.

٢ ـ يأتي ابن خلكان وينقل نفس رواية السمعاني ولكنه وكما يبدو أنّه رأىٰ ان حفظ عشرين اسماً للكلب ليس بالامر المهم فضاعف العدد الى مائة واضاف الىٰ الاسماء مائة مقطوعة في ذم الكلب ومثلها في مدحه، اي اضاف مائتي مقطوعة الى الاسماء!! ولم يذكر ابن خلكان هو الآخر مصدره في هذه الرواية. فاي الروايتين نُصَدِّق؟ وماهو الاساس الذي يمكننا بواسطته ان نصدق احدىٰ الروايتين، علماً بان هذه الرواية تدل على سعة علم الخوارزمي بعلم اللغة والادب.

٣ ـ يبدو ان ابن خلكان قد نسي هذه الرواية التي ذكرها في المجلد الاول عند ترجمته للصاحب، فعندما جاء في الجزء الرابع ليترجم للخوارزمي ذكر رواية حفظه لعشرين الف بيت من شعر الرجال ومثل هذا العدد من شعر النساء. ولم يشر أبداً الىٰ الرواية الاولىٰ التي ذكرها سابقاً.

٤ ـ مما سبق يبدو لنا اننا كلما ابتعدنا عن عصر الخوارزمي كلما وجدنا تهويلاً ومبالغة حول حافظة هذا الرجل. تبدأ المرحلة الاولىٰ من هذه المبالغة في القرن السادس ثم تبلغ المرحلة الثانية منها في القرن السابع الهجري.

٥ ـ ذكر هذه الروايات هو للدلالة والبرهان علىٰ قوة حافظة الخوارزمي وكثرة حفظه، لا شيء اكثر من ذلك.

٦ ـ الخلاصة التي يمكن استنباطها مما سبق اننا لا نستطيع ان نصدق الرواية الاولىٰ للاختلاف الموجود بينهما، كما ان الرواية الثانية ينفرد ابن خلكان بذكرها وهو يبتعد عن عصر الخوارزمي ثلاثة قرون تقريباً، ولم يذكرها احد قبله قط. لذلك فالاساس التاريخي لهذه الروايات لا يسمح لنا ان نصدقها كما هي؛ ولكن يمكن منها الاستدلال علىٰ قوة الحافظة وكثرة الحفظ اللتين كان الخوارزمي يتمتع بهما، فالثعالبي يذكر ان ابابكر كان يحفظ في هجاء المغنين وحدهم «ما يقارب من ألف بيت[1]».

---

١. خاص الخاص الثعالبي، ص ٥٠.

اذن وعلى الرغم من ظهور التكلف على الروايات السابقة الا ان ذلك لاينفي عن ابي بكر سعة علمه في اللغة، فلقد كان احد مصادر الثعالبي في تأليف كتابه «فقه اللغة» فقد جعله من ضمن ظرفاء الادباء الذين جمعوا فصاحة العرب البلغاء الى اتقان العلماء، ووعورة اللغة الى سهولة البلاغة[١] هذا بالاضافة الى ان الخوارزمي كان احد تلاميذ ابن خالويه اللغوي واحد رواته[٢].

والاختلاف الآخر الذي نواجهه في قصة لقاء الخوارزمي الصاحب يختص بالمكان الذي جرى فيه هذا اللقاء الاول. فابن خلكان ـ وكما مر آنفاً ـ يذكر أرجان، بينما الثعالبي يذكر أصبهان[٣]، ولا بد لنا ان نرجح رواية الثعالبي المعاصر والملازم للخوارزمي على رواية ابن خلكان الذي يبتعد عن عصر الخوارزمي بثلاثة قرون تقريباً.

اتصاله بالصاحب وبشخصيات اخرى:

إذن كانت فرحة الاثنين عظيمة بهذا اللقاء لان كل واحد منهما كان يتطلع الى لقاء الآخر، ورحب الصاحب بالخوارزمي واعجب به وقرّبه، وصارت لابي بكر مكانة كبيرة عند الصاحب الذي كانت حضرته مجمع الادباء والفضلاء والشعراء[٤]، مما جعل الخوارزمي يسعد في خدمته ومداخلته، وينال منه عطايا وهبات كثيرة ويملأ عيابه تبراً، وحقائبه ثياباً ورواحله زاداً[٥]. وبلغت مكانة ابي بكر لدى الصاحب حداً أنه صار من زمرة ندمائه المختصين به[٦] وبلغت العلاقة بينهما درجة رفيعة حتى لنرى الصاحب يكتب اليه أرجوزة يدعوه فيها الى منادمته في عيد الفصح معتبراً اياه رأسماله وربحه وظفره ونصرته ونجحه في الورى[٧]:

أسعدك الله بيوم الفصح   وعشت ماشئت بيوم سمح

يارأس مالي في الورى وربحي   وظفري ونصرتي و نجحي

---

١. فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، ص ١٠.
٢. نزهة الالباء في طبقات الادباء، ص ٢١٤.
٣. اليتيمة ٤/ ٢٣٧.
٤. حول حضرة الصاحب وبلاطه راجع القسم ج من الفصل الاول؛ اليتيمة ٣/ ٢٢٦.
٥. اخلاق الوزيرين لابي حيان التوحيدي، ص ١٠٨.
٦. اليتيمة ٤/ ٢٣٧.
٧. اليتيمة ٣/ ٣٠٩.

شرباً ولاتـــــصغ لأهــــل النـــصح   فـــالحزم ان تسكـــر قـــبل تـــصحي
سكر النصارىٰ في غداة الفصح

ولكن الخوارزمي الطموح أبىٰ ان يكتفي بما حصل عليه في حضرة الصاحب بن عباد، وكان طموحه يرمي للوصول الىٰ حـضرة عـضد الدولة البـويهي الذي كـان في شـيراز آنـذاك، والخوارزمي في اصبهان، فلماذا لايستغلّ الفرصة ويزور الحضرة في شيراز؟! كان هناك عائق واحد يقف في طريق تحقيق هذه الأمنية، وهذا العائق يتمثل في العـلاقة التي كـانت تـربط الخوارزمي بابي الفتح بن العميد الذي قتله عضد الدولة، وبالقصيدة التي انشدها الخوارزمي في رثاء ابن العميد[١]. إذن كان الخوارزمي يتخوف من زيارة عضد الدولة لهذا السـبب. ولذلك فيبدو أنه طلب من الصاحب ان يتوسط بينه وبين عضد الدولة، ولا يتوانىٰ الصاحب بل يبادر في تزويد الخوارزمي برسالة الى عضد الدولة، لربما ساهمت الى حد بعيد في حسن اسـتقبال عضد الدولة للخوارزمي واغداقه العطايا والهبات التي استثمرها الخوارزمي عند عودته من شيراز الىٰ نيسابور، في شراء واقتناء الضياع والعقار التي بدأت تدر عليه ما يـغنيه وتـؤمن معيشته.

هذا الاهتمام من الصاحب بالدرجة الاولىٰ ومن عضد الدولة بالدرجة الثانية بالخوارزمي يعلّله ابو حيان التوحيدي أولاً بكون الخوارزمي كان مخـشيّ اللسـان لذلك فـقد اسـتكف الصاحب شره بالاحسان[٢] وثانياً لان الصاحب كان قد اذكىٰ الخوارزمي عيناً على محمد بن ابراهيم صاحب الجيش بنيسابور واستملىٰ منه اخبار المشرق[٣].

ولكننا لانستطيع ان نوافق ابا حيان التوحيدي على ذلك تماماً. اذ لابـد ان يكـون هـذا الاهتمام وهذا العطاء لادبه وشعره وفضله، بالاضافة الىٰ ان ابابكر كان يتعصب لآل بويه تعصباً شديداً ويغض من سلطان خراسان[٤]، مما لايمنعه ان يعطي مـا يمـتلكه مـن مـعلومات عـن السامانيين و جيوشهم الىٰ الصاحب. ولكن هذا لايعني ان الخوارزمي كان جاسوساً للصاحب مأجوراً مكلفا بايصال اخبار محمد بن ابراهيم بن سيمجور (الذي كان الخوارزمي يكرهه) كما

---

١. القطعة ٨٦.
٢. اخلاق الوزيرين، ص ١٩٢.
٣. المصدر السابق، ص ١٠٨.
٤. اليتيمة ٢٣٨/٤.

يصرح بذلك ابو حيان، بل يمكن القول أن هناك مشتركات كانت بين الخوارزمي والصاحب هي: سعي الاثنين في اضعاف السامانيين، وولاؤهما للبويهيين وتعصبهما لهم، و تشيع الاثنين بالاضافة الىٰ ان ابن سيمجور كان يمثل عدوهما المشترك. كل هذه المشتركات كانت تدفع الخوارزمي ان يمد الصاحب والبويهيين بما يمتلكه من معلومات عن طيب خاطر دون ان يكون مكّلفا او اجيراً، اذ هو يمده بهذه المعلومات تطوعاً وعن هوىً وعقيدة، لاسيا ان العصر آنذاك عصر صراع مذهبي حاد[1].

ويذكر لنا الثعالبي ان الخوارزمي قد عاود زيارة شيراز[2] ربما لانه استطاب ماحصل له في الزيارة الاولىٰ، وطمع بالمزيد منها في الزيارة الثانية، ولم يخيب عضد الدولة ظنه «فأجرىٰ له عند انصرافه رسماً يصل اليه في كل سنة بنيسابور مع المال الذي كان يحمل من فارس الى خراسان[3]».

ولاندري أزار الخوارزمي شعب بوان في زيارته الاولىٰ او الثانية او في كليهما؟ لاننا ندري انه قال: «مستنزهات الدنيا اربعة مواضع: غُوطة دمشق، ونهر الأُبلّة، وشِعب بَوّان، وصُغْدُ سَمَرقند، وقد رأيتها كلها فكانت غوطة دمشق أطيبها وأحسنها[4]» وربما قد استعاد ذكرياته في الشام عند رؤيته له ولعله قال شعراً في ذلك لكنه لم يصلنا.

ويبدو ان الزيارة الثانية لشيراز كانت قبل سنة ٣٧١ هـ ذلك لان عضد الدولة كان قد خرج في هذه السنة من شيراز قاصداً جرجان وطبرستان فاستولىٰ عليها واجلىٰ عنهما صاحبهما قابوس بن وشمكير[5] (ممدوح الخوارزمي أيام منفىٰ قابوس بنيسابور). ويبدو ان عضد الدولة لم يرجع الىٰ شيراز بل ذهب الىٰ بغداد حيث اشتدت علته و توفي سنة ٣٧٢ هـ[6].

ولدينا رسالة لابي بكر الخوارزمي كان قد بعثها الى الصاحب بن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس بن وشمكير وفيها يبين الخوارزمي أنه شمّر ذيل المحارب، ورفع رجل

١. مقدمة كتاب «الامثال» للخوارزمي، ص: م. ٢. اليتيمة ٢٣٧/٤.
٣. المصدر السابق نفسه.
٤. ثمار القلوب للثعالبي، ص ٥٢٦؛ وفيات الاعيان ٥٥/٤.
٥. الكامل لابن الاثير، ٤٤٥/٥.
٦. المصدر السابق ٤٤٩/٥.

الراكب، وفارق خراسان عزماً وان كان بها جسماً «واذا ورد عليّ له اذن طفرت الىٰ عسكره طفرة تطوي المراحل، وتأكل المناهل ... فان اذن لي الوزير في ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة، المكنوف بجوانب الدولة والكرة، رأى مني بحمد الله تعالىٰ فارساً ملء العين، كما سمع مني عالماً ملء الاذن، فيعلم حينئذ أن اقباله خرج له تلميذاً انتظم فيه فروسية اللسان، وفروسية السيف والسنان، ويكر في معركة الطعان، كما يكر في معركة البيان، ويثبت اسمه في جريدة العلماء والفرسان[١] ....».

وأغلب الظن ان الخوارزمي لم يذق طعم الراحة والاستقرار في الفترة ٣٧١ ـ ٣٧٣ هـ إذ ان علاقته الوثيقة من جهة بالبويهيين، وحياته من جهة ثانية في نيسابور في ظل السامانيين، قد سببت له المشاكل. فالعلاقة الوثيقة التي كانت تربط الخوارزمي بالبويهيين لم تكن لترضي الحكام السامانيين عنه في نيسابور. لذلك كانوا يضايقونه ويسببون له كثيراً من المشاكل والمزعجات التي ما كانت لتنسجم وتتلاءم مع نفسيته الطموحة ومع مكانته التي كان قد حصل عليها لدى البويهيين. ونجد في رسائله ألواناً من هذه المضايقات، فمرة يعامل معاملة العامة ويطالب بأداء الخراج عن ضياعه التي كان اشتراها بأموال وهبات عضد الدولة «...هذا وقد ورد عليّ عمل الخراج من لا اطريه بحرمه، ولا اتناوله بطرف ذريعة او وسيلة، وكأني به وقد حشرني في جملة العامة، وادخلني في غمار سائر الرعية .... وفجعني بدريهمات جمعت بتقحم المهالك، واختراق المسالك والممالك، ودنانير قطعت القفار، وخاضت البحار، وناطحت الحوادث والاقدار .... ولعمري ان حاجتي الى الشيخ في هذا الخراج صغيرة ولكني استصغر منه يسيراً، كما لا استعظم منه كبيراً ... وان ابطأ عني كتابه بالفرج خشيت ان يسري فيّ السم، الى ان يصل الي الترياق البطيء اعوذ بالله من ان يكون دائي نقداً و دوائي وعداً[٢]». ويبدو ان الخوارزمي كان شديداً في حبه للمال، وقد بذل جهوداً كبيرة وتحمل مشاق عظيمة للوصول اليه، فلذلك تعد مطالبته الخراج ودفع الضرائب مصيبة عظيمة له «وان درهماً يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان، قبيح الاحدوثة في البلدان، ولئن كان يعمر به بيت المال، فانه يخرب بيت الجمال، ولئن كان يزيد به عدد الدراهم، أنه لينقص به من عدة المكارم، ولئن

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٧٥ ـ ٧٧.
٢. المصدر السابق ص ٢٣ ـ ٢٤.

كان يسمى في العامة جباية، انه يسمى في الخاصة خزاية، وللبس اكفان الموتىٰ، وسرق أدوية المرضىٰ، وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام، وزوار قبر النبي عليه السلام، أحسن من الاحدوثة وابعد من العار والنقيصة من الزام مثلي خراجاً، وسومه غرامة واستخراجاً ...»[١]

ونلاحظ من عبارات الرسالة كيف ان الخوارزمي يغضب وكيف تنسد عليه ابواب الدنيا اذ طولب بضريبة فالموت والسرقة وقطع طريق الحج أفضل من أن يطالب باداء خراج.

ومما زاد في حال ابي بكر توتراً خلال هذه الفترة التي حددناها ما بين (٣٧١ ـ ٣٧٣هـ) ومما زاد في موقفه تجاه السامانيين سوءاً أنه كان رجلاً طموحاً معتداً بنفسه وبامكاناته الادبية والعلمية، ولكنه ما كان ليحسن كيف يحافظ على منزلته ويحترم نفسه ويجبر الآخرين على احترامها، فكان احياناً كثيرة يطلق لسانه بما لا يقدر عليه،[٢] وكان لا يترفع عن الامور المادية وعن الصغائر ترفعاً يجعلنا نشعر أنه كان يعرف ما يحاك ضده وما يراد به فيعرض عنه، بل وجدناه ـ كما في رسالته السابقة ـ يتنازل كثيراً حتىٰ لا يطالب بدريهمات يجب أداءها كخراج، وهو الذي امتلك الضياع والعقار.

والعامل الآخر الذي زاد من تبرم الخوارزمي بالسامانيين في هذه الفترة ان اميرهم كان طفلاً ولي خراسان وبلاد ما وراء النهر وعمره ثلاث عشرة سنة، وان وزيرهم رجل مستبد وهو ابو الحسن العتبي يصرف امور الولاية على هواه، وان قائد جيشهم هو ابن سيمجور يتمرد على الامير والوزير معاً[٣]. ومما زاد في الطين بلة ان السامانيين وقد بلغتهم مكانة الخوارزمي لدىٰ البويهيين وصلاته معهم، وزياراته اليهم، ولربما احسوا ان اخبارهم قد تسربت عن طريقه اليهم، فقد هددوه بضرورة التعاون معهم والانقطاع اليهم والاقتصار على خدمتهم. وكيف يستطيع الخوارزمي ان يلبي طلبهم والبويهيون هم الذين كفلوا مستقبل حياته المادية واجروا له العطاء السنوي، بالاضافة الى ميله العقائدي والعاطفي اليهم لذلك فهو لن يستطيع ان يتخلىٰ عن ولائه للبويهيين إلا إذا ضمن السامانيون له موارده المالية ومكانته الادبية والعلمية وقربوه من بلاطهم «.... فهمت ماذكره الشيخ (خليفة الوزير بنيسابور) في

---

١. المصدر السابق ص ٣٥.
٢. اليتيمة ٢٣٨/٤.
٣. الكامل لابن الاثير ٤٤٤/٥. ويكنىٰ العتبي في ابن الاثير «بابي الحسين» أما في اليتيمة فيكنىٰ «بابي الحسن».

كتابه، وجعلت قبولي عظته بدلاً من جوابه، ذكر الشيخ اني لو اقتصرت على خدمة الامير، وعلى منادمة الوزير لحالت الصروف عن جانبي ناكبه، وولت الخطوب عني هاربة، ولو لم انتجع غير نيسابور بلداً، ولا غير من بها احداً، لعشت معهم عيشة رغدا وجواب الشيخ تحت قول الاول:

فبالخير لا بالشر فاطلب مودتي وأي فتىً يقتال منه الترهب

مثلي ايد الله تعالىٰ الشيخ لا يحمل على الخدمة بالتقريع والتثريب، ولا بالتهديد والترهيب، ولا تحتلب اخلاف مودته بالاذلال، ولا يدرك مصون ما عنده بالامتهان والابتذال، وانما يحبس مثلي بالرغبة، ويقيد بقيد من الذهب والفضة، ويرضىٰ منه بالحياء والوفاء كفيلين، وبالشكر والتذمم ضمينين، وانما الحر زجاج رقيق الثمن، اذا رفق به واستعمل في موضع مثله زين المَجالس وامتع المُجالس، وكان مالاً الا انه جمال، وجمالا الا انه مال ... وكان ينبغي لاصحابنا ان يقتنصوني بحبالة الاحسان والبر، ويرتبطوني بحبال الحفاظ والشكر ... ولكن جزىٰ الله اصحابنا عن تعليمهم خيراً، فقد تحولت شكايتي لهم شكراً، وذلك انهم عرفوني بمقادير الكرام، وقاموا في تاديبي مقام تصاريف الايام، ودبغتني بهم التجارب، وراضتني بأيديهم النوائب، ولاحت لي ببركاتهم العيوب والعواقب ...»[1]. وهذه الرسالة تدل على ان مضايقات السامانيين له كانت بسبب العلاقة التي ارتبط بها الخوارزمي مع البويهيين، وانهم دعوه علانية وهددوه صراحة بضرورة قطع صلاته معهم والاقتصار على خدمتهم (السامانيين). كما تدل الرسالة ايضاً ان الخوارزمي لم يرفض هذا العرض لسبب مبدأي او عقائدي وانما رفضه لكونه محاطاً بالتهديد والوعيد، ولم يلوح له بالمال والامنيات التي تشبع رغبته ولا بالمكانة التي يتمناها ، ولو كان الامر كذلك لما رفض العرض الساماني هذا. وهكذا كانت ايامه لا يحسد عليها. ويبدو ان فترة ذهبية قصيرة سادت حياة الخوارزمي وهي بعد عودته الاولىٰ والثانية من شيراز الى نيسابور وكان امتلأ بهدايا عضد الدولة وهباته، اذ تحسنت احواله المادية كثيراً، وتفرغ الى التدريس والاملاء والشعر والرواية، وكان يقسم ايامه بين مجالس الدرس ومجالس الانس التي لم ينسها منذ ان كان شاباً بالعراق والشام، كيف

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي ، ص ١٥٤ـ ١٥٥.

لا وقد ضمن مستقبله المادي وغني عن الطلب وكأنه سار على قول كشاجم:

عـــجباً ممـــن تـــعالت حـــالُهُ فكـــفاه الله زلات الطـــلب
كـــيف لا يـــقسم شـــطري عـــمره بـــين حـــالين نـــعيم وأدب [1]

هذه الفترة لم تدم طويلاً، اذ استمرت منذ اتصاله بالصاحب وبعضد الدولة بعد ٣٦٦ هـ وحتىٰ سنة ٣٧١ هـ حينما عزل الوزير العتبي محمد بن ابراهيم بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان، وعين مكانه حسام الدولة أبا العباس تاش، وسيره من بخارىٰ الى نيسابور فاستقر بها[2].

ولما ملك عضد الدولة ـ كما اسلفنا ـ جرجان وطبرستان سنة ٣٧١ هـ لجأ قابوس الى الامير نوح فامده بعساكر تحت قيادة حسام الدولة تاش الذي انهزمت جيوشه وعاد هو ومعه حليفاه فخر الدولة وقابوس الى نيسابور وكانت هذه الهزيمة فرحة للخوارزمي من ناحيتين: الاولىٰ انتصار ممدوحه عضد الدولة ووصوله ابواب خراسان، والثانية هزيمة الوزير العتبي وقائد جيوشه حسام الدين تاش.

ولم يستطع الخوارزمي ان يعقل لسانه ساكتاً تجاه هذه الفرحة التي اصابته فاطلق لسانه شامتاً بتاش وبالوزير العتبي وكان يقول: قبحاً له وللوزير العتبي. وبلغ خبره العتبي وبلغته ابيات منسوبة الى الخوارزمي في هجائه منها:

قـــل للـــوزير أزال الله دولتـــه جزيت صرفاً عـلى قـول ابـن مـنصور

ويؤكد الثعالبي ان الخوارزمي لم يكن قد قالها[3]. وتألم العتبي من ذلك واصدر امره الى حسام الدين تاش في القبض عليه ومصادرة امواله وقطع لسانه، كما اصدر امره الى والي البندرة بنيسابور ابي المظفر الرعيني بنفس المعنىٰ. والقىٰ الاخير القبض على الخوارزمي وسجنه واخذ تعهداً منه بمائتي الف درهم.

واستخرج بعض المال واذن له في الرجوع الى منزله مع الموكلين به ليحمل الباقي. فاحتال الخوارزمي عليهم في يوم من الايام، وشغلهم بالطعام والشراب وهرب متنكراً الى حضرة

---

١. اليتيمة ٤/٢٣٧ـ٢٣٨.
٢. الكامل لابن الاثير ٥/٤٤٤.
٣. اليتيمة ٤/٢٣٨.

الصاحب وكان آنذاك لما يزل بجرجان. وتلقاه الصاحب بالترحاب، فتجلت عنه غمة الخطب، وانتعش في ذلك الفناء الرحب، وعاود الصاحب معه عادته المألوفة من المبارّ والاحبية.

وفي هذه الفترة ورد عليه كتاب من صديقه ونديمه كثير بن احمد الميكالي يعرض عليه ان يعود الى داره بعد ان استطاع تلطيف الاجواء مع الامير فاستحصل منه العفو عنه، ولكن الخوارزمي رفض العرض ورأىٰ فيه مكيدة للايقاع به[١].

ومكث الخوارزمي لدىٰ الصاحب معززاً مكرماً، وربما لم تطل مدة المكث، إذ جاءته الاخبار تفيد بمقتل العتبي الوزير سنة ٣٧٢ هـ. ويبدو انه رجع الى نيسابور. ولكن الامور لم تجر وفق ما يشتهيها اذ عاد ابن سيمجور مرة اخرىٰ الى خراسان. ويبدو ان رسالة الخوارزمي المشهورة الى الشيعة بنيسابور قد كتبها في هذه الفترة. ولعل محمد بن ابراهيم قد سجن الخوارزمي ولكن الخوارزمي قد فر هذه المرة ايضاً وكتب عدة رسائل الى اصدقائه بمناسبة تخلصه من سجن ابن سيمجور. ويبدو ان هروبه هذه المرة كان الى الري، حيث الصاحب بن عباد، وربما كانت الفترة هي سنة ٣٧٣ هـ فقد كتب رسالة الى صديقه القديم كثير بن احمد والى ابي محمد العلوي والى احمد بن شبيب والى تلميذ له من فقهاء نيسابور[٢].

ويشرح الخوارزمي حالة الخوف والهلع التي اصابته في هذه الفترة « ... ولكني عورضت من المحن بما لم يترك لي قلباً يعقل، ولا بناناً يعمل، واقل ما لحقني غضب الامير عليّ، وهذه حالة يفقد بها العقل، ويشيب لها الطفل، ويتوقع معها الموت بل القتل. ولقد نشبت بين اظفار الخوف، وعقلت بحبالة الحتف، فلا انا لما ورائي آمن، ولا لما امامي آمل، وما كنت احسب اني انظر الى قبري، قبل انقضاء عمري، ولا اني ارىٰ شخص ملك الموت في حياتي، قبل ان يجئ وقت وفاتي ... فلئن كان وشى بي الواشي لقد ابلغ، ولئن كان قد تعنىٰ في افناء اجلي لقد افرغ ... »[٣]. وكذلك فانه يصف خروجه من هذا البلاء كخروج السيف من الجلاء، وبروز البدر من الظلماء[٤].

غير ان محمد بن ابراهيم قد توفي سنة ٣٧٣ هـ وكان الامير نوح قد استوزر بعد العتبي ابا

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ١٥٦.

٢. المصدر السابق، ص ١٦، ١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٦.

٣. المصدر السابق، ص ١١٨.

٤. المصدر السابق، ص ١٢٢.

عبد الله بن عزير[١] وكان ضداً للوزير العتبي ولحسام الدين تاش. غير ان الثعالبي يفيد قيام ابي الحسن المزني مقام العتبي[٢]. ولم اعثر في المصادر التاريخية على اسم المزني هذا، ولربما هو نفس عبد الله بن عزير وكنيته ابو الحسن ولقبه المزني وكان من اشد الناس حباً لابي بكر، فكتب اليه يستدعيه من عند الصاحب، واكرم مورده ومصدره ثم كتب الى نيسابور برد امواله التي صودرت منه، فردت اليه امواله، وعادت اليه كرامته، ونظر اليه ولاة الامر بنيسابور بعين الحشمة والاحتشام والاكرام والاعظام، فارتفع مقداره وطاب عيشه.

وبهذه تكون هذه الفترة الحرجة الصعبة التي لاقىٰ الخوارزمي فيها المصائب والاهوال، قد آذنت بالزوال. وبدأ عصر الراحة والاستقرار والرفاه والاحترام للخوارزمي الذي بدأ يتألق نجمه يوماً بعد يوم، لاشئ يزعجه، ويكدر عليه صفو حياته. فمجالس درسه عامرة في نيسابور وربما في بخارىٰ ونسا أيضاً[٣]. وبلغ عدد تلاميذه في هذه الفترة شيئاً كثيراً[٤]. وكان الخوارزمي في هذه الفترة الذهبية الثانية قد استمرت من سنة ٣٧٣هـ ـ ٣٨٣هـ اي زهاء عشر سنوات، يقسم اوقاته بين مجالس الدرس والاملاء وبين مجالس الانس.

ولم يَنْسَ الخوارزمي صاحبه أبا الحسين المزني فقد مدحه ولكن لم يصل الينا من هذا المدح الا هذان البيتان[٥]:

كَلِمٌ هي الامثالُ إلا أنّها ... في الناسِ قد أضحت بلا أمثال
فاذا لُقينَ فانَّهنَّ عوالي ... واذا شُمِمْنَ فانَّهنَّ غوالي

وقد بكاه الخوارزمي في نكبته[٦]:

ولقد بكيتُ عليكَ حتىٰ قد بدا ... دمعي يحاكي لفظك المنظوما
ولقد حزنت عليك حتى قد حكىٰ ... قلبي فؤاد حسودك المحموما

١. الكامل لابن الاثير، ٥/٥٤٤.
٢. اليتيمة ٤/٢٣٨.
٣. الانساب للسمعاني ٥/٢١٤.
٤. مقدمة كتاب «الامثال» للخوارزمي، ص: (ص).
٥. القطعة ١٥٧/١ـ٢.
٦. القطعة ١٥٧/١ـ٢.

كما تفجع عليه في قصيدة اخرىٰ منها[1]:

قتلُ المواجرِ والعجائبِ جمّةٌ شيخ المشائخ بل فتىٰ الفتيان

لاتعجبوا من صيدِ صَعوٍ بازياً إنّ الاسودَ تُصادُ بالخرفان

قد غرقت املاك حمير فأرةٌ وبعوضةٌ قتلت بني كنعان

ونعثر في رسالة ابي بكر على رسالة بعثها الى ابي القاسم المزني وقد صالح أخاه الذي لعله ابو الحسين المزني. وفي الرسالة يمتدح الخوارزمي ابا القاسم ويصفه بانه باز عتيق كان قد طار عن اهله، وفرع عميم كان قد انقطع من اصله، فردّته ايام السعادة الى بيته ...[2] كما نجد في القطع الشعرية التي بين ايدينا قطعة من قصيدة كان قد نظمها في ابي القاسم المزني لمّا قبض عليه[3]:

وثب الصغير على الكبير وقد يُطفي التراب حرارةَ الجمرِ

لاتعجبَنَّ فربَّ ساقيةٍ قد كدّرت طرفاً من البحر

هذا الحسام يفلُّهُ حَجَرٌ وبه قوام النهي والأمرِ

غصبت جذيمة نفسَهُ امرأةٌ فاصطيد ذاك الحرُّ بالحِرِّ

هيهاتَ هذا الدهر ألأمُ من ان لا يسر العبد بالحرِّ

وقضىٰ الخوارزمي العقد الأخير من عمره في راحة وطيب عيش ومقام، لايكدر صفوه حياته شيءٌ حتىٰ جاءت سنة ٣٨٢ هـ، واذا بعواصف قد آن لها أن تهب من جديد لتقتلع جذور تلك الشجرة الوديعة المطمئنة، واذا بوادر الجو قد اكفهرت من جديد. ولكن لم تكن هذه الاجواء المنذرة بالشؤم هذه المرة سياسية أثارها له الولاة والحكام، وانما كانت بسبب نزول شاب يبلغ الرابعة والعشرين من عمره مدينة نيسابور بعد ان غادر بلده همدان ماراً بالري وجرجان.

---

١. القطعة ٢٢٨/١ـ٣.

٢. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ٢٥٨.

٣. القطعة ٩٠/١ـ٥.

الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني

ولا اريد ان اتحدث بالتفصيل عما جرىٰ بين البديع والخوارزمي وما كان البديع يتوقعه من الخوارزمي ولكن الذي اريد ذكره هنا، ان الخوارزمي لم يكن بالذي ترتاح اليه شخصيات المجتمع ووجوه آنذاك؛ وقد عبر الخوارزمي عن عدم الارتياح هذا بالكساد « ... فهم ارخص من التمر بكرمان او اضيع من الورد في شهر رمضان، واثقل من الفرو في حزيران، واكسد من ابي بكر الخوارزمي في خراسان...»[1]. و«... لقد كسدت بخراسان لاني بها موجود، والموجود مملول ...»[2]. كما نراه يتضجر من المجتمع الذي يعيشه ومن الناس الذين يحيىٰ بين ظهرانيهم « ... فأما الناس فما احصي فيهم عدداً ممن ابتعته فباعني، وحفظته فأضاعني، واستعنت به على الزمان فأعانه عليّ، واستظهرت بمكانه على الاعداء فكان مقدّمهم إليّ، اللهم نفّق سوق الوفاء فقد كسدت، وأصلح قلوب الناس فقد فسدت، ولا تمتني حتى يبور الجهل كما بـار العـقل، ويموت النقص كما مات الفضل[3]».

إذن فعلىٰ الرغم من ان الخوارزمي قد بلغ حظاً من الشهرة والمال والجاه، الا ان المجـتمع آنذاك لم يكن ليرتاح اليه لاسباب ربما سياسية وربما مذهبية وربما شخصية لانه كان شخصاً مادياً يحب المال ولم نسمع انفاقه من احد. وهذا مما ادىٰ الى ازدياد عدد خصومه في نيسابور، حيث كانوا يغتنمون اية فرصة لاستغلالها ضده والايقاع به. واذا كان المجتمع النيسابوري سني المذهب بصورة عامة فانه لن يرتاح الى الخوارزمي الذي يظهر تشيعه علانية.

لقد وجد الخصوم في البديع الهمذاني فرصة جيدة للايقاع بالخوارزمي. وعلى الرغم من ان المصدر الوحيد فيما دار بين الخوارزمي والبديع هو البديع نفسه، الا اننا نرىٰ البديع يعترف بأن طائفة من الناس كانت تسعىٰ اليه بما يتفوه به ابي بكر[4]. بالاضافة الى الثعالبي الذي يصرح بان قوماً من الوجوه قد اعانوا البديع عليه لانهم كانوا مستوحشين جداً من الخوارزمي[5].

اذن فعملية اجراء المناظرة والمساجلة بين البديع والخوارزمي لم تكن طبيعية بل مفتعلة و

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي ص ١٠٩.
٢. رسائل ابي بكر الخوارزمي ص ١١٤.
٣. رسائل ابي بكر الخوارزمي ص ١٥٧.
٤. كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، ص٣٥.
٥. اليتيمة ٢٣٨/٤.

مصطنعة هدفها الأول والأخير توجيه الضربة بأي شكل من الاشكال الى الخوارزمي. لقد كان خصوم الخوارزمي يستهدفون من هذه المناظرة مايلي:

١ – ان حضور الخوارزمي المناظرة وقبوله المبدئي بها اعتراف ضمني بالبديع الشاب وبامكاناته الادبية المشابهة والمساوية له. فهو اذن منذ الأن ليس بفارس الميدان الوحيد.

٢ – لو انتصر الخوارزمي على البديع، فلن يضير ذلك البديع بشيء فهو شاب في العقد الثالث من عمره والخوارزمي شيخ في العقد السابع او الثامن من عمره، وتجارب الاول لا تقاس بتجارب الثاني وخبرته. لكن المناظرة على كل حال تسبب ازعاجاً وألماً للخوارزمي الذي يجبر على الجلوس امام من يصغره بكثير.

٣ – لو غلب البديع الخوارزمي، لذهب ماء وجه الأخير، ولتخلىٰ عن كرسي الادب بخراسان، لا بل بايران كلها لمن يصغره بكثير وهذه غاية ماكان الخصوم يتمنونه، ففيها سقوط الخوارزمي عن امامة عصره في العلم والأدب. واي انكسار وخذلان وانهيار سيصاب به الخوارزمي ان تحققت غلبة البديع عليه.

من هذا كله نستنتج ان المؤامرة قد أُحكمت خيوطها لجر الخوارزمي الى هذه المناظرة. والخوارزمي كان عالماً بها. ولذلك فانه حاول قدر الامكان ألا ينجرّ الى ما يريد الخصوم جرّه اليه .. وانتهت المرحلة الاولى في دار أبي الطيب سهل الصعلوكي بخير[١].

أما الجولة الثانية فكانت في منزل احد اعيان نيسابور لا يذكر لنا البديع اسماً له غير ابي علي[٢].

واقترح البديع على الخوارزمي موضوعات المناظرة وهي: الحفظ ان شاء، والنظم ان أراد، والنثر ان اختار والبديهة ان نشط.

واختار الخوارزمي البداهة، واقترح احد الحاضرين موضوع قصيدة ذات بحر معين وقافية معينة لموضوع معين فانشد البديع ابياتاً، اما الخوارزمي فانه كتب ابياتاً ولكنه لم يخرجها من الغلاف. وهذه نقطة ضعف للخوارزمي استغلها البديع. ثم ارتجل الاثنان ابياتاً احس

---

١. كشف البيان عن رسائل بديع الزمان، ص ٣٧.

٢. اعتمدنا في ذكر خلاصة المناظرة على المصدر السابق ص ٢٨– ٨٤؛ وعلى كتاب بديع الزمان الهمذاني للدكتور مصطفى الشكعة ص ٢٨٣ – ٢٩٣؛ ومعجم الادباء ٢/ ١٧٣ – ١٨٣.

الخوارزمي بضعف ابياته فاستدرك قائلاً «ان هذا كما يجئ لا كما يجب» وهذه نقطة ضعف اخرىٰ استغلها خصمه. والذي يقرأ القصيدتين يراهما اقرب الى لغو القول منه الى الشعر وبخاصة وان الرجلين كاتبان اكثر من كونهما شاعرين.

وبعد ذلك يتناظر الرجلان في بعض المعاني اللغوية للكلمات، يدعي البديع ان الغلبة كانت له. ثم ينتقلان بعد ذلك الى موضوع من مواضيع السفه ويعرجان بعد ذلك على الغناء والقول فيه، ثم يتهاجيان بعد ذلك بكلمات تنبو عن الادب وتبتعد عن الذوق، ولا تليق بمجلس الادب والعلم.

وتنتهي هذه الجولة وقد آذن الليل بالذهاب بعد ليلة مضنية من الكر والفر في ميادين اللغة والشعر والخوارزمي يعض على اصبعه غيظاً (على حد تعبير البديع) فاذا سمع بهمذان قال: الهاء هم، والميم موت، والذال ذل، والالف آفة والنون ندامة. وهكذا تمر هذه الجولة الثانية من المناظرة في جو غير بهيج ملئ بالسباب والشتائم الجارحة، ارتفع فيه صوت الحماقة على صوت الادب، وظهرت فيه الوان من المهاجاة والمنافرة، اكثر مما ظهر فيه من شعر وادب ومناظرة.

أما الجولة الثالثة ويبدو أنها كانت بناء على رغبة الخوارزمي فيشهدها حشد كبير من اعيان نيسابور وفضلائها في دار الشيخ ابي القاسم الوزير وفي مقدمتهم الامام ابو الطيب سهل الصعلوكي والسيد ابو الحسين العالم و الشيخ ابو عمر البسطامي والشيخ ابو النصر بن المرزبان وابو القاسم بن حبيب والقاضي ابو الهيثم وابو الحسن الماسرجسي والشيخ ابو سعد الهمذاني وحضر مع الامام ابي الطيب الفقهاء والمتصوفة. ويقترح الخوارزمي هذه المرة موضوع المناظرة وهو النحو ولكن البديع لا يوافق على ذلك الا بشرط ان يسلم الخوارزمي للبديع بتفوقه عليه في سرعة البديهة، وجودة الرواية، وقدرة الحفظ والترسل. فيضطر الخوارزمي الى الاذعان لوجهة نظر البديع، وتحدد موضوعات المناظرة في: سرعة البديهة، والحفظ والترسل.

وينشد الاثنان ويعترض كل واحد على الآخر اعتراضات لغوية ونقدية. وينتصر القوم للبديع على الخوارزمي في الشعر حيث يقول الخوارزمي للقوم: أسقوني على الظفر. فيرد الجميع: كفاك ما سقاك.

ثم ينتقل موضوع المناظرة الى الترسل ويقترح البديع عرض اربعمائة صنف في الترسل،

ويصفها الخوارزمي بالشعبذة. ويقترح الخوارزمي ان يكتبا في الترسل المتعارف عليه من اهل الزمان. ويكتب ابو بكر كتاباً يحمل عليه البديع لما حواه من سجع رخيص واسلوب سوقي. ويكتب البديع رسالة تقرأ من اولها الى آخرها ومن آخرها الى اولها. ولما كان مثل هذا الانشاء عجيب وغريب على الحاضرين، نراهم قد حكموا لبديع الزمان في الترسل.

ثم تناظرا في اللغة والعروض، فحكم القوم لبديع الزمان وقاموا فهنّأوه.

وتنتهي المناظرة في جولتها الثالثة وينصرف الناس. ويبقى الخاصة منهم للطعام وفيهم الخوارزمي والبديع ويبدأ فصل جديد من الالتحام، من نوع التراشق بالشتم المسجوع.

هذه خلاصة للمناظرة بين الخوارزمي والبديع التي جرت خلال جولات ثلاث. ويمكن لنا ان نستنتج الملاحظات التالية:

١ـ إن الناقل لهذه المناظرة والراوي الوحيد لتفاصيلها هو بديع الزمان الهمذاني، وهو كما نعلم كان طرفاً فيها. لا نستطيع ان نقبلها كما هي بتفصيلاتها المروية عن البديع لوجود بعض نقاط الضعف فيها منها:

أ- اعترض الخوارزمي على كلمة احمق وكونها لا تنصرف فكيف ياتي البديع بها منصرفة في الشعر.

فالذي له ادنىٰ معرفة بالشعر يعلم انه يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره، فكيف بالخوارزمي وهو عالم بالنحو لم يستطع البديع نفسه ـكما رأينا ـان يباريه في هذا المجال.

ب ـالاختلاف حول تفسير كلمة «كنود» ومعناها اللغوي. ومجئ الخوارزمي بتفسير خطأ لها.

اقول كيف يمكن تصديق ذلك والمصادر المعاصرة للخوارزمي والتي جاءت بعده تجمع على كونه اماماً في اللغة والانساب.

ج ـخطأ الخوارزمي في حفظ قصيدة رواها البديع بعد ان غير فيها. هذه نقطة ضعف اخرىٰ اراد البديع ان يظهر الخوارزمي ضعيفاً في حفظه وهو الذي اشتهر في الآفاق بكثرة حفظه وقوة حافظته، حتى وان كانت السن قد بلغت به الكبر.

د ـركاكة الخوارزمي في نقد الشعر وبخاصة للأبيات التي انشدها البديع في الجولة الثالثة، اذ لا نستطيع ان نصدق ذلك، والخوارزمي قد املى شرحه لديوان ابي الطيب وله آراء كثيرة في

هذا المجال، ثم اين ذهبت علومه وتجاربه في هذا المضمار وقد اشتغل بها مدة تزيد على الاربعين او الخمسين عاماً.

٢ ـ لكننا لا نستطيع ان ننكر اصل المناظرة ولا المحاور التي دارت عليها ولا جميع التفصيلات الاخرىٰ التي نقلها البديع. اذ لو كانت غير صحيحة بالجملة، لأنكرها الثعالبي وغيره الذين الفوا في هذا المجال وترجموا للرجلين.

٣ ـ لاشك ان البديع ظهر جوالا وصوالا امام الخوارزمي بشكل ادهش الحاضرين بسرعة بديهته وقوة شاعريته، وكان متحمساً في اسئلته عنيف الالفاظ، شديد الهجوم، وكانت عباراته لا تخلو من السخرية التي كانت قد تصل احياناً الى الشتم والسب، وتلك ظواهر تنسجم مع سنه وشبابه، مما اربك الخوارزمي وهو شيخ وقور، اديب عالم، فاضل، لم يألف ان يجرأ عليه شاب غرير فيناظره بهذا الشكل على مرأىٰ ومسمع من أهالي نيسابور وهو المتربع على عرش الادب فيها، الضارب بالسهم الوافر والقسط الكبير في دنيا زمانه.

٤ ـ استخدم البديع المكر والحيلة في هذه المناظرة، وحاول ان يستميل عواطف الحاضرين جميعاً. لانهم كانوا إما سنة يستوحشون من الخوارزمي فيلهم الى البديع طبيعي، واما شيعة يميلون الى الخوارزمي، لذلك فقد فاجأ البديع الحاضرين بقصيدة مدح فيها آل البيت، نافياً عنه تهمة النصب، ومستميلاً قلوب الشيعة الحاضرين في المجلس او تحييدهم على الاقل.

٥ ـ ربما كان لسن الرجلين وامكاناتهما اثر في نتيجة المناظرة، فالبديع شاب، حلو الحديث، سريع المبادرة، والناس لم يألفوا من قبل ان يروا شاباً على حداثة سنه يقتحم ابواب مناظرة أمام شيخ متمكن. وربما كان هذا الامر الجديد الذي واجه الناس سبباً في طربهم وميلهم مع البديع.

٦ ـ ان المناظرة كانت بين رجلين احدهما متعصبٌ لاهل الحديث والسنة متّهم بالاشعرية واخوه ابو الصفّار محمد بن الحسين كان مفتي همذان[١]، وبين آخر شيعي. ولما كان المجتمع آنذاك في اغلبيته من السنة، لذلك فلا يستبعد أن يكون الاتجاه المذهبي قد لعب دوراً في نتيجة المناظرة.

---

١. معجم الادباء ١٦٢/٢

٧ـ لقد تهرب بديع الزمان ببراعة من المناظرة في النحو، اذ طلب من خصمه في غير حق ان يسلم بنصره في اللغة والشعر والترسل حتى يتفرغ للنحو. وهذه حجة واهية، زاد من شأنها ورفع من قدرها وأيدّها غير المنصفين من الحضور.

٨ ـ لقد افلح البديع في اصراره على مناظرة الخوارزمي، لأن ذلك سيرفع من قدر البديع ومستواه الى مستوىٰ الخوارزمي، وسيستفيد البديع من شهرة الخوارزمي بأن يقرن اسمه الى اسمه ويُعرّفا كالندين، والخصمين، والنظيرين وهذه غاية كان البديع يطمح اليها.

٩ ـ مما يؤسف له ان طابع المناظرة كان طابعاً شخصياً، غلبت الاهواء الشخصية والانتقام الفردي والتهكم والتجريح عليها، وبذلك لم تتسم بالادب الرفيع ولم تضف الاضافة الادبية المتوقعة في مجال الادب والشعر.

ولو كانت المناظرة قد اتسمت بطابع علمي وأدبي، ولو هيئ لها مسبقاً لافادت في هذين المجالين حتماً، لان طرفيها لم يكونا من الناس العاديين، بل كانا اديبين، كاتبين، شاعرين. هذا بالاضافة الى «ان الذين رعوا المناظرة كانوا يأملون من وراء اثارتها التمتع بمشاحنات الرجلين غير الجدية اكثر من اهتمامهم بالجانب الادبي منها»[١].

١٠ ـ لعل الثعالبي كان الاقرب الى العدل والانصاف عند حديثه عن هذه المناظرة. فهو لا يبدي اي رأي او اشارة في تفضيل البديع على الخوارزمي. بل اشار الى اسبابها واهدافها ملمحاً ان قوماً من وجوه نيسابور كانوا السبب فيها لانهم كانوا مستوحشين جداً من الخوارزمي، وان انف الخوارزمي من هذه الحالة، والضغط عليه واجباره الى النزول عليها، ادىٰ الى ان ينخزل انخزالاً شديداً، وان يكسف باله وينخفض طرفه[٢]. لماذا؟ ويجيب الثعالبي على هذا السؤال قائلاً: اذ لم يكن في الحسبان والحساب ان احداً من الادباء والكتاب والشعراء ينبري لمباراته، ويجترئ على مجاراته[٣]. ولا يعزو الثعالبي السبب في طيران ذكر الهمذاني في الآفاق، وارتفاع مقداره عند الملوك والرؤساء، وظهور إمارة الاقبال على أموره، وادرار اخلاف الرزق عليه وركوبه اكناف العز، الى غلبة الهمذاني على الخوارزمي في المناظرة، اذ ان الثعالبي يدرك تمام الادراك مكانة الرجلين والامكانات التي يتمتع بها كل واحد منهما، والاجواء غير العلمية التي

---

١. مناظرة الخوارزمي والهمذاني، لمنذر الجبوري، ص٥٦.

٢. اليتيمة ٢٣٨/٤. ٣. المصدر السابق ٢٩٥/٤

كانت غالبة ومسيطرة على اجواء المناظرة. بل انه يعزو السبب في نجاح الهمذاني وذيوع صيته الى تصدي الهمذاني لمساجلة الخوارزمي، وتعرضه للتحكك به، والى المكاتبات والمباهات والمناظرات والمناضلات التي جرت بينهما بحيث افضىٰ السنان الى العنان، وفرع النبع بالنبع.

ويعترف الثعالبي بأن الغلبة لم تكن للبديع بالاجماع ـ كما ذكر البديع ذلك ـ وانما قد غلب هذا قوم وذاك آخرون. ويخلص الثعالبي في رأيه الى ان الترجيح الذي جرىٰ بينهما كان كالترجيح الذي يجري بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين. وهذه اشارة واضحة من الثعالبي الى السبب الذي جعل البديع يطير اسمه في الآفاق ويقرب نجاحه[1]. اذن فالثعالبي يرىٰ ان نجاح البديع في هذه المناظرات لم يجئ انتصاره على الخوارزمي وانما جاء من انه استطاع ان يثبت له.

افول شمس الخوارزمي

وتكاد تجمع المصادر على ان المناظرة كانت السبب في انخزال الخوارزمي وضعفه وانقطاعه اذ لم يحل الحول عليه حتىٰ خانه عمره، ونفذ قضاء الله تعالىٰ فيه وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة[2]. وانطوت بذلك صفحة حياة الخوارزمي الانسان، ولكن صفحات الخوارزمي الاديب: الكاتب والشاعر ظلت خالدة تتناقلها الاجيال، ويتعرض لها كل من يبحث في حضارة القرن الرابع الهجري وثقافته.

ويشارك عدد من الادباء في رثاء الخوارزمي. فممّن رثاه بديع الزمان الهمذاني[3]:

حنانيك من نفس خافتٍ ولبّيك عن كمد ثابتِ
ابا بكر اسمع وقل كيف ذا ولست بسمعة الصامت

---

١. المصدر السابق نفسه.

٢. المصدر السابق ٤ / ٢٣٩؛ واختلفت المصادر في ذكر تاريخ وفاته، فذكر السمعاني وفاته في النصف من رمضان سنة ٣٨٣هـ، ٥ /٢١٤، ٣٨/٩، وتابعه صاحب تاريخ بيهق ص ١٨٦؛ وتابعه ابن الاثير في اللباب ٨٠/٢، اما في الكامل فانه ذكره مرة سنة ٣٨٣هـ وذكره مرة اخرىٰ سنة ٣٩٣هـ ٥٠٤/٥، ٥٥٧/٥ وهو وهم منه، وتابعه ابن خلكان في الوفيات ٤٠٢/٤. والارجح ما ذكره الثعالبي لانه كان تلميذاً وملازماً له.

٣. اليتيمة ٢٣٩/٤

تحـــملتُ فـــيكَ مـــن الحـــزنِ مـــا   تحـــمّله ابـــنك مـــن صـــامتِ
حـــلفتُ لقـــد متَّ مـــن معشَرٍ   غـــنيّين عـــن خـــطر المـــائتِ
يـــقولون أنتَ بـــه شـــامتٌ   فـــقلتُ الثرىٰ بِـــفَمِ الشـــامتِ
وعـــزّت عـــليَّ مـــعاداتُـــه   ولا مـــتدارك للـــفائتِ

ويرىٰ الثعالبي ان البديع قد دس في هذه الابيات سعاية ثانية، لانه ينبه الولاة والحكام الى الأموال والضياع والعقار التي اورثها الخوارزمي ابنه.

كما يبدو من الابيات، ان الاحاديث التي كان تدور حول شماتة البديع ليست بالقليلة، الى درجة ان البديع يضطر للدفاع عن هذه التهمة وينفيها فی هذه الابيات. وهذا يدل عـلى ان للخوارزمي انصاراً ومؤيدين كانوا يتحاملون على البديع.

كما رثاه ابو سعيد الحسين بن احمد الطبسي[1] وكان من تلامذته:[2]

شـــيّبَ فـــرطُ الاسىٰ قـــذالي   وكـــدَّرَ الدهـــرُ صـــفو حـــالي
وارتجـــع الدهـــرُ مـــا حـــباهُ   وحـــيعل المجـــدُ بـــالزوال
وعـــادت النـــيرّاتُ بُهـــماً   ونـــاحت العـــصمُ في الجـــبال
فـــقلتُ يـــاصاحبيَّ مـــاذا   أتَتْ بـــه كَـــرَّةُ اللـــيالي؟
اقـــامَ ربِّي النّشـــورَ أم قـــد   دعـــا الى العـــرض والســـؤالِ؟
أمِ الامـــامُ الهـــمامُ أودىٰ   بـــه حـــمامٌ فـــبيّنا لي؟
لهـــفي عـــلى الشّـــعرِ والمـــعاني   لهـــفي عـــلى نـــاقد الرجـــالِ
ربُّ القـــوافي أبي القـــوافي   عـــمّ المـــعاني أخـــي العـــوالي
حـــاربَهُ الدهـــرُ وهـــو نـــذلٌ   لمّـــا رآه بـــلا مِـــثالِ

---

١. وهو من تلامذة ابي بكر الخوارزمي، كان الباخرزي قد رآه في مجلس الرئيس ابي القاسم عبد الحميد بن يحيىٰ الزوزني شيخاً، اخذ منه الهرم فصار فرخاً، وزاد على السنين صبا وحسنا، وقد انشد هو الباخرزي هذه القصيدة في مرثية استاذه.

٢. دمية القصر للباخرزي، تحقيق سامي مكيّ العاني، ٢/٥٠٣ ـ ٥٠٤

يـــا اهـلَ خـوارزم مَـنْ يُـعَزَّىٰ؟ ... أأنــــتمْ أم المجـــدُ والمــعالي؟
أم القــــوافي أم المــذاكـــي ... أم التــــعاليق والامـــــالي؟
مــــضىٰ الذي لو رآه قُسٌّ ... يـــوماً لأضــحى بـــلا مــقال
وفَـــلَّ مـــنه الردّى حســاماً ... مــــا فَـــلَّهُ كـــثرةُ النّزالِ
وأنـــضَبَ الدهــرُ مــنه بحـراً ... يمــوجُ بـــالــدُّرِّ واللَّــلآلي
يــامَن غـــدا يـــدّعي المــعالي ... قـــد رُفـــع الفَـــخُّ لا تُـــبال
صــلى عـــلى روحـــه الهـــي ... مــا دام يـــتلو لســانَ تــالِ
ومـــا سرىٰ في الظـــلام ســـارٍ ... وشَـــدَّ بـــالكورِ والرّحـــالِ

ولعل هذه الابيات هي أفضل ما رثي الخوارزمي به لاسيا وانها صادرة عن لوعة تـلميذ باستاذه، عن عاطفة صادقة أراد ان يعبر بها تلميذ عن استاذه بعد وفاته وفاء له وتعظيا لقدره واجلالاً لشأنه.

ومما يلفت النظر اشارة الشاعر الى الامكانات التي كان الاستاذ يتمتع بها من شعر وعلم بالمعاني ونقد الرجال وما يتعلق به من علم بـالانساب. ثم اشـارة الى الفـيافي التي قـطعها الخوارزمي طوال حياته، وصروف الدهر التي حاربته. وهو يشعر بفقد الاستاذ فقد مجالس الشعر والعلم التي كانت عامرة به، وفقد التعاليق التي كان يعلق بها ويبين بواسطتها رأيه في القضايا، وفقد الأمالي التي كان الاستاذ يمليها واصبحت الآن من دون مملي. واظنه قد عرّض بالبديع في ابياته مخاطباً اياه بانك اصبحت الآن حراً فادعي ما شئت فقد رحـل الذي كـنت تخشاه، لانه كان يصطاد اخطاءك اصطياداً.

ورثاه ايضاً ابو الحسن عمر بن ابي عمر الرقاني وقد احسن على اسائته[1]:

مـــات ابـــو بكـــر وكـــان امـــرأً ... أدهــــــم في آدابـــه الغُــــرِّ[2].
ولم يكــــــن حُــــرّاً ولكــــنَّهُ ... كـــان أمـــير المـــنطقِ الحُـــرِّ

---

١. اليتيمة: ٤/٢٣٩.

٢. الادهم: الاسود، وأدهم في آدابه: اي يجمع بين القديم والجديد.

أما الصاحب بن عباد فلما سمع بموته أنشد فيه هذين البيتين[١]:

اقــول لركب مــن خــراسـانَ رائـحٍ[٢] أمـات خـوارزمـيّكُم؟ قـيل لي: نـعم

فقلُت اكتبوا بـالجصِّ مـن فـوقِ قـبرهِ «ألا لعـن الرحمـنُ مـن كَـفَرَ النِّـعَم»

ولا نعرف من ابناء الخوارزمي الذين خلفهم الا ابنا يدعىٰ ابا الفضل[٣]. وآخر يدعىٰ علياً[٤]. ولعلهما رجل واحد اسمه علي وكنيته ابو الفضل.

الخلاصة

ومما سبق نستطيع ان نقول:

١ – لا خلاف تقريبا في اسم الخوارزمي وكنيته وألقابه اذا علمنا انه ذكرها في اماكن ومناسبات مختلفة من رسائله.

٢ – لايمكن القبول بان ولادته كانت بالتحديد في سنة ٣٢٣هـ كما جاء في اليتيمة للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) وبغية الوعاة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) اذ لم يرد في المصادر الاخرىٰ في الفترة مابين بداية القرن الخامس وبداية القرن العاشر ما يؤيد ذلك أبداً. كما ان بعض المصادر الحديثة تصرّح بعدم وجود تاريخ دقيق لولادته والأرجح عندنا ولادته في العقد الثاني من القرن الرابع الهجرى.

٣ – اختلفت المصادر التاريخية عن الخوارزمي نفسه في رسائله، في بيان مكان ولادته، وقلنا انها كانت في مدينة آمل بخوارزم لا في آمل بطبرستان.

٤ – لم تتأكد لدينا خؤولة الطبري سواء أكان محمد بن جرير المؤرخ والمفسر او محمد بن جرير بن رستم صاحب كتاب المسترشد، للخوارزمي. واغلب الظن انها خؤولة عامة غير مباشرة تعني ان أمه كانت من طبرستان.

---

١. معجم الادباء ٢٥٦/٦.

٢. ورد هذا المصراع في نزهة الالباء في طبقات الادباء، ص ٢٢٣ «سألت بريداً من خراسان جائياً».

٣. تاريخ بيهق، ١٨٥.

٤. معجم الادباء ٢ / ١٩٩ وقد جاء اسمه ضمن قصيدة البديع قيل انه يهجو الخوارزمي فيها.

٥ – لا نستطيع القول بتشيع الخوارزمي الاثني عشري، بل نرجح كونه شيعياً زيدياً تأثّر بالشيعة الاثني عشرية وارتبط معهم بعلاقات جيدة.

٦ – يبدو ان الخوارزمي كان ثرياً في بداية أمره، ثم ساءت احوال الاقتصادية نتيجة ظروف لا نستطيع تحديدها، وبقيت أحواله هكذا سيئة حتىٰ الفترة الاخيرة من حياته عند اتصاله بعضد الدولة في شيراز. وكان لسوء هذه الاحوال الاقتصادية أثر في اتجاهه الادبي نثراً او نظماً نحو المديح والهجاء.

٧ – لم يقض الخوارزمي حياته في بيئة واحدة بل تنقل بين ارجاء بيئات ثلاث هي ما وراء النهر وخراسان، والعراق، والشام. لكنه اختار الاقامة الدائمية بنيسابور على الرغم من مغادرتها عدة مرات.

٨ – يبدو أن تنقل الخوارزمي في العراق وبلاد الشام كان من أجل طلب العلم والمعرفة، أما تنقله في الحواضر والاقاليم الايرانية المختلفة، فكان من أجل الحصول على الصلات المادية، لتحسين أوضاعه الاقتصادية.

٩ – عدم استقرار الخوارزمي في ولائه السياسي وعدم استقراره في مكان واحد.

١٠ – تحوم الشكوك حول قصة وروده على الصاحب بن عباد وكيفية تعرفه اليه لعدم ذكرها من قبل المصادر القريبة من عهد الخوارزمي، ولتسرّب التهويل والمبالغة اليها كلما ابتعدنا عن عصره.

١١ – اتصال الخوارزمي بمعظم حكام الأقاليم في ايران آنذاك ومدحهم للحصول على صلاتهم.

١٢ – لا نستطيع قبول كل ما ورد عن المناظرة بينه وبين بديع الزمان الهمذاني، ولكن يمكن القول أنها قد اثرت على سمعة الخوارزمي ومكانته باعتباره اديب اقليم خراسان وما وراء النهر بلا منازع.

الفصل الثالث

شعر الخوارزمي

الخوارزمي شاعراً

مما لا شك فيه أن أبا بكر الخوارزمي كان شاعراً إضافة إلى كونه كاتباً. ويبدو أن شهرته باعتباره شاعراً في القرن الرابع والقرون التي تلته، ربّما غلبت على شهرته باعتباره كاتباً. فأبو حيان التوحيدي ـ المعاصر له ـ كان ينعته بالشاعر[1]. ويصفه السمعاني الذي عاش بعده بقرن ونصف تقريباً بكونه شاعراً معروفاً ومفلقاً[2] ويشير البيهقي في تاريخه إلى أن أشعاره في العالم منتشرة[3] آنذاك. أما ابن الأثير وابن خلكان فإنّهما لا ينعتانه إلّا بالشاعر[4]، والشاعر المشهور[5]. وهكذا الحال بالنسبة للذهبي الذي يصفه أيضاً بشاعر وقته[6]. ولذلك يمكن القول بأن الخوارزمي كان شاعراً. هذا بالاضافة إلى أننا لو استنطقنا الخوارزمي لوجدناه يتحدث لنا عن كونه شاعراً وعن آرائه في الشعر والشعراء.

فعلىٰ سبيل المثال نجده يتحدث عن كونه شاعراً، يشار إليه بالبنان، ويطلبه ويتمناه كل إنسان فهو يقول في احدى رسائله:

«.. وإن دام الشيخ على حقده، ولم ينحل عن عقده، لم يجدني بحمد الله، كاسد الشعر، رخيص المهر، قوي الجزع، ضعيف البصر..»[7]

إذن فهو ليس من الشعراء الضعفاء، وليس من الشعراء الذين كسدت أسواقهم، وليس من الشعراء الذين يرتاعون لأقل هزة، ويجزعون لأقلّ خطب ينزل بهم. وهو يرىٰ أن الشعر

---

١. اخلاق الوزيرين، ص ١٠٧.

٢. الانساب للسمعاني، ٢١٣/٥؛ ٣٨/٩

٣. تاريخ بيهق، ص ١٨٦.

٤. الكامل لابن الأثير، ٥٠٤/٥.

٥. وفيات الأعيان، ١٩٢/٤.

٦. تاريخ الاسلام للذهبي، ٦٨؛ سير اعلام النبلاء للذهبي، ص ٥٢٦.

٧. رسائل أبي بكر الخوارزمي، ص ١٠٢.

والأدب لها سوق، وأن هذه السوق لا يرتادها إلّا الكرام. أما اللّئام فإنّهم بعيدون عن هـذه الاسواق، وعن الحاجات المعروضة فيها؛ فهو يقول:

«.. وإنّما الأدب سلعة تُنفق على الكرام، والشيخ منهم، وتكسد على اللّئام وهو بنجوة عنهم»[١].

فالخوارزمي ـ على هذا الأساس ـ شاعر لا يبيع سلعته في أي سوق، كما أن سلعته ليست بائرة. إنّه يختار السوق ويختار زبائن هذه السوق. فإن أعرض البعض عنه، فهذا لا يؤدى إلى كساده فالزبائن كُثْر في هذه السوق.

ثم إنّه يتحدث أيضاً ويُفصح بأنه شاعر، لم يطلّق الشعر عن رغبة أبداً، فلعل الشعر يطلقه. أما هو يطلق الشعر فهذا لا يمكن:

«.. على أنى قد طلّقني الشعر، ولا أقول طلّقته..»[٢].

فالشاعر لا يطلّق الشعر أبداً. ولا يفارقه، إذكيف يستطيع أن يتخلّىٰ عن الوسيلة التي يعبر بها عن أحاسيسه وعواطفه. ثم إنه يوضح لنا العوامل التي تساعد الشاعر وتدفعه إلى إنشاد الشعر. وفي رأيه أنّ هذه العوامل هي ثلاثة:

أ ـ الطرب. ب ـ الرغبة. ج ـ الرهبة والخوف.

وهي في الواقع قيم شعورية نفسية داخلية تجيش فى نفس الشاعر، فتدفعه إلى إخراجـها على شكل كلمات موزونة مقفّاة فالشاعر لا يستطيع ـ في رأي الخوارزمي ـ أن ينشد شعراً إذا لم توجد هذه العوامل والدوافع في نفسه، وإلا فإنّ الشعر الذي ينشده الشاعر، ولا يكون مدفوعاً بعامل من هذه العوامل الثلاثة لا يعدّ شعراً. فهو يقول:

«.. وإنّما الشعر بالطرب، أو بالرغب، أو بالرهب، وما بقي شيء يسرّ بـه فأطرب، ولا بقي كريم فأرغب، ولا بقي وجل فأرهب..»[٣].

إذن فالعوامل الدافعة لانشاد الشعر ليست بموجودة عنده الآن، وهذا يعني ـ في رأيه ـ أن الشعر قد طلّقه وليس هو الذي طلّق الشعر. فالشعر عنده يجب أن ينبض بالشعور وأن يكون معبّراً عن الطبيعة الانسانية، ودوافعها النفسية، واحساساتها العاطفية تجاه الاحداث، ولا بد

---

١. المصدر السابق، ص ١٠٣. ٢. المصدر السابق، ص ١٧٩.

٣. المصدر السابق نفسه.

أن يهتم بالانسان ومشاعره ومشاكله النفسية، أما إذا تخلىٰ عن ذلك، فربما يكون كلاماً موزوناً مقفىً ولكنه ليس بشعر. وهذا الرأي الذي نجده عند الخوارزمي في القرن الرابع، لا يختلف عمّا توصّل إليه النقّاد والأدباء في القرون المتأخرة وبخاصة القرن العشرين[1]. وعبارة الخوارزمي السابقة دليل آخر نستشفّ منها أنّه كان شاعراً أيضاً.

وفي هذا المجال أيضاً ـ مجال كون الشعر تعبيراً عن القيم الشعورية للانسان. يتحدث الخوارزمي في رسالة أخرى له قائلاً:

«... وإنّما لساني خادم من خدم فؤادي، ومتصرف من متصرفي مرادي، فكيف يفتات عليّ بشكر غيره، وكيف يجودُ بما هو متصرف فيه لغيره، وإنّما لسان الشاعر روضة لا تسلف الزهر حتىٰ تستلف المطر، ولا تضحك في وجه السماء إلّا بعد أن تستوفي حقّها من الأنداء..»[2].

لقد عبر الخوارزمي هنا بصورة واضحة ولطيفة عن وظيفة الشاعر وعن لسانه. فاللسان لا يمكن أن يتصرف لوحده فقط، وهو لا يتمتع بشخصية مستقلة، بل هو تابع للفؤاد الذي هو مركز العاطفة والإحساس والشعور. إنّ اللسان هو الوسيلة التي يستخدمها الفؤاد لبيان ما يحس ويشعر به، ولا يمكن لهذه الوسيلة أن تتصرف إلّا بأمر من الفؤاد. والخوارزمي يتساءل مستنكراً، كيف يستطيع هذا اللسان أن يفصح عمّا لا يحسه القلب ولا يدركه الفؤاد؟! ولأجل أن يثبت رأيه ودعواه هذه فإنّه يُشبه لسان الشاعر بالروضة التي لا تستطيع أن تمنح الزهر وتقدمه إلّا إذا ارتوت من المطر، ولا تستطيع هذه الروضة أن تبتسم وتزداد طراوة، إلّا إذا تمتعت بالأنداء في وقت الليل. إنّه يريد أن يقول إذا لم يستطع الانسان أن يمتلك فؤاد الشاعر وقلبه، لا يستطيع أن يمتلك لسانه، فكلّما زاد امتلاك الانسان قلب ذلك الشاعر وفؤاده ـ إما بوسائل مادية أو معنوية ـ، كلّما زاد امتلاك لسانه. والخوارزمي هنا ـ شأنه كأي شاعر آخر ـ يشير إلى الصلة المادية وكونها ضرورية في استمالة فؤاد الشاعر وقلبه لتتكون لديه الرغبة في مدح الممدوح. ومن كلمة الخوارزمي هذه نستدل أنّه كان شاعراً وأنّه كان ينشد الشعر أملاً في الوصول إلى الصّلة.

---

١. دراسات في الشعر العربي المعاصر، الدكتور شوقي ضيف، ص ٧٤.

٢. رسائل أبي بكر الخوارزمي، ص ١٥٧.

ويبدو أن ظروف الخوارزمي المادية القاسية السيئة كانت من العوامل المهمة الدافعة لانشاد المديح، رغبة في الحصول على الصلة. فهو يؤكد كثيراً على هذا العامل إذ يقول :

«والشعر ينقلب مع الجود حيث كان، ويرتاد المعروف والإحسان، وإنّما هو ماء سارب، بل سيل زاعب، إذا سدّ عليه طريقه خرق الأرض خرقاً، وجعل لنفسه طريقاً، بل طرقاً، وما أشبه من أكره الألسن على مدحته، إلّا بمن أكره القلوب على محبته،

يُحِبُّ المديحَ أبو خالدٍ وَيَضْجَرُ مِنْ صِلَةِ المادحِ

كبكرٍ تحبُّ لذيذَ النّكاح وتفرقُ مِنْ صَوْلَةِ الناكحِ»[١].

١ / فالخوارزمي في هذه القطعة شاعر يعرف الشعر وخصائصه معرفة كاملة. فالشعر يدور حيثما دار الجود، وهو رهين الإحسان والمعروف.

٢ / الشعر طاقة فيّاضة، وقوة ضخمة، وإحساس موّاج، إذا انطلق لا تستطيع أية قوة أن تقف بوجهه وتصدّه عن مسيرته، فلو سدّت في وجهه طرق الأرض السطحية، فإنّه يختار طرق الأرض الباطنية، حتىٰ يصل إلى هدفه ومبتغاه.

٣ / لا يمكن للإكراه والإجبار أن يؤثّرا على الشاعر ويدفعاه لإنشاد الشعر، فمثله حينئذ كمثل القلب الذي يكره على المحبة. والنتيجة واحدة، يمكن أن تكون رصّاً من الكلمات الباردة التي لا تحمل أية عاطفة أو إحساس ولا تجيش بأي شعور أو وجدان، ومثل هذا لا يعد شعراً لدى الخوارزمي، كما نفهم ذلك من عباراته.

٤ / ولكي يدلّل الخوارزمي على ما قاله يستشهد ببيتين من الشعر، يعزّز بواسطتهما مقولته السابقة، ويؤكد بواسطتهما على أهمية الجود والكرم والإحسان والمعروف بالنسبة للشاعر، إذ بدونها لا يمكن أن نتوقع منه أيّ شعر جيد. فلكلّ شيء ثمنه، وثمن المديح الجيد، وثمن الثناء الجيّد، العطاء الوافر، والكرم السخيّ والجود الذي لا يعرف الحدود.

والخوارزمي، يشير في رسالة أخرى له، إلى كونه إنساناً يجمع بين الكتابة والشعر، ويعد هذا الجمع خصيصة نادرة قلّما تجتمع لإنسان. فالشاعر ينشد الشعر دائماً، وخصيصة إنشاد

---

١. المصدر السابق، ص ١٨ ـ ١٩.

الشعر لا تتوفر لكل انسان ؛ فكون الانسان شاعراً ميزة تميزه عن الآخرين. وهكذا الحال بالنسبة إلى الكتابة إذ نادراً ما تجتمع لأحد، إلّا للموهوبين من الناس. أما إذا اجتمعت الميزتان لفرد، فهذه ظاهرة غريبة لا توجد ظاهرة أغرب منها، ونادرة قلّما نجد لها في الزمان مثيلاً :

«.. والكتابة آلة عجيبة وهي من الشاعر أعجب؛ كما أن الشعر صناعة غريبة، وهو من الكاتب أغرب ..»[1].

وفي هذه العبارة ما يُستدل بها ويستشف منها على كونه شاعراً وكاتباً.

والخوارزمي، أديب كان مشهوراً بحفظه الآلاف من شعر العرب. ولكنه لا يرى ذلك كافياً بالنسبة للأديب والشاعر. إذ يعتقد الخوارزمي بضرورة وجود قوة الخلق والإبداع والإبتكار لدى الشاعر. فالشاعر ليس بذلك الإنسان الذي يجتر أقوال من سبقوه، والأديب ليس بذلك الانسان الذي يعتمد على تكرار ما تفوه الآخرون به، فالإبداع شرط من شروط الأديب والشاعر :

«.. ومن لا يعدّ إلّا حفظ اللغة والإعراب، ورواية أشعار العرب، هذا جسم الأدب فأين روحه، وقشر الفهم فأين لبّه ..»[2].

والخوارزمي يعد نفسه شاعراً، ومن زمرة الشعراء إذ يقول في رسالة له :

«.. فإن كان أولئك رؤساء، فليس رؤساؤنا برؤساء، وإن كان هؤلاء شعراء فلسنا نحن شعراء ..»[3].

إنه يقارن بين الهبات والعطايا والصلات التي منحها بنو المدبّر للبحتري، ومحمد بن الهيثم لأبي تمام، وبين ما منح هو وأُعطي من هبات وصلات، فيرىٰ زمنه لئيماً وبخته ذميماً. إذن هو يجعل نفسه في مصافّ البحتري وأبي تمام، ولذلك فهو يندب حظّه وزمانه، لأنه لم يوفّه حقّه، وانّ الرؤساء الذين يعايشهم لم يمنحوه تلك الصلات التي منحها أولئك للبحتري وأبي تمام. وليست هذه العبارة إشارة صريحة إلى كونه شاعراً فحسب، بل تحمل في طياتها مقارنة نفسه بالبحتري وأبي تمام، وأنّه لا يقلّ منزلةً في الشعر عنهما.

وأبو بكر يتحدث أيضاً عن شيطانه، هذا الشيطان الذي لا يفارق شاعراً من الشعراء. فهو

---

١. المصدر السابق، ص ٥٤. ٢. المصدر السابق، ص ١١٠.

٣. المصدر السابق، ص ١٠٣.

يشعر ويكتب استجابةً لنداء قلبه، ويهذّب وينقح استجابة لشيطانه الذي يطالبه بـذلك. إذ يقول :

« .. وإنّ مثل يد الشيخ، بسطها الله تعالى بالخيرات، تكتبه، لحاسبت عليه قلبي ولساني أدق حساب، وطالب شيطاني بتنقيحه وتهذيبه أشد طِلاب ..»[١].

ونواجه اعترافاً آخر وتأكيداً على كونه الخوارزمي شاعراً عندما يتحدث عن صفات الشعراء، في رسالة له وعن الفروق التي يمتاز بها عن بقية الشعراء. فهو شاعر إلا أنه ينزّه نفسه عن السمات السلبية التي يتسم بها الشعراء، فهو شاعر لا يحمل إلّا الصفات الإيجابية. فهو وإن كان شاعراً ينشد الشعر بلسانه، إلا أنه ليس شاعراً يتصف بما اتصف به الشعراء من أخلاق وسلوك، ومن تلّون في الشخصية. إدعاء يطلقه الخوارزمي ولا يملك الدليل على صحته، بل ربما توجد دلائل تثبت نقيض هذا الإدعاء عليه، ونحن لا نريد هنا مناقشة الخوارزمي في هذا المجال، وإنّما الذي يهمنا هو الاستدلال على كونه شاعراً من أقواله وكلماته التي بثّها في تضاعيف رسائله المتنوعة. فهو يقول :

« .. وأنا وإن كنت شاعر اللّسان، فلست شاعر الخلق، ولا شاعر الوفاء والصدق، ولا شاعر الصداقة والود، ولا شاعر الديانة والعقد، لا تتلون أخلاقي ألواناً، ولا أكون على صديق ومن يشكو إليّ زماناً، ولا أكون أخاه أيام دولته، وعدوه أيّام عطلته، ولقد غشت المروءات، وانثلمت المودات، ومات الوفاء، والثبات ..»[٢].

فهو إذن في هذه القطعة من كلامه يؤكد صراحة على كونه شاعراً، ويتنصّل من كل الصفات السلبية التي يشتهر بها الشعراء، ويبكي زمانه الذي مات فيه الوفاء والثبات على العهد. وهو يؤكد على بعض الصفات السلبية الموجودة في الشعراء، وبخاصّة الصدق الذي يندر أن يوجد فيهم، وأظنه لدى شعراء المديح، حتىٰ أنّه يضرب المثل في ندرة هذه الصفة لدى الشعراء، إذ يقول :

« .. والله لو كان من الورق أعز من الوفاء، وأغرب من السخاء .. ، وأعوز من

---

١. المصدر السابق، ص ١٣١.

٢. رسائل أبي بكر الخوارزمي، ص ١٨٤.

الكمال في النساء ومن الصدق في الشعراء..»[1].

ولا يكتفي الخوارزمي بمعرفة وذكر هذه الصفة السلبية للشعراء، بل هو عالم بالصفات الأخرىٰ لهم، لأنّه منهم، وصاحب البيت ادرىٰ بما وبمن فيه، سواء أكانت هذه الصفات ايجابية أم سلبية. فهو يقول:

«.. وما ظنك بقوم الإقتصاد محمود إلّا منهم، والكذب مذموم إلّا فيهم، إذا ذموا ثلبوا، وإذا مدحوا سلبوا، وإذا رضوا رفعوا الوضيع، وإذا غضبوا وضعوا الرفيع، وإذا أقرّوا علىٰ أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد، ولم تمتد إليهم بالعقوبة يد، غنيّهم لا يصادر وفقيرهم لا يحتقر، وشيخهم يوقر، وشابهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ في الأعراض إذا نبت السهام عن الأغراض، وشهادتهم مقبولة وإن لم ينطق بها سجل ولم يشهد عليها عدل، وسرقتهم مغفورة وإن جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار، إن باعوا المغشوش لم يرد عليهم، وإن صادروا الصديق لم يستوحش منهم، بل ما ظنّك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال، وسماسرة النقص والكمال، بل ما ظنّك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل، بل ما ظنّك بقوم هم أمراء الكلام يقصرون طويله، ويخففون ثقيله، ويقصرون ممدوده، ولم لا أقول ما ظنّك بقوم يتبعهم الغاوون، وفي كل واد يهيمون، ويقولون ما لا يفعلون»[2].»

فأبو بكر ليس ببعيد عن الشعراء، وصفاتهم الحميدة والمذمومة، وهو يبرر لهم كثير من الرذائل الأخلاقية إذ هم مُستثنون منها، لا يحاسبون عليها، ثم يستدل على ما يذهب إليه بنصوص قرآنية.

ويؤكد الخوارزمي كونه شاعراً بصورة غير مباشرة حين يقول:

«.. وقد كنت أعيب من الشعراء من مدح إنساناً ثم هجاه، وأنسبه إلى ضعف المسكة، وإلى وهن العزيمة، وانحلال العقدة، حتىٰ بليت الآن بهجاء الدهر

---

١. المصدر السابق، ص ٦٤.

٢. المصدر السابق، ٢٠، ٢١؛ انوار الربيع في انوار البديع لابن معصوم، ٢/٣٨٢.

وطالما مدحته، ودفعت إلى حربه، وطالما صالحته..»[١].

فهو يعترف ضمناً أنّه كان يريد التنصّل عن صفات الشاعر السلبية، إلا أنه لم يستطع ذلك، بل اتصف بتلك الصفة السلبية، واقترف ذلك الذنب الذي كان يعيبه علىٰ الآخرين.

والخوارزمي بالإضافة إلى ذلك له رأي في مدرسة الشعر ومناهجها وموادها الدّراسية ومتخرجيها من الشعراء. فهو يحدد لنا مناهج هذه المدرسة وموادها الدراسية، ويرىٰ أنّ من يدخل هذه المدرسة، ويدرس هذه المواد، ولم يتخرج كشاعر، فلا أشب الله قرنه؛ فهو يقول:

«.. من روى حوليات زهير، واعتذارات النابغة، وأهاجي الحطيئة، وهاشميات الكميت، ونقائض جرير والفرزدق، وخمريات أبي نواس، وزهديات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وتشبيهات ابن المعتز، وروضيات الصنوبري، ولطائف كشاجم، وقلائد المتنبي، ولم يتخرّج في الشعر، فلا أشبّ الله تعالى قرنه»[٢].

فهذه في رأي الخوارزمي البنىٰ الأساسيّة والتحتية للانسان ليصبح شاعراً. وهي بالاضافة إلى ذلك، فإنّها تحمل رأيه في القصائد والأبيات المهمة في الشعر العربي وما كان يشتهر به كل شاعر من غرض أو فن شعري.

ولم يكن الخوارزمي شاعراً ملماً بأصول الشعر وفنونه، ومخططاً لبرامج الشاعر الدراسية فحسب، بل كان عالماً بالتاريخ الأدبي للشعر، والأحداث التي ألمت به على طول التاريخ، والصراعات الطائفية التي أثرت فيه، وحرّفت كثيراً من مفرداته. فهو يقول في رسالته المشهورة إلى الشيعة بنيسابور:

«.. ان شعراء قريش قالوا في الجاهلية أشعاراً يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام، ويعارضون فيها أشعار المسلمين، فحملت أشعارهم، ودونت أخبارهم، ورواها الرواة مثل الواقدي[٣]، ووهب بن منبه التميمي[٤]، ومثل

---

١. المصدر السابق، ص ١٥٢.

٢. ثمار القلوب للثعالبي، ص ٢١٦؛ التوفيق للتلفيق للثعالبي، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

٣. حول الواقدي راجع: مصادر الشعر الجاهلي، الدكتور ناصر الدين الاسد، ص ٥٠، ١٨٢، ١٨٣، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٤٦٨، ٤٧٠.

٤. راجع حوله المصدر السابق، ص ١٤٢، ١٥٠.

الكلبي[١]، والشرقي بن القطامي، والهيثم بن عدي[٢]، ودأب بن الكناني. وإنّ بعض شعراء الشيعة يتكلّم في ذكر مناقب الوصي، بل في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، فيقطع لسانه، ويمزّق ديوانه، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقي، وكما أريد بالكميت بن زيد الأسدي، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري، وكما دمر علىٰ دعبل بن علي الخزاعي، مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة اليمامي، ومن علي بن الجهم الشّامي[٣]، ليس إلّا لغلوهما في النصب واستيجابهما مقت الرب؛ حتىٰ انّ هارون بن الخيزران، وجعفر المتوكل على الشيطان، لا على الرحمان، كانا لا يعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً، إلّا لمن شتم آل أبي طالب، ونصر مذهب النواصب، مثل عبد الله بن مصعب الزبيري، ووهب بن وهب البختري، ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأموي، ومن الأدباء مثل عبد الملك بن قُرَيب الأصمعي. فأما في أيام جعفر، فمثل بكار بن عبد الله الزبيري، وأبي السمط بن أبي الجون الأموي، وابن أبي الشوارب العيشمي..»[٤].

ففي هذه القطعة إذن، يشير الخوارزمي إلى نواحٍ من الأدب لها أهمية عظيمة. فقد لوّح إلى أنّ هناك أشعاراً وضعت بعد الإسلام، على ألسنة الجاهلية معارضة لأشعار المسلمين، ورواها مثل الواقدي ووهب بن منبه التميمي، ومثل الكلبي، والشرقي بن القطامي، والهيثم بن عدي. وهو بهذا ينصّ علىٰ أن أشعاراً وضعت للحطّ من علي بن أبي طالب. وعرفنا من هذه القطعة أيضاً، أن من شعراء الشيعة من قطع لسانه ومزّق ديوانه فضاع شعره، وهو عبد الله بن عمار البرقي، فصار لذلك من الشخصيات المجهولة في تاريخ الآداب. وعرفنا منه أيضاً أن عبد الله بن مصعب، ووهب بن وهب البختري، ومروان بن أبي حفصة الأموي، وعبد الملك بن قُريب الأصمعي، وبكار بن عبد الله الزبيري، وأبا السمط بن أبي الجون الأموي، وابن أبي الشوارب العيشمي

١. راجع حوله المصدر السابق، ص ١٤٧، ١٦٩.

٢. راجع حوله المصدر السابق، ص ٢١٨، ٢٦٦، ٣٢٢؛ تاريخ الادب العربي لعمر فرّوخ، ٢ / ١٨١ ـ ١٨٣.

٣. راجع حوله تاريخ الادب العربي لعمر فرّوخ، ٢ / ٢٨٩ ـ ٢٩٣.

٤. رسائل أبي بكر الخوارزمي، ص ١٦٦.

كانوا جميعاً من المتحاملين على آل أبي طالب.

ومثل هذا الكلام لا يعد جديداً في ذاته، فقد أشار إلى مثله كتّاب التراجم، ولكن وروده على لسان الخوارزمي، مضافاً إلى ما أفاض فيه من عيوب الخلفاء، يوضح أشياء كثيرة لها أهميتها في تحديد الاتجاهات الفكرية والأدبية عند الكتاب والشعراء والمؤلفين آنذاك؛ ويدعو إلى التحفّظ والاحتراس مما نسب إلى كثير من المتقدمين[١].

من الامثلة التي أوردناها نصل إلى هذه النتيجة: وهي إنّ الخوارزمي كان شاعراً ملماً بكل ما يتعلق بالشعر، وماهيته، وخصائصه، والصفات التي يتمتع بها الشعراء، وهذا يعني أن شاعريته كانت تحتل مكانة سامية آنذاك مما حدا بالذهبي إلى القول أنّه كان شاعر وقته. وكون الخوارزمي شاعراً لم يكن بأقل من كونه كاتباً. وما شاع عنه لدى المتأخرين من كونه كاتباً أكثر من كونه شاعراً ـ على ما أظن ـ يعود إلى وجود ديوان رسائله وفقدان ديوان شعره وبالتالي ضياع الكثير من شعره وعدم وصوله إلينا.

ديوان الخوارزمي

وهنا يتبادر هذا السؤال إلى الاذهان وهو هل كان للخوارزمي ديوان شعر؟ وإذا كان الجواب ايجابياً، فهل كان هذا الديوان يضم الآلاف من الأبيات الشعرية أم أنّه كان ديواناً صغيراً مختصراً؟ وبعبارة أخرى هل كان الخوارزمي يعدّ في زمرة الشعراء المقلّين أم لا ؟!

وحول السؤال الأول، نحن نمتلك الأدلة التاريخية القاطعة الصريحة الدالة على وجود ديوان للخوارزمي، وخلاصتها فيما يأتي:

١ / لقد روى الثعالبي لنا الكثير من أبيات الخوارزمي مشيراً إلى بعضها بأن الخوارزمي قد أنشده إياها. أما القسم الأكبر منها فلم يذكر إنشاد الخوارزمي إياها له. فمن أين جاء بها إذن !؟ بالتأكيد أنّه جاء بها من ديوان الخوارزمي الذي يصرح الثعالبي بوجوده وبأنّه مخلّد سائر[٢].

٢ / جاءت في «تاريخ يـميني»، وفي معرض ذكره لقصيدة الخوارزمي، في مدح أبي نصر

---

١. النثر الفني في القرن الرابع، ٢/٢٧٦.   ٢. اليتيمة ٤/٢٢٣.

أحمد بن الميكالي هذه العبارة «.. هكذا كان في ديوانه ..»[١].

٣ / وردت هذه العبارة في دمية القصر : «.. وقرأت في ديوان الأستاذ أبي بكر الخوارزمي قصيدة رثاه بها ومطلعها ..»[٢].

٤ / صرحت بعض المصادر التاريخية بوجود ديوان شعر له[٣].

٥ / نقلت بعض المصادر عن ياقوت الحموي هذه العبارة «وقرأت في آخر ديوانه ..»[٤].

٦ / اكثر المصادر التي نقلت أبياتاً للخوارزمي أشارت إلى أنها أبيات مختارة من قصائده. وهذا يعني أن القصائد كانت في متناول أيدي هؤلاء، ليختاروا منها، وهذا دليل غير مباشر على وجود ديوان له.

٧ / إنّ الخوارزمي الذي جمع رسائله في ديوان، لابد وأنّه كان قد اهتمّ بجمع أشعاره في ديوان أيضاً. وهذه العادة ـ عادة جمع الدواوين من قبل أصحابها ـ كانت مألوفة في القرن الرابع الهجري.

فقد ذكر لنا ابن النديم أنّ الخالديين، أبا بكر وأبا عثمان عملا شعر الخبّاز البلدي بثلثمائة ورقة[٥]، وعمل أبو عثمان الخالدي شعره وشعر أخيه قبل موته، وصنّف لعدد من الشعراء المحدثين[٦]. ويظهر أن اهتمام الشاعر بشعره وجمعه، لم يكن لحفظه من الضياع فحسب، بل كان نشاطاً شعرياً وثمرة من ثمرات التلمذة والقراءة. فالشاعر أبو الطيب المتنبي قام بترتيب ديوانه بنفسه[٧] وأملىٰ علىٰ من قرأ الديوان عليه شرحاً لغريبه وتفسيراً لبعض معانيه، هذا بالاضافة إلى أنّه كتب بنفسه مقدّمات قصائده[٨].

---

١. تاريخ يميني للعتبي، ص ١٩٦.
٢. دمية القصر للباخرزي، ٨٣١/٢.
٣. انظر على سبيل المثال : وفيات الاعيان، ٤٠١/٤؛ تاريخ الاسلام للذهبي، ص ٦٨؛ سير اعلام النبلاء للذهبي، ص ٥٢٦؛ مرآة الجنان، ٤١٧/٢؛ أعيان الشيعة ٣٧٨/٦ نقلاً عن بساتين الفضلاء ورياحين العقلاء للنيسابوري (ت ٧٢٨هـ).
٤. انظر على سبيل المثال، عيون التواريخ لابن شاكر ١٣٣/١٠؛ الوافي بالوفيات للصفدي ١٩٥/٣. ولكني لم اعثر على هذه العبارة في معجم الادباء ولا في معجم البلدان.
٥. الفهرست، ابن النديم، ص ٢٤٠.
٦. المصدر السابق، ص ٢٤١.
٧. ديوان أبي الطيب المتنبي، الدكتور عبد الوهاب عزام، ص ٢١.
٨. المصدر السابق، ص ٨، ١٥، ١٨، ٣١.

كما قام أبو فراس الحمداني بترتيب ديوان شعره بنفسه قبل موته بقليل[١]، وهذا دليل آخر على انتشار هذا النشاط الشعري بشكل واسع في القرن الرابع الهجري.

ولم يكن هذا النشاط وقفاً علىٰ الشعراء الكبار الذين ذاعت شهرتهم، وعُرفوا أعلاماً في دنيا الشعر، وإنّما كان نشاطاً عاماً ومظهراً واسعاً. وقد ذكر لنا الخطيب البغدادي، أن الشاعر نصر بن أحمد أبا القاسم البصري المعروف بالخبزارزي «نزل بغداد وأقام فيها دهراً طويلاً، وقُرئ عليه ديوانه[٢]. وقرأ الخطيب البغدادي نفسه أكثر شعر الشاعر عبد الواحد بن محمد بن يحيىٰ بن أيوب المعروف بالمطرز المتوفي سنة ٤٣٩هـ»[٣].

وكان الشريف الرضي من الشعراء الذين اهتموا بكتابة دواوينهم، وقد اعتنىٰ بشعره، وكتبه بخطه. ويذكر لنا أخوه الشريف المرتضىٰ هذا الخبر عنه: «ولما تصفّحت شعره رضي الله عنه لإخراج ما يتعلق بالطيف في هذا الوقت وهو سنة نيف وعشرين واربعمائة، وجدت هذه الأبيات ملحقة بخطه رحمه الله في الجزء الثاني من شعره في حاشية، فنقلتها عنه كما وجب لأنّها بخطه الذي لا أشك فيه»[٤]. ويتضمن هذا النص إشارة صريحة إلى أن ديوان الشريف الرضي كتب بخط ناظمه، وأنّ المرتضىٰ اقتنع بصحّة الأبيات لأنّها بخط صاحبها، مما يدل على تمام الديوان في حياة صاحبه.

وقد طُلب ديوان الشريف الرضي في وقت مبكر، وأرسل الصاحب بن عباد من يستنسخ تمام شعره وذلك في محرم سنة ٣٨٥[٥].

ولم يكن الشريف المرتضىٰ أقل اهتماماً بديوانه، ويتوفر لدينا دليل علىٰ أنّ ديوانه قد جمعه في حياته، إذ يقول في أحد كتبه «وهذا ما انتزعته من ديوان شعري في الشيب»[٦] فهو إذن يؤكد تمام ديوانه واحتفاظه بنسخة من هذا الديوان.

نستخلص من هذا العرض الموجز للنشاط الأدبي، أن قيام الشاعر بجمع ديوانه وكتابته كان

---

١. تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٩٢/٢.
٢. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٢٩٦/١٣.
٣. المصدر السابق، ١٦/١١.
٤. طيف الخيال، الشريف المرتضىٰ، تحقيق صلاح خالص، ص ٧٣.
٥. ديوان الشريف الرضي، ٢٨٥/١، جاء ذلك في مقدمة قصيدة «بيني وبينك حرمتان».
٦. الشهاب في الشيب والشباب، الشريف المرتضىٰ، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠٢هـ، ص ٥٢.

أمراً مألوفاً. وممّا يؤكد هذه الألفة وهذا الشيوع، قيام الخوارزمي نفسه بجمع ديوان رسائله وإعارته إلى من كان يطلبه منه لاستنساخه[١].

لقد شاءت الأقدار أن تلف الخوارزمي كشاعر بضباب يلقي ظلال العتمة عليه، فقد فُقد ديوانه الذي يظن أنّه صنعه في القرن الرابع الهجري وفي ايام حياته. فبقيت جوانب كثيرة من شخصيته وفصول كثيرة من حياته، كان يمكن لديوانه أن يكشفها، مهملة مبهمة. وما ذكره بروكلمان عن وجود ديوان شعره وعن طبعه فهو محض اشتباه لا يرقىٰ إلى الحقيقة في شيء[٢]. وهكذا بالنسبة إلى سزگين عند ذكره لمخطوطة كيمبردج، فهي ليست لخوارزميّنا هذا[٣].

ومجموع الشعر الذي بين أيدينا لا يتعدى ما نقلته المصادر المختلفة في طياتها، ولا يكاد يشكل إلّا جزءاً بسيطاً مما قاله الخوارزمي من الشعر. فلم تكن هذه المصادر تعني بسرد قصائد كاملة للشعراء، بل كانت تصب اهتمامها علىٰ نقل مقاطع منها تتلاءم والمواضيع المطروقة فيها.

فكتب التواريخ لم تقدم لنا شيئاً من شعر الخوارزمي غير آحاد من الابيات، باستثناء كتاب تاريخ يميني للعتبي فإنّه نقل لنا قصيدتين، أغلب الظن أنّهما ليستا بكاملتين، إحداهما في مدح أبي علي البلعمي وتبلغ اربعة وعشرين بيتاً[٤]، والثانية في مدح قابوس بن وشمكير ولا تتجاوز الثمانية عشر بيتاً[٥].

واكثر ما ورد في كتب التراجم لا يتعدى كونه مقاطع صغيرة من قصائد الخوارزمي، وبعض هذه الكتب قد أهملت الترجمة للخوارزمي بشكل مستقل وما نقلته من أبيات متفرقة له كان في طيّات الحديث عن شخصيات أخرىٰ، كما هو الحال بالنسبة لمعجم الأدباء. ولعل الكتاب الوحيد الذي يمكن عدّه ضمن كتب التراجم الى حدّ ما، والذي نقل أبياتاً كثيرة للخوارزمي هو كتاب يتيمة الدهر للثعالبي. ولكنّه هو الآخر لم يذكر لنا قصائده الكاملة، بل اكتفىٰ فقط بنقل قطع له، إذ كثيراً ما نلحظ هذه العبارة تتكرر «ومن قصيدة له». وأكثر القطع أبياتاً التي نقلها الثعالبي والتي تتجاوز العشرين بيتاً، هي القطعة التي انشدها الخوارزمي من قصيدة له في رثاء أبي سعيد الشبيبي والتي بلغت ستة وثلاثين بيتاً[٦]، والقطعة التي نظمها الخوارزمي في فن الغزل

---

١. رسائل ابي بكر الخوارزمي، ص ١٣١، ٢٢١.
٢. تاريخ الادب العربي، بروكلمان ٢/ ١١١ ـ ١١٢.
٣. تاريخ التراث العربي، الشعر، ٤/٢٤٧.
٤. القطعة ٩٩ / ١ ـ ٢٤.
٥. القطعة ٢١٣ / ١ ـ ١٨.
٦. القطعة ٥٨ / ١ ـ ٣٦.

من قصيدة له ولا تتجاوز سبعة وعشرين بيتاً [1]، والقصيدة التي نظمها عندما كان في سجن سجستان يستشفع بأبي نصر أحمد الميكالي وبلغت اثنين وعشرين بيتاً [2].

أما كتب الأدب فإنّها اعتمدت الاستشهاد باليسير من شعر الخوارزمي بما يتلاءم والموضوع الأدبي المنوّه عنه في هذه الكتب.

واهتمت كتب الاختيارات بأشعار للخوارزمي تعبّر عن مواضيع حددها أصحاب هذه الاختيارات، وجمعوا تحت عنوانها ما لاءمها من أشعار الشعراء. ولكنها لم تنقل إلّا قطعاً لا تتجاوز ابياتها الواحد أو الاثنين أو الثلاثة.

نظرة احصائية عامة للديوان

إن قلة الأبيات الموجودة بين أيدينا للخوارزمي تؤيد ماذهبنا اليه عند الحديث عن ديوانه، من فقدان أكثر شعره، ولعل فيما نورده من ملاحظات يعد دليلاً على ماذهبنا اليه.

لقد بلغ مجموع القطع التي توصلنا إليها، مائتين واحدى وخمسين قطعة. منها خمس وخمسون قطعة قائمة ببيت واحد. ولدينا ثلاث وتسعون قطعة، كلٌّ منها في بيتين إثنين لا ثالث لهما؛ وأربعون مقطوعة في ثلاثة أبيات، وأربع عشرة قطعة في أربعة أبيات، وعشر قطع في خمسة أبيات، وإحدى عشرة قطعة في ستة أبيات، وثلاث قطع في سبعة أبيات، وأربع قطع كلٌّ منها في ثمانية أبيات، وست قطع في تسعة أبيات.

ولدينا قطعتان كلٌّ منهما تحتوي على أحد عشر بيتاً، وقطعتان في ثلاثة عشر بيتاً، وقطعة واحدة في أربعة عشر بيتاً، وثلاث قطع في خمسة عشر بيتاً، وقطعة واحدة في ستة عشر بيتاً، وقطعة واحدة أيضاً في سبعة عشر بيتاً، وأخرى في ثمانية عشر بيتاً.

كما لدينا قطعة واحدة في إثنين وعشرين بيتاً، وثانية في أربعة وعشرين بيتاً، وثالثة في سبعة وعشرين بيتاً. كما نملك قطعة واحدة تبلغ أبياتها ستة وثلاثين بيتاً.

وهذا يعني أنّ حوالي ٧٥٪ من مجموع القطع لدينا لا تتجاوز أبياتها الثلاثة. وإنّ حوالي ١٨٪ من القطع لا تتجاوز أبياتها التسعة. وبعبارة أخرىٰ فإنّ حوالي ٩٣٪ من القطع تتراوح

---

١. القطعة ٥٨ / ١ ـ ٣٦.　　٢. القطعة ١٧٧ / ١ ـ ٢٢.

أبياتها بين ١ ـ ٩ أبيات.

ونتيجة هذا العرض نستطيع التأكيد على ضياع أكثر شعر الخوارزمي، والقول إن ما وصلنا منه لا يمثّل إلّا جزءاً يسيراً مما فاضت به قريحة هذا الشاعر المبدعة. ونحتمل أنّ أبيات الخوارزمي تتراوح بين ٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ بيت. وان ما توصلنا إلى جمعه لا يتجاوز حوالي الخمس من مجموع أبياته. فالخوارزمي لم يكن ـ على هذا الأساس ـ من الشعراء المقلّين.

ومما سبق يمكننا فهم منشأ الصعوبة التي يواجهها الباحث في تقدير شاعرية الخوارزمي، وتقويمها بصورة دقيقة، وفهم شخصيته بشكل أفضل، وكشف جوانب من حياته بقيت غامضة في أخبار المصادر. هذه الأمور قد يسمح بها الزمن إذا ما قدّر للبعض العثور في المستقبل علىٰ ديوان الخوارزمي المفقود في احدىٰ المكتبات العامة أو الخاصة غير المفهرسة في أرجاء العالم الاسلامي الواسع.

الاغراض والفنون الشعرية

استمرت الاغراض والموضوعات الشعرية القديمة من مدح، ورثاء، وهجاء، وفخر، وحماسة، ووصف، وغزل، وما إلى ذلك من اغراض أخرىٰ سائرة في طريقها، متخذة مكانها في شعر القرن الرابع الهجري، واستمرت تفرض نفسها فرضاً على نتاج الشعراء الذين ظلّوا مأسورين بكلّ حواسهم، مقيّدين بكلّ عقولهم لهذه الموضوعات التقليدية التي وجدوا فيها الغذاء الروحي لقرائحهم والزاد الدّسم لصقل مواهبهم.

وللتدليل على ذلك، نجد أن عمالقة الشعر، وفطاحل النظم في هذا القرن يكادون يلتزمون في أشعارهم النهج التقليدي القديم، كالمتنبي، وأبي فراس الحمداني، وابن نباتة السعدي، والسري الرفاء، والشريف الرضي، وأبي اسحاق الصابي، وأبي العباس النّامي، وأبي الفرج الببغاء، والوأواء الدمشقي وغيرهم من أفذاذ الشعراء ومشاهيرهم الذين لمع نجمهم وذاعت شهرتهم، حيث يعدّون أمثلة لهذا الإلتزام بالموضوعات القديمة[1].

ولم يكن شاعرنا الخوارزمي بمنأىٰ عن شعراء هذا القرن والعصر الذي عايشه، لذلك لا نراه

---

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، الدكتور نبيل خليل ابو حلتم، ص ٩٧.

يقتصر فيما وصلنا من شعره، على غرض دون آخر، بل نجده قد طرق أكثر الأبواب والأغراض التقليدية المعروفة في عصره. فقد مدح حكاماً وأمراء وشخصيات كانت لها مكانتها في المجتمعات التي عاشها، كما هجا آخرين من خصومه أو خصوم ممدوحيه، وتغزّل بالحبيب، والحبيبة، والقينة، والجارية، وحتىٰ بالمذكر، ووصف الطّبيعة وما فيها من نبات وحيوان، كما وصف الشيب والشباب والدنيا، وعرضَ بعض الحكم والمواعظ، وتبرّم بالدهر وشكا حاله والدنيا التي يعيشها، وفخر بنفسه، واستعطف واستشفع، ووصف الخمرة وشربها.

ولكننا إذا استعرضنا الأبيات التي وصلتنا من شعره، فإنّنا نجد أكثرها قد نظمت في موضوع المدح، فلهذا الموضوع في شعر الخوارزمي موقع ليس لغيره من الأغراض الشعرية الأخرىٰ. وهذا يدفعنا إلى أن نعدّه من ضمن شعراء المديح في القرن الذي عاشه. ولو وصلنا من شعر الخوارزمي القدر الأكبر منه، لأمكننا تعيين اتجاهات الشاعر، وموضع كل غرض من أغراضه، وفنونه الأدبية في شعره، ولاستطعنا تحديد أهمية كل فن منها في بنيان شاعريته بشكل أكثر دقة وموضوعية.

فالمديح يطغىٰ على ثلث الأبيات التي وصلتنا من هذا الشاعر. فقد بلغت هذه الأبيات حوالي ٣١٨ بيتاً من مجموع ٩١٨ بيتاً، أى أنها تشكل حوالي ٣٤/٦٪ من ديوانه الذي جمعناه له.

أما الغرض الذي يلي المدح في عدد الابيات فهو الهجاء. إذ بلغت أبياته في هذا الموضوع حوالي ١٤٣ بيتاً، وتشكل حوالي ١٥/٦٪ من ديوانه.

ويحتل الغزل المرتبة الثالثة في تسلسل الأغراض الشعرية، فقد بلغت أبيات هذا الفن حوالي مائة بيت، وشكلت حوالى ١٠/٩٪ من الديوان.

ويأتي كلّ من الوصف والرثاء في المرحلة الرابعة بعد الغزل، ويكادان لايختلفان عن الغزل إلّا في بيتين، إذ بلغت الأبيات التي وصلتنا في كلّ من هذين المجالين حوالي ٩٨ بيتاً، تشكل حوالى ١٠/٧٪ من الديوان.

وتخصص المرتبة الخامسة لشعر الحكم والنصائح التي أنشدها الخوارزمي، إذ بلغت الأبيات في هذا الموضوع حوالي ٦٥ بيتاً، شكلت نسبة تقدر بحوالي ٧٪ من الديوان.

وتأتي الابيات المنظومة في موضوع الشكوىٰ لتحتل المرتبة السادسة في قائمة الأغراض

الشعرية، حيث بلغ عدد الأبيات حوالي ٤٩ بيتاً، تشكل حوالي ٣/٥٪ من الديوان.

أما الأبيات التي تدور حول الخمرة ووصفها فاحتلت المرتبة السابعة، وبلغ عددها حوالي ٢٩ بيتاً، تشكل حوالي ٣٪ من الديوان.

وللخوارزمي أبيات يفتخر فيها بنفسه وقد بلغ عددها حوالي ٩ أبيات تشكل حوالي ٩٨/ ٠٪ من الديوان.

وهناك أبيات في مجال الاعتذار واللغز والملح والتلفيق والتشيع بلغ عددها حوالي ٧أبيات، تشكل حوالى ٧٦/ ٠٪ من الديوان.

من هذه الصورة الإحصائية لديوان الخوارزمي يتضح لنا ما يأتي:

١ / يعد الخوارزمي شاعراً من شعراء المديح، خلافاً لما سجله الدكتور شوقي ضيف ضمن شعراء الهجاء والفخر والشكوى[١].

٢ / احتلال الهجاء المرتبة الثانية في الديوان بعد المديح، يشير إلى كون الخوارزمي شاعراً متقلب الأهواء، سريع الغضب، لا يدوم على حال. فهو يمدح من يصله ويهجو من منعه.

٣ / وجود هذه الأغراض في شعر الخوارزمي دلالة على أنّه حاول أن ينظم في معظم الأغراض الشعرية التقليدية السائدة في القرن الرابع، والتي كانت امتداداً لماهو موجود في القرن الثالث.

٤ / إن القلة الواضحة التي نشاهدها في اغراض الخمريات، والافتخار بالنفس وغيرها ربما لا تعود إلى الخوارزمي وقلة نظمه في هذه المجالات، بل ربما تعود إلى الذين اختاروا الأبيات ونقلوها، فإنّهم لم يميلوا إلى نقل أبيات له في هذه المجالات لكونها شخصية بحتة.

وسنحاول فيما يأتي التعرض لدراسة هذه الأغراض التي احتوتها أبيات الخوارزمي بحسب أهميتها، وحجم الأبيات الواردة فيها.

١ ـ المدح:

عرف الشعر العربي في بداية نشأته حراً من القيود، صادقاً في عواطفه وأحاسيسه، لم يتقيد

---

١. عصر الدول والامارات (الجزيرة العربية ـ العراق ـ ايران)، ص ٥٩٤ وما بعدها.

إلّا بسلطان القبيلة ومفاخرها، واستطاع الشاعر العربي في العصر الجاهلي أن يعبّر عن فرديته ومشاعره الشخصية بصدق وأمانة.

وكان التكسب بالشعر بداية لخضوع الشاعر لرغبات الممدوح، والتقيد بما يريد ويرغب فيه. وكان النابغة الذبياني رائداً في هذا الطريق في مدحه للملوك وقبول الصلة على الشعر. وقد عرف بأنّه «قبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر.. فسقطت منزلته»[١]. وكان الاعشىٰ أكثر الشعراء متاجرة بالشعر مدح به ملوك العرب والعجم، وأُجزل له العطاء، وكانت العرب تعتبره مع النابغة من أوائل الذين سألوا بشعرهم وطلبوا الجائزة[٢].

وقد لاحظ بعض المستشرقين تكرار القالب في شعر المديح، في وقت مبكر، والذي كان يشبه في المبنىٰ والرواسم (الكليشهات) موضوعات الفخر[٣]؛ واعتبر آخرون هذا التكرار قد ظهر في قصيدة المديح الأموية. فقد نفىٰ بروكلمان طابع الاصالة عن الشعر في العصر الأموي، إذ سلك الشعراء في قوالب قصيدهم مذاهب القدماء. ولكنه عاد وأكد نجاح هذه القصيدة في تصوير شؤون السياسة ومنازعات القبائل ومظاهر العصبية[٤].

والواقع إنّ قصيدة المديح في العصر الأموي ارتبطت برغبات السلطان في الإشادة بالشجاعة والكرم الفياض، والسيرة العادلة ونشر الأمان والقضاء على اللصوص، وبقيت تحمل المعاني العالية في إثبات حق الخلافة وشرعيتها، والانتصار لها في موقفها من المتمردين والخارجين عليها.

إلّا أنّ شعر المديح ظل يمثل تقاليد «ارستقراطية» في بحثه عن الرجال العظام والأبطال. وكانت الشعراء ترىٰ الأخذ ممن دون الملوك عاراً، فضلاً عن العامة واطراف الناس. ويشير مروان بن أبي حفصة إلى هذا الرأي في قوله:

قَد حبيتُ بألفِ ألفٍ لم تكن   إلّا بكفِّ خليفةٍ ووزيرِ

---

١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق، ٨٠/١.

٢. المصدر السابق، نفسه، ٨١/١.

٣. تاريخ الأدب العربي، د. ر. بلاشير، ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني، ص ٥٠٤.

٤. تاريخ الادب العربي، بروكلمان، ١ / ١٨٧ ـ ١٨٨.

مـــا زِلْتُ آنــفُ أَنْ أُولِّــفَ مِـدْحَةً　　إلاّ لِـــصاحبِ مـــنبرٍ وسَريـــرِ[١]

ولكن هذه الروح والحمية، وهذا الإباء يفتقد في العصر العباسي. فأبو عبادة البحتري، شاعر القرن الثالث المداح، مثّل تطوراً جديداً لقصيدة المديح. فهو يمدح الملوك والوزراء والكتاب، ويمدح عمال الطساسيج، ويكتب القصائد في طلب غلام، أو زق خمر، أو استسقاء نبيذ، من أحد الرجال الاعاجم الذين عرفوا بهذه الصنعة[٢].

ورغم بخل البحتري وحبّه للمال، فهو ما زال يشعر بضرورة المحافظة على رفعة قصيدة المديح، ويتمزّق قلبه ألماً عندما يمدح أصحاب الولايات الصّغار الذين لا تتناسب منزلتهم ورفعة القصيدة وجلال شأنها[٣].

وشهد القرن الرابع الهجري ابتذال القصيدة العربية في مديحها، وفي ذلة السؤال، وكثرة الاستجداء. وبدأت كتب النقد تحدد أساليب مدح الملوك والوزراء وأصحاب الصناعات والكتاب. وصنفت القصائد بحسب منزلة الممدوح وصنعته[٤]. والحقيقة أنّ شعر المديح كان تبوأ المكان الأرحب في الشعر العربي، فان تفرق الدولة الاسلامية شيعاً قد زاد من موارد الرزق عند شعراء المديح، وأصبح هم كل شاعر أن يسافر إلى أمير يكفيه، أو قائد يحميه، أو حاكم يصله، وكانت النتيجة أن ظلّ المديح آخذاً بمقدمة الشعر العربي آنذاك حتىٰ ضيّع عليه الكثير من المعاني الانسانية وصرفه عن مواطن فنية، كان قادراً عَلَىٰ اكتشافها والابداع فيها وأبعده عن عالم الوجدان وحرّم عليه سلوك طريق الملحمة والمسرحية أو غيرها من الفنون الأدبية التي اشتهرت بها آداب الشعوب الأخرىٰ[٥].

وإذا استعرضنا القطع التي وصلت إلينا في المدح لوجدنا معظمها في مدح الأمراء والحكام. فقد مدح الخوارزمي الصاحب بن عباد في ٥٧ بيتاً، وأبا نصر أحمد الميكالي في ٥١ بيتاً، وقابوس بن وشمكير في ٣٣ بيتاً، وعضد الدولة البويهي في ٣٠ بيتاً، وأبا علي البلعمي في ٢٦ بيتاً، وأبا سعيد الشبيبي في ٧ أبيات، وركن الدولة البويهي في ٧ أبيات أيضاً، وفخر الدولة البويهي في ٥ أبيات، ومؤيد الدولة البويهي في أربعة أبيات. وهذا يعني أن مدح تسعة حكام بما

١. العمدة لابن رشيق، ١/٨٦.
٢. ديوان البحتري، دار صادر، ١/٢٤٨، ٤٠٦، ٤١٧.
٣. المصدر السابق، ٢/٣١، ٦٦، ١٦١.
٤. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص ٩١.
٥. أروع ما قيل في المديح، إميل ناصيف، ص ١٧.

مجموعة ٢٢٠ بيتاً. أي أنّ الأبيات التي قيلت في هؤلاء تشكل حوالي ٦٩٪ من جميع أبيات المديح التي وصلتنا. وهذا يدفعنا إلى تصنيف أبي بكر الخوارزمي ضمن شعراء المديح المتكسّبين ـ كما أسلفنا ـ. وهذا شيء طبيعي متوقع منه. فهو أديب يعيش من كسب قلمه. إن غلبة المديح على شعره يمكن أن يعلّل بعدة عوامل منها:

أ ـ كثرة التبعات التي كان الخوارزمي مثقلاً بها. فقد نشأ الخوارزمي ـ بعد تركه خوارزم ـ نشأة فقيرة .. فكان دائب السعي وراء الكسب المادي إلى جانب الكسب الأدبي والعلمي. ولهذا فقد أكثر من مدح من بيدهم المال كي يستطيع النهوض بهذه الأعباء. ولهذا فإننا نراه يصرح في إحدى قطعه لممدوحه بأنه أغناه بعد فقر إذ يقول[1]:

بحمدِكَ لا بحمدِ الناسِ أُضحي ... وكَيْلي ليسَ يكفيهِ وَكيلُ
وكانوا كلَّما كالوا وزنّا ... فَصِرنا كلّما وَزَنوا نكيلُ
وَزِدْتُ مِنَ العِيالِ وذاكَ أَنّي ... كَتَبْتُ عَلَى لِقائِكَ مَنْ أَعولُ
وَعِشْتُ وناقِصٌ رزقي فَأَضْحىٰ ... مُفاعِلَتَنْ مُفاعِلَتَنْ فَعُولُ
وكُنتُ أَبيعُ مِنْ سَقْطِ القوافي ... وأحجُرُ ما تضمّنتِ الحمولُ
وَأكْتُمُ مَنْ أُبايعُ دِقَّ بَزّي ... فَفَاضَ عليه نائِلُكَ الجَزيلُ

فهذه الأبيات تشير بوضوح إلى العطاء الجزيل الذي ناله الخوارزمي من عضد الدولة، والتي أدت إلىٰ حدوث تغيير جذري في حياته، إذ نقلته من حالة الفقير المعدم، إلى حالة أصبح لا يستطيع وحده من ادارة أمواله وضياعه، فاحتاج إلى وكيل يساعده وينوب عنه في إدارتها وتدبير شؤونها. وهو لا ينسىٰ في هذه الأبيات حالته قبل حصوله على الصلة وبعدها. فهو كان يخشى ويخاف أن يولد له مولود، لأنّه سيثقل كاهله بمتطلباته الجديدة، ولكنّه بعد الصلة، لا يخشىٰ ذلك، لأنّ عضد الدولة قد كفاه مؤونتهم. والنقطة اللطيفة في هذه الأبيات، أن الشاعر عبّر عن زيادة رزقه في رحاب عضد الدولة وظلاله بوزن بحر من بحور الشعر وهو «الوافر»، وكأنه يريد أن يقول أن رزقه بفضل ممدوحه، قد أصبح وافراً بعد ما كان قليلاً.

١. القطعة ١٥٤ / ١ ـ ٦.

ويؤكد الشاعر على تخلّصه من الفقر الذي كان يمثل كابوساً يطارده ليل نهار، في أبيات أخرىٰ عندما حلّ في خدمة عضد الدولة، ونال من عطاياه السّنيّة فهو يقول[١]:

غَـريبٌ عـلى الأيـامِ وجدانُ مـثلِهِ   وأغـربُ مِـنْهُ بـعدَ رُؤيـتِهِ الفَـقْرُ

فـلا حُـرَّ إلّا وَهْـوَ عَـبْدٌ لِجُـودِهِ   ولا عَـبْدَ إلّا وَهْـوَ في عَـدْلِهِ حُـرُّ

عـجبتُ لَـهُ لم يـلبس الكِـبْرَ حُـلَّةً   وفـينا لَـئِنْ جُـزْنا عـلى بـابِهِ كِـبْرُ

فالفقر لا يمكن أن يطرق باب من يعيش في كنف عضد الدولة، وجميع الأحرار من الشعراء وغيرهم ليسوا إلّا عبيداً لجود عضد الدولة وكرمه، أما العبيد فهم أحرار في ظل عدالته. وعضد الدولة رغم كل هذا السلطان والعز، إنسان متواضع لا يتكبر على أحد. أما الشاعر وغيره ممن دخلوا قصره، وعاشوا في ظله، قد أصابهم الكبر والاستعلاء لذلك، لما حصلوا عليه من إمكانات مادية ومعنوية.

إنّ الانسان ـ وهو يقرأ هذه الأبيات ـ يحسّ بنوع من المبالغة والتهويل أضفاها الشاعر على ممدوحه. إن هذه المبالغة بدأت تظهر على ساحة الشعر منذ القرن الثاني الهجري. أما في القرن الرابع فقد غدت المبالغة في اختيار المعاني ظاهرة ادبية عامة، وسمة مضمونية بارزة في أغلب ما أثر عن شعرائه في موضوعاتهم الشعرية الجادة. ولو أردنا معرفة الأسباب والدوافع التي كانت وراء شيوع هذه الظاهرة، لوجدنا أنّها تكمن في ظروف العصر وطبيعة أوضاعه. فنحن نعلم أنّ الحاكم الذي كان الشعراء يتوجهون إليه بقصائد المدح لم يعد شخصاً واحداً. كما أن بغداد لم تعد في هذا العصر القبلة اليتيمة، التي يرحل إليها الشعراء للحصول على عطايا الخليفة العباسي وجوائزه، بل أصبح هناك العديد من المنافسين لهذا الخليفة في المدح والمكافآت، والعديد من العواصم الأدبية المنافسة لبغداد. هذا التنافس كان بلا شك المسؤول الحقيقي عن كل ما صدر عن شعراء هذا العصر من معان مصطبغة بصبغة المبالغة، والافراط، والاحالة. فالحكام الذين ولدتهم أحداث هذا القرن، وظروف هذا العصر، كانوا يتنافسون بعنف فيما بينهم، فيمن هو أحق بالقيادة والسيادة الإسلامية. والشعراء من جانبهم يتناحرون تناحراً مريراً فيما بينهم، للوصول إلى أبواب هؤلاء الحكام الذين وجدوا في شعر الشعراء متنفساً لاهوائهم وتحقيقاً

١. القطعة ٨٤ / ١ ـ ٣.

لمطامعهم. ومن هنا شغل شاعر هذا القرن نفسه، وأجهد عقله لنظم أكبر قدر ممكن من قصائد المدح في سيّده. وأثقل كاهله في البحث عن معان ترفع من قدر ممدوحه، وتضعه في مرتبة فوق كل مناوئيه، وخصومه السياسيين داخل الدولة وخارجها[١].

إذن لا نستغرب، إذا رأينا الخوارزمي قد غرق إلى حد ما في خضم هذا التيار، ولا نستغرب إذا رأينا هذه الظاهرة تستفحل إلى حد ما، وتسيطر على عقله وتتحكم في شعره الذي كان يتوجه فيه لأهل السيادة والسلطان في عصره. فالشاعر يسترحم ابن عباد قائلاً[٢]:

كتبتُ ابنَ عَبّادٍ إلَيْكَ وحالتي ... كحالِ صَدٍ طَمَتْ عليه مَناهِلُه

وما تركتْ كَفّاكَ فيَّ خَصاصَةً ... ولكنَّ شَوْقاً قَدْ غَلَتْ بي مراجِلُه

أبيتَ إذا أجريتُ ذكركَ مُنْشِداً ... «كَأَنَّكَ تُعطيه الذي أنتَ سائِلُه»

فالممدوح وإن كان قد أغنى الشاعر، وأبعد عنه الخصاصة والحرمان، إلا أنّه مع ذلك يطمع المزيد من إحسان ممدوحه الذي لا يمكن له ألا يلبي حاجة السائل والمنشد.

والشاعر يبالغ في طمعه وحبه للمال الذي يريده من ممدوحه. فإذا كان السحاب يجيد بمطر أو بَرَد أبيض، فللممدوح أن يجيد بدنانير ذهبية صفراء[٣]:

جادَ الغَمامُ بِدَمْعٍ كاللّجينِ جَرَىٰ ... فَجُدْ لَنا بالّتي في اللّون كالذَّهبِ

والخوارزمي يبرّر الالحاح في مطالبته بالعطاء والصلة، كونه شاعراً. وهو يريد أن يقول: إن الشاعر قد اعتاد على المطالبة والأخذ ونيل الصلة. وإلّا فلماذا صار شاعراً!! إنّه تعبير عن شعر التكسب، وإن الشعر أصبح مهنة يمتهنها الشاعر لتدرّ عليه ما يسد حاجاته وطلباته، فهو يقول[٤]:

إذا كنتُ لا أَنْفَكُّ أَغْدوا مُطالِباً ... فَلِمْ أَنْتَ عَبّادٌ وَلِمْ أَنا شاعِرُ

ب ـ والسبب الثاني لغلبة المديح على شعر الخوارزمي، ربما تكون الرغبة في الوصول إلى

---

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١١٩.

٢. القطعة ١٥٠ / ١ـ٣. ٣. القطعة ١/٢٩.

٤. القطعة ١/٩٦.

مكانة مرموقة، ومنزلة عالية؛ فضلاً عن تطلّعه إلى حياة ناعمة وعيش رغيد. ولذا نراه يطرق أبواب الحكام والأمراء في أصفهان، والريّ، وأرجان، وطبرستان، وسجستان، وهراة، وبخارى، ونيسابور. ولربّما طمع أن يصل في يوم من الايام إلى منصب الوزارة، أو منصب كاتب الوزير؛ لِمَ لا وهو يحمل من الإمكانات ما يؤهله لنيل ذلك المقام. لذلك نجده يحلم بتلك الحياة المرفهة في ظل القصور العظيمة فهو يقول[١]:

مَتىٰ أَشُقُّ رَواقَ الملك تَلْحَظُني ... عَيْنُ آمرئٍ بِغيوبِ المجدِ عَلاّمِ

مَتىٰ أرىٰ قَمَرَ الديوانِ مُطَّلِعاً ... في سطوِ بَهرام بل في مُلكِ بهرامِ

مَتىٰ أُقَبِّلُ فَرْشاً لا يُقَبِّلُهُ ... عافٍ فيفرقُ بينَ التّربِ والسّامِ

مالى أبيتُ بشيرازٍ وأُصبحُ في ... داري فَدَتْ يَقْظَتي نَوْمي وأَحْلامي

ما يَطْلبُ الحِلْمُ مِنْ قلبي يُقَلِّبُهُ ... عِنْدي مِنَ السُّقْمِ ما يكفيهِ أَسْقامي

أَصْبَحْتُ أَشْكُرُ لَيلاً أَشتكي غَدَهُ ... اللّيلُ عَوْنيَ والايّامُ غُرّامي

والأرضُ تَعْلَمُ أَنّي سوفَ أَمْسَحُها ... حتىٰ أرىٰ مَنْ يَرَىٰ باللّيلِ أوهامي

فهو لا ينفك يحلم بتلك المكانة التي يريد أن يحظىٰ بها في شيراز، عاصمة عضد الدولة البويهي، ويهاجم الحلم لأنّه يضيف سقماً إلى أسقامه الكثيرة التي قد أثقلت كاهله.

ج ـ أما العامل الثالث: فيمكن اعتبار ميل الخوارزمي للبويهيين، وتعصبه لهم، ذا أثر في كثرة مديحه لهم، وللذين ينتسبون بشكل من الاشكال لهم. فقد مدح هؤلاء بحوالى ١١٩ بيتاً، وتشكل حوالي ٣٧٪ من كل مديحه الذي وصل الينا. ولا ندري هل ان تعصبه للبويهيين، كان بسبب العقيدة المشتركة التي كانت تجمعه بهم؟! أم لِأَنّهم وصلوه وأكرموه، وأغدقوا عليه العطايا والصلات؟! ولربّما للسببين معاً. فهو يفضل كرم عضد الدولة البويهي على كرم من سواه فيقول[٢]:

وَغاظَ مَدْحُكَ أَقواماً وفي يَدِهِمْ ... لَوْ طاوَعوا الجودَ تَقديمي وإحجامي

وما ظَعنتُ عَلَىٰ نهرٍ فَأُغْضِبَهُ ... لكنْ ذكرتُ عُبابَ الزاخِرِ الطامي

---

١. القطعة ١٩٠ / ١ ـ ٧.

٢. القطعة ١٩١ / ١ ـ ٣.

أَكُــلُّ فــاضلِ أَقــوامٍ شهــدت لهُ ‌ ‌ ‌ ‌ يَــغْتاظُ مِــنْ ذكـرِهِ مـفضولُ أَقــوامِ

وعضد الدولة إلى غيره، كنسبة البحر الزاخر إلى النهر، وهو فاضل الأقوام وغيره مفضول. وهنا نجد المبالغة التي وجدناها سابقاً في المدح والتعظيم والتكريم.

وعضد الدولة عندما يُسخط الدرهم ويغضبه، بأن يعطيه ويمنحه لغيره، فقد أرضىٰ الله بعمله هذا وهو دائماً حريص على حفظ الجاه وصيانته بإنفاق المال وبذله[١]:

يــا عَــضُدَ الدَّولةِ مــن يُمْــناها ‌ ‌ ‌ ‌ يــا مُــهْجَة قــالتْ لَهــا أَعــلاها

مَــنْ أســخطَ الدّرهــمَ أرضى اللهَ ‌ ‌ ‌ ‌ وَمَــنْ أزالَ المــالَ صــانَ الجــاها

وعضد الدولة أكثر حساده، وزاد من غضبهم وحنقهم نتيجة العطاء والجود والكرم الذي لا ينفك عنه. ولذلك فهو لا يعتنِ، ولا يهتم بالإجابة على اسئلة حاسديه. فالفضل والكرم والجود كُفَلاء بهذه الإجابة؛ فالسيادة لا تأتي عبثاً نحو شخص ما، وإنّما تتجه، وتنقاد إلىٰ من يمتلك مؤهلات السيادة والقيادة والزعامة[٢]:

وَلّمــا أكــثَرَ الحُسّــادَ فــيه ‌ ‌ ‌ ‌ وقــالوا قَــدْ تَــغَضَّنتِ الخُــدودُ

أَجــابَ الفــضلُ عَــنْهُ حــاسِديهِ ‌ ‌ ‌ ‌ (لأمــرٍ مــا يُسَــوَّدُ مَــنْ يَســودُ)

بِــوَدّي لَــوْ رأىٰ كَــنَفَيْه يــوماً ‌ ‌ ‌ ‌ وَمَــنْ قَــدْ عــاشَ تَحْــتَهما لَــبيدُ

ولو أَنَّ الوليــدَ رآهُ يــوماً ‌ ‌ ‌ ‌ غَــدا ورجــاؤُهُ غَــضٌّ وَليــدُ

وَحَــلَّ عُــرىٰ الزِّمــاع ولم يُــردِّدْ ‌ ‌ ‌ ‌ «أُشَرِّق أَمْ أُغَــرِّب يــا سَــعيدُ»

وبلغ عضد الدولة من الجود والكرم حتى أَنّ لبيد لو كان حياً لاستثنىٰ واستردّ البيت الذي قاله[٣]:

ذهبَ الذيــن يُــعاش في أكــنافِهم ‌ ‌ ‌ ‌ وبــقيتُ في خــلفٍ كــجلدِ الأجــربِ

فالذي يرىٰ عضد الدولة ويعيش في كنفه يزداد نشاطاً وحيوية، ويَتبدّل كُلُّ يأسِه آمالاً

---

١. القطعة ١٢ / ١ـ ٢. ‌ ‌ ‌ ٢. القطعة ٥٦ / ١ ـ ٥.

٣. ديوان لبيد، ص ٣٤.

غضّة مليئة بالحياة.

وعضد الدولة رجل شجاع لا يمهل الأعداء. بل ينزل ضرباته قاضية على رؤوس الرجال فيبيدهم، ويثكل النساء ويجعلهن أرامل[١]:

وكَمْ عُصْبَةٍ قَرحى عَصَوْكَ فَأَصْبَحوا بِهِم يومَهم خمرٌ وفي غَدِهِمْ أَمْرُ
وصارخةٍ للزَّوجِ كانَ غِناؤُها «لها كنيةُ عمرو وليسَ لَها عمرو»
فَصَيَّرْتَها ثَكْلىٰ وأَصْبَحَ قَوْلُها (كذا فَلْيجلّ الخطبُ ولْيفدَحِ الأَمْرُ)

وهو لا يكتفي بمدح عضد الدولة، بل يمدح فرسه الذي كان يدعىٰ «بالسّماك» حيث يقول[٢]:

حَسَدَ السِّماكَ سَمِيُّهُ لَمّا بدا في سَرْجِهِ شَخْصَ الهُمامِ الأَبْلَجِ
وغَدا فأصبحَ لاحِقاً ضدّ اسمهِ وأراكَ أعوجَ وَهْوَ عَيْنُ الأَعْوَجِ
فَلَوَ انَّ شاعِرَ بُحترٍ في عَصْرِهِ ما قالَ في فَرَسٍ ولا في أَعْوَجِ
«خَفَّتْ مواقِعُ وَطْئِهِ فَلَوَ انَّهُ يَجري بِرَمْلةِ عالِجٍ لَمْ يُرهِجِ»

فالفرس قد حسده سميه النجم في السماء، لان عضد الدولة قد ارتقىٰ هذا الفرس وليس لذلك الكوكب من مثل عضد الدولة. ولو كان البحتري حياً لما قال البيت الذي أنشده في أيّ فرس، إلّا في هذا الفرس الذي ارتقاه عضد الدولة.

ولم يقتصر مدح الخوارزمي للبويهيين على عضد الدولة، بل نراه يمتدح مؤيد الدولة البويهي، عند فتحه قلعة من أبكار القلاع واستنزاله صاحبها المسمىٰ كوشيار[٣]:

وكُنْتَ سَماءً والعجاجُ سَحائِبا وخيلُكَ أَبراجاً وجيشُكَ أَنْجُما
وأَنْزَلْتَ مِنْها كوشيارَ وإنَّما تَقَنَّصْتَ مِنْ فَوْقِ المَجَرَّةِ ضَيْغَما
عَرفْتُكَ صَيّادَ الأُسودِ ولم أكنْ عَرفْتُكَ صيّادَ الأسودِ مِنَ السَّما

١. القطعة ٨٣ / ١ ـ ٣.
٢. القطعة ٤٩ / ١ ـ ٤.
٣. القطعة ١٩٢ / ١ ـ ٤.

خَـــدَمْتُكُمُ يـــا آل بــويةَ مُــدَّةً غَــدا بـينها فَــرْخُ الوسـائلِ قَشْعَما

ومثلما يمدح الخوارزمي عضد الدولة، ومؤيد الدولة فإنّه يمدح أيضاً، فخر الدولة إذ يقول[١] :

وَقَـدْ جـاءَتِ الدُّنـيا إليكَ كـما تَـرىٰ طُـفَيْلِيَّةً قَـدْ جـاوَبَتْ قَـبْلَ أَنْ تُـدْعَىٰ

صَبَتْ بِكَ عِشْقاً وهـي مـعشوقَةُ الْـوَرىٰ فَقَدْ أَصْبَحْتَ قَـيْساً وعـهدي بهـا ليـلىٰ

عَـلَىٰ أَنَّهـا كـانَتْ جَـفَتْكَ تَـذَلُّلاً فَـخَلَّيْتَها حَـتّىٰ أَتَتْ تَـطْلُبُ الرُّجْـعَىٰ

فقد أقبلت الدنيا طائعة مقبلة على فخر الدولة بعد أن أعرضت عنه مدة من الزمان، كان لاجئاً خلالها لدى السامانيين. لأنّ الدنيا عاشقة لأميرها في الوقت الذي هي معشوقة كل الناس. فالممدوح ترك الدنيا ولم يعرها بالاً ولكنها لم تتركه بل جاءت ذليلة خاضعة تطلب إليه أن يرجع إليها.

وهو لا يمدح أفراداً من آل بويه فحسب، بل نراه يمدح البويهيين قاطبة، فهم بحار المعالي والفخر والصفات الحميدة، وإنّه ليمدحهم لا لكونهم يغدقون عليه الدراهم، بل لأنّهم يستحقون كل هذا المدح والتبجيل. فالبلدان وأهلها يحبون هؤلاء ولا يرضون بهم بديلا. وهذه البلدان تواجه أعداءهم وأعداءها بالرماح والسيوف لأنّها لا تريد غيرهم حكاماً عليها[٢] :

وَقَـائِعُ لَـوْ مَـرّتْ بِسَـمْعِ ابـنِ غـالبٍ لَمَـا قـالَ مـابينَ المـصلّىٰ وراقِـمِ

«أَتَــتْني وَرَحْـلي بـالمدينةِ وَقْـعَةٌ لِآلِ تَمـيمٍ أَقْـعَدَتْ كُـلَّ قـائِمِ»

سَـلِ اللهَ واَسْـأَلْ آل بـويةَ إنَّهـم بِحـارُ المـعالي لا بِحـارُ الدَّراهِـمِ

تُحِـبُّهُم البـلدانُ فَـهيَ نـواشِـزُ عَـلَىٰ كـلِّ زَوْجٍ بَـعْدَهُم أو محـارِمِ

إذا رامَـها أعـداؤُهـم تَـرَكَـتْهُمُ فَـلَمْ يَـلْقَهُم إلّا بِـرُمْحٍ وصـارِمِ

مَمـالِكُ قَـدْ نـادَتْ عـليهِمْ حُـروبُهُم بِـطُولِ القَـنا يُحْـفَظْنَ لا بـالـتَّمائِمِ

وآل بويه لهم فضل كبير على الشاعر لا يمكن أن ينساه طول عمره. لأنّهم هم الذين حولوا

---

١. القطعة ١٦ / ٢، ٣، ٦.

٢. القطعة ١٨٣ / ١ ـ ٦.

ليالي حياته الحالكة إلى نهار ساطع بنوره. لقد كان الشاعر يشكو ليله الطويل الذي لا ينام فيه من كثرة المشاكل التي تشغل باله، وتشغل كاهله وبخاصة المشاكل المادية، إلا أنّهم أنقذوه منها بما أغدقوا عليه من هبات وصِلات وعطايا [١]:

أَلا حَـرِّكـا لي ابـرويز بـن هـرمزٍ وقـولا لَـهُ قُـمْ تَـلْقَ أُعـجوبةً قُـمِ
تَـطَلَّعْ إلى الدُّنـيا لِـتَعْلَم أنَّ مـا مَـلَكْتَ مِـنَ الدُّنـيا بِمِـقْدارِ دِرْهَـمِ
لَـعمركَ لولا آل بـويةَ لم يكـنْ نَهـاريَ إلّا مِـثْلَ لَـيْلِ المُـتَيَّمِ
وصِـمْتُ عَـنِ الدُنـيا وأفـطرتُ بـالمُنىٰ ولَمْ يَكُ إلّا بـالحديثِ تَـأَدُّمي
وأَنْشَـدْتُ في داري وفـيما أرىٰ بهـا «أمِـنْ أُمِّ أَوفىٰ دِمْـنَةٌ لَمْ تَكَـلَّمِ»
وهـم جَـعَلوني بـين عـبدٍ وَقـينَةٍ ودارٍ وديـنارٍ وثـوبٍ ودرهـمِ
وهُـم تَـرَكُـوا الأيـامَ تـعجبُ أَنْ رأَتْ سـلوِّي ولا أرقىٰ السَّماءَ بِسُـلَّمِ
وَهُـمْ غَـمَروني دائمـاً بـصِلاتِهِمْ وَصِـنْتُ عَـنِ الإيـطاءِ شِعْرِيَ فـيهمِ

إذن آل بويه جعلوا الشاعر يتقلب في نعم مادية كان يتحسر عليها من قبل، وجعلوه يرفل بحياة مادية مرفهة، بعد أن كان يعاني الفقر والحرمان. فهو في حياته الجديدة يعجب من نفسه كيف بقي على الأرض، ولم يطر بجناحين إلى السماء، إنّهم غمروه بصلاتهم وعطاياهم وهو في مقابل ذلك لم يكرر قافيته فيهم بل سعى لكي يمدحهم بقصائد جديدة لَفْظاً ومعنىً.

والنقطة الملفتة للنظر أنّ الخوارزمي في مدحه للبويهيين لم يشر، ولم يتطرق فيما وصلنا من ابياته إلى المشتركات الفكرية والعقائدية التي تجمعه واياهم؛ بل أشار فقط إلى الجوانب المادية من هذه العلاقة والتي تتلخص في أنّهم جعلوه، يرفل في حياة مادية غنية ينأىٰ عنها الفقر، ويبتعد عنها الحرمان.

ومما يؤسف له أننا لا نمتلك قصيدة كاملة يمدح بها الخوارزمي آل بويه لنستطيع أن نحلل قصيدة المدح في هؤلاء؛ بل كل ما لدينا عبارة عن قطع مقتطفة من قصائده التي كان ديوانه يحفل بها، وقد ضاعت، وفقدنا بسبب هذا الضياع القدرة على التحليل الكامل والدقيق،

---

١. القطعة ١٨٠ / ١ ـ ٨

وعلى تكوين صورة كاملة عن أسلوب المديح لديه.

ولم يقتصر مدح الخوارزمي على آل بويه أنفسهم، بل شمل أولئك الذين استوزروهم كابن العميد والصاحب بن عباد. ويحتلّ الصاحب اكثر الأبيات التي وصلتنا في المديح من الخوارزمي. فقد مدحه بحوالي ٥٧ بيتاً تشكل حوالي ١٨٪ من مجموع ابيات المديح.

ولكن مما يؤسف له أنّ ما وصلنا في مدح الصاحب لا تتجاوز قطعاً في بضعة ابيات. وأطول قطعة وصلتنا في مدحه بلغت أبياتها ١٥ بيتاً هي القطعة التي مطلعها[١]:

مـــقابلٌ بـــين أقـــوامٍ وألويـــةٍ　　مـــردّدٌ بـــين ايـــوانٍ وديـــوانِ

نحن أمام هذه القطعة الطويلة نسبياً في المدح، لا ندري هل ابتدأها الشاعر بالنسيب والغزل، كما هو الحال عند القدامى من الشعراء، وبعبارة أخرىٰ هل قصيدة المدح لدى الخوارزمي كلاسيكية تقليدية، أم إنّها حديثة عصرية ؟! هذا ما لا نستطيع هنا أن نحدّده.

والشاعر في هذه القصيدة لا يختلف في شخصيته المادحة عن القصائد السابقة. فأهم صفة لدى الممدوح يمتدحها هي الكرم والبذل. فهو قد طلق الناس بعد تعرفه إلى الصاحب و إلى كرمه وبذله وعطائه، وهو بمدحه الصاحب قد اغضب غيره، ولا حقّ لهؤلاء في الغضب، إنّهم يشتهون المدح ولكن من دون مقابل، وهل يمكن لشعر أن يقال دون أن يُجبر ؟! وما دام الصاحب قد أكرمه فإنّه سوف يمتدحه بمدحٍ يعجب له الداني والقاصي، وسوف يطرز هذا المدح بوشي ينافس ما اشتهرت به اصبهان. ولكن الشاعر لم ينس الصفة المميزة في الممدوح، وهي الكرم، فالناس اعقل من أن يمدحوا انساناً إذا لم يروا عنده آثار الكرم والاحسان. وبعبارة أخرىٰ فإنّ الشاعر يركز في مدحه على نقطة مركزية تشترك في جميع قصائد مدحه وهي الصلة والكرم، أمّا الصفات الأخرىٰ فهي صفات ثانوية إلى جانب هذه الصفة المركزية.

والخوارزمي لم يقتصر في مدحه على البويهيين بل مدح قبلهم، أبا علي البلعمي الوزير في بخارىٰ وبلاد ما وراء النهر. والقطعة التي وصلتنا في مدح هذه الشخصية أكمل من القطع الأخرىٰ في مدح الآخرين. إذ بلغت ابياتها (٢٤) بيتاً. ولربّما تكون كاملة في بداياتها ومطلعها. ومما يلفت النظر فيها ابتداء الخوارزمي بالغزل والنسيب. وهذا يعني أنّ الخوارزمي كان تقليدياً

---

١. القطعة ٢٢٤ / ١ ـ ١٥.

في مدحه، إلا أنّ هناك نقطة أخرىٰ تلفت نظرنا، وهي أنّ الخوارزمي لم يبتدأ قصيدته بذكر الأطلال والصحاري والبكاء على الآثار التي خلفتها الحبيبة، بل إنّ التطور الحضاري الذي آل إليه القرن الرابع قد ترك بصماته على فكر الشاعر وعقليته وشعره. فهو يبدأ القصيدة بالغزل الذي يتناسب وعقلية القرن الرابع المتحضرة البعيدة عن التصحّر والبداوة وقيمها، فهو يقول[1]:

إنَّ الأولَى خلفَ الخُدورِ	هُمُ الضَّمائِرُ في الصُّدورِ
وَقَعَ الغُبارُ عَلَيْهِمُ	فَغَدا يَتيهُ عَلَى العَبيرِ
وَأَعَرْتُهُم نَظَري فَما	رُدَّ المُعارُ عَلَى المُعيرِ
فَغَدَوْتُ في حالِ الأَسيرِ	وَرِحْتُ في حالِ الحَسيرِ
وَكَذاكَ مَنْ عَشِقَ النُّجو	مَ ورامَ صَيْداً لِلْبدورِ
يا سائلي ما في البَراقِـ	ـعِ والهَوادِجِ والسّتورِ
فيها الرِّضاعُ مِنَ المَنِيَّـ	ـةِ والفِطامُ مِنَ السُّرورِ

إنه إذن يتغزل ولكنه يبدو غزلاً عذرياً طموحاً يرقىٰ إلى النجوم والبدور، يعني أنّه يتغزل بما لا يمكن الوصول إليه، وفي هذا رضاع المنية وفطام السرور، إذ انه لن يستطيع ان يَحْظىٰ برؤية محبوبته والتحدث إليها، وهذا سر الداء الذي سيلازمه ويحرمه من تذوق السرور طيلة حياته.
إنّها المبالغة التي تحدثنا عنها سالفاً والتي شاعت في القرن الرابع الهجري، هذه المبالغة التي تصل أحياناً إلى الإحالة.. الاحالة في رؤية المحبوبة فهي ليست من النوع الذي ترى بسهولة، ويمكن الوصول إليها بيسر.

والخوارزمي بعد هذه المقدمة النسيبية الملائمة لغرض المدح والممدوح يتخلص إلى الغرض الأصلي الذي نظم القصيدة من أجله، إنّه بعد أن يجيب سائله عن الموجود في البراقع والهوادج والستور، ويبالغ في عظمة ذلك الموجود وصعوبة الوصول إليه، لعلو مكانته ورفعة منزلته. ينتقل إلى ممدوحه ويجيب سائله حين يسأله مرة أخرىٰ عن زوج المنابر والسرير، بأنّه

---

١. القطعة ٩٩ / ١ ـ ٧.

ممدوحه الأمير ابن الأمير ابن الأمير ابن الأمير. فهو إذن يحسن التخلص والأنتقال من مقدّمته النّسيبيّة إلى مدحه الممدوح. ولكن النقطة المركزية والصفة المحورية للمدح تظل دائماً في جميع قصائده واحدة، وهي البذل والعطاء والكرم، فهذه الصفة تحتل المرتبة الأولى بالنسبة لاهتماماته، وتليها الصفات الأخرىٰ من الشجاعة والفصاحة والعلو والرفعة، فهو يقول[١]:

وَسَـأَلْتَ مَـنْ زَوْجُ المُـنا ـبِـر حـينَ يُخْـطَبُ والسَّرير

فَـهو الأمـيرُ بـنُ الأمـيـ ـرِ ابـن الامـير ابـن الامـير

المشـتري المـدحَ القـليـ ـلَ بِمـالِهِ الجـمّ الكـثير

مَـنْ سَـيْفُهُ كَـسْرُ الجـبيـ ـرِ وسـيبُهُ جَـبرُ الكسـير

ويستمر في تعداد فضائل ممدوحه الأخرىٰ، ويصعّد من عباراته في المدح حتىٰ يوصل تاج ممدوحه إلى القمر المنير، إذ لا يمكن أن يصاغ تاجه إلّا منه، حيث يقول[٢]:

لَـوْ كـانَتِ الدُّنـيا تَـدُو رُ عَـلَى الحَـقائِقِ في الأُمـور

مـا صِـيغَ تـاجُ مُحـمّدٍ إلّا مِـنَ القَـمَرِ المُـنيرِ

ومثلما وصلتنا قصيدة طويلة نسبياً في مدح البلعمي، فقد وصلتنا قصيدتان طويلتان نسبياً في مدح قابوس بن وشمكير، إحداهما بلغت أبياتها ١٨ بيتاً والثانية ١٥ بيتاً.

وهو يبتدأ القصيدتين بغزل ونسيب، يتخلص بعدهما بمهارة إلى غرضه الأصلي من إنشاد القصيدة وهو المدح. فهو يقول في القصيدة الأولى[٣]:

قَـامَتْ تُـوَدِّعُني بـالأَدْمُعِ السّـجمِ والصّـمتُ بـينَ يَـدٍ مِنْها وَبَـيْنَ فَـمِ

البَـيْنُ أَخْـرسَها والبَـيْنُ أَنْـطَقَها وهـذه حـالةٌ في النّـاسِ كُـلِّهمِ

قَدْ طـالَمَا انْهَـزَمَتْ عَـنّا السُّـيوفُ فـلا تُحـاربينا بِجَـيْشِ الوَرْدِ والعَـنَمِ

وَقَـدْ خَـلَعْتَ لِجـام الاتّـباعِ فـلا تَـلْقَ بِـسواء القَـنا في ذِمّـةِ الّـلجم

---

١. القطعة السابقة، ٨ ـ ١١. ٢. القطعة السابقة، ٢٣ ـ ٢٤.

٣. القطعة ٢١٣ / ١ ـ ٤.

فهو هنا ايضاً شاعر كلاسيكي تقليدي، يفتتح قصيدة المديح بالنسيب، ولكنه النسيب الذي ينأىٰ عن الصحراء والأطلال؛ إنّه النسيب الحضاري الجديد الملائم للقرن الرابع الهجري وللحواضر التي يعيش الخوارزمي فيها. وبعد هذه المقدمة النسيبية القصيرة، ينتقل الشاعر ويتخلص إلى هدفه في ذكر ممدوحه، إذ يقول[1]:

لَمْ يَبْقَ في الأرضِ لي شَيءٌ أَهابُ لَهُ ... فَهَلْ أَهابُ انكسارَ الجفْنِ ذي السَّقَمِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَولي غَلَطْتُ بَلَىٰ ... أَهابُ شَمْسَ المعالي أُمَّةَ الأُمَمِ

وقابوس هو الملقّب بشمس المعالي، فقد تخلص الشاعر ببراعة إلى هدفه في مدح ممدوحه وذكر اسمه، ثم يستمر الشاعر في ذكر صفات ممدوحه من شجاعة فائقة، وأخلاق كريمة، ومن علم وأدب جم يتمتع بها. وهو في قصيدته هذه أيضاً لا ينسىٰ تلك الصفة المركزية المشتركة وهي الكرم والعطاء. ولكن ممدوحه الآن قد أُقصي عن بلاده، فهو يعيش الآن لاجئاً مشرّداً، ولكن الشاعر مع ذلك يأمل فيه ذلك الكرم وذلك العطاء، ويعد برجوع العزة إليه فهو يقول[2]:

لا تَحْفَلَنْ بِنضُوبِ المالِ في يَدِهِ ... فَقَدْ تَجِفُّ ضُروعَ العارِضِ السُّجُمِ

لا يَجْزُر البحرُ بَعْدَ المَدِّ يَحْرِفُهُ ... وَينْزِلُ الجَذْبُ وَكْرَ الأَجْدَلِ القَطِمِ

ولا يَغُرَّنكَ أَنَّ الدَّهْرَ حارِبُهُ ... قَدْ يعذرُ السَّيفُ يومَ الرَّوعِ بالبُهمِ

إنّ الخوارزمي في الغزل الذي ابتدأ بها القصيدة، ينبئ عن صنعة متقنة معجبة، حيث جعل الصمت بين اليد والفم، وحيث جعل البين يخرسها وينطقها. فهو يخرسها فلا تتكلم، وهو ينطقها بالألم وان لم تفه به، وهذا معنىً رائع. وقد مهّد للانتقال إلى المدح فأعلن أنّ السيوف تنهزم أمامه، فكيف ينهزم أمام الورد والعنم ؟! وأعلن أنّه خلع لجام الاتّباع وأنه لا يهاب شيئاً. وعاد مستدركاً مستغفراً معلقاً أنّه يهاب ممدوحه شمس المعالي، وهي نَقْلَةٌ رائعة متقنة.

إنّنا وكما ذكرنا آنفاً، لا نرىٰ في هذا الغزل التقليدي وقوفاً على الاطلال وبكاءً على الديار. فقد كان الشعراء في دويلات المشرق الاسلامي لا يقفون على الأطلال إلّا قليلاً. فهذه الدّويلات فارسية لا تهتم كثيراً بالتقاليد العربية، ولا تُحسُّ بالحنين إلى تلك التقاليد، وإن

---

١. القطعة السابقة، ٥ ـ ٦. ٢. القطعة السابقة ١٢ ـ ١٤.

تأثرت باللغة العربية وبالتراث العربي. فالحنين إلى التقاليد العربية لم يكن بالقوة التي عليها شعراء العراق أو الشام.

أما القصيدة الثانية فإنّه سَريعاً ما ينتقل مِنَ الغزلِ في بيت واحد إلى ممدوحه ليمدحه، فالمطلع قصير لا يتجاوز البيت الواحد[١]:

شُموسٌ لَهُنَّ الخِدْرُ والبَدْرُ مغربٌ فَطالِعُها بالبَيْنِ والهجر غارِبُ

ولكنّما شَمسُ المعالي خِلافُها مشارِقُهُ لَيْسَتْ لَهُنَّ مَغَارِبُ

فما لقّبوهُ الشّمسَ إلّا وقد رَوَوْا «بأَنَّكَ شَمْسٌ والملوكُ كَواكِبُ»

ثم يستمر الشاعر مخاطباً زوار الأمير مؤملاً إياهم بتلك النقطة المركزية التي تقوم عليها قصيدة المدح لدى الخوارزمي، وهي الكرم والعطاء. وفي الحقيقة فإنّه لا يخاطب زوار الأمير بقدر ما يخاطب نفسه، وبقدر ما يوحي للأمير أن لا ينسىٰ العطاء والصلة. فالشاعر لا يهمه شيء إلّا الحصول على الصلة فهو يقول[٢]:

وإنْ زارَهُ الفُرسانُ كنتُ كفيلَهم بِأَنْ يَرْجِعوا والخيلُ فيهم جَنائِبُ

إذا رَجَعوا مِنْ بابِهِ فَنَشيدُهُمْ «وإنْ سَكَتوا أَثْنَتْ عَلَيْهِ الحَقائِبُ»

ويستمر الشاعرُ مادحاً الأمير، ومحرضاً إيّاه على عدم السكون إلى الراحة، بل امتشاق السيف وأخذ الحق، فالحق لا يهدىٰ بل يؤخذ، ولماذا لا يستلّ سيفه أليس الأمير[٣]:

وَأَنْتَ ٱبنُ عَمِّ السّيفِ بل أَنْتَ عَمُّهُ وكيفَ يَخافُ الأقربينَ الأَقارِبُ

والأمير من سلالة مشهورة بالشّجاعة وامتشاق السيف[٤]:

أَلَيْسَ أبوكُم وَشْمكيرَ وَجَدّكُم زيارَ، وَمرداويجُ عمٌّ مُناسِبُ

تَحَرَّكْ بِنا إمّا لواءٌ ومنبرٌ وَإمّا حسامٌ كالعَقيقَةِ قاضِبُ

غير أنّ الخوارزمي يرتكب سقطة في هذه القصيدة، فهو وخلال مدحه للأمير وتحريضه

---

١. القطعة ٢١ / ١ ـ ٣.
٢. القطعة السابقة، ٥ ـ ٦.
٣. القطعة السابقة ١٣.
٤. القطعة السابقة ١٤ ـ ١٥.

على القتال والتحرك يقول[١] :

لَقَدْ هانَ مَنْ أَمْسىٰ بِبَلْدَةِ غَيْرِهِ «وَقَدْ ذَلَّ مَنْ بالَتْ عَلَيْهِ الثَّعالِبُ»

إن هذا البيت لا يمكن أن تتضمنه قصيدة مدح، ففيه من سوء الأدب ما لا يخاطب به الملوك، وهو بالتقريع أشبه منه بالتقريظ.

ومدح الخوارزمي أبا نصر أحمد الميكالي بقصائد وصلت الينا منها ثماني قطع تتراوح أبياتها بين ١ ـ ١٤ بيتاً[٢] :

ولنأخذ على سبيل المثال أطول هذه القطع لنرى كيف مدح الخوارزمي ممدوحه الميكالي. إنّه ابتدأ القطعة ببيت واحد من النسيب، وسرعان ما تخلص إلى الهدف الذي أنشد القصيدة لتحقيقه. إذ يبدو الخوارزمي على عجلة من أمره، وما افتتاحه بذلك البيت من النسيب إلّا تقليد للشعراء السابقين الذين اعتادوا افتتاح القصيدة بالغزل. ولم يكن الخوارزمي بِدْعاً في هذا العمل، فقد تبنىٰ المتنبي هذا المذهب، وهو ترك مقدمات القصائد، وولج باب المديح مباشرة ومن البيت الأول؛ كما ان قصائده التي التزم فيها بالمقدمات النسيبيّة حافظت على حسن التخلص وبراعة الانتقال إلى غرض المديح. وفي سيفيّاته أمثلة كثيرة على اتّباعه أسلوب المديح مباشرة دون مقدمة[٣]. إذن فالخوارزمي في هذه القصيدة ينتقل مباشرة إلى غرض المديح بعد البيت الأول مباشرة[٤] :

تِلْكَ الدِّيارُ فَريسَةُ الأَحْقابِ صَنَعَتْ بِعَيْني صُنعَ ساكِنِها بي
وإلى الأميرِ ابنِ الأميرِ تَواهَقَتْ رَزْحَىٰ الرِّكابِ برازحي الرُّكّاب
لَبِسُوا الدُّجىٰ لُبس الغُرابِ بريشِهِ وَغَدَوْا لِحاجَتِهِمْ غُدُوَّ غُرابِ
والفَجْرُ يَطْرُفُ والظَّلامُ كَأَنَّهُ فَضَلاتُ عَتْبٍ في خِلالِ عِتابِ
طَلَبوا امْرءاً أَفْعالُهُ مَحْسوبَةٌ ونَوالُه فَوْضىٰ بِغَيْرِ حِسابِ

١. القطعة السابقة ٩.

٢. راجع القطع، ٤، ٣٣، ١٠٢، ١٥٨، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٩.

٣. راجع على سبيل المثال ديوان أبي الطيب المتنبي، للدكتور عبد الوهاب عزام، ص ٢٦٠، ٢٧٨، ٣١٨، ٣٣٣، ٣٤٦.

٤. القطعة ٣٣ / ١ ـ ٥.

وهكذا نجد الخوارزمي بعد أربعة أبيات يصل إلى الهدف المركزي المشترك في قصائد المديح لديه وهو العطاء والكرم اللذان يتمتع الممدوح بهما. فممدوحه يحسب لكل شيء حسابه إلّا العطاء والصلة فإنّه يُغْدقهما من دون حساب. ثم يستمر في تعداد صفات الممدوح الأُخرىٰ من الأسماء الحسنة، والأخلاق، والشيم الرفيعة، والعزائم القاطعة، والعبارات الفصيحة التائهة بين السياسة والرئاسة، وبين المثوبة والعقاب. فإذا وصلنا إلى البيت الأخير من هذه القطعة نواجه عودة إلى الهدف المركزي من المديح:

وإذا حَـلَلْتَ لَـهُ جـناباً واحـداً حَـلَّ المُـؤَمِّلُ مِـنْكَ أَلْـفَ جَـنابِ

وفي قطعة أخرىٰ يمدح الخوارزمي الميكالي مدحاً مبالغاً فيه، فهو يميزه عن الناس على الرغم من أنّه يعيش بين ظهرانيهم إذ يقول[١]:

فَـدَيْتُكَ مـا بَـدا لي قَـصْدُ حُـرٍّ سِـواكَ مِـنَ الوَرَىٰ إلّا بَـدا لي

وإنَّكَ مِـنْهُمُ وكـذاك أيْـضاً مِـنَ المـاءِ الفَـرائِـدُ واللآلي

وَتَسْكُـنُ دارَهُـم وكـذاك سُكْـنَىٰ الـ ـحجارَةِ والزُّمُـرُّدِ في الجِـبالِ

أما إذا كان المديح لا يتجه إلى أمير أو سلطان، يطمع الخوارزمي في صلته، فإنّ مدحه يتجه إلى بيان الصفات والأخلاق الكريمة التي عليها ذلك الانسان. فقد وصلتنا قطعة أنشدها في صديق له قد دخل عليه فبخّره وسقاه[٢]:

بُخِّـرْتُ ثُمَّ سُـقِيتُ في دارِ امـرِئٍ تُـضْحي القـلوبُ طـوالِباً لِـوِفاقِهِ

فَكَـأَنَّمـا سُـقِّيتُ مِـنْ أَلْـفاظِهِ وَكَـأَنَّمـا بُخِّـرْتُ مِـنْ أخـلاقِهِ

كما أنّه لا يترك تهويله ومبالغته في المدح عندما يمدح آخر بقوله[٣]:

سَـتَلْقىٰ بِـهِ بَـدْراً وَبَحْـراً وَضَـيْغماً وَسَـيْفاً وإنسـاناً وطَـوْداً وفَـيْلقَا

فهو لم يترك صفة من صفات الشجاعة والبطولة والكرم والإنسانية إلّا جمعها في هذا البيت.

---

١. القطعة ١٥٨ / ١ ـ ٣. ٢. القطعة ١٣٣ / ١ ـ ٢.

٣. القطعة ١/١٣٥.

وهذا نموذج آخر على المبالغة التي سادَتْ شعراء هذا القرن ومنهم الخوارزمي.

ولا يبخل الخوارزمي بروحه فداءً لممدوحه الذي يتصف بالمعالي، فهو دائم الدعاء له والثناء، أمّا إذا استدعىٰ الأمر أن يقدم روحه فداءً له فإنّه لا يتوانىٰ في ذلك[1]:

أطـــالَ اللهُ أعـــمارَ المـــعالي وذاكَ بِـــأَنْ يَـــطُولَ لكَ البَـــقاءُ

ولا زالَتْ تُمَـــــدُّ إليكَ كَـــفٌّ بِـــضاعَتُها ثَـــناءٌ أو دُعـــاءُ

وإن رَضِيَ الزمـــانُ بِمِـثْلِ روحـــي فِـــداءً عـــنكَ فَـــهْيَ لَكَ الفِـداءُ

ويمدح الخوارزمي أحد أصدقائه بهذين البيتين الرقيقين[2]:

رَأَيْـــتُكَ إنْ أَيْـــسَرْتَ خَـــيَّمْتَ عِـنْدَنا مُـــقيماً وَإنْ أَعْـــسَرْتَ زُرْتَ لِمـــاما

فَـــا أَنْتَ إلّا البَـــدْرُ إن قَـــلَّ ضَـــوْؤُهُ أَغَبَّ وإنْ زاد الضّـــياءُ أَقـــاما

إنّ في هذين البيتين صورة أدبية قد لا تتأتىٰ للأديب العادي. فإنّ البيت الأول يمكن أن ينقلب من المديح إلى الهجاء فيما لو أسند الشاعر الفعلين: «أيسر» و «أعسر» إلى تاء الفاعل المتكلّم بدل من إسنادهما إلى تاء المخاطب.

٢ ـ الهجاء:

يحتلّ الهجاء المرتبة الثانية من حيث عدد الأبيات التي وصلتنا للخوارزمي، فقد بلغت القطع التي وصلتنا في هذا الغرض حوالي ٥٣ قطعة، بلغ عدد ابياتها حوالي ١٤٣ بيتاً، أي تشكل حوالي ١٥/٦٪ من ديوانه.

والهجاء: أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء، وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب. ومن هذا التعريف يتبين لنا أن الهجاء لا يقتصر على الأفراد فحسب، بل يمكن له أن يشمل الجماعة والأخلاق والمذاهب أيضاً[3]. ويقسّم البعض الهجاء إلى تسعة أصناف هي: الهجاء الفردي والجماعي والخَلقي والخُلُقي

١. القطعة ٦ / ١ ـ ٣. ٢. القطعة ٢٠١ / ١ ـ ٢.

٣. قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي، الدكتور عبد الحميد جيدة، ص ١٣.

والفاحِش والعفيف وهجاء التعريض والتصريح والاستخفاف والتهكم[١].

ومن استعراضنا لأبيات الهجاء لدى الخوارزمي، يمكن لنا أن نقسمها إلى ثلاث مجموعات فرعية. تختص المجموعة الأولى بالهجاء التقليدي المعروف، أما المجموعة الثانية فتختص بالهجاء الساخر، وتختص المجموعة الثالثة بالهجاء المجوني.

أ ـ الهجاء التقليدي:

تحدثنا عن الدوافع التي دفعت الخوارزمي إلى المديح، ويمكن أن تكون نفسها هي التي دفعته إلى الهجاء والإكثار منه. وكثرة المديح والهجاء تدل على نوع من تقلب الأهواء. وعدم الاستقرار على حالة واحدة. فهو يمدح حينما يتحقق له ما يريد، وهو يهجو إذا لم تتحقق آماله، أو إذا سلبت بعض أمواله.

والعجيب أنّه ينتقد المتنبي في هذا المجال[٢]، إلا أنّ الأحداث تدفعه إلى أن ينحو نفس المنحىٰ الذي نحاه المتنبي. إذ نشاهده يهجو أبا علي البلعمي بعد أن كان قد مدحه[٣]، ويهجو الصاحب بن عباد بعد أن خصّه بأبيات كثيرة في المدح. فقد هجاه بقوله[٤]:

لا تَمْدَحَنَّ ابنَ عَبّادٍ وإنْ هَطلتْ ... كَفّاهُ بالجودِ سَحّا يُخْجِلُ الدِّيَما

فَإنَّها خَطَراتٌ مِنْ وَساوِسِهِ ... يُعطي ويَمْنَعُ لا بُخلاً ولا كَرَما

كما يهجوه بقطعة أخرىٰ يقول فيها[٥]:

صاحِبُنا أَحْوالُه عالِيَهْ ... لكِنَّما غُرْفَتُهُ خالِيَهْ

وَإنْ عَرفْتَ السِّرَّ مِنْ دائِهِ ... لَمْ تَسْأَلِ اللهَ سِوىٰ العافِيَهْ

إن هجاء الخوارزمي يتركز في أنّه لم ينل مراده وآماله في الصلة والعطاء اللذين كان يتوقعهما، ولذلك فإنّ الهجاء يتجه إلى هذه الناحية، ولا يتجه إلى صفات سلبية أخرىٰ في المهجو.

ولم يقتصر هجاؤه التقليدي على هجاء أشخاص كانت تربطهم به روابط حسنة، بل

---

١. أروع ما قيل في الهجاء، إميل ناصيف، ص ١٢ ـ ١٤.

٢. رسائل أبي بكر الخوارزمي، ١٤. ٣. القطعة ٢٢٢ / ١ ـ ٢.

٤. ٢١٤ / ١ ـ ٢. ٥. القطعة ٢٥٠ / ١ ـ ٢.

يتعدىٰ هذا الهجاء الإطار الشخصي ليدخل ضمن الإطار السياسي. فنحن نعلم أنّ الخوارزمي كان شيعياً، ولذلك فإنّه كان يميل إلى البويهيين الذين يشترك معهم في العقيدة، ويختلف مع السامانيين الذين كان يعارضهم في العقيدة ولذلك فإنّ هجاءه يمتدّ إليهم ليشملهم بقوله[١]:

جَزَىٰ اللهُ عَنّي أَهْلَ سامانَ ما أَتَوا ... وفي اللهِ للثّأرِ المُضَيَّعِ طالِبُ

هُمْ زَوَّجوني الهمَّ بعد طَلاقِهِ ... وذلِكَ عرسٌ للمآتِمِ جالِبُ

هَمْ أَعْطَشُوا زَرْعي فَشِمْتُ سَحائباً ... غَرائِبَ لمّا أَخْلَفَتْني القَرائِبُ

فَأَنْحَوا لِزَرْعي بالحَصادِ وأَنْضَبوا ... مِياهاً لَها أَيْدي سِواهُم مَذانِبُ

أَتَحصُدُ أيديكُم وَيَزْرَعُ غيرُكُمْ ... فَأَنْتُمْ جَرادٌ والملوكُ سَحائِبُ

فالسامانيون وكما يبدو قد ضايقوه وحاربوه في أمواله التي يعتز بها، وأوردوا الهمّ عليه بعد أن أنقذه البويهيون، ولا سيما عضد الدولة، منه.

ومن أمثلة الهجاء السياسي لدى الخوارزمي هجاؤه لخلفاء بني العباس. فالخوارزمي لم يكن ليعتقد بخلافتهم الشرعية، ولهذا فقد كان غاضباً عليهم، حانقاً على صنيعهم السيئ في توزيع الألقاب من دون حساب على السلاطين والوزراء والقواد، من يستحق منهم ومن لا يستحق، فهو يقول فيهم[٢]:

مالي رَأَيْتُ بَني العَبّاسِ قَدْ فَتَحوا ... مِنَ الكُنىٰ وَمِنَ الألقابِ أَبوابا

ولَقَّبوا رَجُلاً لو عاشَ أَوَّلُهُمْ ... ما كانَ يَرْضىٰ بِهِ للحشِّ بَوّابا

قَلَّ الدَّراهِمُ في كَفَّيْ خَليفَتِنا ... هذا فَأَنْفَقَ في الأَقْوامِ أَلْقابا

ولا يكتفي الخوارزمي بتوجيه الانتقاد إلى بني العباس بصورة عامة، بل نراه يخص هارون الرشيد بالهجاء، لأنّه دفن بالقرب من الإمام الرضا (ع) فهو يقول[٣]:

هارونُ يا مَنْ أَمْرُهُ بِدْعَةْ ... جاوَرْتَ قَبْراً قُرْبُهُ رِفْعَةْ

---

١. القطعة ٢٥ / ٣ ـ ٧.
٢. القطعة ٢٢ / ١ ـ ٣.
٣. القطعة ١٢٥ / ١ ـ ٢.

تُـــريدُ أنْ تَـــفْلَحَ مِـــنْ أجْـلِهِ لَـــنْ تَـــدْخُلَ الجَـــنَّة بـــالشُّفْعَة

وعندما يخيب ظن الخوارزمي في الحاكم الذي لجأ إليه، لعله يحصل على بغيته منه، ينطلق لسانه في هجاء ذلك الحاكم الذي لم يُحسن الاستفادة من إمكانات الخوارزمي، ولم يمنحه ما يستحق من العزّ والإكرام. ولذلك فإنّه عندما خاب ظنّه في طاهر بن شار (وأظنه والي سجستان كما ألحنا سابقاً) يهجوه قائلاً[١] :

أَلا أَبْـــلِغْ بـــنَي شـــارٍ كـــلامي وَمَـــنْ لَمْ يَـــلْقَهُم فَـــهُوَ السَّـــعيدُ

عَـــلامَ اَبْـــتَعْتُمُ فَـــرَساً عَـــتيقاً وليسَ لديكُـــمُ عَـــلَفٌ عَـــتِيدُ

وفـــيمَ حَـــبَسْتُمُ في البـــيت بـــازاً يَحِـــيصُ الطـــيرُ عَـــنْهُ أو يَحِـــيدُ

فَـــلاَ قَـــرّبْتُموهُ فَـــعَلَّمْتُموهُ ولا خَـــلَّيْتُمُ عَـــنْهُ يَـــصِيدُ

ونراه في هذه القطعة يمدح نفسه ويعدد امكاناته في الوقت الذي يهجو الطرف الآخر. فالخوارزمي الفرس العتيق، وهو الباز الصائد، ولكنهم لَمْ يُحسنوا قدره ولم يعرفوه حق معرفته.

وفي قطعة أخرىٰ يهجو ابن شار هذا فيقول[٢] :

فَـــإنْ أَسْكُـــنْ بِـــبَلْدَةِ اَبـــنِ شـــارٍ فَـــإنَّ البَـــدْرَ يَـــنْزِلُ في الظَّـــلامِ

أُصَـــغِّرُها وإنْ عَـــظُمتْ ولكـــنْ لَهُـــا أَهـــلونَ لَـــيْسوا بـــالعِظامِ

وفـــرسانٌ ولكـــنْ في الحَشـــايا وأَجـــوادٌ ولكـــنْ بـــالكَلامِ

صِـــغارٌ بـــالمَطالِبِ والسَّـــجايا وإنْ كـــانوا كِـــباراً بـــالعِظامِ

إنّه يحتقر هؤلاء القوم فَهُم ليسوا برجال عظام في الأخلاق والأفعال، وإن كانوا كباراً في العظام، وإن هممهم صغيرة لا تسمو ولا ترتفع إلى هم الرجال، وهم أجواد ولكن بالأقوال وليس بالفعال.

ويهجو الخوارزمي تاشاً وفائقاً وهما من قادة جيوش السامانيين حيث يقول[٣] :

١. القطعة ٥٣ / ١ ـ ٤.

٢. القطعة ١٩٦ / ١ ـ ٤.

٣. القطعة ١٨٢ / ١ ـ ٣.

لَـوَ أنَّكَ قَـدْ أبْـصَرْتَ تـاشاً وفـائقاً عَـلَى ظَـهْرِ يَحْيَى أدْبَـرِ الظَّـهْرِ رازمِ
وَقَـدْ كَـتَبَ الإدبـارُ في جَـبْهَتَيْهما بـإنشاءِ مَـقْمورٍ وتَحْـريرِ نـادمِ
«فَـلاَ تَـأْمَنَنَّ الدَّهْـرَ حُـرّاً ظَـلَمْتَهُ فَـإنْ نِمْتَ فَـاعْلَمْ أنَّـه غَـيْرُ نـائِمِ»

إنّ هجاء الخوارزمي التقليدي لا يختلف عن سواه من الشعراء التقليديين الذين يبرزون الجوانب السلبية في المهجوّين، سواء اختص هذا الهجاء بجانب شخصي، أو سياسي، أو فكري عقائدي. فأبو بكر الخوارزمي يميل إلى الاعتزال[1] في الصراع الفكري الذي كان قائماً في المجتمع الاسلامي آنذاك. ولذلك فهو ينتقد الجبريّين الأشاعرة، ويراهم من أصحاب النارِ حيث يقول[2]:

مُجْـبِرٍ صَـيَّرَ ابْـنَهُ نـاصِبِيّاً مُجْـبِراً مِـثْلَهُ وَتِـلْكَ عَـجيبَهْ
لَـيسَ يَـرْضى أَنْ يَـدْخُلَ النّـارَ فَـرْداً سَـاعَةَ الحَـشْرِ أو يـقودَ حَـبيبَهْ

ونظراً لكونه شيعياً فإنه كان يكره النواصب، حتىٰ وان كانوا من العلويين في طبرستان. وها هو يهجو علوياً ناصبياً بقوله[3]:

شريـفٌ فـعلُهُ فِـعْلٌ وَضـيعٌ دنيُّ النَّـفْسِ عـندَ ذَوي الجُـدودِ
عَـوارٌ في شَريـعَتِنا وَفَـتْحٌ عَـلَيْنا للـنّصارىٰ واليهـودِ
كَـأَنَّ اللهَ لَمْ يَخْـلُقْهُ إلاّ لِـتَنْعَطِفَ القـلوبُ عَـلَى يَـزيدِ

فهو على الرغم من كونه علوياً شريفَ النسب والأصل، إلا أنّ أفعالَه سَيِّئَةٌ تزداد سوءاً عن أفعال يزيد بن معاوية، وهو في تصرفاته ضد المسلمين كمن يقفُ إلى جانبِ النّصارى واليهود ضدّهم.

ومن هجاء الخوارزمي الطريف حين يتعرض إلى أمثلة النحويين قائلاً[4]:

مـا كُـنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ عَـمْراً يُـذْنِبُ فَـيُخَصَّ زَيْـدٌ بـالمَلامِ ويُـضرَبُ

١. رسائل أبي بكر الخوارزمي، ص ٥٦.
٢. القطعة ٢٣ / ١ ـ ٢.
٣. القطعة ٦٠ / ١ ـ ٣.
٤. القطعة ١/١٣٥.

ب / الهجاء الساخر:

من مظاهر هذا العصر التي تركت بصماتها واضحة على شعر الهجاء هو غلبة روع السخرية والنكتة الهزلية عليه[١]. وكان هذا الهجاء هجاء فنياً تصويرياً «كاريكاتوريا» في منتهى الظّرافة، فهو وإن ظهرت في ألفاظه بعضُ الملامح السّوقية، وفي معانيه بعض السمات الهجائية الموجعة والمؤلمة، إلا أنّه كان الغالب عليها طابع الفكاهة، وروح الدعابة، والصورة الطريفة الرائعة التي قدمها اصحابها في ثوب باسم ضاحك، تتنفّس من خلاله الجماهير المتشوقة لرؤية غير ما تعوّدوا عليه في حياتهم العادية المألوفة، والمتعطشة لمثل هذه المداعبات الساخرة والمناوشات الفكاهية الطريفة[٢].

والخوارزمي لم يُنْأَ عن مجتمعه وعن الاتجاهات السائدة فيه، ولذلك فقد اتسمت مجموعة من قطعه الهجائية بسمة السخرية، فهو يهجو أبا الطيب البيهقي قائلاً[٣]:

فَسَا الشَّيْخُ سَهْواً وفي كَفِّهِ ... شَراب فَلُمْناهُ لَوْماً قَبيحا
فَقَالَ: الدَّخْلُ والخَرْجُ لي ... فَأَدْخَلْتُ راحاً وأَخْرَجْتُ ريحا

فلا يستنكف الشاعر عن استخدام مثل هذه الألفاظ غير المستحسنة وغير المهذّبة من أجل السخرية وشيوع روح الفكاهة.

ونراه يسخر مرّة أخرى من أبي الطيب البيهقي هذا قائلاً[٤]:

يَبْكي مِنَ المَوْتِ أبو طَيّبٍ ... دَمْعاً لَعَمْري غَيْرَ مَرْحومِ
وَيَشْتكي ما يَشْتَهي غَيْرُهُ ... شِكايَةَ الخَيْرِ مِنَ الشّومِ
ساكِتُنا الشّيخُ أبو طَيِّبٍ ... والصَّمْتُ أَحياناً مِنَ اللّومِ

ويهجو الخوارزمي أبا سعيد الملة ساخراً منه حيث يقول[٥]:

أرىٰ لكَ أَفعالاً تناقَضَ أمرُها ... علىٰ أَنَّها في القُبحِ والعارِ واحِدُ

---

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع، ص ١٨٠.
٢. المصدر السابق، ص ١٩٦.
٣. القطعة ٥٢ / ١ ـ ٢.
٤. القطعة ١٩٥ / ١ ـ ٣.
٥. القطعة ٦١ / ١ ـ ٢.

نبيذُكَ ذا حلوٌ ووجهُكَ حامِضٌ ومــاؤكَ ذا سُخنٌ وفِعْلُكَ بارِدُ

ولا يكتفي الخوارزمي بهذا الهجاء الساخر الذي ينم عن استقبال بارد استقبله به أبو سعيد، بل نراه يصعّد من لهجة سخريته في قطعة أخرىٰ قائلاً[1]:

أبو سعيدٍ زُحَلٌ لِلْكرام وَمِنْسَفٌ يَنْسُفُ عُمْرَ الأَنام

لَمْ أَرَهُ إلّا خَشيتُ الرَّدىٰ وقُلتُ يا روحُ عليكِ السّلام

يَبْقىٰ ويَفْنىٰ النـاسُ في شُؤْمِهِ قوموا أنْظروا كيفَ بُخوتُ اللّئام

ثُمَّ تَراهُ سالِماً آمِناً يا مَلكَ المَوْتِ إلى كَمْ تَنام

إذن فالخوارزمي يريد بهذا الهجاء إثارة السخرية بالمهجو بأسلوب فيه نوع من الفكاهة والدعابة. ونجد مثل هذا الأسلوب أيضاً عند هجائه طاهر السجزي حيث يقول[2]:

ألا يا سائلي بِأَبِي حُسَيْنٍ وفي التّجريبِ عِلْمٌ مُسْتَفادُ

هُوَ ابنُ سَمِيِّهِ والطاءُ عَيْنٌ وَشِبْهُ كَنِيِّهِ والسّينُ صادُ

إنّه يسخر بوضوح من طاهر فينسبه إلى العهر ويكنّيه بأبي حصين. وهذه سلاطة لسان وسخرية اعتاد الخوارزمي أن يوجهها إلى بعض الذين يهجوهم.

وهذا الأسلوب نفسه يكرره في هجاء البلعمي، ممدوحه السابق، حيث يقول[3]:

إنَّ ذا البلعميَّ والعينُ غينٌ وهو عارٌ على الزّمانِ وشَيْنُ

إنْ يكنْ جاهِلاً بِخُفّي حُنَيْنٍ فَهُوَ الخفُّ والزّمانُ حُنَيْنُ

إنّه يسخر بأسلوب بارع يضمنه مثلاً من أمثال العرب المشهورة، هادفاً إلى إشاعة مثل هذا الهجاء الساخر بين الناس ضد البلعمي، وهو يصفه بالبلغمي كناية له عن الثّقيل المهذار.

وفي بعض الأحيان يخفف الخوارزمي مِن حدة لحن هجائه الساخر فيقول في شخص[4]:

قَدْ لَقِيَ الأَحبابُ مِنْهُ الّذي لَمْ يَلْقَ زَيْدُ النَّحوِ مِنْ عَمْرِو

١. القطعة ١٩٤ / ١ ـ ٤.
٢. القطعة ٦٢ / ١ ـ ٢.
٣. القطعة ٢٢٢ / ١ ـ ٢.
٤. القطعة ١٠٠ / ١.

ولكن حدة هذا الهجاء ترتفع حين يستخدم كلمات نابية، كقوله في هجاء طاهر بن شار[١]:

لِلّهِ في كُـلِّ مـا قَـضاهُ   لَـطائِفٌ تَحْـتَها بَـدائِـعْ

سُـبْحانَ مَـنْ يُـطْعِمُ ٱبْـنَ شـارٍ   وَيَـتْرُكُ الكَـلْبَ وَهْـوَ جـائِعْ

إنّها اشارة غير مباشرة إلى أن مهجوّه أدنىٰ مرتبة من الكلب.

ويستعمل الخوارزمي أحياناً في هجائه، الكناية أو القطع والاستغناء عن ذكر ما ألغز، وهي طريقة مشهورة من طرق العرب، وهو بهذا الأسلوب يثير السخرية بشكل غير فاضح. فهو يقول في هجاء أبي جعفر[٢]:

أَبـا جَـعْفَرٍ لَسْتَ بـالمُنْصِفِ   وَمِـثْلُكَ إنْ قـالَ قَـوْلاً يَـفي

فَـإنْ أَنْتَ أَنْجَـزْتَ لي مَـوْعِدي   وإلّا هَـجَنْتُ وأَدْخَـلْتُ في

وَقَـدْ عَـلِمَ النـاسُ مـا بَـعْدَهُ   فَـغَطِّ الحـديثَ ولا تَكْشِـفِ

ويكرر الخوارزمي هذا الأسلوب مع أبي زيد فيهجوه قائلاً[٣]:

أبـو بكـرٍ هـو اللّـوطيُّ حَـقّاً   ولكـنْ رُبَّمـا لَحِـقَتْهُ ظَـنَّهْ

أَراهُ يَـبْتَغي الغـلمانَ سـوداً   عَـفاريتاً فـيوهِمُني بِـأَنَّـهْ

ج ـ الهجاء الماجن:

يعد شيوع المجون الفاحش والنكتة الهزلية وغلبتها على شعر الهجاء في القرن الرابع الهجري من آثار العصر الذي وصلت فيه الاوضاع الاجتماعية إلى أحطّ مستوى من التردّي والانحلال، والانحطاط اللغوي، وبصورة لم يسبق مشاهدتها في العهود الاسلامية السابقة. لذلك كان لابد من تأثر الشعراء بما يدور في حياتهم وفي فلك عصرهم المشحون بالوباء الإجتماعي والأوصاب الاخلاقية المؤلمة، وكان من الضروري أن يصاحب ذلك تدهور وانحلال في الشعر بصورة عامة وفي الشعر الشعبي بصورة خاصة[٤]. ولهذا فقد دخل الهجاء في هذا القرن باباً لم يدخله من قبل.

---

١. القطعة ١٢٠ / ١ ـ ٢.   ٢. القطعة ١٣١ / ١ ـ ٣.

٣. القطعة ٢٢٥ / ١ ـ ٢.

٤. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١٨٠.

إذ أوغل بعض الشعراء في الألفاظ والتعابير الماجنة، وأسفّوا في المعاني المنحطّة السافلة، حتىٰ لتقبح النفس من سماع صورهم وتشبيهاتهم وأغراضهم في النساء، فقد يُقبل أحدهم على أمه، فينال منها ما ينال الغريب من خليلته، وينتهي إلى وصف ذلك وصفاً فاحشاً، لا تستقر العين على سطوره لكثرة ما يثير في الشعور من ألم الانحطاط ووحشية العمل[١].

ويرى الدكتور نبيل خليل ابو حلتم ان الشاعر ابن الحجاج المعروف بمجونه والمشهور بسُخفه وسخريته[٢] من أبرز الشخصيات الهجائية الماجنة في القرن الرابع. كما يعده المسؤول الأول امام التاريخ عن تردي لغة شعر الهجاء في هذا العصر، والوصول بها إلى منزلة يقشعر لها البدن، حين سماع ألفاظها وتعبيرها. ويصف لغته بأنّها لغة هجائية متهاوية في ألفاظها، مبتذلة في معانيها الفاحشة، رذيلة في صورها، سافلة قذرة في مراميها، يتورع الباحث، ويحتشم في ذكر ما كان يدور في لسان هذا الساخر من القيم الانسانية، والمبادئ الاجتماعية في عصره[٣]. والذي يستقرئ اليتيمة، وشجرة الدر يجد الكثير من هذا الشعر الماجن المبثوث في تضاعيفها[٤].

وإذا كان المجون يعني: ألا يبالي الإنسان ما صنع لأن قياسه من الناقة المماجن التي ينزو عليها غير واحد من الفحولة فلا تكاد تلقح[٥]. والماجن: الانسان الذي لا يبالي قولاً ولا فعلاً كأنّه صلب الوجه[٦]. ولما كان الخوارزمي كما عهدناه انساناً سليط اللسان، لا يدوم على الوفاء، على حد تعبير أبي سعيد احمد بن شبيب[٧]:

أَبُـــو بَكْـــرٍ لَـــهُ أَدَبٌ وَفَـضْلٌ   ولكـــنْ لا يَـــدومُ عَـــلَى الإخـــاءِ

---

١. الهجاء، الدكتور سامي الدهان، ص ٢٣.

٢. ابن الحجاج، آذرتاش آذرنوش، مقالة في دائرة المعارف الاسلامية الكبرىٰ، ٢ / ٦٥٨ ـ ٦٦٤؛ وفيها ان الذهبي قرأ قولاً له هو «كل ما قلته من المجون، ما قصدت بذكره الا بسط النفس، وانا استغفر الله من هذه العثرات» ٦٦٢/٢.

٣. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١٨١.

٤. راجع على سبيل المثال: اليتيمة ١٦/٣، ١٧، ٤٣، ٤٩؛ ١٢٢/٤، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١.

٥. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢٩٩/٥.

٦. القاموس المحيط للفيروز آبادي، ٢٧٢/٤.

٧. اليتيمة ٢٧٧/٤.

مَـــــــوَدَّتُهُ إذا دامَتْ لِخِـــــــلٍّ   فَمِـــنْ وَقْتِ الصَّـــباحِ إلَى المَســاءِ

لذلك سرعان ما نرى تأثره بهذا الداء السريع الانتشار (الهجاء المجوني)، حيث حطت العدوى به رحالها بجواره، وهكذا تُدَنَّسُ حرمة هذا الاديب البارع، فيستخدم مجونَ ابن الحجاج، وقذارة ابن سكرة في بغداد، ويهيم في بحر الشناعة والقذارة، فيردد ألحاناً هجائية، وهي بالرغم من طرافة صورها، إلا أنّها مقذعة في الفحش والبذاءة.

يقول الخوارزمي هاجياً نديماً حمامياً له متهماً إيّاه بقلة الوفاء[1]:

قُــلْ لِمَــنْ يَــنْكَحُ بــالعَيْنِ   جَــواري الأَصْــدِقاءِ

والّــذي يــعتقدُ المـ   ـلكَ لَــهُ قــبلَ الشّراءِ

أنتَ واللهِ نَشــيطُ الأَ   ... كســلانُ الوَفــاءِ

ليتَ قَــلْبي قُــدَّ مِــنْ أَيْـ   ... في بــابِ الذَّكــاءِ

أَمْــهِلِ السَّــاقي ولا تُخــجـ   ـلْهُ بَــيْنَ النُّــدَماءِ

أنــا بــالسَّاقي كَــفيلٌ   لَكَ مِــنْ بَــعْدِ العِشــاءِ

فــإذا مــا انْــصَرَفَ النّــا   سُ فَــجُدْ لي بــالأَداءِ

لَكَ أ... جــاهِلٌ   مِــنْ أ... السُّــفَهاءِ

يــا كــثيرَ المــاءِ أَقْــرِضْـ   ـنا وَلَــوْ حُمَّــةَ مــاءِ

أعــظَمَ اللهُ لَكَ الأَ   جْــرَ عَــلَى هــذا العَــناءِ

والذي يطلع علىٰ هذه الابيات، يتبادر له، أول وهلة، بأنها أقرب إلى المجون العادي منها إلى فن الهجاء، حيث ان ناظمها لم يقصد من ورائها إيلام المهجو، وايجاعه بقدر ما يطمع في السخرية من نديمه هذا، ليضحك عليه من حوله، فيتّخذونه كرة، يتلقونها بالاستهزاء وقهقهات الاستمتاع والتسلية.

ولم يقتصر مثل هذا الهجاء الماجن للخوارزمي على اصدقائه او ندمائه، بل نراه يستخدمه

---

١. القطعة ٢ / ١ ـ ١١.

في هجاء طاهر بن شار والي سجستان، حيث يقول[١]:

وقال أنا المليكُ فقُلْتُ حقّاً بِقَلْبِ اللاّمِ نُوناً في الهجاءِ
ولَمْ أرَ من أداةِ الملكِ شيئاً لَدَيْكَ سِوى احْتمالِكَ لِلّواءِ

ومثل هذا الهجاء الماجن الساخر، نشاهده عندما يهجو شخصاً آخر لا نعرفه، فيقول[٢]:

سفيه أَ... أَ... حَليمٌ ولَيْسَ لداءِ حِلْمٍ مِنْ دَواءِ
تُطَلِّقُهُ النِّساءُ يَسُقْنَ مَهْراً إلَيْهِ رَغْبَةً في الافْتِداءِ
إذا كانَ الرِّجالُ بِلا أ... فَتَطْليقُ الرِّجالِ إلَى النِّساءِ

وهنا نلاحظ مرة أخرىٰ هذا المجون في استخدام الألفاظ رغبة في الاستهزاء بالمهجو والضحك عليه.

ولا يقتصر مجون هجاء الخوارزمي على الإدلاء به صراحة، فإنّه يستخدم الكناية أيضاً للتعبير عن هذا الهجاء الماجن. فهو يقول كناية عن الأ... والف...[٣]:

وَلَمْ تُصْبِحْ عَلَى الإسلام سَيْفاً وأَنْتَ كَما عَلِمْتَ مِنَ الغُمودِ
وتَزْهَدُ في الصَّلاة وفي ذويها ولكنْ لَيْسَ تَزْهَدُ في السُّجودِ

هذه الكناية نراه يستخدمها مرّة أخرى حول من يتعاطى مع كل أحد من الذكور والإناث[٤]:

إذا فاتَهُ تَحْصيلُ ظَبْيٍ مُقَنَّعٍ فَهِمَّتُهُ تَحْصيلُ ظَبْيٍ مُعَمَّمِ
يَصيدُ كِلا الظَّبْيَيْنِ هذا وهذه حَنيفٌ ولكنْ فِعْلُهُ فِعْلُ مُجْرِمِ

وحول غلام تُشير الرجال والنساء إليه لِخِسَّته يقول[٥]:

مُؤَنَّثُ الدَّلِّ إلاّ أَنَّهُ ذَكَرٌ لِمُسْلمٍ وابنِ هاني فيه شَرْطانِ

---

١. القطعة ١ / ١ ـ ٢.
٢. القطعة ١٠ / ١ ـ ٣.
٣. القطعة ٧٢ / ١ ـ ٢.
٤. القطعة ٢١١ / ١ ـ ٢.
٥. القطعة ٢٣٦/١؛ الاشارة إلى مسلم بن الوليد صريع الغواني وإلى أبي نواس الحسن بن هاني.

ويوجه الخوارزمي لسان شعره الهاجي الماجن لرجل ادعىٰ الانتماءَ إلى الشاعر نصر بن أحمد الخبزأرزي ويقول فيه[١] :

يقول نصرٌ أبي، فقلتُ لهم عندي بهذا شهادةٌ حَسَنَهْ
نَعَمْ، ولكن أُمُّهُ حَمَلَتْ مِنْ بَعْدِ ما ماتَ شَيْخُهُ بِسَنَهْ

ويهجو الخوارزمي أبا طاهر الكرماني الكاتب، مبيناً الآثار التي تركتها يده على قفا خصمه. وفي هذه الاشارة من الكناية ما هو أبلغ من التصريح. فهو يقول[٢] :

واللهِ لا فارَقَتْ كَفِّي قَفاهُ ولَمْ يَنْسِجْ أَبو قَلمونٍ في نَواحِيهِ

وهذا الهجاء الماجن للخوارزمي لا يقتصر على الرّجال واستخدام الكلمات البذيئة فيهم، بل إنّه يشمل النساء وبيان عوراتهن. فهو فقد هجا رجلاً جليت ابنته عن الختن وهي منه حُبلى لأشهر[٣] :

يا جالي البنتِ بعد ما ثُقِبَتْ تبزُّر القدرَ بَعْدَ ما قُلِبَتْ
هذا كما قَدْ يقالُ في مَثَلٍ جَصَصْتَ الدارَ بعد ما خُرِبَتْ

ويبدو أن هذا الهجاء الماجن صار عادة لديه إذ نراه ينشد الصاحب بن عباد ارتجالاً بعد ما دخل عليه من دون إذن واتهمه الصاحب بالثّقل قال الخوارزمي[٤] :

مَنْ يَقُل إنّي ثقيلٌ أُمُّهُ حِرُها أَوْسَعُ مِنْ دَرْبِ طَبَسْ

ويبدو أن شيوع مثل هذا الهجاء الماجن الساخر كان إلى درجة ان يتجرأ الخوارزمي في حضرة الصاحب إلى القول بهذا الكلام البذيء. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنّه أصبح أمراً عادياً مألوفاً بين أدباء وشعراء هذا القرن. فالصاحب بن عباد نفسه يقول في رقعة بعث بها إلى حاجب المهلّبي الوزير وقد حجب وتأخر طويلاً في جلوسه[٥] :

وأُتْرَكُ مَحْجوباً عَلَى البابِ كالخُصىٰ وَيَدْخُلُ غَيْرِي كالأ... وَيَخْرُجُ

---

١. القطعة ٢٤٣ / ١ ـ ٢.
٢. القطعة ٢٤٦/١.
٣. القطعة ٤٥ / ١ ـ ٢.
٤. القطعة ١١٤ / ١.
٥. معجم الأدباء (طبعة دار احياء التراث العربي)، ٦/٣٠٦.

ولا يسكت الخوارزمي تجاه شخص قد تزوج امرأة ليست بصالحة، ويطلق لسانه الماجن فيه وفيها قائلاً[١]:

زُفَّتْ إِلَيْكَ صَدِيقَةٌ لِفَتىً فَصِرْتَ لَهُ شَرِيكا
فَعَلَيْكَ كُلُّ مَؤُونَةٍ وَعَلَى شَرِيكِكَ أَنْ يـ...

فهل هناك بذاءة ومجون أقبح من هذا الذي تطالعه بين الحين والآخر والذي يحمر الانسان خجلاً من الاشارة إليه فكيف بالتحدث عنه علانية دون خجل وحياء.

إنّ هذا الهجاء الفاحش الماجن ـ كما رأينا ـ قد وصل في هذا القرن إلى أحط مستواه وأدنى حالاته التي لم يتوقعها المرء من شعراء كان الاسلام دينهم، والعربية لغتهم، ولم يكن الخوارزمي ببعيد عن هذه الاجواء التي سادت بيئات قرنه وعصره الادبية في الشام أو بغداد أو أصبهان أو غيرها. فلقد ذاع هذا اللون من الهجاء وانتشر انتشاراً واسعاً في البيئة الاسلامية آنذاك. وشارك فيه عدد كبير من الشعراء المشهورين الذين لمع نجمهم في هذا العصر، متأثرين في ذلك بالأوضاع الاجتماعية المنحلة، والفوضى الخلقية التي وصل إليها مجتمع هذا العصر، سواء أكانوا من الطبقات الشعبية العامة أم من الطبقات الرسمية الذين كانوا أكثر فحشاً وفجوراً من أبناء الشوارع وروّاد الحانات الليلية[٢]. ولهذا كان لابد أن تثمر هذه الأوضاع الخلقية المتردية شعراً واقعياً يعبّر عن مسالك الناس في حياتهم ويبين إتجاهاتهم الإجتماعية وميولهم المعيشية. ومن أراد الكشف عن خبايا هذا الشعر السيئ الرذيل، ومن حاول الإطلاع على تفاهات هذا العصر في شعر الهجاء، فما عليه إلّا تقليب صفحات اليتيمة للثعالبي أو شجرة الدر للوزير الآبي. فنظرة سريعة إليهما تكفيه عناء البحث في كتب اخرى، وتجعله يرى بأم عينيه ذلك التيار الفاسد الذي شاع بين شعراء القرن الرابع.

وهنا أود لو أقول، إن مثل هذا الشعر لا يخدم إطلاقاً دارسي الادب بقدر ما يخدم دارسي الحياة الاجتماعية في هذه الفترة، لأنّه خال من كل ما يستحق الثناء على صاحبه، إلّا سعة الخيال، وخصب الفكر، وحسن التخلص من موقف إلى آخر، والأسلوب القصصي

١. القطعة ١٤٤ / ١ ـ ٢.
٢. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١٩٥.

الكاريكاتوري الضاحك لدى البعض منهم، والذي أثار اعجاب الثعالبي[١]. وما عدا ذلك فهو غير جدير بالإطلاع عليه.

وعلى كل حال فإن شعر الهجاء المجوني يمكن أن يعد لوناً جديداً وإتجاهاً شعرياً حديثاً ظهر في القرن الرابع الهجري وساد بين شعرائه، ولم يتخلف الخوارزمي عن هذا الاتجاه وعن هـذا التيار، بل استساغه ومشى فيه.

٣ـ الغزل:

يرىٰ بعض الباحثين عدم وجود فرق بين كلمات «التشبيب والنسيب والغزل» في المدلول[٢].

والغزل وليد عاطفة الحب، وتصوير نفسية قائله، فهو إذن يتسم بالصدق الشعوري، ويمتاز عن أبواب الشعر الأخرىٰ كالمدح والوصف والهجاء والفخر، لأنّ هذه الاغراض كثيراً ما كانت تنبعث عن ملق، أو تنفّج، أو ادعاء فَتُحرمُ صدق الشعور وحرارة العاطفة، فتجيء متكلّفة فاترة غير مصورة لنفسية الشاعر، أما الغزل فقلّما كان ينبعث عن محاكاة أو تكلّف.

والشاعر يتغزل إما ليعبّر عن عاطفة الحب للمحبوبة التي اختارها قلبه، وإمّا لأنّه مدفوع بميله الفني للتعبير عمّا بنفسه، لأنّه فنان.

وينقسم الغزل إلى أنواع ثلاثة هي العذري، والحسي، ونوع ثالث لا هو عذري ولا هـو حسي، وإنّما هو فن من القول مصطنع، وكان لا يقال إلّا في مطلع القصائد[٣].

ومما لا شكّ فيه أنّ التطور الحضاري الذي أصاب مرافق الحياة وبلغ أوجه في القرن الرابع الهجري، والإنقلاب الإجتماعي الذي ظهرت نتائجه جلية واضحة، والازدهار الثقافي والسّموّ الفكري قد تركت آثارها على الشعر بصورة عامة، وساهمت إلى حد كبير في التجديد الذي أحدثه الشعراء في الموضوعات والاغراض التقليدية، ومنها الغزل حيث جدد الشعراء في الصور التي أوجدوها وابتكروا في التشبيهات التي جاؤوا بها.

ونحن إذا استعرضنا الابيات التي وصلتنا عن الخوارزمي في الغزل، لوجدناها تحتل المرتبة

---

١. اليتيمة ١/٤٠٨.

٢. الغزل في العصر الجاهلي، الدكتور احمد محمد الحوفي، ص ١١.

٣. المصدر السابق، ص ٢٥٧.

الثالثة من حيث الكمية بالنسبة إلى مجموع الديوان، وتشكل حوالي ٩/ ١٠٪ منه.

أما من حيث الموضوعات فإنّنا يمكننا تقسيم الغزل وموضوعاته لدى الخوارزمي إلى الاقسام الآتية:

أ ـ الغزل التمهيدي.

ب ـ الغزل التقليدي (عذري أو حسي للمرأة).

ج ـ الغزل بالمذكر.

أ ـ الغزل التمهيدي: وقد أوضحنا تعريفه آنفاً وهو الذي لا ينبعث عن عاطفة حب عذري أو حسي. وكثيراً ما افتتحت القصائد في مختلف العصور بهذا النوع من الغزل، سواء أكانت قصائد المديح أو الرثاء الذي هو نوع آخر من المدح أو الفخر أو الهجاء أو الوصف. ولم يك هذا الافتتاح عبثاً أو لغواً من القول، وإنّما كان عملاً فنياً مقصوداً. ولعل السبب في افتتاح الشاعر قصيدته بهذا النوع من الغزل المصطنع إنّما يعود إلى:

١َ ـ رغبة الشاعر في التعبير عن عاطفته أولاً قبل الانتقال إلى الغرض الذي يريد القول فيه، فكأنّه يريد أن يعيش أجواء عاطفية يندمج فيها، ليسهل عليه القول وتنثال عليه الصور والأفكار، مَثَلُه في ذلك مثل المغني أو المغنية، إذ لابد له قبل الغناء من جو موسيقي يثير كوامن الشاعر ويهيئه لأن يَطرب ويُطرب.

٢َ ـ رغبة الشاعر في إعداد سامعه لتلقّي ما يسمعه بعاطفة متفتحة، ووجدان يقظ، لأنّه يتحدث إليه في موضوع يتصل بالنفس الانسانية، ومشاعرها إتصالاً وثيقاً. فالغزل هنا كالمقدمة في الخطبة التي يمهد الخطيب أذهان السامعين لموضوعه ويعدهم لسماعها. وقد أشار إلى هذا السبب والهدف ابن قتيبة حين قال: «إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكىٰ وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها.. ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب..»[١].

---

١. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص ١٤ ـ ١٥.

وشاعرنا الخوارزمي قد سار على هذه السنّة، وآثر هذا الاتّباع، إذ افتتح بعض قصائده في المدح ـ كما مر بنا ـ بالغزل التمهيدي[١]، إذ لا نجد فيه أية عاطفة صادقة، ولهذا فهو لا يؤثر في عواطفنا ولا يدفعنا إلى مشاركة قائله مشاركة وجدانية، كما هو الحال لو كان غزلاً صادقاً. وشتان بين غزل نابع من القلب، وآخر صادر من العقل. ومن هذا النوع الابيات الاربعة التي وصلتنا وأظنّها افتتاح قصيدة في الصاحب بن عباد[٢]:

يَفُلُّ غَـداً جَـيْشُ النَّـوىٰ عَسْكَـرَ الْـلقا	فــــرأيُكَ في سَـحِّ الدّمــوعِ مُــوَفَّقا
ولمّـــا رأيتُ الإلفَ يــعزِمُ للــنَّوىٰ	عَــزمْتُ عَــلَىٰ الأجــفانِ أن تَـتَرَقْرَقا
وخُــذْ حُــجَّتي في تَــرْكِ جَـنْبِيَ سـالماً	وقَـــلْبِي وَمِــنْ حَــقَّيْهِما أن يُشَــقَّقا
يــدي ضَــعُفَتْ عَـنْ أَنْ تُمزِّقَ جَـيْبَها	ومــا كــانَ قــلبي نــاظِراً فَــيُمَزَّقا

فهذه الأبيات لا تشعرك بعاطفة صادقة منبعثة من القلب تؤثر فيك، وتستدر الدموع منك، فلا يكون رد فعلك إلّا بارداً لا يتعدّى ألفاظها.

ب ـ أما الغزل التقليدي: عند الخوارزمي فنجده ممثلاً في العديد من القطع التي وصلتنا عنه. فنراه يتغزل في محبوبته ويتذكرها في ليلة غياء، مشيراً إلى أنّه ليس بالشاعر المتكسب بهـذا الشعر الذي ديدنه كسب رضى اللئام ورجاء صلتهم، وكيف هو في هذه الليلة يمـزج الدمـع بالدماء، وحق له هذا المزج، لأنّه قد مزج بين وفائه وهواه[٣]:

وَلَــقَدْ ذكــرتُكِ والنّــجومُ كـأنَّها	درٌّ عَـــلَى أرضٍ مِــــنَ الفَــيْروزَجِ
يَــلْمَعْنَ مِـن خـللِ السَّـحاب كَـأَنَّها	شررٌ تَـــطَايَرَ في دُخــــانِ العَــرْفَجِ
والأفـقُ أحـلكُ مـن خـواطـرِ كـاسبٍ	بــالشّعر يَسْــتجدي اللـئامَ ويـرتجي
فَــزَجْتُ دَمْــعِيَ بــالدّماءِ ولم أكُــنْ	صِرفَ الهــوىٰ والعَــهْدِ انْ لم أمْــزُجِ

ولعل هذه القطعة لم تكن غزلاً نابعاً عن نفس محبة هائمة بقدر ما هي نسيب تقليدي من ذلك

---

١. راجع على سبيل المثال القطع ٩٩ / ١ ـ ٧، ٢١٣ / ١ ـ ٤، ٢١ /١، ٣٣ /١.
٢. القطعة ١٣٢ / ١ ـ ٤. ٣. القطعة ٤٨ / ١ ـ ٤.

النهج الذي أوضحناه في الغزل التمهيدي. وواضح من الابيات أنّها تقليد لقول عنترة[١] :

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهِلٌ مني وبيضُ الهندِ تقطُرُ من دمي
فوددتُ تقبيلَ السّيوف لأنّها لمعَتْ كبارقِ ثغرِكِ المتبَسِّمِ

ولكن لا بأس في ذلك، وإنّما البأس يكمن في هذا الاستطراد الذي تمثل في البيتين الثالث والرابع وخرج بهما كلياً عن اجواء الغزل التي تحتاج إلى شحنة عاطفية مضمنة بعض معاني الحب، بعيدة عن الأفق الحالك واستجداء اللئام. على أن تشبيه الافق الحالك بخواطر شاعر يستجدي اللئام، تشبيه مبتكر يكشف عن نفسية الخوارزمي الذي كان يكره أن يقف في مثل هذه المواقف كما رأينا ذلك في رسائله.

ويتحدث الخوارزمي عن ليلة قضاها مع محبوبته، وهو لا يريد أن يخبر الدهر بها لئلا يحسده الدهر عليها، ويقتص منه بسببها، هذه الليلة التي كان السّهاد فيها أفضل من النوم، وكان الظلام فيها أفضل مِن ضوء الفجر، لأنّه في احضان محبوبته التي تسكره، فيشعر بلذة تفوق لذة سكره من الخمر، ولذلك فهو يحسد نفسه على الظفر بهذه المحبوبة، فهو يقول[٢] :

وكَمْ ليلةٍ لا أُعلمُ الدهرَ طيبَها مخافَةَ أَنْ يَقْتَصَّ مني لَها الدهرُ
سهادٌ ولكن دونَهُ كُلّ رقدةٍ وليلٌ ولكن دونَ اشراقِهِ الفَجْرُ
وسكر الهوىٰ لو كان يحكيه لذّةً من الخمر سكرٌ يكن حُرِّمَ السّكرُ
ولمّا أدارتْ مُقلةً جاهِلِيَّةً هلاكُ أمرىءٍ في ضِمْنِ ثوبي لَها نذرُ
ومالَتْ كَأَنْ قَد سقيت خمرَ خدِّها وكيفَ يُميلُ الخَمْرُ مَنْ ريقُهُ الخمرُ
حسدتُ عليها ناظِري إذ تحلّهُ كما تحسد الأفلاكُ نعلَ فَناخسرو

ويقول في قطعة أُخرىٰ في وصف محبوبته[٣] :

وشمسٍ ما بَدَتْ إلّا أَرَتْنا بأنَّ الشّمسَ مَطْلَعُها فُضولُ
تزيدُ على السنينِ ضِياً وحُسناً كما رَقَّتْ على العِتْقِ الشَّمولُ

١. العصر الجاهلي، الدكتور شوقي ضيف، ص ٣٧٤. ولم اعثر على هذين البيتين في ديوان عنترة.
٢. القطعة ٨٢ / ١ ـ ٦.
٣. القطعة ١٤٦ / ١ ـ ٢.

لقد غالىٰ الخوارزمي في وصف محبوبته وأبدع في وصف ما يتزايد من حسنها على الايام التي من شأنها تغيير الصورة وتقبيح المحاسن، فمحبوبته جميلة جداً، ليس جمال الشمس أمامها سوى فضلة وزيادة، وهي كالخمرة المعتّقة التي تزيدها الأيام صفاءً وطيباً.

ومن جميل غزل الخوارزمي قوله[1]:

أغــرَّكِ يــومَ البــينِ مــنّي تـبسّمي ... فشــيّعتِ سهــماً في فــؤادي بـأسهُمِ
رُوَيْدَكِ عـهدَ القـلبِ بـالصبرِ بـعدَكُـمْ ... وحــقِّكِ عـهد النـارِ بـالبردِ فـافهمي
عَذيريَّ مِن ضـحكٍ غـدا سـبب البكـا ... ومــن جَــنَّةٍ قــد أوقــعتْ في جـهنَّمِ
زعــمتِ بــأنّي قــد ســلوتُ وهـذهِ ... أراجــيفُ مــن في عـزمِهِ قـتلُ مُسْـلمِ
عــلى ذا فَــدُومي أجْــرِمي وتَجَـرَّمي ... وبكّــي وأبكــي واظـلمي وتـظلّمي
كــأنَّكِ لا تــروينَ بــيتاً لِشــاعرٍ ... سوىٰ بيتِ «من لايظلمِ النـاسَ يُـظْلَمِ»
تــعلّمت فــعلَ الدهــرِ ثم سـبقتِهِ ... فــأنسانيَ التــلميذُ فِـعلَ المـعلِّمِ
أَديــري لحــاظَ القــلبِ فيَّ لِـتَنْظُري ... إلى مُــفلسٍ مـن صـبرِهِ عـنكِ مُـعْدَمِ
ولا تُــرسلي هــذي اللّـواحـظَ كُـلَّها ... فــواحِــدَةٌ تكــفيكِ قَــتْلَ المُــتَيَّمِ

ان الشاعر في هذه القطعة قد برهن لحبيبته أن تبسمه يوم الفراق لم يكن عن سلوة وفرح، وأن نظرتها العاتبة إليه قد وقعت في قلبه كوقع السهام، وأن قلبه بعد الفراق لن يتلاءم وينسجم مع الصبر، لأنّ حالتيها صارتا كحالتي النار والثلج، أو النار والماء البارد، فإنّهما لن يجتمعا. ثم يرجوها أن لا ترسل سهام لواحظها مجتمعة إلى قلبه، فإنّ هذا القلب المتيّم تكفيه رمية واحدة لتقتله وتقضي عليه.

وفي قطعة أخرىٰ يبرز الخوارزمي محاسن محبوبته فيقول[2]:

بَسَــمَتْ فــأبدتْ جـيدَها فـتكشّفَتْ ... عــن نــظمِ درٍّ تحتَ نــظمِ لآلي
وأَرَتْكَ خــدَّيْها ولاحَ عــليهما ... صُــدغانِ ذو خــالٍ وآخــر خــالي

---

١. القطعة ١٧٨ / ١ ـ ٩.
٢. القطعة ١٤٧ / ١ ـ ٣.

فكــأن ذا ذالٌ خَـلَتْ مـن نُـقطَةٍ　　وكــأنَّ ذا دالٌ ونـــقطةُ ذالِ

فصاحبته قد كشفت، حين تبسمت، عن أسنان بيضاء منظومة نظم اللؤلؤ فوق عقد الورد الذي يزين جيدها، وقد لاح فوق خدّيها صدغان أمام احدهما خال فكـأنّـه حـرف الدال منقوطاً، أما الصدغ الآخر الذي خلا من الخال فقد أشبه حرف الدال خالياً من النقطة.

ويتحدث الخوارزمي عن فراق الحبيبة وما ترك من آلام في نفسه حيث يقول[1]:

مَـضَتِ الشـبيبةُ والحـبيبةُ فـالتقىٰ　　دَمْـعانِ في الأجـفانِ يَـزْدَحِمانِ

مـا أَنْـصَفَتْني الحـادِثاتُ رَمَـيْنَني　　بِمُـودّعَيْنِ وليسَ لي قَـلْبانِ

فحبيبته يبدو قد ذهبت من دون عودة، لأن ذهابها كان كذهاب الشباب الذي لا عودة فيه. ولذلك فحزنه حزنان، الواحد أمضّ من الآخر، وهو لا يمتلك قلبين يستطيع بهما مواجهة هذين الحزنين.

ولا يكتفي الخوارزمي بذكر الحزن والالم الممضين اللـذين يـعانيهما مـن ذهـاب الحـبيبة والشباب، بل نجده يبكي ليلاه حزناً عليها حيث يقول[2]:

خَـليليَّ هَـلْ بـالشام عـينٌ حـزينةٌ　　تـبكي عَـلَى ليـلىٰ لعـلّي أُعـينُها

قـد أسـلمها البـاكـون إلّا حـمامةٌ　　مـطوَّقةٌ بـانَتْ وَبـانَ قَـرينُها

تُجـاوبها أخـرىٰ عـلىٰ خـيزُرانـةٍ　　يكـادُ يُـدانـيها مِـنَ الأرضِ لينُها

فهو يبحث عن عين باكية مثل عينيه لكي يعينها، ويشاركها الالم. إنّه يشعر بالوحدة في معاناته الألم، ألم الفراق، فالكل تركوه ولم يشعروا بمعاناته. إلّا حمامة ابتعدت عن قرينها، وهي تشكو ألم الفراق وتتجاوب معها أخرىٰ على غصن بان لين آخر يهتز مـن شـدة أحـاسيس الحمامة، حتىٰ يكاد هذا الغصن يلامس الأرض للاضطراب الذي تعانيه الحمامة الواقفة عليه.

ونرى الخوارزمي يشبه الرقيب الثقيل الظل بمسك العاشقين، فيقول[3]:

عـليك رقـيبٌ ثـقيلُ اللـحاظِ　　مـتىٰ لَمْ يُحـطْ عِـلْمُهُ يَحْـدس

---

١. القطعة ٢٢٣ / ١ ـ ٢.　　٢. القطعة ٢٣٩ / ١ ـ ٣.

٣. القطعة ١٠٩ / ١ ـ ٢.

أنمّ مِـــنَ المسكِ بـــالعاشقين وألحـــظ عـــيناً مـــن النرجِسِ

وهو احياناً يحذّر العين من أن تُخدع أحياناً عندما تنظر إلى وجوه ظاهرها جميل، فالجمال عند الخوارزمي لا يقتصر على الظاهر، بل يشمل الباطن والسريرة، فهو يقول[1]:

قـلتُ للـعينِ حـين شـامَتْ جمـالاً في وجـوهٍ كـواذبِ الإيمـاضِ

لا تَـغُرَّنْكِ هـذه الأوجـهُ الغـرُّ فـيا ربَّ حـيَّةٍ مِـنْ ريـاضِ

والحب عند الخوارزمي حياة للمحب إذا كان حباً صافياً خالياً مما يعكر صفوه، والّا فهو الحتف والموت له[2]:

وهـذا الهـوى عـيشُ المحبِّ إذا صـفا ولكـن إذا لم يـصفُ كـانَ لَـهُ حَـتْفا

ولا يقتصر غزل الخوارزمي على ذكر الحبيبة، بل يتوسع نطاقه ليشمل القينة والجـارية أيضاً، فمن غزله بالقيان قوله[3]:

وقـينَةٍ أَحْسـن مـن لقـياها تُمـلي كـتابَ الحسـنِ مُـقْلَتاها

ونُـقْطَةٍ وشكـلة خـدّاهـا إذا اجـتلاها اللّـحظ أَنْشَـدْناها

«واهـاً لِـرَيّـا ثـم واهـاً واهـا»

إنّه هنا يصف هذه القينة، وجمال عينيها وخديها ويستطيب هذه الصفات الحسيّة الجميلة في هذه القينة.

ويبلغ اعتزاز الخوارزمي بجارية له حداً حتى إنّه يرفض بيعها بعشرة آلاف درهم، لأنّها هي روحه التي لا يمكن بيعها إذ يقول[4]:

يـا طـالباً روحـي لِـيَبْتاعَها أنتَ رسـولُ الغـمِّ والحـسرهْ

غَـدَوْتَ بـالبدرةِ فَـارْجِعْ بِهـا لَسْتُ أَبـيعُ البـدرَ بـالبَدْرَهْ

فجاريته هي روحه التي لا يمكن أن تفارقه وهي كالبدر في جمالها، لا بل هي أجمل منه

---

١. القطعة ١١٦ / ١ ـ ٢.
٢. القطعة ١٢٩ / ١.
٣. القطعة ١١ / ١ ـ ٣.
٤. القطعة ٩١ / ١ ـ ٢.

وأحلى، ومن يريد إبعادها عنه، لا يمكن وصفه إلّا برسول الغم والحسرة.

ج ـ الغزل بالمذكر:

مما لا شك فيه أن القرن الرابع الهجري كان له تأثيره الكبير، والواضح على مسار الحركة الشعرية بمختلف اتجاهاتها واشكالها. ويظهر أنّ الجانب الإجتماعي في هذا العصر قد لعب الدور الخطير والبارز في تغيير وجهة بعض الاغراض التقليدية تغييراً تاماً، وذلك بولادة بعض الظواهر الجديدة التي حملت الشعراء حملاً، ودفعتهم دفعاً للانخراط في ألوانها، والتّنظم في أشكالها، فغلبت على إنتاجهم في أكثر من موضوع شعري قديم.

ولعل أبرز هذه الظواهر التي أخذت طابع التجديد، وكان للعصر اليد الطولى في شيوعها وذيوعها بين الشعراء، وتعدد ألوانها وصورها، ظاهرة حبّ الغلمان، والميل إليهم، والتغزّل فيهم تغزّلاً فاحشاً، وسيطرتها على شعر الغزل في هذا القرن.

إنّ حبّ الجنس لجنسه يوصف من الزاوية الأخلاقية بالانحراف الجنسي، وبالشذوذ الجنسي. إنّ هذا النوع من الحبّ جزئي وليس كلياً كحب الرجل للمرأة والمرأة للرجل. إنّه مقصور على بيئات معينة وعلى أفراد في هذه البيئات[١].

وهذه الظاهرة، كما نعلم، ليست من ابتداع هذا القرن، وإنّما شاعت بصورة مكشوفة بين خلعاء شعراء القرن الثاني. ولأول مرة في تاريخ الشعر العربي يظهر هذا الانحراف والشذوذ بشكل واضح وكثير على يدي أبي نواس[٢] الذي يعدّ بمثابة الاستاذ الحقيقي والأب الروحي لهذا الفن «الذي لم يكن له جذوره من قبل»[٣] والذي يصفه البصير «بأن الركاكة غالبة عليه»[٤]؛ ومن ثم اقتدىٰ به بعض شعراء عصره وساروا في ركب شذوذه.

وظلت هذه الظاهرة الغريبة على شعراء العربية تتسع شيئاً فشيئاً، وتتوغل تدريجياً في

---

١. قصيدة الغزل العربية بين الحلم والواقع، الدكتور عبد الحميد جيدة، ص ١٧٣.

٢. راجع مقالة «أبي نواس» القسم الثاني: شعر أبي نواس، لآذرتاش آذرنوش، دائرة المعارف بزرگ اسلامي، ٣٥٧/٦؛ ويرى شوقي ضيف أنّ والبة بن الحباب هو الذي أفسد أبا نواس. راجع العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٣. اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، الدكتور يوسف حسين بكار، ص ١٩٩.

٤. في الأدب العباسي لمحمد مهدي البصير، ص ١٧٦.

الشعر حتىٰ قدم القرن الرابع الهجري ـ عصر الخوارزمي ـ الذي يعد بحق العصر الذهبي لشعر الغلمان والمجون بلا منازع. حيث قدم فيه الشعراء الغلمان على النساء، وتغزّلوا بهم أكثر من تغزّلهم بنسوة عصرهم. ولو حاولنا القيام بمسح إحصائي للشعر الذي وصل الينا عن القرن الرابع من خلال اليتيمة، في التغزل، لوجدنا المذكر قد طغىٰ على هذا الشعر، وغلب على ألباب ناظميه وخيالهم، وفاق المرأة بنسبة كبيرة جداً، وقلّما نجد شاعراً من شعراء هذه الفترة لم يظهر في شعره التغزلي هذا اللون الغلماني مما دعا آدم متز إلى القول «لا شك أن الغزل الذي قيل في التوجّع من هوى الغلمان يعادل ما قيل في هوى النساء على الأقل»[١].

وقد حاول الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي تخفيف حدة هذه الظاهرة بقوله «وهنا مسألة ينبغي أن نلفت النظر إليها، وهي أن الغزل بالمذكر يبدو كثيراً في الشعر العربي، مع أننا لو تدبرنا الأمر قليلاً لوجدناه بريئاً من معظم تلك القصائد، والمقطوعات التي تحمل سمات الغزل بالمذكر، وليست في الحقيقة منه، وبيان ذلك أن ضمائر المذكر أيسر وأخفّ من ضمائر المؤنث، ولست أستبعد أنّ كثيراً من الشعراء قد استعملوا ضمائر المذكر، مع أنّهم في الواقع كانوا يوجهون شعرهم إلى معشوقات لا معشوقين»[٢].

ولا نستبعد ما ذهب إليه الكفراوي من استخدام بعض الشعراء ضمائر المذكر في اشعارهم الغزلية لخفتها على اللسان والأذن والسمع. بيد أن هذا الاستخدام للضمائر المذكرة يستطيع الباحث المتعمق ـ في أغلب الاحيان ـ تعرفه من خلال السمات العامة للقصيدة أو القطعة الغزلية، وذلك عن طريق بعض الألفاظ الخفية والمعاني العميقة. ولكننا نشاهد في كثير من الأحيان صراحة الشاعر في تغزله بالمذكر والدفاع عن نفسه في هذا التغزل، ثم هناك الجو العام الغالب الذي يسود فيه هذا النوع من الغزل.

فمن القطع الطويلة نسبياً التي وصلتنا عن الخوارزمي، قطعة تتناول هذا الاستخدام لضمير المذكر فيها حيث يقول[٣]:

---

١. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ١/١٣٥.

٢. تاريخ الشعر العربي، الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي، ٣ / ١٣٢.

٣. القطعة ٩٢ / ١ ـ ٢٧.

يــــا مـــن قُــربه خــبره ويــــا مـــن بُــعده عــبره
ويــــا مـــن وَصْــلُه يــومٌ ويــــا مـــن هَــجْرُه فَــتْره
ويــــا مـــن وَصْــلُه أعــلىٰ مـــن الشّمألِ بــالبَصْرة
ويــــا مَــنْ نــظرةٌ مِــنْهُ تســاوي مــائتي بَــدْرَة
ويــــا مَــنْ قَــدَ حكـىٰ خَــدّا ه قــلبي فــيها جَمْــرَة
ويــــا مَــنْ طــرف مــن أبــصَر بــدراً بــعدَهْ يكــرة
ويــــا مَــنْ صــبرُ يــومٍ عَــنْـ ـــهُ في حُكــمِ الهَــوى كُــفْرَة
ويــــا مــن عــينُهُ جــيشٌ كــثيفٌ لِأَبي مُــرَّة

إلى أن يقول :

قــد اســتخرجت مــن عــينيَ عَــيْناً في الهَــوى ثَــرَّة
فــلو فــجرّتُها فــجرّ تُ مــنها اثــنتي عَــشْرَة
وقــد أضــجعني فــوقَ فــراشِ الهــمِّ والحَــسْرَة
وقــد عَــلَّمني كــيفَ يمــوتُ المــرءُ مِــنْ نَــظْرَة

وكما شاهدنا فإنّ هذه الأبيات التي هي في بحر الهزج الخفيف نسبياً، يتحدث الخوارزمي عن ذلك المحبوب الجميل جداً والذي تساوي النظرة إليه مائتي بدرة، وإنّ الفراق حتىٰ ليوم واحد يعدّ كفراً في عرف الهوى والحب، وكيف أنّه عشقه من أول نظرة إليه، هذه النظرة التي اثبتت له أنّ الانسان يعشق منها ويظل يعاني هذا العشق والغرام والهيام حتىٰ الهلاك.

ربما نتفق مع الكفراوي في إنّ استعمال الضمير المذكر هنا يأتي منسجماً مع البحر الذي نظمت القصيدة فيه الا انّ الظروف العامة التي كانت سائدة، وكثرة الشعر الذي يمتلئ بـه اليـتيمة وشجرة الدر في الغزل بالغلمان يدفعنا إلى الاعتقاد بانّه في الغزل بالغلمان، إذ انّ هذا النوع من الغزل ومن الهجاء الماجن الذي اشرنا إليه ربما كان يعد موضة ذلك العصر وذلك القرن، وانّ الخوارزمي لم يتخلف عن هذه الموضة وعن هذا الاتّباع لشعراء عصره المشهورين والّـذين ارتبط بهم بروابط عديدة.

ان الظروف السياسية الإجتماعية والحضارية التي سادت في القرن الرابع الهجري هي التي ادت إلى شيوع مثل هذه الظاهرة. فقد بلغ هذا القرن الذروة في الحضارة والرقي والترّف بالنسبة للقرون التي سبقته او تلته، وبالمقابل فإنّه كان من أكثرها انحطاطاً اجتماعياً وتدهوراً خلقياً. فالملاحظ «انّ الشذوذ الجنسي يشيع في المجتمعات التي تبلغ قمة التحضر والرفاهية»[1]. وقد سار العامل الحضاري جنباً إلى جنب العامل الاجتماعى في هذا القرن وشاركا مشاركة فاعلة وحقيقية في إذكاء روح النّهم الجنسي للغلمان في مجتمع هذا القرن. ولما كان الشعراء يشكلون شريحة من هذا المجتمع تتأثر به وتؤثر فيه، فقد تأثروا بمجتمعهم وشاركوه نهمه الجنسي وشذوذه هذا. وظهر ثمار هذا التفاعل والامتزاج والتأثير جلياً واضحاً في الشعر الذي نقلته اليتيمة وغيرها عن شعراء هذا القرن ومنهم الخوارزمي.

وأرى بالاضافة إلى الدوافع القديمة التي أوجدت هذه الظاهرة وشاركت في تنشيطها، عاملين كان لهما أثرهما الفعال فى شيوع هذه الظاهرة الاخلاقية الشاذة في شعراء هذا العصر.

فالعامل الأول (كما أشرنا إليه في عصر الخوارزمي الاجتماعي) كان في شيوع آراء الفقهاء وأقوالهم واختلافها حول اللواط والعبث بالغلمان ونوع الحكم الصادر بحق مقترفهما. فالبعض منهم اعتبر هذا العمل كالزنا، وأراد آخرون أن يفرقوا بين اللواط بالغلام المملوك وغير المملوك وقالوا «إنّ الحدّ لا يلزم الأول بخلاف الثاني، والأكثرون على أنّه لا حد فيه بل هو يوجب التعزيَر من القاضي»[2]. وحيال هذا التساهل والاختلاف بين الفقهاء، حول الحكم في هذه العادة، اطلق العنان للشعراء وغيرهم الذين وجدوا في ذلك الاختلاف وتلك المرونة فرصة للتعبير عن نزواتهم الشيطانية وميولهم الجنسية[3].

اما العامل الثاني (الذي اشرنا إليه ايضاً في عصر الخوارزمي الاجتماعي) فيكمن في الحكام وذوي السلطة واصحاب الجاه، إذ كان افراد هذه الطبقة يتبارون في اقتناء الغلمان ويتسابقون

---

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، الدكتور محمد مصطفى هدّارة، ص ٥١٧.

٢. طبقات الشافعية، لتقي الدين السبكي، ١٨/٣؛ الحضارة الاسلامية لآدم متز ١٣٤/٢.

٣. حول غلاميات القاضي التنوخي علي بن محمد راجع اليتيمة ٤٠٤/٢. وحول غلاميات القاضي ابن خلاد راجع اليتيمة ٤٩٢/٣؛ وحول المفجع البصري صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة وظلمه عند توجهه إلى جامع البصرة والعبث بصبيانه الذين يذهبون للصلاة وقراءة القرآن راجع اليتيمة ٤٢٦/٢.

على استحواذ أجملهم[١].

والنقطة الجديرة بالذكر اننا نمتلك نصاً من الثعالبي يصف فيه أحد شعراء ذلك العصر وهو نصر بن أحمد الخبزأرزي الذي كان يعيش بالبصرة قائلاً «ما كشف متاع الغربة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث وشعره شاهد على ذلك»[٢]. وهذا القول يدل على شيوع تلك الظاهرة أو على الأقل عدم الاستحياء منها. وهي إنّ دلّت على شيء فتدل على أنّ المرأة التي شبب بها شعراء العهود السابقة لم تعد في القرن الرابع تحتل تلك المكانة في افئدة الناس والشعراء منهم بصفة خاصة، كما ان مفاتنها ومقاطع اثارتها لم تعد في هذا القرن تلهب وجدان الشاعر وتوقد قلبه، بقدر ما يلهبها عذار أمرد، وثغر شاطر أو صبي تركي غنوج ألثغ اللسان[٣].

على اننا يجب أن نقول هنا كلمة أخيرة وهي إنّ على الدارسين لهذا العصر ألّا يبالغوا في تصور موجة الفساد الخلقي التي مصدرها القيان والجواري والغلمان، حتىٰ لا يتصوّر الانسان انّ الحياة في المجتمع العباسي كلها مجون وتهالك على الفجر والعهر او انّ الناس في هذا المجتمع قد تخلّوا عن الحياة المستقيمة الطاهرة التي بلغها الدين والتقاليد المثالية. فإلى جانب هذا التيار كان المجتمع آنذاك يعج بتيارات أخرىٰ كالصوفية والزهد وغيرها[٤].

وللخوارزمي قطعة شعرية يمكننا أن نحمل المذكر فيها على المؤنث، حيث يقول[٥]:

ليس علىٰ القلبِ للعذولِ يدٌ ... ولا ليومي من الفراقِ غَدُ

كل فؤادٍ مع الهوىٰ عَرَضٌ ... وكلُّ يومٍ مع النوى أمدُ

يا أيّها الطالبون بي رشدا ... متىٰ التقىٰ الحب قطُّ والرَّشَدُ

ولي فؤادٌ مذ صرتُ أفقِدُهُ ... لم انتفعْ بعدَهُ بما أجِدُ

ولي حبيب لو كنتُ أنصفهُ ... وجدتُ فيه اضعافَ ما أجِدُ

---

١. حول غلاميات عزّ الدولة البويهي راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٦٣. وحول غلاميات عضد الدولة راجع اليتيمة ٢/٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤. وحول غلاميات سيف الدولة، اليتيمة ١/٥٥؛ وحول غلاميات أبي فراس الحمداني راجع اليتيمة ١ / ٧٧ ـ ٧٩.

٢. اليتيمة ٢/٤٢٩.

٣. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١٧٣.

٤. قصيدة الغزل العربية بين الحلم والواقع، ص ١٦١ ـ ١٦٢.

٥. القطعة ٥٥ / ١ ـ ٦.

شهــــدت للــــقلب حــين عــلّقه   بـــأنّـــه للـــوجوه مــــنتقِدُ

إنّه يفصح عن عدم التقاء الحب مع الرشاد والعقل والكمال، وهو يعلن عن حبه للحبيب الأول الذي تعلق به قلبه وافتقده فيه، فهو لن يجد أحسن منه في المرات التالية. إنّ غزله هنا على الرغم من كونه بالمذكر الا إنّه يمكن حمله ـ على حسب قول الكفراوي ـ على المؤنث وعلى الحبيبة. وهو هنا يستخدم اسلوباً محتشماً فيه.

ومثل تلك القطعة نجد قطعة أخرىٰ يتحدث فيها عن الخِلّ ولا ندري أهو الخل المذكر أو الخليلة المؤنثة، حيث يقول[1]:

قـد عصـاني دمـعـي وخـلّـي فـخِـلـ   ـتُ الخِـلَّ دمـعاً وخـلـتُ دمـعيَ خِـلاّ

وأحــــاطَتْ بيَ الخـــصومُ فـجفناً   مســــتهلاً وصــــاحباً مســــتقلاّ

وفــــواداً لو ظـــنَّ ابـــليسُ أنَّ   النــــارَ في حَـــرِّه لصـامَ وصــلّىٰ

انه من فرط بكائه قد اصبح الدمع له خليلاً لا يفارقه، وإنّ هذا الفـراق سـبب احـاطة الخصوم له إذ تحول جفنه وعينه وفؤاده خصوماً له يسومونه سوء العذاب، ولا يستطيع الفرار من هؤلاء الخصوم. انه استعارة جميلة استخدمها الخوارزمي معبراً عن جوارحه واعضائه التي تقف في الطليعة عند الألم والاحساس به.

ويعلن الخوارزمي عن جزعه لفراق الحبيب، وهو لا يستطيع ان يتحمل هذا الفراق، إذ لا عزاء يستطيع أن يسلّيه ولا صبر يستطيع أن يعطيه القدرة على تحمل هـذا الفـراق، اسمـعه يقول[2]:

خـــليليَّ هـــل بـــعدَ الحـــبيب وفـقده   عَـــزاءُ وهـــل بـــعدَ الفـــراقِ تجـــمّلُ

ويتمنّى الخوارزمي أن يحصل على قبلة واحدة من حبيبه الجميل الذي جعله كالأموات من الفراق[3]:

---

١. القطعة ١٤٨ / ١ ـ ٣.   ٢. القطعة ١٧٢ / ١.

٣. القطعة ١٧٥ / ١ ـ ٢.

يـــــا شـــــادناً متُّ قـــبلَه قـــد صـــار في الحســـن قِـبلَه
أمـــنُـــنْ عـــلـــيَّ بـــقُـــبـلَـه

ويبكي الشاعر الغلام الذي أحبّه، وعندما يرى في لحظة، دموع الغلام تنهمر، يعد بكاؤه هذا ثاراً لعينيه التي طالمّا انهمرت بالدموع من أجله. ولكنه مع ذلك لا يتحمل بكاء الغلام ولا يريد أن تنهمر عينا الغلام بالدموع كما انهمرت عيناه وهذا شأن المحب لا يستطيع أن يرىٰ محبوبه متألماً. فهو يقول[1]:

قـلتُ لمّـا دمـعتْ عـيناكَ والدمـع سـجام
انّما عـوقبتَ عـن عـينيَّ فـاعلم يـا غُـلامِ
لا أصـيبتْ هـذه العـينُ بـعيني والسـلام

ومن القطع التي يمكن حملها على الغزل بالمذكر أو بالمؤنث قوله[2]:

هـلمُ الخُـطا بـدرا الدّجـنة وأرفـقا بـعينيكما فـالضوء قـد يـورثُ العمىٰ
ولا تـعجبا أن يمـلك العـبد ربَّـه فانَّ الدّمىٰ استعبدن مـن نحت الدمىٰ

والخلاصة: ان الغزل عند الخوارزمي على الرغم من عدم امتلاكنا لقصائد كاملة في هذا المجال، قد شمل الانواع الثلاثة. وقد تأثر بالتجديد الحادث في هذا العصر إذ لا نجد فيه البكاء على الاطلال ولا التعابير المملوءة بالألفاظ المأخوذة من البيئة الجاهلية الصحراوية، بل نراها مأخوذة من البيئة الحضرية التي اعتادها الناس في هذا العصر. كما ان الاحتشام بصورة عامة يغلب على غزل الخوارزمي، إذ لا نجد فيما وصلنا من ابيات وصفاً خليعاً للحبيبة أو الحبيب.

٤ ـ الوصف:

تتقارب الابيات التي وصلتنا عن الخوارزمي في الغزل والوصف من حيث العدد تقارباً ملحوظاً فأبيات الغزل مائة، وأبيات الوصف التي وصلتنا ٩٨ بيتاً، تشكل حوالي ١٠/٧٪ من مجموع الديوان. ولابد لنا قبل التعرض لشعر الخوارزمي الوصفي، أن نتحدث بمقدمة وجيزة

---

١. القطعة ١٧٩ / ١ ـ ٣. ٢. القطعة ٢٢١ / ١ ـ ٢.

عن تطور هذا الفن في العصر العباسي والعوامل التي اثرت فيه، لأنّها تزودنا ببعض الوسائل التي يمكن بواسطتها تسليط الاضواء على الوصف في شعر الخوارزمي.

فقد اجمع المؤرخون على أنّ الحضارة العباسية، حضارة زخرف وترصيع[١]، كثرت فيها النقوش والستائر المزركشة المنمقة، والمناضد الثمينة والزهريات الخزفية، فضلاً عن الجواهر والحلي. أمّا الطعام فقد غدا كثير التعقيد، بعد ان تفنّنوا بادخال التوابل عليه. وكذلك اللباس، فقد غلب عليه التعريش والتطريز والتنميق. فالعصر العباسي كان عصر تعقيد وتوليد، يتولّىٰ العنصر المنفرد الأصيل ويمزجه بعنصر آخر، ليتولد منها عنصر جديد. ولقد كان الشعراء ينصرفون إلى القصور، منادمين الخلفاء والحكام والولاة، حيناً، ومادحين مستجدين حيناً آخر، فيؤخذ الشاعر بتلك الزخارف والترصيعات ويعجب من الفسيفساء المدهشة الألوان التي تطالعه في السقوف وعلى الجدران، فيتأثر بذلك واعياً وغير واع. ولقد طالما شاهد، أيضاً، الجواري والمغنيات، يرتدين الملابس المصبغة الموشاة، وغدا يعجب بالتعقيد والتأليف، حتىٰ انقاد إليه وتطبّع به في قصائده، وقد بدا ذلك في موضوع الوصف وصوره واسلوبه[٢].

ونتيجة لذلك فقد ابتدع شعراء القرن الرابع الواناً جديدة ومتعددة في الوصف، وابتكروا فيه ضروباً فنية مستحدثة، وقطعوا فيه شوطاً بعيداً من الرقي والتقدم والازدهار، بينه وبين ما أثر عن شعراء القرون السابقة بون شاسع، مصورين بيئتهم أكمل تصوير وبأدق صورة، صورها برياضها وورودها وزهرها وثمارها ومائها وثلجها وفصولها ومظاهر حياتها الاجتماعية، اضافة إلى حياتهم العامة التي لم يدعوا مظهراً من مظاهرها، أو اداة من أدواتها أو جانباً من جوانبها الخاصة أو العامة إلّا ووصفوه وتفنّنوا في رسم صورته، فأكثروا فيه القول[٣]. وقد أشار آدم متز إلى هذا الحرص من شعراء القرن الرابع على وصف جميع الاشياء على اختلافها، فنجد وصف الميزاب إلى جانب وصف الشاعر صورته في المرآة، وذلك ارضاء لرغبة الناس في المستحدث[٤]. وأصبحت لدى الشاعر النظرة إلى المرأة، والخمرة، والطعام،

١. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص ١٧٢ ـ ١٧٣.
٢. فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ايليا الحاوي، ص ١٤٠.
٣. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ٢٣٧.
٤. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ١ / ٣٧٣.

والروض .. نظرة المفتون بأدوات سروره ووسائل متعته[١]. وقد حدا بهم ذلك الاهتمام وهذه العناية بمظاهر طبيعة بلادهم وحياتهم الاجتماعية وحرصهم على انتزاع كلمة الاعجاب من أفواه مستمعيهم، إلى الكشف عن مواطن الجمال في الطبيعة، واجهاد أنفسهم لاستخراج أكبر قدر ممكن من الصور الوصفية الجديدة والمعاني المستحدثة الطريفة.

ويظهر أن تأثير الطبقة الحاكمة المثقفة كان بعيد الأثر، وينقل لنا الثعالبي كيف ان الوزير المهلبي اعجب بشعر الصنوبري في الطبيعة والشرب والثلجيات ونشر هذه الطريقة ببغداد[٢]؛ وكيف ان الصاحب ابن عباد قد دفع الشعراء إلى إنشاد القصائد في مدح قصره الجديد[٣]، واوعز إلى الشعراء أن يُعزّوا ابا عيسى بن المنجم ويرثوا برذونه (أصدا) وأمره الشعراء بوصف الفيل الذي حصل عليه في اقليم جرجان[٤]. ويبدو أن مثل هذه المجالس (مجالس المهلبي وابن عباد) كانت احدى وسائل النشر والتشجيع لهذا الفن الشعري الحضري. ويقول الدكتور جميل سعيد عن اثر هذه المجالس: «وكان للشعراء غير المجالس العامة، مجالس خاصة يتحدثون فيها عن الأدب والشعر، ويبدو لي ان شعر الوصف كان أكثر من غيره دوراناً في هذه المجالس»، ثم ينقل لنا صوراً من الاوصاف التي كان ابن نباتة السعدي يتداولها في مجالسه كوصف الحية والذئب وغير ذلك[٥].

وحتىٰ تكون الصورة جليّة واضحة للوصف عند شاعرنا الخوارزمي، كَفَنٍّ شعريٍّ جديد متأثر بالعصر، فإنّنا سنقدمه من خلال مداخل تتضمن: الطبيعة الساكنة، والحية، ومظاهر اجتماعية وعلمية وادوات العلم والكتابة والحرب وموضوعات متفرقة أُخرىٰ.

أ– الطبيعة الساكنة:

حظيت موضوعات الطبيعة الساكنة من رياض وازهار وثمار وماء وثلج ودور باهتمام شعراء القرن الرابع، فأكثروا من وصفها، ومجلدات اليتيمة حافلة بأنواع هذا الوصف.

ولم يتخلف الخوارزمي عن قافلة شعراء عصره في هذا المجال، إذ نشهد في الابيات التي

---

١. ادباء فلاسفة، الدكتور ميخائيل مسعود، ص ١٤٥.

٢. اليتيمة ٢ / ٢٧٠.

٣. المصدر السابق، ٣ / ٢٤٠ ـ ٢٥٣.

٤. المصدر السابق ٣ / ٢٥٣ ـ ٢٦٧، ٢٦٩ ـ ٢٧٧.

٥. الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين، الدكتور جميل سعيد، ص ٣٠٩ وما بعدها.

وصلتنا عنه وصفاً لبعض موضوعات الطبيعة الساكنة. ولكن الشيء المؤسف اننا لا نمتلك ديوانه الذي ربما كان يحوي الكثير من الاشعار التي تدور حول هذه الموضوعات، وبالتالي نستطيع الحكم على شعره في هذا المجال بصورة أدق.

غير ان الأبيات التي بين ايدينا تتضمن وصفاً للقثاء والزعفران والريحان والشمس ودار الصاحب والقلعة، إذ يمكن عدّ هذه الموضوعات ضمن موضوعات الطبيعة الساكنة.

ففي وصف القثاء يقول الخوارزمي في قطعة له[١]:

يــــا رُبَّ قــــثّاءٍ قــــريبِ المــوردِ	دُرِّ الحشـــــــا زمـــــرّدِ المجـــــرّدِ
شَـــــخْتِ الرؤوسِ أصْـــوَرِ المُــقَلَّدِ	مــــثل ذنـــــابي ريشِ ديكٍ أعــقدِ[٢]
قد التــوىٰ فــوق الثرىٰ الرطب النـدي	كـــــما يـــــلوذُ اســـودٌ بـــأسودِ
ذي زَغَبٍ وفـــــيه لون الأجـــــردِ	كـــالخدّ بـــين المـــلتحي والأمــردِ
كـــأنّـــــه في اللـــونِ والتــأوّدِ	صــــوالجٌ ركّـــبنَ مـــن زبــرجـدِ
يكـــــــاد للّـــــين وللــــتقصّدِ	تجـــنيه ألحــاظ الفــتىٰ قــبل اليــد
لمـــــا حـــصدناه قــريب المحــصدِ	هشّـــاً وجـــدنا مـــنه مــا لم يــوجد
مــــاءً كـــطعمِ السّكّــر الطــبرزدِ	وذوبَ شهـــــدٍ ســــائلاً في جَمَـدِ[٣]

فهو بالاضافة إلى وصفه الظاهري له يتحدث عن محتواه وما يجنيه من ورائه. وهو في الحقيقة لم يدع شيئاً منه إلّا وصفه. وصف مظهره وحشاه ورأسه وما تحت رأسه، ووصف التواءه وما عليه من شعيرات دقيقة، ووصف لونه ولينه وحلاوة طعمه. وشبه كل مظهر منه تشبيهاً دقيقاً ملائماً جاعلاً له بذلك ثقلاً ورجحانا. فحشاه درّ، ومظهره زمرد، ورأسه دقيق، وذيله كذيل الديك الأعقد، وجسمه يلتوي على الرمل كأنّه حية تلتقي بحيّة. وشبه ما على

---

١. القطعة ٧٧ / ١ ـ ٨.

٢. الشخت: الدقيق الضامر لا من هزال؛ أصور: مائل؛ المقلد: موضع القلادة؛ اعقد: ملتوي الذنب.

٣. الطبرزد: من السكر والعسل وما طبخ بعشره من اللبن الحليب حتىٰ ينعقد وفيه لطف وتبريد واصلاح للحلق وكسر لسورة الادوية.

جسمه بالزغب ولكنه لين الملمس فهو يجمع بين خد الملتحي وخد الامرد. ولتلهفه عليه تخيل العينَ تجنيه قبل اليد، وكأنه في بياض حشاه وحلاوة طعمه سكر لين أو شهد مذاب في قطعة من الثلج.

كما يصف الخوارزمي الزعفران في قوله[1]:

امـــا تــرىٰ الزعـفران الغـضّ تحسبُهُ جمــراً بـــدا في رمـاد الفـحم مـضطربا

كـــأنّــه بـــين أطـــرافٍ تحـــفّ بـــه طـــرائـــق الدّم في خـــدين قـــد لُـطما

دم عـــــياناً ومسك نـــــشر رائـــحة في طـــيبه وكـــذاك المسك كـــان دمـــا

إنّه يشبه الزعفران بالجمر الأحمر في وسط الفحم الأسود، ويشبه استقراره وسط ما يحيط به من اوراق كما تحف طرائق الدم في خدين احمرين من كثرة الضرب إذ يتخلل هذا الأحمـرار خطوط أقل احمراراً، ثم يتحدث عن رائحة الزعفران ولونه مشبهاً اياه بالمسك الذي كـان في الاصل دماً أيضاً، فهو دم في اللون ومسك في الرائحة.

ويأتي الخوارزمي باوصاف جميلة لباقة ريحان حين يصفها بقوله[2]:

وضـــــغث ريحـــانٍ إذا مـــا وصَـــفَهْ واصــــفُهُ قـــيل لَـــهُ: زِدْ فيالصِّـــفهْ

دقّــــــــقَهُ صـــــــانِعُهُ ولطَّـــــفَهْ كَـــــأَنَّــــــهُ وَشْمُ يـــــدٍ مُـــطَرَّفَهْ

او خَـــــــــطٌّ ورّاقٍ أَدَقَّ أَحْـــــرُفَهْ او زغـــــــباتُ طـــــائرٍ مُـــــصَفَّفَهْ

او حُـلَّـــةٌ بِـخُـضْـــرَةٍ مُـفَـوَّفَـهْ

فهو لا يكتفي بوصف الواصف له ما قاله، بل انه يستزيد الواصف وصفاً، لما يتمتع به من صفات جميلة لطيفة فإنّ الله سبحانه وتعالى قد احسن صنعَه ودققه فأصبح كالوشم في اليـد المطرفة التي قد خضّبت اطراف أصابعها بالحناء او كالوراق الذي نقش على ورقته احرفاً دقيقة لطيفة او كالبدلة من الثياب الخضراء المزينة بألوان أخرىٰ.

أما وصفه للشمس فجميل بسيط حيث يقول[3]:

---

١. القطعة ٢١٩ / ١ ـ ٣.

٢. القطعة ١٢٧ / ١ ـ ٤.

٣. القطعة ٣٤ / ١ ـ ٤.

امـــا تـــرىٰ الشـــمسَ بَـدَتْ كـــأنَّهـــا تـــرسُ ذَهَبْ
كـــأنَّهـــا قـــد ركّـــبَتْ للـــناظرينَ مـــن لَهَبْ
النُّـــورُ بـــادٍ عـــندنا كـــما الظـــلام مُـــنْتَهَبْ
أشْكُـــرُ عـــنها مـــلكاً أحســـنَ فـــيما قَـــدْ وَهَبْ

فالشمس كالذهب وهو تشبيه عادي مألوف، لا يحتاج إلى اية صعوبة في ادراكه، كما انها تبدو من لهب تضيء بنورها لتطرد الظلام وهو بالتالي يشكر الله تعالى على هذه الهبة.

أما عن وصفه دار الصاحب بن عباد، فانه يدخل ضمن «شعر الداريات» أو شعر القصور، وهذا النوع من الشعر قد عرف منذ القرن الثاني للهجرة، ونظم الشعراء فيه الكثير من القصائد والقطع الشعرية. أما في القرن الرابع، فقد شهدت الداريات تطوراً ملحوظاً وغدت تشكل فنّاً وصفياً مستقلاً، وأكثر فيها الشعراء من الصور الجديدة؛ غير ان محاكاتهم لصور القدماء ظلت محفوفة بجوانب خيالهم، ومغروسة بأعماق مشاعرهم، ومع ذلك فمن الواجب علينا أن نشهد لهم بالبراعة والابداع فيما ذكروه وقدّموه من أوصاف لهذه القصور المقامة على ضفاف الأنهار وبين البساتين الخضراء والرياض الضاحكة بالازهار والورود وألوان الثمار.

ودار الصاحب بن عباد التي شيدها باصبهان اصبحت محور العديد من القصائد التي انشدها الشعراء آنذاك بناء على طلب من الصاحب نفسه، ولا يزال عطر اوصاف تلك الدار يفوح من خلال امهات كتبنا الادبية القديمة وقد عرفت منذ ذلك الحين بالداريات[١]. ولابد لنا من القول ان شعراء القرن الرابع بصورة عامة، وشعراء الصاحب بن عباد بصورة خاصة، قد اضافوا شيئاً جديداً الى شعر القصور الذي قيل من قبل. فالتّغني بها علىٰ شكل جماعي لم يكن معهوداً من قبل، ومن هنا تنبع أهمية هذه الثروة الشعرية للداريات. ومن هنا ايضاً كانت جديرة باهتمام الباحث عن الافكار الجديدة والألوان المستحدثة في شعر الوصف في القرن الرابع. كما انها تبيّن لنا إلى اي حد بلغ اهتمام المجتمع آنذاك، والطبقات الرسمية منه بصورة خاصة بالعمران وتشييد المباني الضخمة والقصور الفخمة، هذا الأمر الذي دفع الشعراء إلى الأهتمام ايضاً بوصف هذه القصور وصفاً يناسب ترفها وزخرفتها الداخلية والخارجية. ونتيجة لذلك ولدوا لنا صوراً

---

١. اليتيمة ٣ / ٢٤٠ ـ ٢٥٢.

جديدة عن هذه القصور.

ولنسمع شاهداً من داريات الصاحب بن عباد ليدلنا على تلك الدار التي بناها الصاحب ومدىٰ زخرفتها فهذا أبو بكر الخوارزمي يقول فيها[1]:

أكُلُّ بناءٍ أنتَ بانيه معجزٌ ... بنيتَ المعالي أم بنيتَ المنازلا

فلا الإنس تبني مثلهن معالماً ... ولا الجنّ تبني مثلهن معاقلا

كنائس أضحت للغمام عمائماً ... علوّاً وأمْسَتْ في الظّلامِ قنادلا

فالخوارزمي ـ إذن ـ في البداية يصف البناء وصفاً خارجياً، فهو بناء مدهش في علوه وارتفاعه، إذ تعانق قبابه السماء، و في الليل ونتيجة لاضاءتها فكأنها قناديل قد تدلت من السماء إلى الأرض.

ومثل هذا البناء لم يسبق له نظير، وبالتالي فلا الإنس ولا الجنّ يمتلكان الامكانية لبناء مثله. إذن نحن نلاحظ نوعاً من المبالغة والتهويل في الوصف، هذه المبالغة كانت سمة من سمات الشعر آنذاك. وبعد ذلك ينتقل الشاعر لوصف ذلك البناء من الداخل فيقول:

رحابٌ كأن قد شاكلت صدرَ ربِّها ... وبيضٌ كأن قَد نازعته الشمائلا

وبهوٌ تباهي الأرضُ منه سماءَها ... بأوسع منها آخراً وأوائِلا

وصحنٌ يسيرُ الطرفُ فيه ولم يكن ... ليقطعه بالسير إلّا مراحلا

تلوحُ نقوش الجصّ في جدرانه ... كما زيّنَ الوشمُ الدقيقُ الأنامِلا

فهذا القصر واسع الرحاب والحجرات من الداخل ولم ينس الشاعر ان يعقد تشبيهاً بين الدار وصاحبها، فرحابه واسعة كصدر صاحبه، وهي بيضاء كشمائل الصاحب. وفناء القصر واسع لا تستطيع العين أن تدرك آخره إلّا بمراحل. هذا الصحن مزين بنقوش جصيّة جميلة دقيقة، كالأنامل التي يُزيّنها الوشم. ثم ينتقل الخوارزمي ليصف بركة وروضة فيقول:

---

١. القطعة ١٥٦ / ١ ـ ١٦.

ومـــاء إذا أبـــصرت مـــنه صـــفاءَهُ حســـبت نجـوم الليـل ذابت سـوائـلا
رأيتَ ســـيوفاً قـــد سُـلِلْنَ عـلى الثرىٰ وصـارت لهـا ايـدي الرمـاح صـياقلا
وروض كــعيش الســائليك نــضارةً ووجُــهكَ بــشراً حـين تـلحظُ آمـلا
أصـــائله للـــنَّور اضـــحت هـــواجـراً هـــواجـــرُه للـطِّيب أضـحت أصـائلا

يشبه الخوارزمي مياه البرك والأحواض في صفائها ولمعانها بالنجوم المتلألئة وقد ذابت. هذه المياه حين تجري في جداول على الأرض وسط الحديقة كالسيوف المتلألئة المصقولة. اما الحديقة فهي روضة مملوءة بالنباتات والأزهار النّضرة وهـي في هـذه الحـالة تشـبه وجـه الصاحب حين ينظر إلى شخص جاء يطلب منه شيئاً. وهذه غاية المدح لصـاحب القـصر. فالخوارزمي وخلال وصفه للدار لا ينسىٰ صاحبها لأنه المؤمَّل من وراء هذا الوصف البارع. فالروضة مليئة بازهارها النضرة التي لا تختلف نضارتها ظهراً وعصراً وروائحها الزكية تفوح وتتناثر في الهواء ظهراً وعصراً.

ثم ينتقل الخوارزمي بعد ذلك من وصفه المادي للدار إلى بيان الأهمية المعنوية لهذه الدار، إذ لابد ان تختلف دار الصاحب عن سواها، كما يختلف هو عن سواه. فالصاحب عالم واديب، ولابد أن تكون داره مجمع العلماء والادباء:

هي الدار أمست مطرح العـلم فـاغتدى لهـــا نـــاهل الآمـــال ريّـــانَ نـــاهلا
إذا مـــا انـــتحاها الركب لم يـــتطلّبوا اليهـــا دليـــلاً عـــن مـن كـان قـافلا

فهذه الدار اصبحت مجمع العلم والعلماء وهم يبكرون في الذهاب اليها أملاً في الحصول على بغيتهم العلمية والمادية المتمثلة في الصلة والعطاء، والعلماء يقصدون هذه الدار مـن مـناطق مختلفة، وهم لا يحتاجون دليلاً ليرشدهم إليها. فالقافلون عنها كُثُر ازدحمت بهم الطرق ولذلك فهم احسن دليل للطالبين الجدد.

وبعد ذلك يحاول الخوارزمي التخلص بشكل حسن من الدار الى صاحبها لانه الهدف من وراء هذه القصيدة:

وأنت امـــرؤٌ أُعـــطيتَ مـــا لو سـألتَهُ إلهكَ قـــال النـــاسُ أسرفت ســائلا
واني والزامـــيكَ بـــالشعر بـــعد مـــا تـــعلمتُهُ مـــنكَ الذّرىٰ والفـــواضـلا
كـــــملزمِ ربِّ الدارِ أجـــرةَ دارِهِ ومـــثلكَ اعـــطىٰ مـــن طـريقين نـائلا

ويعتبر الثعالبي البيت الأول، فيه مبالغة بغيضة، لان فيه تهويل ومبالغة مسرفة، يغالي الخوارزمي في عطاء الصاحب وصلته ويقارنه بعطاء الله سبحانه وتعالى. وان تكليف الصاحب الخوارزمي بانشاد الشعر وقد تعلمه من الصاحب كمن يلزم رب الدارة اجرة داره. يعني ان تكليف الصاحب هذا في الحقيقة نوع من التكريم للشاعر واقرار بشاعريته وفضله في هذا المجال. فالصاحب قد اكرم الشاعر بهذا العمل اضافة إلى اكرامه في تعليمه الشعر واغداقه الصلات والعطايا.

هذه هي اطول قطعة وصلتنا في الوصف ولاحظنا كيف تدرج الخوارزمي وانتقل فيها من الوصف الخارجي العام إلى الوصف الداخلي التفصيلي الجزئي وكيف تخلص في النهاية إلى مدح صاحب هذا القصر.

وضمن الطبيعة الصامتة او الساكتة او الجامدة يصف الخوارزمي لنا احدى القلاع مبيناً منعتها وارتفاعها وعظمتها حيث يقول[1] :

وبكـــر تحـــامتها البـــعول مخـــافة فـــقد تـــركت في كـــثرة المـــهر أيِّمـــا
ممـــنّعة لم يـــغلط الدهـــر بـــاسمها ولم يـــرها في النـــوم الّا تـــوهما
تـــزلّ عـــقاب الجـــو عـــن شرفـاتها وتـــبغي اليهـــا الريح مـــرقى وســـلّما
ويُســـمع في الافـــلاك صـيحةُ ديكـها فَـــتَحْسَبُ ديكَ العـــرشِ صـاحَ ترنُّما
عـجوز تُـرىٰ في صـحة الجـسمِ كـاعباً ولو أرّخت كـــانت مـــن الدهـــر أقـدما

في البداية يتحدث الخوارزمي عن منعتها وحصانتها على الاعداء إذ شبّهها بالبكر التي تنصرف عنها البعول خوفاً منها ومن ارتفاع مهرها الغالي ارتفاعاً ملحوظاً. وهذه القلعة ليس لها نظير حتىٰ في عالم الخيال والاحلام، فالنسور والعقبان لا تستطيع ان ترقىٰ إلى شرفاتها

---

١. القطعة ٢٢٠ / ١ ـ ٥.

واعالي سورها، أما الرياح فيجب أن ترتقي إليها بالسلالم حتىٰ تستطيع ان تعبرها. وهذه القلعة لكثرة ارتفاعها فان صياح ديكتها يخيل إلى السامع صياح ديكة السماء. وهذه القلعة وان كانت قديمة فانها قوية البناء وهنا اتىٰ باستعارة جميلة فهي في قدمها كالعجوز وفي قوتها ونشاطها وجمالها كالفتاة المراهقة التي برز نهداها.

ب – الطبيعة الحية :

لم يبخل شعراء القرن الرابع ومنهم الخوارزمي على الطبيعة الحية، وان كان حنانهم عليها وشغفهم بمظاهرها، والتفاتهم لألوانها، أقل من التفاتهم وتغنّيهم بالطبيعة الساكنة التي بثوا فيها الحياة والحركة والنشاط، وانطقوها بالاغاريد والاهازيج بالرغم من صمها وبكمها. اما الطبيعة الحية فقد اضافوا إلى لغتها لغة جديدة ونغماً ساحراً بصورة فكاهية ظريفة رائقة حية بالحركة مفعمة بالجمال والاناقة.

ونحن إذا استقرأنا شعر الخوارزمي في هذا المجال واعني به الطبيعة الحية وقارنّاه كمياً بما وصل إلينا من شعر في الطبيعة الساكنة لوجدنا ابيات الطبيعة الساكنة ربما تبلغ ضعف الابيات في مجال الطبيعة الحية.

ونحن نعلم ان وصف فروع الطبيعة الحية ليس جديداً ولا مبتكراً في القرن الرابع، وانما كانت له جذوره العميقة في العصر الجاهلي. فشعراؤه تحدثوا عن الناقة والجمل والفرس والحصان والاسد والبقر والحمار الوحشيين والذئب والصقر والضبع والضفدعة والظبي والظليم والعقاب والقطا والكلاب والنسر والنعامة[1]. ثم نجد الشعراء في القرن الثاني كأبي نواس، وفي القرن الثالث كابن المعتز وأبي تمام والبحتري وابن الرومي قد اضافوا إلى تلك الانواع الصحراوية انواعاً حضارية، ووصفوا ما وقعت عليه عيونهم من طيور بأنواعها وحيوانات باشكالها. اما شعراء القرن الرابع فقد اسرفوا في هذا الباب واخذوا يبحثون عن كل جديد وينقبون عن كل طريف انيق، بحيث صار هذا الباب من الوصف شيئاً جديداً دعت إليه الحاجة الحضارية في هذا العصر.

وأهم موضوعات الطبيعة الحية التي وصلت لنا ابيات من الخوارزمي عنها هي : الناقة

---

١. الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، الدكتور بهيج مجيد القنطار، ص ١٠٩ ـ ٣٣٥.

والفرس والسلحفاة والضفدعة والقنفذ والطيور.

فالخوارزمي يصف الناقة قائلاً[١]:

بجسرة قائدُها بَراها في السَّيْرِ بَلْ سائقُها رِجْلاها
قَدْ كُتِبَ العتقُ عَلَى ذفراها «أيّ قلوص راكبٍ تراها»

يصف الناقة وكيف انها كانت سريعة الجري وان ريحها المنتنة تدل على سرعتها وسبقها غيرها، ثم يتساءل قائلاً: أتستطيع ان ترى ناقة اسرع منها ؟!

كما يصف الخوارزمي الفرس قائلاً[٢]:

يرفع نقعاً كدخان العرفج او مثل ندف الكُرسُفِ المنفجِ

فهذا الفرس يسير بسرعة ويرتفع الغبار خلفه عالياً كدخان نبات العرفج او كذرات القطن المرتفعة في الهواء عند ندفه.

ويصف الخوارزمي السلحفاة في قطعة له قائلاً[٣]:

بنتُ ماءٍ بَدَتْ لنا من بعيدٍ مثل ما قد طوى النجاديّ سفره
رأسُها رأسُ حيَّةٍ وقراها ظهر ترسٍ وجلدها جلد صخره
او كما قد قلبت جفنة شرب نقشوها بحُمرة وبِصُفره
او مثل فِهْرِ العطّارِ دُقَّ به العِطرُ فخلّت طرائقُ الطيب ظهره
يَقطع الخوفُ رأسها فاذا ما أمِنَتْهُ فرأسها مستقرهْ

لوحة فنية رائعة يرسمها الخوارزمي للسلحفاة في حال أمنها وخوفها، وهو يسميها «بنت ماء» وهذه تسمية لطيفة على قياس تسمية الكلام «ببنت الشفة». ويشبه الخوارزمي رأسها برأس الحية الا انها مغطاة بترس قوي وبجلد يشبه الصخر في صلابته، ثم يصف بطنها عندما تقلب على ظهرها كما يقلب اناء الشرب وهو منقوش بألوان متعددة او كفهر العطار حيث يدق الطيب بواسطته فتراه ينفذ بين فجوات ذلك الفهر وطرقه. ان الخوف يقطع رأس السلحفاة فهي

١. القطعة ١١ / ٤ـ٥. ٢. القطعة ٥٠ / ١.
٣. القطعة ١٠٤ / ١ـ٥.

تخفيه تحت ترسها ولا تظهره إلّا إذا كانت في حالة الأمن والاطمئنان.

ويصف الخوارزمي الضفدعة في قطعة اخرى له قائلاً[١] :

أرَّقـــني والديكُ لمّـــا يـــنطقِ ... صـــوتُ غــريقٍ نــصفُه لم يــغرقِ

وجـــاحظ العـــينِ ولمّـــا يُخـــنَقِ ... بـــلحظِ مخـــنوقٍ ولفـــظِ أشرقِ

إذن فالخوارزمي لا ينام طوال الليل لان صوت الضفادع قد أرَّقَـهُ، هـذه الضـفادع التي لا تعيش الا في المياه الضحلة، وقد عبر عن ضحالة المياه بشكل غير مباشر حـين وصـف الضفادع بان نصفها في الماء ونصفها خارج الماء كما وصفها بجحوظ العـين ووصـف صـوتها بصوت المخنوق.

اما الحيوان الآخر الذي نجد له وصفاً في ديوان الخوارزمي فهو القنفذ إذ يصفه قائلاً[٢] :

ومُـــدَجَّجٍ وســـلاحُهُ مـــن نَـفْسِهِ ... شـــاكـــي الدّوابـــرِ أعـــزلِ الاقـــبالِ

يُمـــسي ويُـــصبحُ لم يُـفارق بـيتَهُ ... ولقـــد سَرَى عـــدداً مـــن الأمـــيالِ

وتَـــراهُ يـــكْمُنُ بـــعضُهُ في بـــعضِهِ ... فَـــتَطيشُ عـــنه اسهُـــمُ الاهـــوالِ

عـــيناه مـــثلُ النـــقطتين وخَـــطْمُهُ ... يحكـــي ثـــديّ رضـــاعة الاطـــفال

وكـــأن اقـــلاماً غُـــرِزْنَ بِـــظَهْرِهِ ... مسَّ المـــدادُ رؤوسهـــا بـــبلال

تـــتهاربُ الحـــيّاتُ حـــينَ يَـــرَيْنَهُ ... هـــربَ اللّـــصوصِ رأت ســواد الوالي

وكـــأنَّـــهُ الخـــنزيرُ إلا جـــلدَهُ ... وصـــياحَهُ وتـــقارُبَ الاوصـــال

وهنا ايضاً لوحة فنية رائعة رسمها الخوارزمي للقنفذ بكلماته وتشبيهاته الدقيقة. فـالقنفذ كالانسان المدجج بالسلاح الا انه يختلف عنه في ان سلاحه، سلاح ذاتي من نفسه، ولكن هذا المسلح أعزل من جهة الامام غير انه شاكي السلاح من جهة الخلف، وهذا يعني ان نقطة ضعفه تكمن في أمامه. انه يجري في الليل مسافات طويلة أما في طول النهار فلا يفارق بيته. واذا أراد ان يستعمل سلاحه فانه ينطوي على نفسه ويطلق تلك السهام التي لا تجلب الا الهول والهلاك.

---

١. القطعة ١٣٧ / ١ ـ ٢.   ٢. ١٧٤ / ١ ـ ٧.

وينتقل الخوارزمي ليرسم بريشة كلماته وتشبيهاته عيني القنفذ الصغيرتين وأنفه الضّخم الذي يشبه الثدي وقد امتلأ باللّبن. كما يرسم صورة لظهره الذي كأنه غرس بالاقلام ذات الرؤوس المدبّبة. وهو حيوان يخيف الحيات وشكله الخارجي شكل الخنزير ولكنه يختلف عنه في شكل جلده وفي صياحه وفي تقارب اوصاله وصغر حجمه، كما يشبه الخنزير في عدم استطاعته من ادارة رأسه الا مع جسمه.

ونعثر في الديوان على قطعة صغيرة يشير فيها الخوارزمي إلى الطائر وكيفية التزواج فيما بين الطيور حيث يقول [١]:

عَلْقٌ غدا بسيّاعةُ مُبتاعةُ لهوائِهِ
كالفرخ لم يخطبْ فصا رَ أبوه من اختانِهِ

ج – مظاهر اجتماعية وعلمية:

من الظواهر الشعرية التي استفحلت في القرن الرابع الهجري وغدا لها شعراؤها المتخصصون ظاهرة النظم في المظاهر الاجتماعية والعلمية. كالنظم في وصف الاطعمة والمأكولات او في بعض القضايا الكمالية كالبخور والمسك او في ادوات العلم والكتابة والحرب.

وشاعرنا الخوارزمي لم يتخلف عن شعراء عصره في هذه المجالات، فلدينا العديد من القطع التي نظمها في هذه الموضوعات وهي وان كانت قليلة الا انها يمكن ان تشير إلى وجود قطع وقصائد اكثر وأطول في هذا المجال.

فقد وصف الخوارزمي الهريسة كنوع من الاطعمة التي كانت سائدة آنذاك فهو يقول [٢]:

هل تنشطون لتنوريّةٍ خُفِقَتْ من أول الليلِ حتىٰ قلبها يَجِفُ
كأنَّها وهي فوق الجامِ قد غرقَتْ في دفنها، قمرٌ بالشمس ملتحِفُ
او درهمٌ فوقَهُ الدينارُ منطبقٌ او لوح عاجٍ على الزّرباب مكتنِفُ

انه وصف رائع ودقيق للهريسة وكيفية عملها، فهي تطبخ على النار من اول الليل حتىٰ الصباح، ولابد من خفقها بصورة مستمرة وعدم تركها على حال واحدة حتىٰ قلبها وداخلها

---

١. القطعة ٢٣٧ / ١ – ٢.

٢. القطعة ١٢٨ / ١ – ٣.

يجب ان يقلب دائماً ويخفق. ثم يشبهها وهي في جامها النحاسي الاحمر الذي يميل إلى الصفرة بالقمر الذي قد التحف بالشمس او بالدرهم الذي غطاه الدينار. او لوح العاج الابيض الذي اكتنفه الذهب او الشيء الاصفر.

كما يصف الخوارزمي صغر الرغيف الذي يخبزه احد الخبازين يقوله[١] :

كــأن رغــفانَهُ اذا وُضِــعَتْ ... عشــورُ نــقط كُــتبنَ في ورق

وحول بعض المظاهر الكمالية، يصف الخوارزمي البخور الطيب قائلاً[٢] :

بخــور مــثل أنــفاس الحــبيبِ ... وطــيبٌ قــد أَخَــلَّ بكــلِّ طــيبِ

يَــظَلُّ الذَّيــلُ يســتُرُهُ ولكــن ... تــنمّ عــليه أنــفاس الجــنوبِ

اذا مــا شَمَّ أنــفُ حَــنَّ قــلبٌ ... كــأنَّ الانــفَ جــاسوسُ القــلوب

فرائحة هذا البخور رائحة طيبة مرغوبة كأنفاس الحبيب. هذه الرائحة لا تعادلها رائحة اخرى فقد فاقت في طيبها كل رائحة، وهذه الرائحة تبعث الشوق والحنان إلى الحبيب. وهنا يصف الخورازمي بدقة الانف وكيف يمكن ان يكون دليلاً يوصل الشيء الى القلب.

ويصف الخوارزمي نوعاً آخر من الطيب يقال له النَّد او النِّد وهو من انواع الطيب الذي يدخّن به فيقول[٣] :

وطــيبٍ لا يخــلّ بكــلّ طــيبٍ ... يُحــيّينا بــأنفاس الحــبيبِ

يــظلّ الذيــلُ يســتُرُهُ ولكــن ... تــنمّ عــليه ازرار الحــبيبِ

مــتىٰ يشــممه أنــفٌ حــنَّ قــلبٌ ... كــأنَّ الانــفَ جــاسوسُ القــلوبِ

فهذه الابيات والتي قبلها متشابهة الا في بعض الالفاظ، وهي تعبّر عن الشاعر وعن حواسه المرهفة واحساسه اليقظ، فهو يهوىٰ الروائح الطيبة ويصفها ويُجسّمها ويصور اثرها ويعقد صلة بين الحواس والقلوب، ويشبه الند بانفاس الحبيب.

ووصف الخوارزمي الدنيا كأحدى الظواهر الاجتماعية التي لا ينفك الناس عنها قائلاً[٤] :

---

١. القطعة ١٣٦ / ١.
٢. القطعة ٣١ / ١ ـ ٣.
٣. القطعة ٢٦ / ١ ـ ٣.
٤. القطعة ١٤٥ / ١ ـ ٢.

اصـــبحتِ الدنـــيا لَـــنا عِـــبرةً والحـــــمد لله عـــلى ذلكـــا
قـــد أجمـــع النـــاس عـــلى ذمّـــها ومـــا أرى فـــيهم لهـــا تـــاركا

ويصف الخوارزمي السيف قائلاً[١]:

الســـيف يمـــضي وبـــه انـــفلال والحـــرُّ يـــعطي وبـــه إقـــلال

فالسيف يمضي ويقطع ويضرب حتىٰ وان كان فيه انثلام كالإنسان الحر الذي يعطي ولا يمنع حتىٰ وان كان لا يمتلك الا القليل من المال.

د – مظاهر أخرى:

ولا يقتصر وصف الخوارزمي على المداخل الثلاثة التي ذكرناها. بل يصف ظواهر أُخرىٰ كالشيب والبخيل والحمىٰ.

ولدينا اربع قطع صغيرة في وصف الشيب منها قوله[٢]:

وقالوا أَفِقْ مـن سكـرةِ اللـهوِ والصِّبا فـقد لاحَ صـبحٌ في دجـاكَ عـجيبُ
فـقلتُ لهـم كـفّوا المـلامَ وأقـصروا فـإنَّ الكـرىٰ عـند الصـباح يَـطيبُ

انه يشبه الشيب بالصباح، ويدعو إلى التنبه والكف عن المحارم لان العمر اذن بـالانتهاء. ولكنه يقول ان الغفلة وعدم الانتباه إلى المعاصي يلذان عند بداية الشيب، كما يلذ النوم عند الصباح.

ويشبه الخوارزمي الشيب بالزرع والخُمار فيقول[٣]:

وأراك تشكـــو الشـــيبَ تـــظلمُهُ والشـــيبُ زرعٌ بـــزرُهُ العُـــمُرُ
كـــالخمرِ يَجْـــلِبُها الخـــمارُ وقـــد يهـــجىٰ الخُـــمار وتُـــمدَحُ الخـــمرُ

فالخوارزمي هنا يعيب على الذين يهجون الشيب لأنّه الزرع الذي انبته العمر فلماذا يهجىٰ الشيب ولا يهجىٰ طول العمر!؟.

وللخوارزمي تشبيه آخر للشّيب فهو يشبهه بالضّيف الذي إن جاء مبكراً فإنّه سيضايق مضيّفه أما إذا اراد الانسان ان يسبق الشيب فهذا معناه الموت المحتوم[٤]:

---

١. القطعة ١٦٧ / ١.
٢. القطعة ٣٢ / ١ ـ ٢.
٣. القطعة ٨٨ / ١ ـ ٢.
٤. القطعة ٩٥ / ١ ـ ٢.

وانِي لأرجــــو الشـــيبَ ثم أخــافُهُ   كــما يُــرتجىٰ شربُ الدواء ويُحــذَرُ
هـو الضّـيفُ إن يسـبِقْ فـعيشٌ مُكَـدَّرٌ   عــليَّ وان يُسْـبَقْ فـوتٌ مُـقَدَّرُ

ويعتبر الخوارزمي الشيب عدواً داخلياً للانسان لا يمكن مقارعته، وان الانسان كلما حاول ان يصبغ شعره الابيض او يقص الشعيرات البيض التي بدأت تظهر عنده فانه بعمله هذا يخادع دهره[١]:

لاحَتْ لوجـــهي أنجــمٌ   للشـــيب عُــدْنَ بــه طـوالع
اودعتُ مـــنهن الصّـــبا   مـــن لا يـــرىٰ ردّ الودائـــع
فَـــقَصَصْتُهُنَّ، وانّمـــا   دهـــري بمـــقراضي أُخـــادع
واذا عـــدوّك كـــان بَـــعْضَـ   ـكَ في الخـطوب فَمَـنْ تُـقارع

ويصف الخوارزمي الانسان البخيل وصفاً شاملاً حيث يقول[٢]:

فتىٰ مختصر المأكول والمشروبِ والعطرِ   نقي الكأسِ والقصعةِ والمنديل والقِدْرِ

فالبخيل انسان لا يأكل ولا يشرب الا قليلاً ولا يتعطر الا نادراً ولذلك تجد وسائل أكله وشربه وطبخه نظيفة دائماً، لعدم استعماله لها إلّا نادراً.

ويتحدث الخوارزمي عن الحمّىٰ ويكنيها بأم ملدم، ويصف المعاناة والاذى اللتين يقاسيهما منها حيث يقول[٣]:

ولو أبـــصرت في أرجـــان نـفسي   عــليها مـــن أبي يحـيى ذمـامُ
ولي مـــن أم مِـــلْدَم كـلَّ يـومٍ   ضـــجيجٌ لا يـــلذّ له مـــنامُ
مـــقبّـــلة وليس لهـــا ثـــنايا   مـــعانقة وليس لهـــا التزامُ
كـــأنَّ لهـا ضرائِـرَ مـن غـذائي   فَـــيُغْضِبُها شرابيَ والطـــعامُ
إذا مـا صـافَحَتْ صـفحاتِ وجـهي   غـــدا أَلِـــفاً وأمسىٰ وهـو لام

١. القطعة ١٢٢ / ١ ـ ٤.   ٢. القطعة ١٠١ / ١ ـ ٢.
٣. القطعة ١٨٤ / ١ ـ ٩.

اذاً لرأيتَ عـــبدكَ والمـــنايا ... تـــصيحُ بـــه تـــنبّهْ كَـمْ تـــنامُ

ومـــا اســـتبكاكَ مـــن بـــعدي أسـيرٌ ... يـــرضُّ عـــظامَهُ الحـــقُّ العِـــظامُ

ولا تـــرجـــيعُ ثكـــلىٰ خـــلف نـــعشٍ ... «أمحـــمولٌ عـــلى النـــعش الهُـــمامُ»

ولا تـــرديدُ صَبٍّ وهـــو بـــاكٍ ... «ســـقيتِ الغـــيثَ أيَّـــتها الخـــيامُ»

فالخوارزمي يرى الحمىٰ وعواملها ضرائر تنافسه غذاءه، لذلك فقد أضنته الحمىٰ وكادت ان تميتهُ فهو كالأسير الذي رضت عظامه وكالهمام المحمول على النعش من شدة ضعفه.

وهكذا نجد في شعر الخوارزمي الوصفي أبواباً متعددة، هذا فيما وصلتنا من ابيات له، فكيف إذا كان ديوانه قد وصلنا بأجمعه!! لوجدنا فيه، إذن، أبواباً ومظاهر أكثر تعدداً وتنوعاً.

٥ - الرثاء:

إن الرثاء عاطفة من اصدق العواطف الانسانية وأخلدها على مر الدهور وكـر العـصور. ولعلّ الرثاء اصدق فنون الشعر العربي قاطبة، ذلك لأنّه يخاطب عزيزاً فارق الحياة، او ملكاً كان ملء السمع والبصر، او داراً دارت عليها عوادي الزمن. وقد سئل احد الاعراب: لماذا تعدّون الرثاء أصدق اشعاركم؟ فقال: لأننا نقولها وقلوبنا محترقة[١]. فالذي يـرثي الفـقيد لا يبتغي أجراً الا اللهم من ذويه. ولئن فرق النقاد بين الرثاء والمدح فقالوا لا فرق بينهما، فـان المدح ذكر مناقب الانسان الحي والرثاء تعداد وذكر مناقب الميت، فان هذا تعريف شكلي وما دروا ان ما وراء ذكر المناقب وتعداد الفضائل أهم بكثير من هذا التعريف القاصر. اذ انّ عنصر الوفاء هو الذي يفصل بين المدح والرثاء، ناهيك عما في اظهار الحسرة والألم، أمر حرص عليه الراثي.

لا يختلف عدد الابيات التي وصلتنا في الرثاء عن الخوارزمي عمّا وصلنا عنه في الوصف. إذ بلغ مجموع ابياته في الرثاء ٩٨ بيتاً، تشكل حوالي ٧/١٠٪ من مجموع ديوانه الذي صنعناه له. ويطغىٰ على رثاء الخوارزمي الطابع السياسي. فالابيات التي بين ايدينا تدور معظمها حول رثاء أربع شخصيات كانت تحتل مواقع في الدولة آنذاك. وتبلغ الابيات التي قيلت في رثـاء

١. الرثاء في الشعر العربي، الدكتور محمود حسن أبو ناجي، ص ١١.

هؤلاء الاربعة حوالي ٧٣ بيتاً من مجموع ٩٨ بيتاً اي تشكل حوالي ٧٤/٥٪ من مجموع ابيات الرثاء.

واطول قصيدة في الرثاء وصلتنا عن الخوارزمي هي القصيدة التي رثىٰ فيها ابا سعيد احمد بن شبيب الشبيبي والذي وصفه الثعالبي بانه كان «فرد خوارزم ومفخرتها، وكان جامعاً بين ادب القلم والسيف، وفروسية اللسان والسنان. وقد سمي بصاحب الجيشين وشيخ الدولتين»[1] لانه ارتبط بعلاقات جيدة بالدولتين السامانية والبويهية.

ويبدأ الخوارزمي قصيدته الرثائية هذه بمدح المرثي وتعداد خصائصه فهو الفتىٰ والغاية والطير الذي كانت الحبائل لا تستطيع صيده، ثم يتساءل كيف استطاع الثرى وكيف استطاع اللحد ان يضم بين جنباته هذا الجسد؟ انه لم يستطع ذلك لولا ان عدوى القلب الرحيب سرت إلى الارض والى الثرىٰ فاتسعت الارض لجسده. فهول يقول[2]:

أيــــدري السـيفُ أيَّ فـتىً يـبيدُ ... وأيّــــة غـــايةٍ اضــحىٰ يـريد
لقــد صــادت يــد الايــام طـيراً ... تَــضيق بـه حـبالةُ مـن يـصيدُ
وأصـــبحَ في الصـعيد ابــو سـعيدٍ ... ألا انّ الصـــعيدَ بـــه ســعيدُ
وقــد كــانت تـضيقُ الارضُ عـنهُ ... فَـــلِم وَسِـــعَتْ لِجُـــثَّتِهِ اللُّـحودُ
بـــلىٰ مسَّ الثرىٰ قـــلباً رحـــيباً ... فـــاعدىٰ التُّربَ فــاتّسع الصـعيدُ
فــــلا ادري أأضـــحك أم أُبَكّـــي ... وتهـــــدمني المــــنيّة او تشــــيدُ

والخوارزمي هنا حائرٌ لا يدري ايضحك ام يبكي لهذا المصاب ولهذا الفقدان، لانه وكما يبدو من القصيدة ومن مقدمة الثعالبي لها، ان العلاقات بين الراثي والمرثي لم تكن جيدة وعلى حسب ما يرام، بل كان الراثي عاتباً على المرثي، ولذلك فإنّ الشاعر لم يستطع أن يكبت عواطفه وشعوره تجاه المرثي، هذه العواطف وهذه الاحاسيس التي يلفها ضباب التناقض، ونحن قلّما نجد مثل هذا التناقض في الاحاسيس في قصائد الرثاء في الشعر العربي. فالشاعر هنا في صراع بين قوتين: قوة الصداقة والمواثيق والعهود والعلاقات الحسنة التي كانت تجمعها،

---

١. اليتيمة ٤ / ٢٧٧.
٢. القطعة ٥٨ / ١ـ٢٦.

تشده من جانب، وقوة شدة المرثي وسطوته والضربات التي كان قد ألحقها بالراثي، تشده من جانب آخر، فلهذا نرىٰ الشاعر يتأرجح بين هاتين القوتين وقد بدا هذا التأرجح واضحاً في ابياته إذ يقول :

صـــديق قـــد فـــقدناه قـــديمٌ ... وثكـــلٌ قـــد وجـــدناه جـــديدُ
مـــصابٌ وهـــو عـــند النـاس نُـعمىٰ ... ونحسٌ وهـــو عـــند النـــاس عـــيدُ
تُهـــنّيني الأنـــام بـــهِ ولكـــنْ ... تُـــعزّيني المـــواثـــق والعـــهودُ
وســـيفٌ قـــد ضُربتُ بـــه مـــراراً ... فـــن ضربـــاته بي لي شهـــودُ
فـــلمّا ان تـــفلّل ظـــلتُ أبكـــي ... وعـــنديَ مـــنه بـــعدُ دمٌ جســـيدُ

والشاعر كما يبدو صادق العواطف والاحاسيس في هذه القطعة، فهو يصورها متناقضة بشكل جيد ودقيق، انه لا يزال يشعر بآلام الضربات التي وجهت اليه، وان آثار تلك الضربات من الدماء اللاصقة الجافة لا تزال موجودة عليه، ولكنه ومع كل ذلك يبدأ بالبكاء حينما يأتيه الخبر بانفلال وانثلام ذلك السيف، وان تشبيه المرثي بالسيف، لا شك مدح وتعظيم له. ويستمر الشاعر بعد ذلك مُبيّناً كيف ان هذا الصراع قد اثر على نفسه وعلى دموعه فهي ساخنة تارة وباردة تارة أخرىٰ وكيف ان قلبه قد قُسّم نصفين، نصف بارد ونصف ساخن، فهو يقول :

ومـــن عـــجب اللـــيالي ان خـــصمي ... يـــبيدُ وأنّ حـــزني لا يـــبيدُ
وأنّ النـــصف مـــن عـــيني جمـــودُ ... وان النـــصفَ مـــن قـــلبي جـــليدُ
إذا سَـــفَحَتْ عـــليه دمـــوع عـــيني ... نهـــاها الهـــجرُ مـــنه والصـــدودُ
وآثـــــارٌ له عـــــندي قـــــباحٌ ... يحـــمّش بـــينها الرأسَ الحـــديدُ
فـــنصفٌ مـــن مـــدامـــعها ســـخينٌ ... ونـــصف مـــن مـــدامـــعها بَـــرُودُ

ويحسّ الشاعر انه يعيش وضعاً متناقضاً قلّما يعيشه انسان آخر مثله، لانه يريد تحقيق بعض الاماني ولكنه فى نفس الوقت لا يريد تحققها. ومن المؤسف له ان البعض يهنئه بهذا الحدث والبعض الآخر يعزيه، لان المُهَنّئ يتصور الذاهب عدواً والمعزي يتصور الذاهب صديقاً

ودوداً، وهو لا يدري لماذا اتفقت له مثل هذه الحال فهو يقول :

فمن هذا رأى في الناس مثلي أريدُ من المنىٰ ما لا أريدُ

ومن نكد المنيّة فقدُ حرٍّ تخالف فيه اخواني الشّهود

فذا هنّئ وقال مضىٰ عدوٌّ وذا عزّىٰ وقال مضىٰ وديدُ

وهنا يلتفت الشاعر إلى نقطة يقف عندها، ويفكر فيها. انه يرى الاعتدال والقصد في الأمور افضل طريقة لسلوك الحياة فلا افراط وتفريط. فالعقل جيد إذا استخدم بشكل معقول، إذ ان الافراط في الاستفادة منه يلقي الانسان إلى المهالك، وهو يشبه العقل في هذه الحالة بالدرع التي ان كانت خفيفة ومعتدلة فانها تحمي لابسها وتصونه، اما إذا ثقلت وزادت فإنّها تكلف لابسها طاقة اكثر تتعبه وتلقي به إلى التهلكة. إذ ان هذا الجهد الجهيد في تحمل الدرع يضعفه عن الخفة في الحركة وعن القتال الجيد. ولا يكتفي الشاعر التدليل على رأيه ذاك بهذاالتشبيه، بل يسوق تشبيهاً آخر يدعم به رأيه. فاستعمال الماء بشكل معتدل يروي العطشان، اما استعماله بشكل مفرط يؤدي إلى الغرق والضرر. فهو يقول :

رأيتُ العقلَ ينفعُ وهو قصدٌ ويلقي في المهالك إذ يزيدُ

كمثل الدرع إن خَفَّتْ أجنّت وإنْ ثَقُلَتْ فحامِلُها جَهيدُ

ومثل الماء يروي منه قصدٌ ويقتل منه بالغرقِ المزيدُ

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك يبكي المرثي ولكنه وهو يبكيه لا ينسىٰ فعاله السيئة ضدّه، بل يستمر يعدد حالات التناقض التي يعيشها تجاه المرثي.

شهدتُ بأن دهراً عشتَ فيه ومتَّ مقيّداً فرداً مبيدُ

وقالوا البحر جزرٌ ثم مَدٌّ فمالكَ قد جزرتَ ولا تعودُ

بكيتُ عليكَ بالعينِ التي لم تزل من سوء فعلكَ بي تجودُ

فقد ابكيتني حيّاً وميتاً فقلْ لي ايُّ فعليكَ الرشيدُ

فها انا ذا المهنّأُ والمُعزّىٰ وها انا ذا المباغض والودودُ

وهـــا انـــا ذا المـــصابُ بكَ المـــعافىٰ ... وهـــا أنـــا ذا الشّـــقيُّ بكَ الســـعيدُ
لقـــد غـــادرتني في كـــل حـــالٍ ... أذمُّ الدهـــرَ فـــيكَ وأســـتزيدُ
فـــلا يـــومٌ تمـــوتُ بـــه مجـــيدٌ ... ولا يـــومٌ تـــعيش بـــه حمـــيدُ
ومـــا أصـــبحتُ إلّا مـــثل ضرسٍ ... تآكـــلَ فـــهو مـــوجودٌ فـــقيدُ
فـــفي تـــركي له داءٌ دَويٌّ ... وفي قـــلعي له ألمٌ شَـــديدُ

وبعد الانتهاء من تصوير حالات المدح والحزن على الفقيد من جهة والفرح من جهة اخرىٰ والصراع الذي يعيشه الشاعر نتيجة معاناته هاتين الحالتين يتخلص الشاعر إلى مدح المرثي وبيان أهميته، وتوضيح منزلته فيقول:

فـــلا تـــبعد إقـــامة رسم حـــقٍّ ... وإنَّكَ أنتَ للـــشيء البـــعيدُ
وإنَّكَ أنتَ للســـيفُ الحـــديدُ ... وإنَّكَ أنتَ للـــعلم الســـديدُ
وإنَّكَ أنتَ للـــدنيا جمـــيعاً ... ولكـــن ليس للـــدنيا خُـــلودُ

ان قصيدة الخوارزمي هذه تعد من النماذج الفريدة في الرثاء إذ يجمع فيها بين الود والعتاب، بين الفرح والغم، بين التهنئة والتعزية، ولا شك فأنها تعبر عن قدرة الشاعر وامكاناته العالية التي استطاع بها ان يعبر عن حالة الصراع والتناقض هذه تعبيراً صادقاً واضحاً مؤثراً. ولكن حديث الخوارزمي عن هذا الصراع الذي يعانيه قد قلّل من قيمة الرثاء في القصيدة، فسرد ما فعله الفقيد تجاه الشاعر وما تركه هذا الفعل من آثار سيئة عليه قد قلّل من أهمية شأن الرثاء وزاد من اضفاء الطابع الذاتي والشخصي على القصيدة.

وهذا الاسلوب الذي استخدمه الخوارزمي في رثاء أبي سعيد الشبيبي لا نجده في قطعه الرثائية الاخرىٰ، فنراه يستخدم الاسلوب التقليدي في الرثاء. فهو في رثائه ابن العميد[1] يخاطب الدهر ويشكوه لان مخالبه تمتد بين الحين والآخر لتقتص احبائه ولذلك فهو يبكي المرثي بكاءً غزيراً ويرىٰ نفسه قد دفن هو الآخر ولكن ليس في قبر محفور في الارض، بل في قبر الهموم التي قد تكاثرت عليه بفقد المرثي، ثم يدعو الله ان يحشره مع الحور العين اللائي

١. القطعة ٨٦ / ١ ـ ١٥.

استقبلنه كما كان هو يستقبل الضيوف بابتسامة وضحكات، وان يغدق عليه بجود رحمته كما كان الفقيد جواداً كريماً. ثم يصعّد الشاعر من حزنه واشتياقه إلى الفقيد إلى درجة انه أصبح يهوىٰ القيامة لا لشيء الا لكي يلقاه أمام الناس كلهم، وانه أصبح يحب الموت كانه الوسيلة التي يستطيع بواسطتها من لقاء الفقيد :

أهــوى القــيامة لا لشيء غــير أن ألقــاك فــيها والانــام حــضورُ
وأحبّ فــيك المــوتَ عــلماً أنّــنا بــعدَ المــماتِ الى اللــقاء نــصيرُ

ونجد هذا الاسلوب التقليدي في الرثاء عند رثاء الخوارزمي ركن الدولة[١]، فهو لا يـأتي بشيء جديد عما جاءَ به الشعراء الذين سبقوه في الرثاء، فهو يعدد صفات الفقيد، فقد كان : السيف وركن الخلافة وجيشاً بنفسه، وطويل القناة، وقصير العدات وحميد الشيم وفـصيح اللسان وبديع البنان ورفيع السنان وسريع القلم وكان يقدر الرجال حقّ قدرهم فهو جـواد يشيع السرور ويكتم الانزعاج وهو الرجل المحتشم إلى غـير ذلك مـن الخـصال والصـفات الحميدة، ثم هو يبكيه، لا بل الدهر يبكيه لانه فقد مثل هذا الرجل :

إذا كــان يــبكي الورىٰ بــالدموع وتــبكي بهــنّ فــأين القــيم
وقــد ســاءني عُــطَلُ الدهــرِ مــنك وقــد كــنت حِــلْياً عــليه انــتظم
فــما يســتحقّ الزمــان اللــئيم مــقامك فــيه وأنت الكــرم

والقصيدة طويلة كما يبدو من اليتيمة عند نقلها، ومما يجدر ذكره انه استخدم كلمة السيف لركن الدولة كما استخدم هذه الكلمة لأبي سعيد الشبيبي.

ويعبر الخوارزمي عن حزنه في القطعة التي يرثي بها ابا الحسن المحتسبي، فهو يقول[٢] :

وصــاحبٍ ليَ لو حَــلَّتْ رَزيَّــتُهُ بــالطيرِ مــا هــتفَتْ يــوماً عــلى فَــنَنِ
عــاشرته عــشرةً لو أنهــا وقَــعَتْ بين الضحىٰ والدجىٰ سـارا عـلى سَـنَنِ
حــتىٰ إذا نِــلتُ سـؤلي مـن مـواهبه وصــادني بشــباك الوصــلِ والمِــنَنِ

---

١. القطعة ١٩٣ / ١ ـ ١٣.
٢. القطعة ٢٢٦ / ١ ـ ٩.

ثكـلْتُهُ بـعد مـا سـارتْ محـاسِنُهُ　　في العظم واللحم سيرَ الماء في الغُصنِ

انه يريد أن يفصح عن مدى الخسارة التي لحقته من جراء فقده للمحتسبي فيقدم هذه المقدمة التي تنبىء عن متانة العلاقة وقوة الأصرة التي ربطتها وإذا به في هذه الحالة يفاجئ بفقده، وشدة المفاجئة توصل عظم الخطب وفداحته. ويواصل الخوارزمي حديثة شاكياً الدهر سهامه وتأخيره في أجله ويصف الدهر وصفاً بارعاً حين يقول :

جـمعت ضـدّين مـن خُـرقٍ ومـن ادبٍ　　بـطش الجـهولِ ومكـرَ العـاقل الفَـطِنِ

ويرى الدكتور مصطفىٰ الشكعة ان مرثيته هذه خالية من جو الحزن بعيدة عن العاطفة التي هي اساس نجاح المرثية وأنها سقيمة الصوغ، سطحية المشاعر، وان المعاني التي يريد اقتناصها تظهر وكأنها غير متناغمة بحيث تبدو وكأنها طعام شهي يحتاج إلى بعض الملح ومزيد من النضج[1].

ولعل الخوارزمي يعد احد القلائل من الشعراء الذين يمزجون الرثاء بالهجاء والسخرية، وهي صفة مذمومة عند ذوي الشمائل من الرجال، فانه لا يجدر بالكريم ان يسخر من ميت او يشمت في أهله، وعلى الرغم من وجود بعض الرجال في بعض العصور ممن يستحقون اللعنة أحياءً وأمواتاً، وهم اولئك الذين غرّروا بشعوبهم وأوقعوا الظلم بهم وساقوهم إلى الذل والفقر والانحلال والهزيمة، إلا انّ ابا سهل البستي الكاتب الذي سخر به الخوارزمي من خلال رثائه له لم يكن من هؤلاء السفاحين الظالمين ليستحق كل هذا الهجاء والسخرية والشماتة منه[2]:

مـات ابـو سهـلٍ فـواحـسرتا　　ان لم يكـن قـد مـات مـذ جمـعَةْ

مـا حـزنيَ الّا لأن لم يَمُتْ　　بمـوتِهِ مـن اهـلِ تسـعَةْ

مـصيبةٌ لا غـفر الله لي　　إن انـا اذريتُ له دمـعَةْ

ان هذه المعاني المريرة التي عمد الخوارزمي إلى التزامها احياناً وعدم التعفف عن استعمالها في مقام الموت تدفعنا الى القول ان للهجاء سحراً شديداً يجتذب الخوارزمي في سرعة خاطفة

١. بديع الزمان الهمذاني للدكتور مصطفىٰ الشكعة، ص ١٠٠.
٢. القطعة ١٢٤ / ١ ـ ٣.

وقد اوضحنا ذلك فيما مرّ.

اذن فالخوارزمي كان موفقاً في رثائه إلى حد ما مثل ما كان موفقاً في مدحه. ولو أن قصائده جميعاً كانت قد وصلت الينا لاستطعنا ان نتبين اسلوب الرثاء عنده بصورة ادق، وتطور القصيدة عنده بشكل اوضح، إذ لا نستطيع ان نحكم عليه حكماً قاطعاً من خلال بعض القطع التي وصلتنا وهي على الرغم من قلتها الا انها يمكن ان تدلنا على شيء من اسلوبه وامكاناته في هذا المجال.

انه بالتأكيد كان قد رثىٰ عضد الدولة الذي انقذه من حياة الفقر وغيّر حياته رأساً على عقب ولكننا لا نرى أثراً من ذلك.

والظاهرة التي يمكن ان نتلمسها في رثاء الخوارزمي أنه يتمنىٰ الموت دائماً بعد الفقيد. هذا ما رأيناه في رثائه ابن العميد والمحتسبي ونراه ايضاً عند رثائه أبا بكر الخسروي السرخسي قائلاً[1]:

طَوَتِ المنونُ محاسِنَ الدهرِ ... بِيَدٍ لها طيٌّ بلا نَشْرِ

صَبَحتْ يَدُ الدنيا، ابا بكرٍ ... كأساً، سيُغْبَقُها أبو بكر

انه شبه كأس المنون بكأس الخمر فصبوحها كان أبا بكر الخسروي وغبوقها سيكون أبا بكر الخوارزمي.

والخوارزمي في رثائه يظهر مذهبه وافكاره الطائفية وميله إلى الشيعة وتعصبه ضد النواصب ففي قطعة له يقول[2]:

أَسَرَّكَ ان الدهرَ يجني لما جنىٰ ... ولم يك في الاحبار والنصب يدعي

فيا عجبي من ناصبيٍّ وفرحة ... واعجبُ منه الحزنُ في المتشيّع

واعجبُ من هذين إظهاركُ الأسىٰ ... لمن غابَ عن دار الاسىٰ والتوجّع

ألم تر أنَّ اللهَ قال تمتَّعوا ... قليلاً ولم يبقِ قليلَ التمتّعِ

لقد كان الخوارزمي في قطعه الرثائية الأخرىٰ يظهر الاسىٰ والتفجع على الفقيد، ولكنه هنا

---

١. القطعة ١٠٣ / ١ ـ ٢.

٢. القطعة ١٢١ / ١ ـ ٤.

يظهر العجب ممن يظهر الاسىٰ والحزن على من رحل من هذه الدنيا التي وصفها بدار الاسىٰ والتفجع. فهذه الابيات وان كانت ضمن قصيدة للرثاء الا انها اقرب إلى الحكمة والوعظ والارشاد. وتدل على خبرة الخوارزمي وحنكته وتجاربه في الحياة التي اكسبته هذه المعرفة بالأمور.

ولا يقتصر رثاء الخوارزمي على المسؤولين والاصدقاء بل نراه يرثي الكِتّابَ قائلاً[1]:

وأرثي له من موقف السوءِ عندي كرثيّتي للطِّرفِ والعلجُ راكبه

فوضع الكتاب لديه غير جيد وهو يرثي لهذا الموقف ويشبهه بالفرس الكريمة التي قد ركبها احد الاعاجم الذي لا يعرف قدرها وكيفية قيادتها.

٦ - الحكمة:

الحكمة خلاصة تجربة ومعاناة، ونظرة إلى الكون والمجتمع، يطلقها صاحبها، بكلام موجز ودقيق، ليعبّر عن حقيقة، او رأي، او مبدأ يوجه إلى الاجيال الصاعدة للاتّعاظ والارشاد. وشروط الحكمة ان تكون عامة وشاملة، ولكي يكتب لها الخلود، يجب ان تنطبق على كل الناس فيكل زمان ومكان[2].

وقد تطورت الحكمة في العصر العباسي، وخرجت من طور التجربة والدين إلى طور الفلسفة الاجتماعية الاخلاقية، وذلك بفعل احتكاك العرب بفلسفة اليونان وحكمة الهند وفارس واختيارات الثقافات المتعددة من عربية وفارسية ويونانية وغيرها في اطار الثقافة الاسلامية والمجتمع الاسلامي[3].

والخوارزمي انسان علمته التجارب وحنكته الايام ثم هو بالاضافة إلى ذلك شاعر واسع المعرفة، كثير الحفظ، ألف كتاباً في الامثال، فلا عجب ان نرى عنده ابياتاً واشعاراً في هذا المجال.

وقد بلغت ابياته التي وصلتنا في هذا الصدد حوالي خمسة وستين بيتاً تشكل حوالي ٧٪ من الديوان. وأطول قطعة في هذا المجال بين ايدينا تتكون من ثلاثة عشر بيتاً يبدو من خلالها إنّها

---

١. القطعة ٣٦ / ١.

٢. أروع ما قيل في الحكمة، إميل ناصيف، ص ٩.

٣. المصدر السابق، ص ١٤.

قيلت في مدح احدى الشخصيات، ولكنّ غالبية ابياتها في الحكم، فهو يقول[١] :

لا يصغرُ الرجلُ الكبيرُ بعشرةِ الرجلِ الصغير

بل يكبرُ الرجلُ الصغيرُ بخدمة الرجل الكبير

ويركبُ التِّبرُ النفيسُ علىٰ الدنيّ من السُّيُورِ

ماذا يضر البدرَ قُربُ النجمِ منه المستنيرِ

بل ما يضرُّ السَّيْلَ مَجْرَاهُ علىٰ الارضِ الحدورِ

بل ما عسىٰ صغر السّفينِ يغضّ من عِظَمِ البُحورِ

فالخوارزمي يتحدث في الابيات السابقة عن قضايا وبديهيات عامة تنم عن الخبرة والتجربة وتصلح للاستشهاد في كل زمان ومكان. ثم يقول :

قد زادني شرفاً ولم يُنقصهُ من شرفٍ حضوري

كالنارِ ليس بناقصٍ منها اقتباس المُستَعيرِ

فهو في هذين البيتين يبدو مادحاً ويعلل ان حضوره عند تلك الشخصية لا ينقص منها شيئاً فهي كالنار التي مهما استعير واقتبس منها فلا يضرها ولا ينقصها شيء لانها في عطاء حراري مستمر.

ثم يستمر في قصيدته تلك قائلاً :

والناسُ مثلُ الجسم يعتمد القبيلُ علىٰ الدبير

يتحامل العضو الخطيرُ بقوةِ العضوِ الحقير

كتحاملِ الرمحِ الطَّويلِ بِزُجِّهِ ذاك القصيرِ

وبين ايدينا قطعة اخرىٰ تشبه القطعة السابقة في عدد الابيات يتحدث فيها عن تعاريفه لكثير من المصطلحات الشائعة في الحياة وبين رأيه فيها فهو يقول[٢] :

---

١. القطعة ٨٧ / ١ ـ ١٣.

٢. ٢٨ / ١ ـ ١٣.

الملكُ عندي متعةُ الشبابِ	والعزل عندي فرقةُ الاحبابِ
والفقر عندي عدمُ الشرابِ	والشيبُ عنديَ كذبُ الخضابِ
والقبحُ عندي عدمُ الآدابِ	والعرس عندي ليلةُ الكتابِ
والروض عندي مُلَحُ الاعرابِ	والبغضُ عندي كثرةُ الإعرابِ
والسيفُ عندي قلم الكتّاب	والنّجح عندي سرعة الإيابِ
والطرد عندي كلحة البواب	والذل عندي وقفة الحجاب
والقحطُ عندي قلّة الأصحابِ	والشؤم عندي كثرةُ العتابِ
والعيّ عندي هذر الخطاب	والعزّ عندي طاعة الصّواب
والإلُّ عندي خلة القحاب	والغول عندي طلعة الكذاب
والصفحُ عندي ابلغ العقاب	واللوم عندي سفه الشراب
والامس عندي اسرع الهرّاب	والمال عندي أسرع الهراب
والغد عندي الحق الطلاّب	والفخر عندي أفخر الثياب
والسجن عندي منزل القراب	والهول عندي موقف الحساب

من هذه الابيات نستطيع ان نستشف آراء الخوارزمي وافكاره ونظرته إلى كثير من مفردات الحياة التي نواجهها ونعايشها، وهي عند الخوارزمي قد تختلف كثيراً عما عند الناس الآخرين. وهذه الابيات هي اقرب ما تكون الى الكلام المنظوم منه الى الشعر، إذ لا تختلط بأحاسيس الشاعر وعواطفه ولا تمتزج بروحه بل أكثرها صادر عن لسان الشاعر وعقله وفكره وتجربته. انه لا يوصلنا إلى ما يريد عن طريق المشاهد الجزئية والمواقف التفصيلية، بل يعطينا ما يريد قوله، احكاماً ثابتة ونتائج مسلّمة. وهذه صفة قد تهبط بالشعر إلى المستوى الادنىٰ. ولكنها عل كل حال آراء يمكن دراستها والتعرف من خلالها على بعض القضايا النفسية التي كان الشاعر يعاني منها أيام حياته والتي اوصلته إلى هذه النتائج التي ساقها لنا.

وللخوارزمي بعض القطع التي تتألف من بيت واحد او بيتين في هذا المجال.

فمن ذلك قوله[١] :

ومـــن عــجب الايّــام تــرك التّــعجب

وقوله[٢] :

ســتمضي مــع الايــام كـلُّ مـصيبةٍ   وتحــدثُ احــداثٌ تُــنَسّي المـصائبا

وقوله[٣] :

ســتَشَبُ نــفسكَ أنشــوطةٌ   وأعـــزُّ عـــليَّ بِمَـــنْ تشبُ

وتحــملُها في اتّــباع الهــوىٰ   عـــلى آلةٍ ظـــهرها أَجـــدَبُ

وقوله[٤] :

لا تــصحب الكســلانَ في حــاجاتِهِ   كــم صــالحٍ بــفسادِ آخــرَ يــفسُدُ

عــدوىٰ البــليدِ الى الجــليدِ سريـعةٌ   والجَــمْرُ يــوضَعُ في الرَّمــادِ ويخـمُدُ

وقوله[٥] :

ولا تــغترْ بــالحليم تُــغضبه   فــربّما أحــرق الثرىٰ البرَدُ

وقوله[٦] :

أحبّ الحــذقَ في الأشــياء طــرّاً   وأهــوىٰ المــرءَ يحكــم مــا يُــريدُ

فــليس بحــايكٍ مــن حــاك غــزلاً   ولكــن حــايكٌ مــن لا يجــيدُ

ونرىٰ الخوارزمي في احدى قطعه التي يمكن أن تكون في باب الشكوىٰ، الا أنّهـا يمكـن اعتبارها من الحكم التي قالها بعد معاناة وطول تجربة واختبار للحياة ومن فيها. فهو يرى ان المال الوفير اوفىٰ صديق للانسان، وان انكى الاعداء للانسان هو الفقر. والطائر المـقصوص الجناحين لا يبرح موضعه ولكنه ونتيجة للهمة العالية التي يملكها والامكانات التي يتمتع بها

---

١. القطعة ٣٨ / ١.
٢. القطعة ٣٩ / ١.
٣. القطعة ٤٠ / ١ ـ ٢.
٤. القطعة ٦٣ / ١ ـ ٢.
٥. القطعة ٦٥ / ١.
٦. القطعة ٧٦ / ١ ـ ٢.

فقد قصّ جناحاه ولكنه مع ذلك استطاع ان يطير عن وكره ويتنقل في البلدان ويصيب خيراً، فهو يقول[1] :

ولقد بلوتُ الاصدقاءَ فَلَمْ أَرَ فِيهِمُ اوفىٰ مِنَ الوفرِ
وكذاكَ لم أرَ في العدا أحداً انكىٰ لمن عادىٰ من الفقر
ذهبَ الغنىٰ وورثتُ عادَتَهُ فانا الغنيُّ وغيري المثري
وتجمّعتْ فيَّ اثنتانِ ولَمْ يتجمّعا في سالف الدهرِ
لا يبرحُ المقصوصُ موضِعَهُ ولقد قُصِصْتُ فطرتُ عن وكري

ويفرق الخوارزمي في هذه القطعة بين الغنىٰ والثروة فهو غنيٌّ وليس بمثرٍ لان حدود الغنىٰ تتخطى العالم المادي بينما الثروة لا تتجاوزه. ويبدو ان القطعة المنقولة لنا غير كاملة. انه يقول باجتماع صفتين فيه لم تجتمعا في غيره، ذكرت احداهما وبقيت الاخرىٰ لا نعرفها ما هي.

والخوارزمي انسان ـ كما قلنا ـ عالي الهمة إلى حد ما، وسياسته تجاه الاعداء سياسة هجومية وليست دفاعية، فهو يوصي الانسان ان يظهر التجلد امام الاعداء وان لا يريهم اي ضعف منه او انكسار او تراجع ويدلل على قوله هذا بالريحان الذي يشتم عند ما يكون ناضراً طازجاً لم يصبه الذبول، فان اصابه فانه عند ذلك يُطرح بعيداً ولا يهتم بِهِ ولا يُقام له أي وزن[2] :

عليك باظهار التجلّد للعدىٰ ولا تُظهِرَنْ منكَ الذّبولَ فَتُحقَرا
أَلَسْتَ ترىٰ الريحانَ يُشْتَمُّ ناضِراً ويُطرح في الميضا إذا ما تغيّرا

ويرىٰ الخوارزمي ان هناك اربع صفات إذا تمتع بهن الانسان عاش سعيداً في حياته، وان سعادة الانسان تكمن في هذه الصفات الاربع، وهو يتمنّىٰ ان يحصل عليهن، ولكن الدهر الشحيح يبخل عليه بهن، لذلك فالدهر عنده أشح مسؤول فهو يقول[3] :

تمنّيتُ خلاّتٍ على الدهرِ أربعاً ولم أرَ مسؤولاً أشحَّ من الدهر
جماعاً بلا ضعفٍ، وشرباً بلا سُكرِ وعمراً بلا شيبٍ، وبذلاً بلا فقرِ

---

١. القطعة ٨٩ / ١ ـ ٥.
٢. القطعة ٩٣ / ١ ـ ٢.
٣. القطعة ٩٤ / ١ ـ ٢.

وأمنيات الخوارزمي في هذين البيتين أمنيات مادية بحتة، والقيم التي يتمناها في حياته مادية، فهو لم يتمنّ ان يرى العدل سائداً مثلاً، او الظلم زائلاً، او المعرفة منتشرة، او الاسلام وقيمه سائدة في العالم !! وهذا ان دلّ علىٰ شيء فإنّما يدل على ان الشاعر لم يكن من الناس الممتازين في عصره الذين يرتفعون عن مستوى الآخرين بالآمال التي يحملونها وبالاماني التي يتمنّونها وبالقيم التي يعملون من أجل سيادتها في مجتمعهم. كما هو الحال بالنسبة للرجال العظام في التاريخ. ومثل هذه الامنيات المادية تهبط بمنزلة الشاعر من الناحية الشخصية إلى مستوى متدنّ، لا يليق بمثله ممن يمتلك كل هذه الامكانات، وهذا يعني ان المجتمع الاسلامي في القرن الرابع قد بلغ مرحلة من الحضارة ادت به إلى الترف او تقلته من الاهتمام بالقيم المعنوية إلى الاهتمام والتوجه الى القيم المادية. ولذلك فان المجتمع منذ ذلك التاريخ بدأ يمتلك بذور الانحطاط والهزيمة التي اخذت تنمو شيئاً فشيئاً حتىٰ استوى نباتها واتت أكلها في القرن السابع حينما اجتاحت جيوش المغول البلدان الاسلامية واعملت فيها الدمار والخراب.

وحكمة الخوارزمي تظل قوية تصلح لكل زمان ومكان، لانها صادرة عن مصدر خبر الحياة عملياً واستفاد من تجارب الآخرين وقرأها نظرياً بما امتلكه من معرفة وبما حفظ من شعر وغيره فانظره يقول[1] :

لا تَفْرُطَنْ في حِدّةٍ أعملتها ... فيكل ذاك الحدُّ منكَ وتَفْشَلا

أوَ ما ترىٰ الصّمصامَ والسكين إن ... زادا علىٰ حدِّ الصِّقالِ تفلَّلا

فهو يوصي بالوسطية والاعتدال في الامور حتىٰ في الغضب والحدة اللتين يُجبر الانسان على اظهارهما. فالافراط في هذا الجانب يؤدي بالانسان إلى الانهيار والسقوط اجتماعياً وفردياً، ويأتي بدليل على ذلك بليغ إذ انه يشبه هذه الحالة ضمنياً بحالة الحسام والسكين اللذين ان زاد حد الصقال عما هو متعارف وطبيعي فانه يؤدي إلى انثلامهما. وهذه حكمة صالحة لكل زمان ومكان. ولكن لو كان الخوارزمي قد اعطانا هذه النتيجة بشكل غير مباشر وعن طريق بعض تجاربه الشخصية والشعورية لكان قد بلغ القمة في هذا المجال.

والخوارزمي بصير بأحوال مجتمعه والمقاييس التي تحكمه والتي هي غالباً ليست بمقاييس

---

١. القطعة ١٦٢ / ١ ـ ٢.

طبيعية تتماشىٰ مع السنن الطبيعية التي يجب ان تسود الحياة. إذ أنّ هذه المقاييس تختلط، وتختلّ نتيجة لذلك، الموازين. اسمعه يقول[١] :

وبعضُ الناسِ يعلو وهو سُفلٌ ... وبعضُ الناسُ يسفلُ وهو عالي

وبعضُ الناسِ يملكُ وهو عبدٌ ... وبعضُ الناسِ يُعزلُ وهو والي

وأبو بكر لا يستسيغ ان يعزو الانسان اسباب فشله في الحياة إلىٰ الدهر، فيصب جام غضبه عليه ويلعنه، لان الدهر لن يجيبه ولن يشاركه الغضب والشتم، بل يضحك منه ساخراً به، ولذا فعلىٰ الانسان ان يلجأ إلى نفسه وامكاناته ليشق طريقه في الحياة. فهو يقول[٢] :

ومتىٰ شتمت الدهر تشتم صابراً ... تبكي ويضحك ذلك المشتومُ

ويزودنا الخوارزمي منذ القرن الرابع بهذا الاساس الذي نستعمله في وقتنا الحاضر، ويعتمد عليه علم النفس في تفسير كثير من خبايا النفس الانسانية بما تظهره هذه النفس من أعمال، ويعتمد عليه النقد الادبي في تفسير كثير من صفات الاديب الباطنية والنفسية اعتماداً على ما يظهره خلال اعماله الادبية. فهو يقول[٣] :

قد يُبصَر الخفيُّ في الجليِّ ... كالغيثِ يُلقىٰ وهو في الحبيِّ

وباستعمال الخوارزمي لـ «قد» يفهمنا بأن كل غوامض النفس الانسانية لا يمكن كشفها والوصول إليها من الظواهر، بل ان بعضها يمكن الوصول إليه، فالنفس الانسانية عميقة الأغوار وقلما يستطيع الآخرون سبر هذه الأغوار بأجمعها والوصول الى اعماقها. ولهذا السبب نجد الدكتور طه حسين لا يميل كثيراً مع مقولة أن الشعر مرآة الشاعر، وان الادب مرآة الاديب فهو لا يدري أهو مرآة لنفس الشاعر او لشيء آخر يراه في لحظات من حياة الناقد حين شغل فيها بلحظات من حياة الشاعر او الاديب الذي عني بدراسته[٤].

ان هذه النماذج التي اوردناها والتي يمكن اعتبارها صالحة لكل زمان ومكان، تعبر بصدق عن الامكانات التي تمتع بها الخوارزمي، وعن التجارب الحياتية التي خاضها وعاناها، وتقل

---

١. القطعة ١٧٦ / ١ ـ ٢.
٢. القطعة ١٩٧ / ١.
٣. القطعة ٢٤٥ / ١.
٤. من تاريخ الادب العربي، طه حسين، ٣ / ٣٥٦.

إلينا بالتالي ثمرة هذه المعاناة، وخلاصة تلك التجارب، حتىٰ يمكن اضافتها الى رصيد الانسانية على مر التاريخ. وما الشعر في بعض او كثير من الاحيان الا خلاصة لتجارب الآخرين ومعاناتهم وقيمهم الشعورية تضاف إلى سجل البشرية، ليستفيد منها الآخرون ويعوها وينضجوها ويقدموها الى الاجيال القادمة.

٧ - الشكوىٰ:

لما كان الخوارزمي من الشعراء الذين لاقوا محناً كثيرة في حياتهم، وابتلي بمشاكل مع الحكام والمسؤولين الذين عاصرهم، فدخل السجن عدة مرات، ولاقىٰ انواعاً من الاذىٰ منهم، لذلك فلا يستبعد ان تكون هذه الاحداث قد أثرت عليه وجعلته يشتكي أيامه ودهره واصدقائه، فلا عجب اذن ان نجد بين الابيات التي وصلتنا منه بعض القطع التي يبدو طابع الشكوى غالباً عليها. وهذه الابيات لا تتجاوز الـ ٤٩ بيتاً وتشكل نسبة تبلغ حوالى ٥/٣٪ من الديوان المصنوع له.

ومن بين الموضوعات التي يتناولها الخوارزمي بالشكوىٰ موضوع الدهر وتبرمه به إذ يقول[١]:

لا تشكر الدهرَ لخيرٍ سبَّبَهْ فإنّه لم يتعمَّدْ بالهبَهْ
وانّما اخطأ فيكَ مذهبَهْ كالسّيل إذ يسقي مكاناً خرّبهْ
والسمّ يَستشفي به من شَرِبَهْ ما أثقل الدهرَ علىٰ من ركبهْ
حدّثني عنه لسان التجربة ما أهون الشوكةَ قبل الرّطبهْ
واسهلَ الكدَّ على من أكسبَهْ

فالخوارزمي مجرب، عارف بالدهر، ملم باحداثه ونوازله، ولذلك فهو من الذين لا يعتمدون على الدهر، ونظرتهم إليه نظرة سلبية، واذا ما أصابك الدهر بأشياء حسنة فهذا من أخطائِهِ وليس من حسن صنيعه. فحال الدهر كحال السيل الذي يسقي مكاناً كان السبب في

---

١. القطعة ٢٧ / ١ ـ ٥.

خرابه ودماره.

وهو بالاضافة الى ذلك يائسٌ، قانط من الدهر لا يرجو منه أي خير، إذ كيف يستطيع ان يأمنه وهو الذى يعد قاتلاً لابنائه[١]:

اىَّ خيرٍ يرجو بنو الدهر في الدهـ ـرِ ومـا زال قاتلاً لبنيهِ
من يعمّر يُفجع بموت الأخلا ءِ ومن مات فالمصيبة فيهِ

ويشتكي الخوارزمي نفسه التي لم تستطع ان تتلاءم وتنسجم مع الدهر ومع الذين يعيشون فيه ويتّصفون بصفاته الدالة على عدم الوفاء والثبات فهو يقول[٢]:

لِمْ لا أُجانسُ دهري في تقلُّبِهِ لِمْ لا أبادلُ انساناً بإنسانِ
لِمْ لا أُحاكي حبيباً في مقالتِهِ ما اليوم اوّل توديعي ولا الثاني
لِمْ لا أقارضُ ما قد قاله حَسَنٌ «وصلاً بوصلٍ وهجراناً بهجرانِ»

فهو يريد ويحاول ان يجانس الدهر وأفعاله ولكنه لا يستطيع ان يفعل ما فعله الدهر به، ولا ما فعله الحبيب به.

وهو كعاشق يشتكي ما يعانيه من آلام، ويشتكي طول غربته، وما نتج عنها من آلام الفراق والحب، وهو يشكو شيبه ويعجب من البقية الباقية من شعره الاسود وكيف لم تبيضّ نتيجة هذه الآلام التي يعانيها العشاق من أمثاله، وهو يواسي من يحس بهذه الآلام لانه قد عايشها وعاناها. فهو يقول[٣]:

أوَ ما شَمَمْتَ بذي الأبارقِ نفحةً خاضَتْ الى كبد الفتىٰ المشتاقِ
آهاً علىٰ نفحاتِ نَجْدٍ إنَّها رسلُ الهوىٰ وأدلةُ العشّاقِ
أَسُقيتَ بالكأسِ التي سقِّيتُها أم هل عدتكَ إليَّ كفّ الساقي
أضف الغرام المعرق من دائِهِ اني لَأَقْدَمُ منكَ فيالعشّاقِ

---

١. القطعة ٢٥١ / ١ ـ ٢.
٢. القطعة ٢٤٠ / ١ ـ ٣.
٣. القطعة ١٤٠ / ١ ـ ٦.

أبثثتُهُ كمدي وطول تغرّبي ... وأليمَ ما بي من جوىً وفراقِ
اشكو إليه بياضَ سود مفارقي ... ونظلّ نعجبُ من سوادِ الباقي

انه اذن يشكو الغربة والفراق والشيب. كما ويشكو حاله وما صنعه الدهر به حتىٰ أهزله كثيراً، ويبالغ في هذا الهزال الذي أصابه، حتىٰ انه لو أُلقي في حلق بقة خريفية فهي لا تغص به لشدة ضعفه ونحافته وهزاله إذ يقول[1]:

ضنيتُ فلو أُلقيتُ في حلقِ بقّةٍ ... خريفيّةٍ من دقّتي لم تغصّ بي
وأصبح قلبي في يد الهمّ واغتدت ... أمانيَّ في أظفارِ عنقاء مُغربِ

إذن فالفقر والهم وعدم تحقق الأماني تظافرت بأجمعها لتنال منه، وأثرت فيه، فصارت حاله كما وصفها.

وهذا الفقر قد تغلب عليه، فهو لذلك يروم جبة يلبسها لتقيه برد الشتاء ولكنه غير قادر على ذلك لانه لا يمتلك النقود على ترقيعها واصلاحها فكيف بشرائها[2]:

أسومُ الجبابَ فلا خزَّها ... أُطيقُ ابتياعاً ولا صوفها
وكيف السبيل الى جُبّةٍ ... لمن ليس يملكُ تصحيفها

وهذا الفقر لم يترك له حتى القميص الجيد، فقميصه رقيق، تقده الاوهام لرقته، كما ان الجبّة التي يلبسها رديئة بالية حتىٰ ان قيمتها لا تساوي قيمة تصحيفها. هكذا يشكو الخوارزمي الفقر حين يقول[3]:

ولي قميصٌ رقيقٌ ... تقدّه الأوهامُ
وجبّةٌ لا تساوي ... تصحيفَها والسلامُ

ويشكو الخوارزمي الحالة التي وصلها أديب مثله، وما فعله الدهر به إذ يقول[4]:

عجبتُ للدهر في تصرفه ... وكلّ افعال دهرنا عجبُ
يباين الدهرُ كلَّ ذي أدب ... كأنما ناكَ أمّهُ الادبُ

---

١. القطعة ٤٢ / ١ ـ ٢.
٢. القطعة ١٣٠ / ١ ـ ٢.
٣. القطعة ٢١٥ / ١ ـ ٢.
٤. القطعة ٣٠ / ١ ـ ٢.

يـــبابن الدهـــــرُ كـــــلَّ ذي أدب   كـــــــأنما نـــاكَ أمَّـــــهُ الادبُ

ويبلغ اليأس بالخوارزمي مبلغاً لا يجد صديقاً له في الحياة، يعرف الصداقة ويقدّرها حق قدرها، وهو لهذا الغرض طاف البلدان وابتعد عن الاوطان لعله يجد هذا الصديق، ولكنه لم يجده[1]:

تـــغرّبتُ أســـأل مَـــنْ عَـــنَّ لي   من الناسِ هـل مـن صـديقٍ صـدوق!

فـــقالوا: عـــزيزان لا يـــوجدان   صـــديقٌ صـــدوقٌ وبـــيض الأَنـــوق

وبين يدي قطعة للخوارزمي تتألف من ٢٤ بيتاً بعثها الخوارزمي لابي نصر الميكالي احد وجهاء نيسابور يشتكي فيها حاله التي وصل اليها في سجن والي سجستان ويطلب شفاعته لاطلاق سراحه. فهو يقول[2]:

كـــتابي أبـــا نـــصر اليكَ وحـــالتي   كـــحال فـــريسٍ في مخـــالبِ ضـــيغَمِ

أرقّ من الشكوىٰ وأدجىٰ مـن النـوىٰ   وأضـــعف مـــن قـــلب المحبّ المـــتيّمِ

فهو يصف في بداية هذه القطعة حالته التي تشبه حالة الحيوان الذي افترسه الأسد، فقد اصبحت حاله رقيقة الى درجة هي ارق من حالة الشكوىٰ وأظلم من حالة الغربة التي يعانيها الانسان، واصبح ضعيفاً، أضعف من قلب المحب العاشق الولهان الذي يـتصف بـرقة القـلب وضعفه. ويستمر في وصف حالته شاكياً:

غـدوت أخـــا جـوعٍ ولست بـصائمٍ   ورحتُ أخـــا عُـــريٍ ولست بمُـحرم

فهو قد هزل ونحف من شدة الجوع الذي يقاسيه في السجن، وتمزق الملابس التي يلبسها حتىٰ صار وضعه كالمحرم في الحج. ويستمر مقارناً بين النعمة التي كان يرفل فـيها الى جـوار الميكالي والعذاب الذي يقاسيه الآن الى جانب طاهر والي سجستان حتىٰ يقول:

لبستُ ثـــيابَ الصـــبرِ حـــتىٰ تمـزّقت   جـــوانـــبها بـــين الجـــوىٰ والتـــندّم

أظـــلُّ اذا عـــاتبت نـــفسيَ مـــنشداً   «فـــهلا تـــلا حـــا مـــيم قـــبل التـقدّم»

---

١. القطعة ١٤٢ / ١ - ٢.
٢. القطعة ١٧٧ / ١ ـ ٢٤.

وأنشــــدُ في ذكــري لدارك بـــاكـــياً «ألا أنعم صباحاً أيهـا الرّبـع واسـلمِ»

ولم أر قـــبلي مـــن يحـــاربُ بَخْـــتَهُ ويشكــو الى البـؤسِ افـتقاد التّـنعّمِ

ولا أحـــــدٌ يحـــوي مـــفاتيح جـــنةٍ ويـــقرع بـــالتطفيل بـــابَ جَـــهَنَّمِ

فهو لم يعد يتحمل الصبر، لانه صبر حتىٰ تمزقت ثياب الصبر، وهو انسان قد حارب النعمة التي كان فيها وحارب حظّه واوقع بالتالي نفسه في هذه الورطة. وحاله كحال من كان بالجنة فتركها بارادته الى النار.

مما سبق من النماذج التي اوردناها، نجد الخوارزمي دائم الشكوى من المصائب التي لحقته وما اكثرها.

٨ - الخمريات:

يدخل البعض «الخمر واوصافها» ضمن فن الوصف في الشعر العربي، ولكن آثرنا ان نذكرها في غرض مستقل عن الوصف لان الشعراء منذ القرن الثاني اخذوا ينظمون فيها القصائد، وأسوة بالكثير من الباحثين المعاصرين الذين اعتبروا الخمريات فناً مستقلاً عن بقية الفنون، علماً بأن هذا الفصل، بين الفنون والاغراض، ما هو الا فصل مجازي، اذ لا توجد فواصل حقيقية جامدة بين هذه الاغراض الشعرية لدى الشاعر. فالرثاء لا يمكن فصله عن المديح فصلاً جامداً، كما لا يمكن فصل الغزل عن الوصف فصلاً كاملاً. بل هذا الفصل في اكثره نسبي اصطلح الباحثون في الادب عليه تسهيلاً للدراسة.

والخمر بأوصافها المتعددة وانواعها المختلفة واشكالها المتنوعة، وتأثيرها في الشارب، ووصف شعاعها وادوات شربها من كأس وزق ودن، والحديث عن مجالسها وأماكن بيعها، قد تطرق اليها الشعراء منذ العصر الجاهلي وتحدثوا عنها في بعض قصائدهم. ويعد الاعشىٰ ملك الخمر في عصره اذ تمكن من وضع الخطوط العامة والواضحة لأدبها، اذ ألمّ بكل ما نشهد فيه من أحوال او تشابه. فالشعاع والطيب واللون، والقِدم، فضلاً عن الكأس والندامىٰ والساقي والمجلس والبائع، هذه المعاني نجدها واضحة في شعر الاعشىٰ[١]. ثم جاء رواد الخمريات في

---

١. فن الشعر الخمري وتطوره، ايليا الحاوي، ص ٥٥ - ٥٦.

القرن الثاني من امثال الوليد بن يزيد وابي الهندي وابي نواس، فجعلوا الفن الخمري في قصائد مستقلة، وأبدعوا فيها ما شاء لهم فنهم، واضافوا الى المعاني الموروثة والصور التقليدية الاوصاف المتحضرة والمعاني الجديدة، وان ظلّوا فيها مقيّدين في بعض اوصاف الخمر بما خططه الاعشىٰ ورسمه في جاهليته. فطيبها ظل كالمسك وكذلك نكهتها قبل المزج، ومرارتها بعده، وصفاؤها كعين الديك، وفقاقيعها كالياقوت، وشعاعها كالشمس او النور، وحمرتها كعرف الديك او كالدم، وصفرتها كالزعفران، هذا بالاضافة الى بعض الاوصاف التي قيلت في ساقيها وبائعها و مجالسها وآنيتها. هذه الاوصاف للخمر منذ الجاهلية ومنذ القرن الثاني قد طغت ايضاً على الشعر في القرن الرابع اذ نجد بعضها في شعر الخوارزمي، ولو كان ما قاله في الخمر قد وصلنا لامكننا ان نعطي صورة اوضح وأدق عن هذا الفن.

ويبلغ عدد الابيات التي وصلتنا في الخمر ٢٩ بيتاً تشكل حوالي ٣٪ من الديوان، على الرغم من ان الخوارزمي كان يقضي حياته بين مجالس العلم والانس والطرب كما مر سابقاً.

ولعل التعليل الذي يمكن ان نسوقه لقلة شعره في هذا الفن يعود الى ضياع ديوانه، اذ اننا بفقده قد فقدنا الكثير من ابياته في المجالات المختلفة.

ونحن نواجه في شعر الخوارزمي لوناً جديداً من اوصافها في ثوب من حسن التناول وغرابة الفكرة فهو يقول[1]:

وصفراءَ كالدينار نبتَ ثلاثةٍ ... شمالٍ وأنهارٍ ودهرٍ محرّمِ

مَسَرَّةُ محزونٍ وعذرُ معربدٍ ... وكبرُ مجوسيٍّ وفتنةُ مسلمِ

مماتٌ لأحياءٍ، حياةٌ لميّتٍ ... وعدمٌ لمن أثرىٰ ثراءٌ لمعدمِ

فالشعراء اعتادوا وصفها بالزعفران وهنا جاء الوصف تشبيهاً لها بالدينار، وهي تحلو وتلذ عند توفر الاشياء الثلاثة من ريح الشمال والانهار الجارية وتحريم الدهر لها اذ الانسان حريص على ما منع. ثم يستمر في تأثيراتها على طبقات الناس، اذ انها تسر الحزين، وتكون عذراً للمعربد وتكبراً للمجوسي وفتنة وامتحاناً للانسان المسلم. ومن صفاتها المتناقضة انها تميت الاحياء لانها تعطلهم عن العمل المثمر في الحياة، كما ان الاموات نتيجة الهم والقلق

---

١. القطعة ٢٠٠ / ١ – ٦.

والاضطراب والعشق تحييهم اذ يجدون فيها مفراً مما هم فيه من نكد العيش وظلم الزمان. ويستمر الخوارزمي بعد وصفه للخمرة في وصف ساقيها:

يدور بها ظبي تدورُ عيونُنا على عَينِه من شرط يحيىٰ بن اكثم
يُنَزِّهُنا من ثغره ومُدامِهِ وخدّيه في شمس وبدر وأنجم
نهضنا اليها والظلام كأنَّهُ معاشُ فقيرٍ او فؤاد مُعَلَّمِ

فالساقي كالظبي في جماله، وتظل عيونهم تلحقه اينما ذهب، فالساقي هذا يمتعهم بجماله وبغنائه وبخمره التي يسقيها اياهم.

ويبدو ان الخوارزمي كان يلتذ بالخمرة عند الانهار والمياه الجارية. ففي قطعة له يتحدث لنا عن الخمرة عند نهر الهندمند في سجستان حيث يقول[1]:

غدونا شطَّ نهرِ الهندمندِ سكارى آخذي بالدّستبندِ
وراحٌ قهوةٌ صفراءُ صرفٌ شمولٌ قَرْقَفٌ من جهنبندِ
وساقٍ شبهُ دينارٍ أتانا يدير الكأسَ فينا كالدُّرَندِ
فلمّا دبَّ كسر الليل فينا وأَصْبَحْنا بحال خردمندِ
متىٰ تدنو بِقُبْلَتِهِ تلكأ ويُلقي نفسه كالدّردمند
وهذا شعرُ مزّاح ظريفٍ يحاكي أنَّهُ چند بن چندِ

إنه في هذه القطعة يستخدم الالفاظ الاعجمية، ويأتي بالاسماء المتعددة للخمرة، ويصف ساقيها بالجمال الا انه في نهايتها يوضح لنا ان هذا الشعر لا حقيقة له فهو مزاح من الشاعر أراد ان يعبر عن امكاناته في قول الشعر باستعمال الكلمات الاعجمية، على ما يبدو.

ويرىٰ الخوارزمي ان اللجوء الىٰ الخمر هو بسبب المعاناة التي يعانيها الانسان من دهره، فهو لكي يفرّ من هذه المعاناة ومن ألوان المضايقات يلجأ الىٰ الخمر. فهو يقول[2]:

١. القطعة ١/٧٥ - ٦.
٢. القطعة ٢٠٣/ ١-٩.

لـــــــا بَـــدَتْ روح الضـــيا ءِ تـــدبّ في جـــسمِ الظـــلامِ
وغـــدت نجـــومُ اللــيل وهـــ ـــي تــفرّ مــن حــدق الأنــامِ
والديكُ يـــتلو دائمـــاً هـــجو النــيام عــلى القـيامِ
نـــاقضت مـــا قـــال المـــؤذ نُ بـــالفعالِ وبـــالكلامِ
هـــو قـــال حـــيَّ عـــلىٰ الصَّــلا ةِ وقـــلتُ حـــيَّ عـــلى المـدامِ

فهو هنا في البداية يصف الظروف المواتية لشرب الخمر، انه ومع بداية الفجر يدعو الىٰ الاستمرار في شرب المدام وبذلك يناقض المؤذن الذي يدعو الىٰ التطهّر والصلاة، فهو غارق في معاصيه. ويستمر قائلاً:

لـــــــا رأيتُ الهـــمَّ يـــطر قُ مـــن أتـــاه بـــلا ســـلامِ
ضـــيفٌ يـــزورُ فـــليس يــأ كـــلُ غـــير لحـــمي او عـــظامي
والدهـــرُ قـــد حـــل الســـلا حَ عـــلىٰ الكـــرامِ عـــن اللـــئامِ
داويـــتهُ بـــالراح إنَّ الرّاحَ تـــرياقُ الكـــرامِ

اذن فالخمرة كما يراها الخوارزمي دواء لداء ولكن اي داء هذا؟ هو داء الدهر الذي ينزل الهمّ في كل جوارح الانسان واعضائه فهذا الداء يشبه الضيف. ولكن هذا الضيف يأكل لحم الشاعر وينخر في عظامه؛ هذا الدهر الذي لا يستطيع الشاعر ان يراه حاملاً السلاح يدافع عن اللئام ضد الكرام، اذن في مثل هذه الظروف المَرَضيّة يلجأ الشاعر الىٰ الخمر لانها دواء لدائه وترياق للكرام من الناس. فعلىٰ الرغم من ضرر هذه الخمرة الا أنها الدواء الوحيد لهذا الداء.

ويصف الخوارزمي الخمرة وصفاً جميلاً ويمزج بينها وبين الورد والريحان حيث يقول[1]:

عُـــزل الوردُ عـــن أنـــوفِ النـــدامىٰ وأتـــــتنا ولايـــةُ الرَّيحـــانِ
فـــاقضِ حَـــقَّ الريحـــانِ فـــالريحـــ ـــانُ والراحُ في الورى أخَـــوانِ
وأنـــدبِ الوردَ وأبكـــهِ بـــدموعٍ مـــن دمـــوعِ الأقـــداحِ لا الأجـــفانِ

---

١. القطعة ٢٢٧ / ١ – ٣.

انه يشبه هنا الورد والريحان بالوالي وقد عزل احدهما وتولى الآخر الحكم. وهـذا الذي تولى الحكم لا يمكن ان يتخلّى عن الراح والخمر لانهما أخوان، وعلىٰ الانسان ان يندب الوالي المعزول ولكن بدموع ليست هي دموع العيون والاجفان، بل ما ينساب وينسكب من أقداح الراح الممزوجة بالريحان.

ويبدو ان الخوارزمي عندما تدور الخمرة في رأسه ينسىٰ نفسه ويخرج ما شاء من فمه دون وعي وادراكٍ لما يقول. اذ ان ما يقوله في هذه الحالة تتناقض مع ما يؤمن به هو من عقائد او ما يؤمن به عامة المجتمع الاسلامي آنذاك. فهو يتناول الحسن والحسين (ع) كما يتناول الخلفاء الثلاثة الراشدين بكلمات لا تليق بمسلم مؤمن ملتزم ان يتفوه بها، اسمعه يقول[1]:

سقانيَ الوجهُ الحَسَنْ ... كأساً فخلّيتُ الرَّسَنْ

وصار عندي حَسَناً ... قتلُ الحسينِ والحَسَنْ

اذن فالخمرة قد حررته من كل قيد اجتماعي او ديني، وهو لا يرىٰ اي قبحٌ في قتل الحسن والحسين (ع). وأراه صادقاً فيما قال، لان الخمرة قد عطلت قواه الواعية المفكرة فهو في هذه الحالة لا يختلف عن الحيوان عندما يفتقد القوة التي تميزه عنه.

ويقول في قطعة اخرىٰ[2]:

اذا أعوز الفقّاع لماطلبتُهُ ... هجوتُ عتيقاً والدَّلامَ ونعثَلا

انه يريد الخمرة وقت ما شاء واذا افتقدها فانه عند ذلك يخرج عن وضعه الطبيعي ويهجو الخلفاء الثلاثة.

والخلاصة: ان الخوارزمي وعلىٰ الرغم من قلة الاشعار التي وصلتنا منه في الخمر قد جاء ببعض المعاني الجديدة التي ماكانت سائدة في العصر الجاهلي والاموي. وهو علىٰ الرغم من قلة ابياته هذه الا اننا نجد فيها وصفاً للخمر والساقي والآثار التي تتركها علىٰ المخمور والاسباب التي تدعو الانسان الىٰ شربها.

---

١. القطعة ٢٢٩ / ١ – ٢.

٢. القطعة ١٧٣ / ١.

٩ – الفخر بالنفس :

يرىٰ بعض الباحثين ان شعر الفخر هو الآخر قد حاز الغلو في المعاني الى جانب شعر المدح. وان اغلب شعراء الفخر في القرن الرابع الهجري قد حاموا في شعرهم الذي حفظته لنا يتيمة الدهر حول المعاني المغالية في مراميها والمفرطة في تشبيهاتها. واذا كان بعض الشعراء قد التزم الاعتدال والوسطية في هذا المجال فانه قد غالىٰ في مواضيع اخرىٰ[١].

ويبدو أن شعر الفخر الذي وصل الينا عن شعراء هذا القرن، وحفظت اليتيمة بعضه لم يكن متّسماً بروح التفاخر والتعالي والمغالاة في معانيه إلا كونه مرتبطاً بالجانب السياسي. فنحن نعلم ان اصحاب الدويلات، وزعماء هذه الاقاليم المتنازعة، كان أغلبهم لا يستوزرون ولا يستكتبون الا الطبقة المثقفة، واصحاب الاقلام القادرة علىٰ المحاورة والمجادلة والاقناع. ومن هنا اتخذ شعراء هذه الدويلات والكتاب الشعراء منهم بوجه خاص، من عملهم ومكانتهم الكتابية او الوزارية مجالاً فسيحاً للتغني بفصاحتهم وبلاغتهم وذكائهم وبعقولهم المكتنزة بالعلوم والمعرفة. وكانت النتيجة ان ظهرت في هذا اللون الشعري معاني المبالغة والصور المسرفة متأثرة بالجانب السياسي[٢].

والابيات التي وصلتنا للخوارزمي في هذا المجال قليلة جداً لا تصل الى ١٪ من مجموع الديوان. والشاعر فيها الى الاعتدال اقرب منه الى المبالغة بصورة عامة. وفيها يتحدث الخوارزمي عن نفسه وعن شعره. ففي قطعة يتحدث الخوارزمي عن شعره قائلاً[٣]:

كَلِمٌ هي الامثالُ إلا أنَّها ... في الناسِ قد أضحتْ بلا أمثالِ

فاذا لُقينَ فانّهنّ عوالي ... واذا شُمِمْنَ فانّهنّ غوالي

انه يصف صناعته وبضاعته باسلوب ينم عن الفخر بما يمتلكه من هذه الصناعة وما يحسنه من الشعر والكتابة. غير أنه يفخر بنفسه او بقومه في ساحات الوغىٰ والصراع حيث يقول[٤]:

---

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، ص ١٢٥.

٢. عصر الدول والامارات (الجزيرة العربية، العراق، ايران)، ص ٥٩٦.

٣. القطعة ١٥٧ / ١ – ٢.

٤. القطعة ١٨٧ / ١ – ٢.

تـــعاصيهمُ أســـيافُنا فكـــأنَّمـــا يَـــرَيْنَ بـــريئاً مـــن ســـفكن له دمـــا
كـــأنَّ ظـــباها ســـاعة الرَّوع عـــلِّمتْ (ولن تســـتطيع الحـــلْم حـــتىٰ تحـــلَّما)

كما انه يفخر بأخواله وبمذهبه حين يقول[1] :

بـــآمل مـــولدي وبـــنو جـــرير فـــأخوالي ويحكـــي المـــرء خـــاله
فـــغيري رافـــضي عـــن تـــراثٍ وهـــا انـــا رافـــضي عـــن كـــلاله

ويتحدث الخوارزمي عن اخلاقه الشخصية الخاصة ويهدد مخاطبه قائلاً[2] :

إنّك ان كـــــلّفتني مـــــا لم أُطِـــقْ ســـاءك مـــا سرَّكَ مـــني مـــن خُـــلُق

هو اذن يفصح في هذا البيت عن سمة من سمات اخلاقه وهي عدم تحمله ما يزيد على طاقته. ويبدو ان هذه الصفة كانت السبب في هجائه الكثير من ممدوحيه، لان تحمله لهؤلاء الممدوحين لم يدم ولا ندري لماذا؟ ألأن الممدوحين هؤلاء قد كلفوه فوق طاقته فلم يتحملهم!! ام هناك اسباب اخرىٰ.

وهو يتحدث عن اخلاقه ايضاً حيث يقول[3] :

رجـــلٌ يـــوازنُكَ المـــودّةَ جـــاهداً يـــعطي ويـــأخذ مـــنك بـــالميزانِ
فـــاذا رأىٰ رحـــجان حَـــبَّةِ خـــردلٍ مـــالَتْ مـــودَّتُهُ مـــع الرُّجـــحانِ

فهو يعامل الناس على قدر معاملة الناس له واذا ما رأى رحجاناً في معاملة فانه يميل الى ذلك الجانب.

١٠ – اغراض اخرى متفرقة :

وبين ايدينا من شعر الخوارزمي قطع صغيرة تتناول بعض الموضوعات الأخرىٰ ففي باب الشكوى نراه كان يشكو الدهرويذمه ولكنه في قطعة اخرىٰ ينكر هذا الذم ويقول[4] :

وكـــم نكـــنّي وكـــم نهـــجو الليـــالي وليسَ بِخَـــــضْمِنا الا القـــضاءُ

---

١. القطعة ١٧١ / ١ – ٢.
٢. القطعة ١٣٩ / ١.
٣. القطعة ٢٣٨ / ١ – ٢.
٤. القطعة ٨ / ١.

اذن فالقضاء والقدر هو الخصم، وليست الايام والليالي وليس الدهر.

وبين ايدينا قطعة اخرىٰ تفصح عن لغز في شكل مسألة، اذ يقول[١]:

مــــا تـــابع لم يـــتّبع مـتبوعَهُ ... في لفـــظِهِ ومحـــلّه يـاذا الثـبت

مــــاذا بــعلم غــير عــلمٍ نــافعٍ ... بــــالغتَ في اتـــقانه حـتىٰ ثــبت

ومن ملحه قوله[٢]:

فـــهو بــقلٌ وروضــة وجــوارش ... وادمٌ وزادٌ حـــــامل زادِ

ومن قوله في التلفيق بين النيران[٣]:

اعـدَّ الورىٰ للـبرد جُـنداً مـن الصَّـلا ... فـــلاقيتُهُ مـــن بـــينهم بجـنود

ثــلاثٌ مـــن النــيران : نـارُ مـدامـةٍ ... ونـــارُ صـــباباتٍ ونـــارُ وَقــودِ

ومن تشبيهاته المتناسبة مع افكاره قوله[٤]:

ربَّ ليـــــلٍ كـــطلعة النـــاصبيّ ... ذي نجـــومٍ كـــحجة الشـــيعيّ

انه يشبه سواد الليل بجبين الناصبي للظلام الجامع بينهما وعدم وجود الهداية، ويشبه حجة الشيعيّ بالنجوم وسط الظلام بجامع اضاءتها وهدايتها وسط بيئة مظلمة.

وفي مجال الاعتذار يقول الخوارزمي:

ومــا بي فــيك مــن زهـدٍ ولكــن ... أخـــفّفُ عـــنك أعـــباء المــلال

فاعتذاره رقيق، انه ليس بزاهد في زيارة صاحبه ولكنه لا يريد ان يثقل عليه ويريد ان يخفف عنه اعباء الملل منه، اي انه لا يريد كثرة التردد عليه حتىٰ لا يملّه.

هذه نماذج من الاغراض الاخرىٰ التي نظم فيها الخوارزمي.

---

١. القطعة ٤٧ / ١ – ٢.

٢. القطعة ٦٩ / ١.

٣. القطعة ٧١ / ١ – ٢.

٤. القطعة ٢٤٧ / ١.

الخلاصة

والخلاصة ان الشاعر قد طرق اكثر ابواب الشعر المعروفة في القرن الرابع الهجري، الا انه ونتيجة لرغبته الطموحة في الحصول على الجاه والمال يمكن عده من شعراء المديح في القرن الرابع استناداً الى الديوان الذي صنعناه له. كما ان قوله الشعر في اغراض شتىٰ ينبيء عن امكاناته الواسعة وثقافته المتنوعة. ويتساءل الدكتور مصطفىٰ الشكعة قائلاً: هل كان ابو بكر الخوارزمي شاعراً يمكن ان نفسح له مكاناً ما بين شعراء العربية؟ ويجيبُ عن هذا التساؤل قائلاً: ربما كان شاعراً بمقاييس البيئة المكانية والزمانية التي عاش فيها. اما بمقاييس الشعر كفنّ رفيع له معاييره وأبعاده ومقاييسه وأجواؤه، فانه لا يعد من شعراء العربية، وانما هو كاتب لامع استكمل أسباب وجاهة الادب بقول الشعر، ويمكن القول انه كان اكثر استعداداً للشعر واقرب الىٰ طرق بابه من غيره من معاصريه من الكتاب الذين حاولوا الاسهام في قول الشعر بنصيب[1]. ونحن نتفق مع الدكتور الشكعة الى حد ما في الحكم الذي اصدره علىٰ الخوارزمي استناداً الى ملاحظة الكثير من ابياته التي تبدو اقرب الى النظم منه الى الشعر بالمفهوم الحديث للشعر كعمل أدبي يتضمن التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية. اذ اننا نفتقد الكثير من هذه الصور الموحية في شعر الخوارزمي. ومع ذلك فاننا نمتلك العديد من القطع التي يعبر بها الخوارزمي عن تجاربه الشعورية في صورة موحية، ولكن هذه الصور قد لا ترتقي الى المستوىٰ السامي، بل ربما تكون في مستوىٰ متوسط الا القليل النادر من اشعاره.

على اننا يجب ان نقول بان حكمنا هذا لا يمكن ان يكون قاطعاً اذ اننا نفتقد ديوانه الكامل، غير ان اكثر هذه الابيات التي وصلتنا هي مختارات الثعالبي وغيره من شعره، وطبيعي ان تكون المختارات من أحسن شعره، فاذا كانت هذه المختارات أحسن شعره، فان الحكم الذي أصدره الشكعة سيكون صادقاً الى حد كبير.

---

١. بديع الزمان الهمذاني للدكتور مصطفىٰ الشكعة، ص ١٠٤ – ١٠٥.

خصائص شعر الخوارزمي وصفاته

لقد عرضنا نماذج كثيرة من شعر ابي بكر الخوارزمي في اغراض وفنون متعددة، ويمكننا من خلال استعراضها واستعراض الابيات الاخرى الموجودة في الديوان المصنوع له، ان نتبين الخصائص الفنية لشعره وسماته ونستطيع بصورة عامة ان نتحدث عن الخصائص من خلال مدخلين عامين هما : المضمون والشكل.

١ – المضمون :

أ/ التقليد والاتباع : اذا اردنا التعرف على سمات مضامين شعر الخوارزمي فيمكننا القول بصورة عامة – وكما رأينا ذلك فيما سبق – ان الخوارزمي كان مقلداً اكثر منه مبتدعاً او مبتكراً، اذ لا نجد في شعره آثار الابتكار الذي يميزه عن سائر شعراء عصره، بل وجدناه يمدح بالكرم والشجاعة، وتملك ناحية الادب، ونصرة التوحيد والعدل وحسن الشمائل وغيرها من الصفات التقليدية التي استعملها الشعراء الآخرون في مدحهم، ويرثي بما رثىٰ به الشعراء الآخرون، وعلىٰ هذا النحو تغزل ووصف وهجا ...الخ.

ب / الاشارات التاريخية : تظهر في اشعار ابي بكر، كما ظهرت في نثره، اشارات الى حوادث تاريخية وحكايات قديمة، فيتحدث عن حمير وعن بني كنعان فيقول[1] :

قد اغرقتْ املاكَ حمير فأرةٌ وبعوضةٌ قتلتْ بني كنعان

كما يشير الى خفي حنين قائلاً[2] :

ان يكن جاهلاً بخفّي حنين، فهو الخفُّ والزمان حُنينُ

كما يتحدث عن سليك بن السلكة ووقوعه اسيراً في يد الخثعمي[3]، كما يشير في القصيدة نفسها الى باقل وقس[4] والأول كان عييّاً أما الثاني فهو احد فصحاء العرب. كما يذكر بلعم بن باعورا[5]، الذي انزل الله تعالى فيه :

١. القطعة ٢٢٨ / ٣.

٢. القطعة ٢٢٢ / ٢.

٣. القطعة ١٧٧ / ٤.

٤. القطعة السابقة / ٨.

٥. القطعة السابقة / ١٧.

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ وغير ذلك.

ج / التضمين : اشتهر الخوارزمي بكثرة التضمين في قصائده. وقد اورد الثعالبي حوالي ٣٨ تضميناً في قطعه الشعرية وقصائده، واعتبرها رشيقة، انيقة، يضعها في مواضعها، ويوقعها احسن مواقعها، ويُفصح بها عن اتساع روايته وكثرة محفوظاته[1]. وقد أدّى هذا التضمين الكثير نسبياً القاضي ابا الحسن بن عبد العزيز الى القول في شعر ابي بكر[2] :

لو نُفِضَتْ أشعارُهُ نفضةً لانتثَرَتْ تطلبُ أصحابها

وقد اشرنا الى بعض تضميناته خلال الحديث عن شعره واليك بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر :

- ونقطة وشكلة خَدّاها اذا اجتلاها اللحظ انشدناها

«واها لِرَيّا ثم واهاً واها»

والمصراع لابي نجم العجلي.

- متىٰ يروها أهل الصناعة ينشدوا «عجائب حتىٰ ليس فيها عجائب»

والمصراع لابي تمام.

- لو أنَّ حبيباً كان لاقاه لم يَقُلْ «واكثَرُ آمالِ النفوسِ الكواذِبُ»

والمصراع لابي تمام أيضاً.

- فما لقبّوه الشمس الا وقد رَوَوْا «بأنك شمسٌ والملوك كواكبُ»

والمصراع للنابغة الذبياني.

- لِمْ لا اقارضُ ما قد قاله حَسَنٌ «وصلاً بوصلٍ وهجراناً بهجران»

والمصراع الثاني لابي نواس.

- اذا اتىٰ داره الاضياف انشدهم «واخوتي اسوة عندي واخواني»

---

١. اليتيمة ٤ / ٢٤٣ - ٢٥٣؛ اظر علىٰ سبيل المثال تضميناته في القطع : ١١، ١٩، ٢٠، ٢١، ٤٩، ٥٦، ٥٧، ٨٣، ٢٢٤، ٢٤٠.

٢. تتمة اليتيمة، ص ١٧.

والمصراع الثاني لابي تمام.

- وصارخة للزوج كان غناؤها «لها كنية عمرو وليس لها عمرو»

والمصراع الثاني لابي صخر الهذلي.

- اجاب الفضل عنه حاسديه «لامرٍ ما يُسَوَّدُ من يسودُ»

والمصراع الثاني لبلعاء بن قيس الكناني.

ان هذه النماذج وسواها تكشف عن شيوع ظاهرة التضمين في شعر الخوارزمي، وتفصح عن عمق ثقافته الادبية، والمامه باشعار السابقين. ولكن الذي يلفت نظرنا قلة تضمينه لآيّ الذكر الحكيم والاحاديث النبوية الشريفة في اشعاره. ولا ندري أيدل هذا على عدم حفظه للقرآن بقدر حفظه لاشعار العرب أم لا؟!

د / المعاني المبتكرة: للخوارزمي معانٍ مبتكرة لم يسبقه إليها أحد، ومن ذلك قوله في الشيب[1]:

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبا فقد لاح صبحٌ في دجاك عجيب

فقلت لهم كفوا الملام وأقْصِروا فان الكرىٰ عند الصباح يَطيبُ

وقد علّق ابو هلال العسكري على هذين البيتين بقوله: «وهذا معنى مليحٌ أظنّه ما سُبق اليه[2]» كما ان بعض ما قاله قد اخذه منه بعض الشعراء. فمن ذلك قوله[3]:

ولقد ذكرتك والنجوم كأنّها درٌّ على ارضٍ من الفيروزج

يلمعن من خلل السحاب كأنّها شررٌ تطاير في دخان العرفج

وقد اخذ السهيلي[4] هذا المعنىٰ فقال في وصف النجوم[5]:

فالشهب تلمع في الظلام كأنّها شرر تطاير من دُخان النارِ

---

١. القطعة ٣٢ / ١ - ٢. ٢. ديوان المعاني، ١ / ١٥٦ - ١٥٧.

٣. القطعة ٤٨ / ١ - ٢.

٤. ابو الحسين احمد بن محمد السهيلي الخوارزمي (ت ٤١٨ هـ)، راجع معجم الادباء (ط دار احياء التراث العربي) ٥ / ٣١. ٥. معجم الادباء ٥ / ٣٢ - ٣٣.

فكـــأنّهـــا فـــوق السماءِ بـــنادق الـ ـ كـــافور فـــوق صـــلاية العـــطار

وقال الخوارزمي[١] :

أراك اذا أيـــسرت خـــيّمت عـــندنا ـ مـــقيماً وان اعـــسرت زرت لمـــاما

فـــا أنت الا البـــدر ان قـــلّ ضـــوؤه ـ أغبَّ وان زاد الضـــــياء أقـــاما

وقد أخذ الطغرائي هذا المعنىٰ فقال[٢] :

ســـأحجب عـــني أسرتي عـــند عـــسرتي ـ وأبـــــرز فـــيهم ان اصـــبت ثـــراءَ

ولي أســـــوة بـــالبدر يـــنفق نـــوره ـ فـــيخفى الى ان يســـــتجدّ ضـــياءَ

هـ/ السرقات الادبية : يرىٰ ابن طباطبا ان الشاعر اذا تناول المعاني التي قد سُبق اليهـا فابرزها في احسن من الكسوة التي عليها، لم يعب بل وجب له فضل لطفه واحسانه فـيه[٣]. ويرىٰ الجرجاني ان التشبيهات المتداولة المعروفة المشهورة كتشبيه الحُسن بالشمس وبالبدر وتشبيه الفرس بالقوة ووصف البرق بخطف الابصار وسرعة اللمح وانه كالقبس من النـار، وتشبيه الفتاة بالغزال في جيدها وعينيها وامثالها، فمتىٰ جاءت السرقة هذا المجيء لم تعد مـن المعايب ولم تحص في جملة المثالب[٤]. أما الآمدي فانه يذكر ان من ادركه من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساويء الشعراء وخاصة المتأخرين. اذكان هذا باباً ما تعرّىٰ منه متقدم ولا متأخر[٥]. اما قدامة بن جعفر فيقول «ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني بما تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكـن عـليهم اذا اخـذوها ان يكسوها الفاظاً من عندهم ويبرزوها في معارض من تأليفهم ويـوردوها في غـير حـليتها الاولىٰ.. فاذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق اليها[٦].»

ومما سبق يمكن القول ان اخذ الشاعر لمعاني جاءت عند شاعر آخر لا يعدّ عيباً وان كانت

---

١. القطعة ٢٠١ / ١ – ٢. ٢. ديوان الطغرائي، ص ٤١.

٣. عيار الشعر، لابن طباطبا، ص ٧٧.

٤. الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، ص ١٨٨.

٥. الموازنة بين ابي تمام والبحتري للآمدي، ص ٢٧٣.

٦. نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع الهجري، ص ٣٣٦.

تسمىٰ اصطلاحاً بالسرقات الادبية، وهي تدل من جهة اخرىٰ على سعة اطلاع الشاعر علىٰ المعاني الواردة لدى شعراء آخرين :

فما قاله ابو بكر وأخذه من غيره قوله[1] :

أتحصدُ ايديكم ويزرعُ غيركُم ... فانتم جرادٌ والملوك سحائب

وقد اخذه من قول ابن عيينة :

ابوكَ لنا غيثٌ نعيش بظلّه ... وأنتَ جرادٌ لست تبقي ولا تذرُ

ومما قاله ابو بكر ايضاً[2] :

فديتُكَ ما بدا لي قصد حرٍّ ... سواك من الورىٰ إلا بدا لي

وانّك منهمُ وكذاك أيضاً ... من الماء الفرائد واللآلي

وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ ... ـحجارة والزمُرُّد في الجبالِ

وقد أخذ عن بيتي ابي الطيب المتنبي وهما قريب من قريب :

فان تفق الانام وانت منهم ... فان المسك بعض دم الغزال

وكذلك :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرّغامُ

ومما قاله الخوارزمي أيضاً[3] :

قد ظلمناك بحسن الـ ... ـظنّ يا بعضَ الأنامِ

وقد أخذه من ابي الطيب المتنبي في قوله[4] :

---

١. القطعة ٢٥ / ٧؛ اليتيمة ٤ / ٢٦٩.
٢. القطعة ١٥٨ / ١ - ٣؛ اليتيمة ١ / ١٦٢.
٣. القطعة ٢٠٢ / ١.
٤. اليتيمة ١ / ١٦٣. وينقل صاحب اليتيمة ان الخوارزمي كتب يقول : وكيف امدح الامير بخلق ضنّ به الهواء وامتلأت من ذكره الارض والسماء وأبصره الاعمىٰ بلا عين وسمعه الاصمّ بلا أذن، وهو مأخوذ من نظم ابي الطيب :

←

وصرتُ أشكّ فـــيمن أصـــطفيه لعـــلمي أنّــهُ بـــعضُ الأنــام

وقول الخوارزمي في مدحه البلعمي[١] :

تُهـــنأ بـــالامير هـــراةُ اذ قــد عـــلا عـــن أن يهـــنّأ عـــن هـــواهـا

وكـــيف تهـــنّأ الدنـــيا جميعاً بـــناحية مـــن الدنـــيا احـــتواهـا

والبيت الاول أخذه من أبي الشيص[٢] في الفضل بن يحيىٰ البرمكي حيث قال :

لا أهـــنيك بـــطوسٍ بـــل اهـــني بك طـــوسا

والثاني من قول المتنبي لكافور[٣] :

وأنـــا مـــنكَ لا يهـــنّيء عـــضوٌ بـــالمسرّات ســـائِر الاعـــضاء

وقول الخوارزمي[٤] :

لا تـــيأسن مـــن حـــبيب اذا تـــوعّر خـــلقه

فكـــلّما صـــلب الخـــبز كـــان سهـــلاً مـــدقّه

وقد نظر فيها الى قول بشار بن برد[٥] :

لا يـــؤيسنّك مـــن مخـــدرة قـــول تـــغلظه وان جـــرحـا

→

تـــنشد اثـــوابـــنا مـــدائـــحه بـــألسنٍ مـــا لهـــنّ أفـــواه

اذا مـــــررنا عـــلىٰ الاصمّ بهـــا أغـــنته عـــن مســـمعيه عـــيناه

كما كتب الخوارزمي في احدى رسائله : ولقد تساوت الألسن حتىٰ حسد الابكم وأفسد الشعر حتىٰ أحمد الصمم.

وهو قول المتنبي :

ولا تـــبال بشـــعر بـــعد شـــاعره قـــد أفسد القـــول حـــتىٰ أحمدَ الصممُ.

راجع اليتيمة ١ / ١٥٨. ١. القطعة ١٣ / ١ – ٢.

٢. واسمه محمد بن عبد الله بن رزين وهو ابن عم دعبل بن علي ابن رزين الشاعر (الشعر والشعراءلابنقتيبةص ٥٣٥).

٣. ديوان ابي الطيب المتنبي : عبد الوهاب عزّام، ص ٣٥٦.

٤. القطعة ١٣٤ / ١ – ٢. ٥. العصر العباسي الاول للدكتور شوقي ضيف، ص ٢١٨.

عسر النساء الى مياسرة والصعب يسهل بعدما جمحا

وقول الخوارزمي[١] :

ضنيتُ فلو أدخلتُ في حلق بقّةٍ خريفية من دقّتي لم تغص بي

نظر فيه الى قول المتنبي[٢] :

فلو قلمٌ ألقيتُ في شَقِّ رأسِهِ من السُّقمِ ما غيّرتُ مِنْ خطِّ كاتبِ

و / التراوح بين السطحية والعمق في المضمون الشعري : من يقرأ ابيات الخوارزمي يجد انها تتراوح بين السطحية والعمق. فمن يقرأ رثاءه في ابي سعيد الشبيبي[٣] يدرك مدى عمق المعاني في ذلك الرثاء. اما مديحه في عضد الدولة[٤] فهو سطحي المضمون. وهاتان الحالتان نشاهدها في الكثير من مقطوعات الخوارزمي.

ز / غلبة الذاتية : وتغلب الذاتية على افكار ابي بكر في اشعاره. اذ لا نراه يعالج قضية تخص مجتمعه او طائفته او قضية اسلامية خطيرة تتعلق بالروم وغزوهم ثغور الاسلام الى غير ذلك من القضايا الاجتماعية والسياسية. وقد نجد بعض ابيات الحكمة لديه يعالج فيها الخوارزمي قضايا عامة. اما اغلب مقطوعاته فيغلب عليها طابع الشخصية والذاتية.

ح / فتور العاطفة : لا نلحظ حرارة العاطفة في مقطوعات ابي بكر الا نادراً، فالابيات في الاعم الاغلب تتميز بفتور العاطفة، شأنه في ذلك شأن شعراء ذلك الاقليم الذي عاشه والعصر الذي عاصره، ولعل سبب ذلك يرجع الى غلبة الاتجاه العقلي عليهم.

ط / المبالغة الممقوتة : لقد جنح الخوارزمي في بعض اشعاره الى المبالغة الممقوتة كقوله في الصاحب بن عباد[٥] :

وأنت امرؤ اعطيت ما لو سألته الهك قال الناس اسرفت سائلاً

وقوله في رثاء ابن العميد[٦] :

---

١. القطعة ٤٢ / ١.

٢. ديوان ابي الطيب المتنبي، ص ١٨٩.

٣. القطعة ٥٨ / ١ – ٣٦.

٤. القطعة ١٥٤ / ١ – ٥.

٥. القطعة : ١٥٦ / ١٤.

٦. القطعة : ٨٦ / ١٤.

اهــــوىٰ القــيامةَ لا لشيء غــير أن ألقـــاكَ فـــيها والأنـــامُ حــضورُ

ي/ الخيال في شعره : ليس خيال الخوارزمي خيالاً محلقاً ولامبدعاً في اكـثر الاحـيان، ويمكن ان نتلمس ذلك في تشبيهاته واستعاراته وكناياته.

فمن تشبيهاته قوله[1] :

امــا تــرىٰ الزعـفران الغـض تحسـبُهُ جـمــراً بـدا في رمـاد الفـحم مـضطرما

كـأنّــه بـين اطــرافٍ تحــفّ بــه طــرائــق الدم في خَـدَّيْنِ قــد لطــما

وقوله أيضاً[2] :

وصـــفراء كـالدينار نــبت ثــلاثةٍ شمال وأنهـــار ودهــر محــرّمِ

وقوله أيضاً[3] :

نهــضنا اليهــا والظــلام كـأنّــه مــعاشُ فـقيرٍ او فـؤاد مـعلّم

وفي تشبيهاته ايضاً قوله[4] :

وكـــنت سماءً والعــجاجُ سـحائبا وخَـيْلكَ أبــراجــاً وجـيشك أنجــما

وقوله ايضاً[5] :

ربّ ليـــل كــطلعة النـــاصبيّ ذي نجــومٍ كــحجّة الشــيعيّ

وقوله ايضاً[6] :

بخـــور مـــثلُ انـفاسِ الحـبيبِ وطـــيبٌ قــد أخــلَّ بكــل طـيبِ

وقوله ايضاً[7] :

أمـــا تـــرىٰ الشـــمس بَـدَتْ كــــأنها تــــرسُ ذَهَبْ

---

١. القطعة : ٢١٩ / ١ – ٢.
٢. القطعة ٢٠٠ / ١.
٣. القطعة ٢٠٠ / ٦.
٤. القطعة ١٩٢ / ١.
٥. القطعة ٢٤٧ / ١.
٦. القطعة ٣١ / ١.
٧. القطعة ٣٤ / ١.

وقوله ايضاً[١] :

انــــا في مـــــقاساة حـــر الشَّـــوقِ كـــما اعـــتاد محـــموماً بخـــير صـــالبُ
وفي تــــــذكّر عــــــهد الاجــــتماعِ كما اهتزَّ مـن صرفِ المـدامـةِ شـاربُ

وقوله ايضاً[٢] :

أراكَ اذا أيـــــسرت خـــيّمت عـــندنا مـــــقيماً وان اعـــــسرت زُرْتَ لمـــاما
فـــا انت الا البـــدرُ إن قـــلّ ضـــوؤه أغبَّ وان زاد الضـــــــياء أقـــاما

وقد علّق الامام عبد القاهر الجرجاني على هذين البيتين بقوله : «المعنى لطيف، وان كانت العبارة لم تساعده «الخوارزمي» على الوجه الذي يجب، فان الإغباب ان يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه، وانّما يصلح لان يراد ان القمر اذا نقص نوره، لم يوال الطلوع كل ليلة، بل يظهر في بعض الليالي، ويمتنع من الظهور في بعض. وليس الامر كذلك، لانه على نقصانه يظهر كل ليلة[٣].»

وهكذا نلاحظ من هذه النماذج التي سقناها واخرىٰ غيرها[٤]، ان تشبيهاته بسيطة قريبة لا تحتاج الى براعة وجهد ادبي للعثور عليها، كما ان الخيال فيها محدود او معدوم. ونحن نعلم ان بلاغة التشبيه تنشأ من الانتقال من الشيء نفسه الى شيء طريف يشبههُ في صورة بارعة تمثله، وكلما كان هذا الانتقال بعيداً قليل الخطورة بالبال، أو ممتزجاً بقليل او كثير من الخيال، كان التشبيه اروع للنفس وأدعىٰ الى اعجابها واهتزازها[٥].

اما فيما يخص استعاراته، فمنها على سبيل المثال قوله[٦] :

أُعـــــزّيكُمُ أم أعـــــزّي النـــــدىٰ فـــــــا هـــــو دونكـــــمُ في الألم

وقوله ايضاً[٧] :

---

١. القطعة ٤١ / ١ – ٢.
٢. القطعة ٢٠١ / ١ – ٢.
٣. اسرار البلاغة للجرجاني، ص ١١٦.
٤. انظر على سبيل المثال القطع : ٤٣، ٤٨، ٥٠، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨٨، ٢٤٥.
٥. البلاغة العربية في ثوبها الجديد، الدكتور بكري شيخ أمين، ٢ / ٦٥.
٦. القطعة ٢١٢ / ١.
٧. القطعة ٧٨ / ١ – ٣.

وكـــنت اذا نهـــدتَ لغـــزو قـــومٍ وأوجـــبتِ الســـياسةُ أن يَـــبيدوا

تـــبرأت الحـــياةُ اليكَ مـــنهم وجـــاء اليكَ يـــعتذر الحـــديدُ

وطـــلّقت الجـــماجمُ كـــلَّ قِـــحْفٍ وأنكـــرَ صـــحبةَ العـــنقِ الوريـــدُ

وقوله ايضاً[١] :

جـادَ الغـمامُ بـدمعٍ كـاللجين جـرىٰ فـجد لنـا بـالتي في اللـونِ كـالذهب

وقوله ايضاً[٢] :

وقالوا أفِقْ مـن سكـرةِ اللـهو والصّبا فـقد لاح صـبحٌ في دجـاك عـجيبُ

وقوله ايضاً[٣] :

وكـم ليـلةٍ لا أُعـلمُ الدهـر طـيبَها مخـافَةَ ان يـقتصَّ مـنّي لهـا الدهـرُ

وقوله ايضاً[٤] :

وقـــال للـــعلم والآدابِ لا تَـــرِدا الّا عـــليَّ فـــا فـــاها بـــلا وَلَمِ

أما فيما يخص كناياته، فمنها على سبيل المثال قوله[٥] :

طـــويل القـــناة، قـــصير العـــداتِ ذمـــيم العـــداة، حـــميدُ الشّـــيم

فـــصيح اللســـان بـــديع البـــيان رفـــيع الســـنان، سريـــع القـــلم

وطويل القناة : كناية عن قوته وقدرته، كما كنى في السطر الثاني عن الظفر في الحروب وعن نفاذ أوامره.

هذه ابرز خصائص المضمون الشعري لدى الخوارزمي.

٢ – الشكل :

اما المدخل الثاني للحديث عن خصائص شعر الخوارزمي وسماته، فهو الشكل. وفي هذا المدخل سنحاول الأخذ بنظر الاعتبار الموضوعات الآتية :

---

١. القطعة ٢٩ / ١.
٢. القطعة ٣٢ / ١.
٣. القطعة ٨٢ / ١.
٤. القطعة ٢١٣ / ٩. وانظر كذلك القطع : ٣٥، ٨٨، ٢٠٤، ٢٤٦.
٥. القطعة ١٩٣ / ٤.

أ/ بناء القصيدة.

ب / الألفاظ والاساليب.

ج / المحسنات البديعية.

د / الاوزان والقوافي.

أ/ أما عن بناء القصيدة: فان ما بين ايدينا من اشعاره مختارات وليست بقصائد كاملة ـ كما اشرنا من قبل ـ، ومع هذا يمكننا ان نقول: ان الشاعر قد جمع ـ في الغالب ـ بين اكثر من موضوع في القصيدة الواحدة. فمثلاً وجدناه يمزج بين المديح والهجاء، وبين مديح الصاحب بن عباد ووصف الحمىٰ، وبين المديح والرثاء، وبين الغزل والوصف[1].

والخوارزمي لا يميل الى استهلال قصائده بالاطلال فهو يقول في قصيدة يمدح الصاحب بن عباد[2]:

يا تاركي منشداً من ظل يحسدني　　　ليس الوقوف على الاطلال من شاني

والملاحظة الاولىٰ التي نلاحظها مما بين ايدينا من أشعاره هي شيوع المقطوعة الشعرية، وهذا لا يعني ان الخوارزمي كان قصير النفس، لان هذه المقطوعات هي مختارات ـ كما اشرنا إلىٰ ذلك مراراً ـ وكما اشار الثعالبي وغيره حين عرضهم لهذه المقطوعات، اذ قدموا لها في اغلب الاحيان بقولهم: «وله من قصيدة» او «وله من اخرىٰ» او وله من «صاحبية» او «وله من عضدية» او «انشدني ابو بكر لنفسه من قصيدة» او «وله في التلفيق بين ...» او «قال من قصيدة» وهكذا.

ب / أما فيما يخص ألفاظه وأساليبه: فان ألفاظ ابي بكر تميل الى السهولة والعذوبة في أغلب الاحيان. وفي النماذج التي عرضناها بالاضافة الى ماهو موجود في ديوانه المصنوع له دليل واضح على ذلك. كما ان الخوارزمي قد استخدم بعض الالفاظ المستهجنة، ويبدو ان استخدامها

---

١. راجع على سبيل المثال القطع: ١١، ١٦، ٢٥، ١٨٥.

٢. القطعة ٢٢٤ / ٥.

كان أمراً مألوفاً جداً في القرن الرابع الهجري، فالمستقرىء لليتيمة يجدها شائعة على المستويات كافة في البيئات الأدبية المشهورة آنذاك.

كما استخدم الشاعر بعض المصطلحات العلمية، لا سيما المصطلحات الفقهية، ومن نماذج ذلك قوله في مدح الصاحب[١]:

طـلّقتُ بـعدَكَ مـدحَ النـاسِ كُـلِّهِمُ ... فـإنْ أُراجـعْ فـأنّي مُحْـصَنٌ زاني

وقوله في مدح آل بويه[٢]:

تحـبُّهُمُ البـلدانُ فـهي نـواشِـزٌ ... عـلىٰ كـلِّ زَوجٍ بـعدَهَم أو محـارِمِ

واستخدم الشاعر أيضاً احد المصطلحات العروضية في قوله[٣]:

وهـم خـالفوني وأوطـأوا في صـلاتِهم ... فـصنتُ عـن الايـطاءِ شعريَ فـيهِمِ

واستخدم احد الاوزان العروضية في قوله[٤]:

وعشتُ ونـاقِصٌ رزقي فـأضحىٰ ... مُـفاعلتن مـفاعلتن فَـعُولُ

واستخدم الخوارزمي في اشعاره بعض الالفاظ الاعجمية والمعربة. ومن ذلك قوله[٥]:

غـدونا شـطَّ نهـر الهـند مـنذ ... سكـارى آخـذي بـاالدَّشـتَبَنْدِ

وراحٌ، قـهوةٌ، صـفراءُ، صرفٌ ... شمـولٌ، قـرقفٌ مـن جَـهْنَبَنْدِ

وسـاقٍ شـبهُ ديـنارٍ أتـانا ... يـديرُ الكـأسَ فـينا كـالدُّرَنْدِ

فـلمّا دبَّ كـسرُ الّـليلِ فـينا ... واصـبحنا بحـال خـردمندِ

---

١. القطعة ٢٢٤ / ٦. ٢. القطعة ١٨٣ / ٤.

٣. القطعة ٢٠٨ / ٢؛ والايطاء: هو تكرار كلمة الرويّ بلفظها ومعناها من غير فاصل أقلّه سبعة ابيات، وكلّما قل الفاصل زاد الايطاء قبحاً، وهو مأخوذ من «المواطاة» التي تعني الموافقة. راجع المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر للدكتور إميل بديع يعقوب، ص ٣٦٨ - ٣٧١.

٤. القطعة ١٥٤ / ٤؛ وقد اشار في مصراعه الثاني الىٰ رزقه الوافر باستخدامه البحر الوافر.

٥. القطعة ٧٥ / ١ - ٦.

متىٰ تدنو بمقبلته تلكّأ ويلقي نفسه كالدَّردمندِ
وهذا شعر مزّاحٍ ظريف يحاكي أنَّه چند بن چندِ

وقوله ايضاً[١]:

حسدتُ عليها ناظري اذ تحلّه كما تحسد الافلاكُ نعل فناخسرو

وقوله ايضاً[٢]:

قد قلتُ اذ قيل اسماعيل ممتدح له من الناس بخت غير وسنان

وقوله ايضاً[٣]:

تغايرت البلاد علىٰ يديهِ وزاحمت الجرومَ به الصرودُ

فالجروم والصرود كلمتان معربتان تدلان على البلاد الحارة والباردة.

ونشاهد الخوارزمي يتلاعب في الالفاظ في بعض قطعه ومن ذلك قوله[٤]:

وقال انا المليك فقلت حقاً بقلب اللام نوناً في الهجاء

وقوله ايضاً[٥]:

خليلي عهدي بالليالي صوافيا فما بالها أبدلن جيماً بصادها

ومن نماذج ذلك أيضاً[٦]:

بسمت فأبدت جيدها فتكشفت عن نظم درٍّ تحت نظم لآلي
وأرتْكَ خدّيها ولاح عليهما صدغان ذو خال وآخر خالي
فكأنّ ذا ذال خَلَتْ من نقطةٍ وكأنّ ذا دال ونقطة ذال

---

١. القطعة ٨٢ / ٦.

٢. القطعة ٢٢٤ / ١٤، وكلمة «بخت» معربة وهي الجَدُّ و«المبخوت» المجدود وبعضهم يقول: هو عربي راجع الصحاح للجوهري، ١ / ٢٤٣.

٣. القطعة ٧٣ / ١.

٤. القطعة ١ / ١.

٥. القطعة ٥٤ / ١.

٦. القطعة ١٤٧ / ١ – ٣.

وقوله ايضاً في هجاء طاهر السجزي[١]:

ألا يــــا ســـــائلي بـــأبي حســـينٍ وفي التــــجريب عــــلم مســـتفادُ
هـــــو ابــــن سميِّهِ والطــــاء عـــينٌ وشــــبه كـــنيّه والســـين صـــادُ

فهو يقصد بقوله «والطاء عين» أنه ابن «عاهر» وبقوله «والسين صاد» أنه «ابو حصين» وهي كنية الثعلب الذي هو مضرب المثل في المكر.

ج / وأما اساليب الخوارزمي في شعره، فهي قوية السبك، وقد وشيت بالمحسنات البديعية. وهذه الظاهرة من الظواهر التي تستوقفنا قليلاً لانها تعد من ابرز الظواهر الشكلية والمضمونية التي غلبت على شعر القرن الرابع بصورة عامة وعلى شعر الخوارزمي بصورة خاصة.

فالزخرفة البديعية بألوانها المتعددة واشكالها المتنوعة من جناس وطباق ومقابلة واقتباس وتضمين، ومراعاة نظير وحسن تقسيم وما الى ذلك من ألوان البديع التي تعرض لها شعراء العهود السابقة بقصد او دون قصد[٢]، قد خلبت ألباب شعراء هذا القرن، ودون ان يفلت منها شاعر الا ما ندر، وصاروا يوشون بها أشعارهم وكأنَّ الشعر من دونها لا جمال له ولا ابداع، وكأنَّ هذه الزركشة غدت بالنسبة لهم ضرباً من ضروب الرياضة العقلية ولوناً من ألوان التسابق الذهني والفكري، ومظهراً من مظاهر الترف الحضاري.

ويبدو ان البلاد التيخضعت لحكام فرس في القرن الرابع كان نصيبها من هذه الألوان وولعها بهذه الحلي البديعية، وبصفة خاصة بيئة الصاحب بن عباد في فارس والجبل، اكثر من نصيب البيئات الشعرية الاخرىٰ. وقد ظهر حرص شعراء تلك البلاد وعنايتهم الفائقة، وكلفهم الشديد بالصيغة البديعية بوضوح فيما ذكره لهم الثعالبي وحفظه في يتيمته، فمن يطلع على ما نظمه شعراؤها يتبين له من اول وهلة بأن شغل هؤلاء القوم كان منصباً على اخراج شعرهم في ثوب مطرز ومزخرف بحلي البديع.

وقد عزا كلٌ من الاستاذ احمد أمين والدكتور شوقي ضيف هذا الاهتمام، وهذا الكلف بالمحسنات البديعية التي وصل فيها شعراء البيئة العجمية فيبعض الاحيان الى حد الاسراف

١. القطعة ٦٢ / ١ – ٢.

٢. الفن ومذاهبه في الشعر للدكتور شوقي ضيف، ص ١٧٤ – ١٧٥.

والافراط، الى تأنقهم في حياتهم وأساليب عيشهم[1].

غير ان محمود غناوي الزهيري، الذي تحدث عن عناية هذه البيئة بألوان البديع، رفض ما ذهب اليه الباحثان السابقان رفضاً قاطعاً، وفسّر سبب هذه المظاهر تفسيراً مخالفاً. فقال: «لا أظن الأمر كذلك، إذ ان الفرق كبير بين تأنق الانسان في معيشته وتأنقه في اسلوبه الادبي، فهو اذا تأنّق في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه واسرف في تأنّقه، لا يتكلّف مشقة ولا جهداً، لانه يعتمد في ذلك على غيره، يعتمد على هؤلاء الخدم والحشم والأعوان، ثم على هذا المال المكدّس في خزائنه، ولكنه اذا أراد ان يتأنق في اسلوبه الادبي، فالامر على العكس من ذلك تماماً، إذ أنه في هذه الحالة، يحتاج الى تكلّف عناء الحفظ والدرس والاطلاع، ثم هو محتاج بعد ذلك الى كد الذهن واجهاد الخاطر ليجتلب الفاظاً تتشابه اواخرها او تتفق حروفها وتختلف معانيها، او تختلف حروفها وتتضاد معانيها لتحقق له هذه المحسنات البديعية[2].»

ويرى الزهيري ان سبب هذه الظاهرة يعود الى طبيعة الشعب الفارسي، اي الى ذوقه الفني الذي يكلف بالزخرفة كلفاً شديداً[3]، فهذا الشعب معروف بأنه «فنّان ذو غريزة زخرفية قوية[4].» يمكن تلمسها بوضوح في ما انتجه من ضروب الفن.

ونرى ان ما ذكره كل من احمد امين وشوقي ضيف والزهيري له دوره في التأثير على الادب في القرن الرابع. ومن اكثر المحسنات البديعية التي نراها عالقة بشعر الخوارزمي، الجناس والطباق. فعناية الشاعر بها عناية كبيرة تفوق عنايته بالمحسنات الاخرىٰ، وقلّما نجد قصيدة او مقطوعة شعرية ـ وخاصة اذا كانت تتعلق بشخصية رسمية ـ قد خلت من هاتين المحسنتين او من إحداهما.

وحول استخدام الشاعر الطباق في شعره نرى على سبيل المثال قوله[5]:

اذا اضحىٰ فموعده مساء ... وان أمسىٰ فموعده ضحاء

---

١. ظهر الاسلام لاحمد امين، ٣/ ١٣٣؛ الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف، ص ١٧٢ – ١٧٤.

٢. الادب في ظل بني بويه، ص ٢٩٨ – ٢٩٩.

٣. المصدر السابق نفسه، ص ٢٩٩.

٤. الفنون الايرانية في العصر الاسلامي، الدكتور زكي محمد حسن، ص ٣٣٤.

٥. القطعة ٧/ ١.

فهذا بيت واحد استخدم الطباق فيه بين «اضحى وأمسىٰ» وبين «مساء وضحاء».
وقوله ايضاً[١]:

هو الضيفُ إن يسبِقْ فعيش مكدّرٌ عليَّ وإن يُسبق فموت مقدّر

فقد استخدم الشاعر الطباق في «عيش وموت» واستخدم الجناس في «يسبِق ويُسبَق» و«مكدّر ومقدّر».
وقوله ايضاً:

من اسخط الدرهم ارضى اللهَ ومن أزال المال صانَ الجاها

فقد استخدم الشاعر الطباق في «اسخط وارضىٰ» وفي «أزال وصان». ونرىٰ ان الكلمتين في الطباق الثاني لا تتقابل، فليست كلمة «صان» تقابل كلمة «ازال»، بل ان كلمة «ابقىٰ» يمكن ان تقابل «أزال» وهذه سمة اخرى من سمات القرن الرابع الهجري. ويرى الدكتور شوقي ضيف انه يحسن ان يُعطي امثال هذه الطباقات وصفاً جديداً يميزها. انه يسميها «طباقات باهتة» فالكلمات لا تتطابق، ويحسّ الانسان كأن اللون غائب عنه لا يراه، فهو لون باهت ليس كلون الطباق الزاهي الذي نراه مثلاً عند ابي تمام[٢].
وقوله ايضاً[٣]:

من يعمر يفجع بموت الاخلا ء، ومن مات فالمصيبة فيه

فهو يطابق بين «يعمر ومات».
وقوله ايضاً[٤]:

مائية الحركات إلا أنها نارية الاقدام والإلهاب

فالطباق بين «مائية» و«نارية».
وقوله ايضاً[٥]:

---

١. القطعة ٩٥ / ٢.
٢. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص ٢٨٣.
٣. القطعة ٢٥١ / ٢.
٤. القطعة ٣٣ / ١١.
٥. القطعة ٥٥ / ٤.

ولي فـــؤاد مـــذ صرتُ افـــقدُهُ   لم أنـــتفع بـــعدَهُ بمـــا أجـــدُ

فالطباق بين «افقد» و«أجد».

وقوله ايضاً[١]:

تـــغايرت البـــلاد عـــلى يـــديه   وزاحمت الجـــرومَ بـــه الصرودُ

فالطباق بين «الجروم» و«الصرود»

وقوله ايضاً[٢]:

نـــبيذك ذا حـــلوٌ ووجـــهك حـامض   ومـــاؤك ذا ســـخن وفـــعلك بـــارد

فالطباق في «سخن» و«بارد» والطباق الباهت في «حلو» و«حامض».

وحول استخدام الخوارزمي الجناس بكثرة في اشعاره، قوله على سبيل المثال[٣]:

فـــالعلم اصـــبح في الورى عـــلماً   والشـــعر أمـــسىٰ يسكـــن الشـــعرىٰ

فالجناس في «العِلم» و«عَلَم» وفي «الشّعر» و«الشعرىٰ».

وقوله ايضاً[٤]:

واصـــبح في الصـــعيد ابـــو ســـعيد   ألا إنّ الصـــعيدَ بـــه ســـعيدُ

وقوله ايضاً[٥]:

عـــدوى البـــليد الى الجـــليد سريـعةٌ   والجـــمرُ يـــوضَعُ في الرمـــاد فـيخمُدُ

وقوله ايضاً[٦]:

غـــصبتْ جـــذيمة نـــفسَهُ امـــرأةٌ   فـــاصطيد ذاك الحـــرُّ بـــالحِرِّ

وقوله ايضاً[٧]:

---

١. القطعة ٧٣ / ١.

٢. القطعة ٦١ / ٢، وللمزيد راجع على سبيل المثال القطع: ٢١، ٢٥، ٥٨، ٨٤، ٨٧، ٩٧، ١٩٦، ١٩٧ وغيرها كثير.

٣. القطعة ١٥ / ٣.

٤. القطعة ٥٨ / ٣.

٥. القطعة ٦٣ / ٢.

٦. القطعة ٩٠ / ٤.

٧. القطعة ٩١ / ٢.

غـدوت بـالبدرةِ فـارجـع بهـا لست أبـيع البـدرَ بـالبَدره

وقوله ايضاً[١]

صـاحبنا أحـواله عـماليّهْ لكـنّا غـرفتُهُ خـاليَهْ

كما استخدم الخوارزمي الالغاز في أشعاره، ومنها على سبيل المثال قوله[٢] :

ابـو زيـد فـتىً حـرٌّ ولكـن لنـا في أمـر ذاك الحـرِّ ظـنَّه

أراه يشـتري الغـلمان سـوداً عـفاريتاً فـيوهمني بـأنّه

اي انه معروف بهذه الخلة، فقطع واستغنىٰ عن ذكر ما ألغز.

وقوله ايضاً[٣] :

ابـو بكـر هـو اللـوطي حـقاً ولكـن ربمـا لحـقته ظـنّه

أراه يـبتغي الغـلمان سـوداً عـفاريتاً فـيوهمني بـأنّه

اما فيما يخص الاقتباس والتضمين فقد اشرنا اليه آنفاً عند الحديث عن المضمون، ونشاهد الخوارزمي احياناً يأخذ نفسه بالتزام حروف وحركات في القافية لا تتطلبها قواعد علم القافية، وانما يفعل ذلك لزيادة الايقاع الموسيقي وللدلالة على مهارته اللغوية[٤]. ومن ذلك قصيدته التي فيها يقول[٥] :

المـلك عـندي مـتعة الشـباب والعـزل عـندي فـرقة الاحـباب

ومن الجدير بالذكر ان الخوارزمي في استعماله للمحسنات البديعية في شعره، اقل من استعماله لها في نثره كما مر بنا سابقاً.

د / اما فيما يتعلق بالاوزان والقوافي، فلم نجد الخوارزمي قد استعمل شيئاً من الاوزان الخارجة عن البحور الستة عشر المعروفة. كما انه التزم بنظام القافية الواحدة.

---

١. القطعة ٢٥٠ / ١، وراجع ايضاً على سبيل المثال القطع : ٧٢، ٥٢، ٥٦، ٤٩، ٢٢٩ وغيرها.

٢. القطعة ٢٢٥ / ١ - ٢.

٣. القطعة ٢٤٢ / ١ - ٢.

٤. المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص ٣٨٨.

٥. القطعة ١٢٨ / ١ - ١٣.

هذه هي أهم الخصائص الفنية لشعر الخوارزمي وقد اتضح من خلالها مدى تقليده لشعراء المشرق، ولعل مرد ذلك كان رغبته في تأكيد ذاته بالاضافة الى ان أحداث حياته فرضت عليه مَجيء شعره علىٰ الصورة التي عرضناها في اغراضه وخصائصه.

والخوارزمي لم يتخلف عن شعراء عصره في تناوله معظم اغراض وفنون الشعر التي كانت سائدة في عصره، كما انه كان شاعراً تقليدياً لم يبتدع شيئاً في بناء القصيدة أو اغـراضهـا أو أساليبها ولكن حكمنا عليه سيظل ناقصاً لاننا لا نمتلك سوى قطعات شعرية له وليست قصائد كاملة.




الخاتمة



الخوارزمي ابو بكر محمد بن العباس (ت ٣٨٣ هـ) شاعر وكاتب وعالم، ذاع صيته، وانتشر اسمه، وقلما غفل عنه كتاب او بحث يدرس الحياة الادبية ويؤرخ لها في فترة العصر العباسي الثالث، او ما يطلق البعض عليه اسم عصر «الدول والامارات» وبخاصة في فترة القرن الرابع الهجري الذي يعد العصر الذهبي للحضارة الاسلامية. غير ان الدراسات المستقلة عنه لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة. تتصف غالباً بالوصفية والسطحية اكثر من كونها تحليلية تفسيرية. وهذه القلة لا تتناسب أبداً مع شهرة الرجل وامكاناته الادبية في مجالي النظم والنثر، لذلك جاءت هذه الدراسة لتساهم في سد بعضٍ من هذا النقص تجاه هذا الرجل الاديب وبخاصة في مجال الشعر.

لقد قسّمت هذا الكتاب الى فصول ثلاثة اضافة الىٰ المقدمة والخاتمة. تناول الفصل الاول عصر الخوارزمي. واشتمل على أقسام ثلاثة، اختص القسم الاول بدراسة الحياة السياسية في عصر الخوارزمي. وقد تبين لنا من هذا القسم أنّ الخلافة العباسية كانت تمر بمرحلة الضعف، وان دولاً وامارات مختلفة تشكلت في ارجاء العالم الاسلامي. يختلف ولاؤها للخليفة العباسي قوة وضعفاً. وقد أثّر ذلك علىٰ إضعاف هيبة الخلافة العباسية وجرّء الشعراء علىٰ انتقادها والنيل منها. وهذا يفسر لنا عزوف الخوارزمي عن مدح الخلفاء العباسيين، وتشجعه علىٰ هجوهم وانتقادهم.

وأهم الدول والامارات التي عاصرها الخوارزمي وعاش في اكنافها ردحاً من الزمن، وتفاعل معها إما سلباً او ايجاباً وتركت ظلالها على شعر الخوارزمي ونثره، هي الدولة السامانية في خراسان وبلاد ما وراء النهر، والدولة البويهية في ايران والعراق، والحمدانية في بلاد الشام،

والزيارية في طبرستان. وتبين من خلال هذا القسم ان علاقات الخوارزمي مع الدولة السامانية ورجالها لم تكن علىٰ وتيرة واحدة، فقد كانت تختلف بين فترة وأُخرىٰ، وبين حاكم وآخر من حكامها، تتحسن احياناً، وتسوء احياناً اخرىٰ، الا انّ الخوارزمي كان بصورة عامة لا يميل اليها، ويظهر ذلك واضحاً من خلال رسائله وابياته الشعرية.

واذا استعرضنا رسائل الخوارزمي فاننا نجد حوالي اكثر من خمسين رسالة بعث بها الىٰ حكام ومسؤولي الدولة السامانية. كما مدح البلعمي وهو من رجالها بحوالي ٢٦ بيتاً وهجاه ببيتين، وهجا السامانيين بسبعة ابيات ومدح احمد بن شبيب بحوالي سبعة أبيات.

ولم يعايش الخوارزمي الدولة الحمدانية فترة طويلة من الزمن، بل عاش خلالها فترة تقل عن العقد الواحد من الزمن، ويبدو ان علاقاته كانت جيدة مع حكامها ورجال بلاطها والمقربين اليها من العلماء والشعراء والكتاب، ولم يؤثر عنه ايّ موقف سياسيّ تجاهها.

وتبين من خلال القسم أيضاً أن الخوارزمي ارتبط بعلاقات مع بعض رجال الدولة البويهية في ايران خاصة. وكان يتهم بالتجسس علىٰ السامانيين لحساب البويهييّن، وذلك للعلاقة الوطيدة التي ارتبط بها مع حكام هذه الدولة ووزرائها. وعلىٰ الرغم من توتر العلاقات بينه وبين بعض من وزراء هذه الدولة كالصاحب بن عبّاد مثلاً، الا ان الاتجاه العام كان هو الميل إليهم ومدحهم لانهم كانوا السبب في انقاذه من الحالة الاقتصادية السيئة التي كان يعيشها قبل الاتصال بهم. ويحفل ديوان الخوارزمي برسائل متعددة بعث بها الىٰ رجال الدولة البويهية، كما نجد ابياتاً له في ركن الدولة وعضد الدولة ومؤيد الدولة من آل بويه، وابياتاً في ابن العميد والصاحب بن عباد من وزراء البويهين، وعلي بن كامة من رجال البويهيين.

ولم تكن الدولة الزيارية في الفترة التي عاشها الخوارزمي في ايران ذات صولة وجولة لأن نفوذ الدولة البويهية قد شمل رقعتها الجغرافية، مما ادى الىٰ لجوء حاكمها قابوس بن وشمكير الىٰ السامانيين؛ غير ان الخوارزمي ارتبط معه بعلاقات جيدة، فقد مدحه بحوالي ٣٣ بيتاً.

أما القسم الثاني من الفصل الاول، فقد تناول الحياة الاجتماعية في عصر الخوارزمي. وقد تبين لنا من خلال هذا القسم، تفشي مظاهر التناقض الطبقي الاجتماعي نتيجة للرفاه الاقتصادي الذي عم ارجاء الدولة الاسلامية آنذاك، وسيادة روح النزاع الطائفي والقومي، وشيوع ظاهرة الاحتفال بعيدي النيروز والمهرجان الفارسيين واحاطتها بمظاهر الاجلال

والاحترام، وبروز ظواهر الفساد والتحلل الاخلاقي من القيم الاسلامية وشيوع ظاهرة ابتياع الغلمان واستخدامهم والتغزل بهم، كما شهد هذا العصر الىٰ جانب الصراع الطائفي والاقتتال بين المسلمين انفسهم، ظاهرة التسامح مع اتباع الديانات الأخرىٰ ومشاركتهم في الاحتفال بأعيادهم كعيد الفصح مثلاً. ويبدو لنا ان الخوارزمي لم يكن انساناً يحمل هموم مجتمعه ويهتم لما يصيب المجتمع من آفات اجتماعية أو أخلاقية، اذ لا نشاهد اي أثر له في هذا المجال ولا اي تفاعل بينه وبين الظواهر الاجتماعية التي سادت مجتمعه، الا ظاهرة المجون، والتغزل بالمذكر التي سادت عصره، فانه في هذا المجال لم يتخلف عن الآخرين بل سايرهم في هذا الاتجاه ألّلا اخلاقي الذي يبدو أنّه كان شائعاً بين مختلف الطبقات سواء اكانوا حكاماً او علماء او أدباء بشكل لا تشم منه أيّة رائحة لا اخلاقية عند مجتمع ذلك العصر.

وتناول القسم الثالث من الفصل الاول الحياة الثقافية في عصر الخوارزمي، وتبين لنا من هذا القسم ان الخوارزمي عاصر بيئات ثقافية ثلاث خلال مدة حياته، هي بيئة خوارزم وبلاد ما وراء النهر، وبيئة حلب وبلاد الشام، وبيئة العراق وايران. ويبدو ان بيئة حلب وبلاد الشام كان لها الاثر الكبير في انضاج مواهب الخوارزمي الادبية والفكرية وصقلها وتلطيفها، بما ضمّته من علماء ومفكرين وفلاسفة وادباء وشعراء. وقد اعترف الخوارزمي نفسه بهذه الحقيقة وصَرَّح بها. الا اننا لا نجد في رسائله ولا في اشعاره ما يخص هذه البيئة الثقافية ورجالها. علىٰ الرغم من ارتباطه بالعديد من شعرائها وعلمائها.

وارتبط الخوارزمي مع بعض ادباء بيئة خوارزم وشعرائها فروىٰ عن بعضهم واحتك بالبعض الآخر. اما في بيئة العراق فقد تعلم وأخذ وروىٰ عن بعض علماء هذه البيئة. وارتبط بعلاقات مع الشعراء والادباء في بيئة ايران الثقافية.

ويبدو ان الخوارزمي كان متعلماً في بيئة العراق وبلاد الشام يسعىٰ الىٰ اكمال شخصيته العلمية والادبية ولذلك فاننا لم نعثر له علىٰ اي عطاء في هاتين البيئتين. اما في بيئة ايران وخراسان وما وراء النهر فتميز بأنها المجال الخصب لعطاء الخوارزمي في مجال النثر والنظم.

أما الفصل الثاني فقد تناول بالبحث الخوارزمي منذ ولادته وحتىٰ وفاته. وتبين من هذا الفصل ان اسم الخوارزمي هو محمد بن العباس وكنيته ابو بكر وان القابه هي كما ذكر نفسه ذلك الطبري والخوارزمي وركب له البعض نسبة بين طبرستان وخوارزم فسمي بالطبرخزمي اولاً

ثم بالطبرخزي ثانياً.

أما عن زمان ولادته فقد رجحنا انه ولد في العقد الثاني من القرن الرابع الهجري في مدينة آمل باقليم خوارزم.

ولم تتأكد لنا من خلال هذا الفصل خؤولة كل من محمد بن جرير الطبري المؤرخ والمفسر والمشهور او محمد بن جرير بن رستم الطبري صاحب كتاب المسترشد، للخوارزمي. واغلب الظن عندنا ان هذه الخؤولة غير مباشرة وعامة تعني ان الطبرستانيين هم اخوال الخوارزمي لان أمه من تلك الاصقاع.

كما لم يتأكد لدينا تشيع الخوارزمي الاثني عشري، بل رجحنا؛ بعد مناقشة مستفيضة لهذا الموضوع وأدلة سقناها من رسائله، أن يكون من الشيعة الزيدية، ومن المتأثرين بالشيعة الامامية الاثني عشرية والمرتبطين معهم بعلاقات جيدة.

اما عن اسرته فلا نمتلك معلومات مفصّلة عنها سوىٰ انها كانت غنية في بداية امرها بخوارزم، إلا ان الفقر أناخ بكلكله علىٰ الخوارزمي حتىٰ اواخر حياته حين منحه عضد الدولة صلات غيّرت وضعه الاقتصادي وحسّنت منه كثيراً. كما لا نعرف احداً منها سوى ابن له يدعىٰ ابا الفضل وآخر يدعىٰ علياً وربما كانا لشخص واحد كما اسلفنا.

وتبين لنا من خلال هذا الفصل ان هناك عاملين دفعا الخوارزمي الىٰ الهجرة والتنقل بين البلدان. العامل الاول هو لاكمال شخصيته العلمية والادبية، والثاني طلباً للصلة والهدايا لتحسين أوضاعه الاقتصادية السيئة.

كما تعرفنا من خلال هذا الفصل الىٰ الشخصيات التي اتصل الخوارزمي بها ومدحها وهجاها ومنها شخصية الصاحب بن عباد، حيث نسجت بعض الروايات عن كيفية الاتصال به لأول مرة وعن مكان هذا الاتصال. اذ ذكر السمعاني لاول مرة رواية تنم عن حفظه لعشرين اسماً للكلب، ضاعفها ابن خلكان خمس مرات وأضاف اليها نفس العدد من القطع في ذمه او مدحه، او حفظه لعشرين ألف بيت من شعر الرجال والنساء. وذكرنا ان ضباب الشك يلف هذه الروايات ويضفي عليها ظلالاً قاتمة يجعل من الصعب تصديقها كما هي.

وتبين لنا من خلال هذا الفصل أيضاً اننا لا نستطيع ان نصدق كل ما رواه بديع الزمان الهمذاني عن المناظرة بينه وبين الخوارزمي، ولكننا لا نستطيع ان ننكر أثرها السيء علىٰ نفسية

الخوارزمي وعلىٰ سمعته ولعلها كانت احد الاسباب التي عجلت في منيّة الرجل وأفول شمسه.

أما الفصل الثالث فقد اختص بشعر الخوارزمي. وتبين لنا من هذا الفصل ان الخوارزمي لم يكن شاعراً فحسب، بل كان عالماً وملماً بالاصول والصفات التي يجب ان يتحلىٰ الشاعر بها. وقد استطعنا ان نعرف آراءه في العوامل التي تدفع الشاعر الىٰ انشاد الشعر. كما يرىٰ الخوارزمي الشعر يجب ان ينبض بالشعور وأن يكون معبراً عن الطبيعة الانسانية، ودوافعها النفسية واحساساتها العاطفية تجاه الاحداث، كما لا بد أن يهتم بالانسان ومشاعره ومشاكله النفسية.

كما كان الخوارزمي يعتقد بالاضافة الىٰ حفظ اشعار العرب، ضرورة وجود قوة الخلق والابداع والابتكار لدىٰ الشاعر. ويتحدث ابو بكر عن شيطانه فهو يشعر ويكتب استجابة لنداء قلبه، ويهذّب وينقّح استجابة لشيطانه الذي يطالبه بذلك. كما يتحدث عن الصفات التي يتصف الشعراء بها.

ولم يكن الخوارزمي شاعراً ملماً بأصول الشعر وفنونه، ومخططاً لبرامج الشاعر الدراسية فحسب، بل كان عالماً بالتاريخ الادبي للشعر والاحداث التي ألمت بـه علىٰ طول التاريخ، والصراعات الطائفية التي اثرت فيه، وحرّفت كثيراً من مفرداته.

وقد تبين لنا من هذا الفصل وجود ديوان شعر له، الا انه قد سقط من يد الزمن. وما هو موجود بين ايدينا ما هي الا مختارات من شعره، تتناسب مع الاهداف التي دفعت بهؤلاء الىٰ اختيارها لتتلاءم مع الموضوعات التي يطرقونها.

وقد استطعنا ان نجمع ٢٥١ قطعة شعرية منها:

٥٥ قطعة قائمة ببيت واحد.

و٩٣ قطعة قائمة ببيتين لا ثالث لهما.

و٤٠ قطعة تحتوي كل منها علىٰ ثلاثة ابيات.

و١٤ قطعة تتضمن كل واحدة منها اربعة ابيات.

و١٠ قطع تشتمل كلٌّ منها علىٰ خمسة ابيات.

و١١ قطعة قائمة بستة ابيات.

و٣ قطع ذات سبعة ابيات.

و٤ قطع ذات ثمانية ابيات.

و٦ قطع ذات تسعة ابيات .
وقطعتان كل منهما تحتوي علىٰ ١١ بيتاً .
وقطعتان كل منهما تحتوي علىٰ ١٣ بيتاً .
وقطعة واحدة ذات اربعة عشر بيتاً .
و٣ قطع ذات خمسة عشر بيتاً .
وقطعة واحدة ذات ستة عشر بيتاً .
وقطعة واحدة تحتوي علىٰ ١٧ بيتاً .
وقطعة واحدة تحتوي علىٰ ١٨ بيتاً .
وقطعة واحدة في ٢٢ بيتاً .
وقطعة واحدة في ٢٤ بيتاً .
وقطعة واحدة في ٢٧ بيتاً .
وقطعة واحدة في ٣٦ بيتاً .

وهذا يعني ان حوالي ٧٥٪ من مجموع القطع لا تتجاوز ابياتها الثلاثة . وان حوالي ١٨٪ من مجموع القطع لا تتجاوز ابياتها التسعة . وبعبارة اخرىٰ فان ٩٣٪ من القطع تتراوح ابياتها بين ١ - ٩ ابيات .

واغلب الظن ان ما بين ايدينا من اشعار لا تتجاوز خمس ديوانه المفقود . وهذا يدل علىٰ الصعوبة التي يواجهها الباحث في تقدير شاعرية الخوارزمي وتقويمها بصورة دقيقة .

أما الاغراض التي تناولها الشاعر فيما وصل الينا من ابياته فهي :

١ - المدح : فقد بلغ عدد ابيات هذا الفن ٣١٨ بيتاً من مجموع ٩١٨ بيتاً ، وبذلك فانها تشكل حوالي ٣٤/٦٪ من ديوانه الذي جمعناه له .

٢ - الهجاء : وبلغت ابياته حوالي ١٤٣ بيتاً ، تشكل حوالى ١٥/٦٪ من ديوانه .

٣ - الغزل : وبلغت ابيات هذا الفن حوالى ١٠٠ بيت ، تشكل حوالى ١٠/٩٪ من الديوان .

٤ - الوصف : وبلغت ابياته حوالى ٩٨ بيتاً ، تشكل حوالى ١٠/٧٪ من الديوان .

٥ - الرثاء : وبلغت ابياته حوالى ٩٨ بيتاً ، تشكل حوالى ١٠/٧٪ من الديوان .

٦ - الحكمة : وبلغت ابيات هذا الغرض ٦٥ بيتاً ، تشكل حوالى ٧٪ من الديوان .

٧ – الشكوىٰ : وبلغت ابيات هذا الغرض ٤٩ بيتاً، تشكل حوالي ٣/٥٪ من الديوان.

٨ – الخمريات : وبلغت ابيات هذا الفن ٢٩ بيتاً، تشكل حوالي ٣٪ من الديوان.

٩ – الفخر بالنفس : وبلغت ابيات هذا الغرض ٩ ابيات، تشكل حوالي ٩٨/٠٪ من الديوان.

١٠ – اغراض متفرقة في مجال الاعتذار واللغز والملح والتلفيق والتشيع بلغ عددها ٧ ابيات تشكل حوالي ٧٦/٠٪ من الديوان.

ولعل غلبة المديح علىٰ شعر الخوارزمي يعود : الىٰ كثرة التّبعات المادية التي كان الخوارزمي مثقلاً بها ؛ والىٰ الرغبة في الوصول الىٰ مكانة مرموقة ومنزلة عالية، وميله للبويهيين وتعصبه لهم.

والخوارزمي في مديحه لا يبدأ بالاطلال، بل يبدأ احياناً بالغزل في بيت واحد أوبيتين او ثلاثة ثم ينتقل الىٰ غرضه الاصلي دون مقدمة طويلة. والقاسم المشترك الاعظم في اغلب قصائد المديح عند الخوارزمي طلب الصلة والهدية من الممدوح.

ولعل العوامل نفسها التي دفعت الخوارزمي الىٰ المديح كانت قد دفعته الىٰ الهجاء أيضاً. وقد قسمنا هجاءه الىٰ تقليدي وساخر وماجن، واتينا بأمثلة لكل قسم. وهجاؤه التقليدي لا يختلف عن سواه من الشعراء التقليديين الذين يُبرزون الجوانب السلبية. اما في هجائه الماجن فانه يستخدم الالفاظ المستهجنة الفاحشة الشائعة آنذاك.

والغزل عند الخوارزمي يمكن تقسيمه الىٰ ثلاثة اقسام هي : الغزل التمهيدي الذي يستهل به قصائد المديح، والغزل التقليدي (عذري او حسي بالمرأة) والغزل بالمذكر. وهو في غزله التمهيدي خال من العاطفة، اما في غزله التقليدي فعاطفته تتراوح بين الشدة والضعف، واغلب الظن انه لم يصدر عن معاناة احس بها الشاعر تجاه محبوبته.

أما غزله بالمذكر فأغلب الظن أنه جارىٰ شعراء عصره في هذا الغرض الشعري ولم يكن جاداً فيه.

وتناول الخوارزمي بالوصف بعض ظواهر الطبيعة الساكنة والحية وبعض المظاهر الاجتماعية والعلمية.

والخوارزمي في رثائه شاعر تقليدي في ذكر الصفات الايجابية في المرثي، الا انه في بعض

الاحيان يمزج الرثاء بالعتاب او الرثاء بالسخرية. وهو احياناً يصف حالة الصراع والتناقض التي يعيشها تجاه المرثي، وحالة الود والعتاب، والفرح والغم، والتهنئة والتعزية.

واستناداً الىٰ حافظة الخوارزمي القوية والىٰ خبرته بالحياة وتنقلّه في مناطق واسعة من العالم الاسلامي آنذاك، واحتكاكه بالكثير من رجالات العلم والادب، فقد جاء شعره في مجال الحكم والوعظ مليئاً بالقضايا والبديهيات العامة التي تنم عن خبرته وتجربته وآرائه وافكاره ونظراته الىٰ كثير من مفردات الحياة. وابياته في هذا المجال نابعة عن عقله وليست عن أحاسيسه وشعوره ولذلك فلا تستطيع ان ترقىٰ الىٰ مرتبة عالية من الشعر.

ولعل الظروف الصعبة التي عاشها الخوارزمي، والحياة السياسية المضطربة والتناقض الطبقي الاجتماعي والنزاع الطائفي والقومي هي التي دفعت بالخوارزمي لان ينشد ابياتاً، يشتكي فيها الدهر والاصدقاء والغربة والفراق والشيب.

ولا يختلف الخوارزمي عن غيره من الشعراء في وصف الخمرة وساقيها ومجلسها وآثارها، غير انه قد اتىٰ فيها بلون جديد من الوصف فيه حسن التناول وغرابة الفكرة. وقد تؤدي الخمرة به الى التفوه بابيات تناقض افكاره وعقائده او عقائد المجتمع الذي يعيش فيه.

ويفخر الخوارزمي بنفسه وبشعره وباسرته وبما يُحسنه من صناعة، ولكنه في الغالب يميل الىٰ الاعتدال ولا يميل الىٰ المبالغة.

ويمكن القول ان الخوارزمي ربما كان شاعراً بمقاييس البيئة المكانية والزمانية التي عاش فيها، اما بمقاييس الشعر كفن رفيع وتعبير عن التجربة الشعورية بصورة موحية، فاننا لا نستطيع ان نعده من شعراء العربية الكبار، وانما هو كاتب لامع استكمل اسباب وجاهة الادب بقول الشعر، وربما كان اكثر استعداداً للشعر واقرب الىٰ طرق بابه من غيره من معاصريه من الكتّاب الذين حاولوا الاسهام في قول الشعر بنصيب.

أما خصائص شعره الفنية وسماته، ففيما يخص المضمون فانّ شعره يمتاز بالاتباع والتقليد وظهور بعض الاشارات الىٰ حوادث تاريخية وحكايات قديمة، وتضمين الكثير من اقوال وابيات الشعراء الاخرين في شعره، كما يمتاز احياناً بالمجيء ببعض المعاني المبتكرة في الشيب أو الخمرة وكثرة اخذ المعاني من غيره، وغلبة الذاتية عليه، فالرجل ليس بصاحب قضية، ولا يفكر في القضايا الاجتماعية والاسلامية العامة، كما ان شعره يخلو من العاطفة الحارة

والاحاسيس القلبية الوجدانية، بالاضافة الىٰ احتوائه احياناً بعض المبالغات الممقوتة، اما خياله وتشبيهاته واستعاراته فليست بالمستوىٰ الرفيع الذي يصعب دركه في اغلب الاحيان.

اما من حيث الشكل فعلىٰ الرغم من اننا لا نمتلك قصائد كاملة منه، الا انه يمكن القول انه قد جمع في القصيدة الواحدة احياناً اكثر من غرض واحد. اذ رأيناه يجمع بين المديح والهجاء وبين المديح والوصف، وبين المديح والثناء، وبين الغزل والوصف.

واكثر الفاظه التي يستخدمها سهلة وليست ثقيلة علىٰ الاسماع بالاضافة الىٰ استعماله الفاظاً مستهجنة ومصطلحات علمية وفنية واعجمية ومعربة.

ولا يخلو شعره من الزخرفة البديعية بألوانها المتعددة واشكالها المتنوعة اذ يكثر فيه الطباق والجناس والمقابلة والاقتباس والتضمين.

وخلاصة القول ان الخوارزمي في شعره، كما كان في نثره ليس بشاعر صاحب قضية يدافع عنها، ولا بصاحب تجربة شعورية حية حتىٰ يستطيع أن يعبر عنها بصورة موحية، ولا هو بالشاعر الذي يتغنىٰ بالمعاني الانسانية النبيلة التي ينبغي ان تسود المجتمع، ولا بالشاعر الذي تحركه اوضاع المسلمين وما آلت اليه من فساد وتحلل واضطراب وفرقة فينبري لمعالجتها والتنويه علىٰ مخاطرها. انه لم يستطع ان يقدم لنا الجزئيات التفصيلية التي توصلنا بشكل غير مباشر الىٰ القواعد العامة والأصول الانسانية. ان الذاتية والفردية قد سيطرتا عليه واتضحتا في شعره. علىٰ انّ حكمنا هذا ربما يتبدل، لو عثرنا علىٰ اشعاره كلها التي أودعها ديوانه المفقود.

لقد حاولت في معظم فصول هذه الدراسة الا اكون بعيداً ومنعزلاً عن الشاعر والكاتب. لذلك فغالباً ما كان الحديث عنه او عن عصره مدعوماً بأبيات او احاديث منه. ولا اكون مغالياً اذا قلت: انني حاولت استنطاق الخوارزمي نثراً وشعراً في اكثر الموضوعات التي طرقتها.

لقد بذلت جهدي الا تكون الدراسة هذه اجتراراً لدراسات سابقة، بل حاولت جاهداً ان تكون اكمل صورة قدّمت لحد الآن عن هذا الشاعر.



ديـــــوان

ابي بكر الخوارزمي



ويجدر بنا الآن ونحن نقدم للديوان الذي صنعناه للشاعر، ان نتحدث عن الاسس والمعايير التي اخذناها بنظر الاعتبار عند صناعة الديوان وترتيبه.

فيما يخصّ منهج العمل في الديوان:

لقد عنيت في الاعتماد علىٰ مصادر التخريج، تقديم كتب الثعالبي علىٰ غيرها لان الثعالبي كان تلميذاً لابي بكر وملازماً له، ولانه اكثر الذين رووا عنه.

ثم جعلت التسلسل التاريخي اساساً لتسلسل المصادر الاخرىٰ. وفضلت رواية النص من كتب الثعالبي، اذا خالفت المصادر الاخرىٰ، وقد اشرت في الهوامش الملحقة بكل نص او قطعة شعرية الىٰ الاختلافات التي تضمنتها الروايات المختلفة. لقد آثرت ان أذكر التخريج أولاً ثم القطعة الشعرية والهوامش الموضحة لها قبل الانتقال الىٰ قطعة شعرية اخرىٰ.

اما فيما يخص ترتيب الديوان:

فقد اعتمدت في ترتيب القطع الشعرية علىٰ اساس التسلسل الابجدي لحرف الروي. ولترتيب هذا التسلسل وتوزيع القطع الشعرية وفقه فقد أُخذت بنظر الاعتبار القواعد والأصول التي يأتي بيانها:

الروي هو النبرة او النغمة التي ينتهي بها البيت، ويلتزم الشاعر تكراره في كل ابيات القصيدة، وإليه تنسب القصيدة، فيُقال ميمية او رائية او دالية.

اما الوصل فهو الحرف الذي يلي الروي المتحرك، وقد سمّي بذلك لانه وصل حركة الروي أي أشبعها، او أنه موصول به. والسبب في الوصل كون آخر الوزن مبنياً علىٰ السكون لانقطاع الوزن عنده، وكونه تمام البيت الذي يسكن عنده. ولمّا كان الروي الساكن يتعذّر مد الصوت

بعد، استحال وصوله.

والوصل هدف غير ضروري في البيت، ولكنه ان وجد، لزم في القصيدة كلها. واتفق علماء القوافي علىٰ اربعة احرف تردُ وصلاً بدون منازع هي حروف المدّ الثلاثة (الالف والواو والياء المسبوقة بحرف يجانسها)، والهاء. وقيل إنه اتّخذ من الهاء وصلاً لمشابهتها حروف المد في خفاء صوتها، وكون مخرجها من مخرج الألف، ولانّها تبين حركة ما قبلها في مثل «عليّهْ» و«ارْمِهْ» و«فيمَهْ»، كما تبين الالف حركة النون في الضمير «أنا» ولأنها تأتي خلفاً عن الألف كما في «أرقتِ الاناء وهرقته» بمعنى واحد.

واختلف العلماء في تاء التانيث وكاف الخطاب، والميم المتصلة بالضمائر. فانكرت فئة مجيئها وصلاً بخلاف فئة اخرىٰ، وأراد بعضهم التيسير فاطلق الحكم التالي: الاحسن في كل ما وقع فيه خلاف ان يُجعل وصلاً. وأما تنوين حرف الاطلاق، ونون التوكيد الخفيفة، والهمزة الساكنة المبدلة من ألف الوقف، فأبىٰ العلماء أن يعدّوها رويّاً او وصلا.

وهاء الوصل هي التي تقع في آخر البيت الشعري دون ان تصلح لان تكون روياً، فيلتزم الحرف الذي قبلها علىٰ انه الروي. وهي تكون ضميراً ساكناً، او ضميراً متحركاً او كانت للسّكت او للتأنيث (اي تاء التأنيث المقصورة).

وألف الوصل هي الالف الواقعة في آخر البيت الشعري، والتي لا تصلح ان تكون روياً، فيلتزم الحرف الذي قبلها علىٰ انّه الروي، وتكون ضميراً للاثنين من اصل بنية الكلمة، او إشباعاً وعوضاً من التنوين.

وياء الوصل هي الواقعة في آخر البيت الشعري، دون أن تصلح لان تكون روياً، وتكون ضميراً للمتكلّم، او ضميراً للمخاطبة، او إشباعاً، او من أصل بنية الكلمة.

وواو الوصل هي الواقعة في آخر البيت الشعري دون ان تصلح لان تكون روياً، وتكون ضميراً للجماعة، او إشباعاً، او من أصل بنية الكلمة.

وثمة أحرف تصلح لان تكون وصلاً ورويّاً بقيود، وهي الألف، والواو، والياء، والهاء، وتاء التأنيث وكاف الخطاب.

فالالف تصلح للروي، والوصل اذا كانت أصلية، اي من بنية الكلمة وكان ما قبلها مفتوحاً. فاذا أورد الشاعر، في قافيته، مثل «هُدَى» و«مُنَى» و«عَفَا»، ولم يلتزم الحرف الذي

قبلها، فانه يكون قد اعتبر الالف روياً، وتسمىٰ القصيدة حينئذ: مقصورة.

امـا اذا التزم الشـاعر الحـرف الذي قـبل الألف، سـواء أكـانت الالف أصـلية أم للإطلاق، فان الالف حينئذ، تعتبر الف وصل، والحرف الملتزم به قبلها هو الروي.

وأما الياء فاذا كان ما قبلها مكسوراً، فانها تكون صالحة للروي والوصل، فتكون روياً اذا لم يلتزم الحرف الذي قبلها، وتكون وصلاً اذا التزم الحرف الذي قبلها.

اما اذا كانت متحركة مع تحرك الحرف الذي قبلها او سكونه، فيتعين ان تكون روياً. والواو تأتي وصلاً او روياً بالشروط التي للياء.

والهاء تصلح ان تكون روياً اذا كانت اصلية، اي من بنية الكلمة، وكان ما قبلها محركاً، أما اذا كانت للسكت، او ضميراً، او للتأنيث فينطق بها هاء، فهي وصل.

والتاء، والمقصود بها تاء التأنيث المتحرك ما قبلها، اي التي ليس قبلها مدة مثل: «تخلَّتْ»، «زلَّتْ»، سواء أبقيت ساكنة ام حركت بالكسر للاطلاق او لإتباعها بياء المتكلّم، اذا التزم بالحرف الذي قبلها، كانت وصلاً، وكان الحرف الملتزم به هو الروي. اما اذا لم يلتزم بالحرف الذي قبلها، فانه يتعين ان تكون روياً لا وصلاً.

والكاف اذا كانت للخطاب[1]، ولم يكن قبلها حرف مدّ، بل حرف صحيح ملتزم به، فانه يصح اعتبارها روياً، كما يصح اعتبارها وصلاً والحرف الذي قبلها هو الروي. اما اذا سبقت بحرف مدّ او لم يلتزم بالحرف الذي قبلها فانه يتعين ان تكون هي الروي.

اما الخروج فهو حرف المد الذي يلي هاء الوصل المتحركة، وهو يتولد من اشباع حركة هذه الهاء. سمي بذلك لانّه يُخرج به من البيت، او لبروزه وتجاوزه الوصل. ويكون الفاً بعد الهـاء المفتوحة. ففي كلمتي «سَراحَها» و«جَناحَها» اللتين ان انتهىٰ بهما بيتان، يعتبر الحاء روياً، والهاء وصلاً، والالف خروجاً.

ويكون ياءً بعد هاء الوصل المكسورة، نحو قول طرفة بن العبد:

وإن بـابُ أمـرٍ عـليكَ التـوىٰ فشـاوِرْ لبـيباً، ولا تَـعْصِهِ

فالصاد رويّ، والهاء وصل، والياء المتولدة من اشباع كسرة الهاء، والتي تظهر في الكتابة

---

١. اما اذا لم تكن للخطاب، اي اذا كانت من اصل الكلمة، فانها تكون هي الروي.

العروضية لا في الخط، هي الخروج.

ويكون واواً بعد هاء الوصل المضمومة مثل (يَسْمَعُهُ) و« ينفعُهُ» اذا انتهىٰ بهما بيتان فالعين روي، والهاء وصل، والواو المتولدة من اشباع ضمة الهاء والتي تظهر في الكتابة العروضية لا في الخط هي الخروج[1].

علىٰ هذه الأسس والاصول حاولت جهدي تنظيم القطع الشعرية التي عثرت عليها. اما بالنسبة للقطع والابيات التي يشك نسبتها الىٰ الخوارزمي، او انها نسبت له ولغيره فقد جعلتها منفصلة ضمن الملحق الذي يأتي بعد الانتهاء من الديوان.

الديـــوان:

«الهمزة»

«١»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٣٧؛ المنتخب من كنايات الادباء وارشادات البلغاء، ٤٩.

ـ وقوله من أخرىٰ يهجو طاهر بن شار:

١ وقـــال أنـــا المـــليكُ فـــقلتُ حَـــقّاً ... بـــقلبِ اللامِ نـــوناً في الهـــجاءِ

٢ ولَمْ أَرَ مـــن أداةِ المـــلكِ شـــيئاً ... لَـــدَيكَ سِـــوىٰ احـــتالِكَ لِـــلّواءِ[2]

ومنها

٣ أحـــينَ قَـــلَعْتُ نـــابَيْ كـــلِّ أفـــعىٰ ... وحـــادَتْ أُســـدُ بـــيشَةَ عـــن فـــنائي

٤ وقـــال النـــاسُ إذْ سَمِـــعُوا كـــلامي ... ألم تكـــنِ الكـــواكبُ في السماءِ

٥ يُخـــوّفني الكســـادَ عـــلىٰ مـــتاعي ... وَهَـــلْ يُخـــشىٰ فَســـادُ الكـــيمياءِ

---

١. كل هذه المعلومات اخذت بتصرف من: مقدمة اللزوميات، بقلم ابي العلاء المعري نفسه ص ٤ – ٢٤؛ المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر للدكتور إميل بديع يعقوب، ص ٣٥٢ – ٣٥٨.

٢. ورد هذان البيان فقط في المنتخب من كنايات الادباء.

« ٢ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٦٥ ـ ٢٦٦.

وله في نديم حمامي :

١ قُـــل لِمَـــنْ يَـــنْكَحُ بِـــالْـ ـعَـــيْـــنِ جَـــواري الأصْـــدِقاءْ[1]

٢ والذي يـــــــعتَقِدُ المـــــــــــــلكَ لَـــهُ قَـــبْلَ الشِّراءْ

٣ أنتَ واللهِ نشـــــيطُ الأَ يْـــــرِ كَسْـــــلانُ الوَفـــاءْ

٤ ليتَ قـــــلبي قُـــــدَّ مـــــن أَيْـــرِكَ في بـــابِ الذَّكـــاءْ

٥ أَمْـــــهِلِ السّـــــاقي ولا تُخْـــــجِلْهُ بـــــينَ النّـــــدماءْ

٦ أنـــــا بـــــالساقي كَـــفيلٌ لكَ مِـــــنْ بـــــعدِ العِشـــاءْ

٧ فـــاذا مـــا انـــصرفَ النـا سُ فَـــجُدْ لي بـــالأَداءْ

٨ لكَ أَيْـــرٌ جـــاهِليٌّ مِـــنْ أيـــور السّـــفَهاءْ

٩ يـــا كـــثيرَ المـــاءِ أَقْـــرِضْـــنا ولو حُمَّـــةَ مـــاءْ[2]

١٠ أنتَ مِـــنْ أيـــرِكَ هـــذا في عَـــناءٍ وبَـــلاءْ

١١ أعـــظَمَ اللهُ لكَ الأَ جْـــرَ عـــلىٰ هـــذا الْـــعنَاءْ

« ٣ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٦٨.

ـ وله من اخرىٰ :

١ ولي واللهِ إخـــوانٌ كـــثيرٌ نَـــصيبي مِـــنْ فِـــعالِهِمُ سَـــواءُ

٢ ولكـــنّي رأيـــتُكَ مِـنْ أُنـاسٍ اذا لم يُحْسِـــنوا فَـــلَقَدْ أَســـاءوا

---

١. جاء في اليتيمة كلمة (العيون) بدل العين.

٢. الحـمّة : عين الماء الحارة التي تنبع من الارض ويُستشفىٰ بها.

« ٤ »

التخريج : رسائل الخوارزمي ١٤٩.

ـ وله في رسالة بعث بها الىٰ الامير أبي نصر احمد بن علي الميكالي يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته :

١ مــــالَقِينا مِــنْ أَحْمَـد بـنِ عـليٍّ نَــــزّلَ النـــاسَ كُــــلَّهُم فُــقَهاء

« ٥ »

التخريج : رسائل الخوارزمي ١٧٨.

ـ وله في رسالة جوابية الىٰ خوارزم شاه يشكره ويمدحه :

«وأتاني خلال ذلك فرح لا يسعني جلدي منه فرحاً، ولا تحملني اعواد سرجي مـرحاً فأنشدت :

واذا نـــظرتُ إلىٰ أمــــيري زَادَني ضِـــنّاً بـــهِ نَـظَري إلىٰ الأُمَــراءِ[1]

« ٦ »

التخريج : محاضرات الادباء ٤٠٧/١.

ـ حول معاني الفداء والتفدية :

١ أطـــالَ اللهُ أعـــمارَ المَــعالي وذاكَ بأَنْ يَــــطولَ لَكَ البَـــقاءُ

٢ ولا زالَتْ تُمَـــــدُّ إليك كَـــفٌّ بِــــضاعَتُها ثَــناءٌ أو دُعـــاءُ

٣ وإنْ رضِيَ الزَّمــانُ بمِـثلِ روحــي فِــداءً عــنكَ فَـهْيَ لَكَ الفِـداءُ

« ٧ »

التخريج : محاضرات الادباء ٥٥٩/١.

ـ حول من لا يتناهىٰ مطله[2] :

١ إذا أضــحىٰ فَمَــوْعِدُهُ مســاءٌ وإنْ أمــسىٰ فمــوعِدُهُ ضُــحاءُ

---

١. الضَّنُّ : الشيء النفيس تضَنُّ به لمكانته منك وموقعه عندك ويقال : فلان ضِنّي، وهو ضِنّي من بين اخواني : أي خاصّتي.

٢. وربما يكون هذا البيت ضمن القطعة السابقة.

«٨»

التخريج : محاضرات الادباء ٣/٣٧٨.

ـ في انكار ذم الدهر. قال النبي (ص) : لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أي الفاعل هو الله لا الدهر. وقد ألمّ الخوارزمي بهذا المعنى[1]:

١ وكـم نُكَـنِّي وكَـمْ نَهجُو اللَّيالي　　ولَـيْسَ بِخَـصْمِنا إلّا القَـضَاءُ

«٩»

التخريج : معجم الادباء ٢/١٨١[1].

١ والطـيرُ مـثلُ المُحْصَناتِ صَـوادِحٌ　　مِـثْلُ المُـغَنيّ شـادياً بـغِنائِهِ[2]

«١٠»

التخريج : الدّرّ الفريد وبيت القصيد ٢/٢٤.

ـ وله أيضاً :

١ سـفيهٌ أيـرُهُ أيـرٌ حـليمٌ　　ولَـيْسَ لِـداءِ حِـلْمٍ مِـنْ دَواءِ

٢ تُـطَلِّقُهُ النِّسـاءُ يَسُـقْنَ مَـهْراً　　إلَـيْهِ رَغْـبَةً في الإفْـتِداءِ

٣ إذا كـانَ الرِّجـالُ بِـلا أيـورٍ　　فَـتَطْليقُ الرِّجـالِ إلىٰ النِّسـاءِ

«الألف»

«١١»

التخريج : اليتيمة ٤/٢٤٤.

---

١. انشد الخوارزمي هذا البيت في المناظرة بينه وبين بديع الزمان الهمذاني وانتقده البديع بأنه شبه الطير بالمحصنات «وهذا تشبيه فاسد ثم شبهتها بالمغنيات، والمحصنات كيف توصف بالغناء». والذي يقرأ المصدر المذكور يظن ان هذا البيت انشده الخوارزمي ولكنه في الحقيقة من انشاد البديع لان من يقرأ الهامش ويقرأ استمرار الكلام الذي جاء بعد هذا البيت ونقده يوقن ان هذا البيت للبديع وليس للخوارزمي وان النقد الذي ورد على هذا البيت في الهامش (١) هو في الحقيقة نقد الخوارزمي على بيت البديع هذا.

٢. الشدو : ترديد الصوت بالغناء.

ـ وقوله من ارجوزة يتغزل فيها:

١ وقَـــينَةٍ أَحْسَـــنُ مـــن لُـــقياها　　　تُمْـــلي كِـــتابَ الحُسْـــنِ مُـــقْلَتاها

٢ وَنُـــقطَةٍ وَشَكْـــلة خَـــدّاهـــا　　　إِذا اجـــتَلاها اللَّـــحْظُ أَنْشَـــدْناها

٣ «واهـاً لِرَيَّا ثُـمَّ واهـاً واهـا»[١]

ومنها في وصف الناقة:

٤ بِجَـــسْرَةٍ قـــائِدُها بُـــراهـــا　　　في السَّـــيْرِ بَـــلْ ســـائِقُها رِجْـــلاها[٢]

٥ قَـــدْ كُـــتِبَ العِـــتْقُ عـــلىٰ ذِفْـراهـا　　　(أَيُّ قـــلوص راكـبٍ تـــراهـــا)[٣]

«١٢»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٥؛ اعيان الشيعة ٩/٣٧٨.

ـ وله من غرر مدحه:

١ يـــا عَـــضُدَ الدَّوْلَـــةِ مِـــنْ يُمْـــناها　　　يـــا مُـــهْجَة قـــالَتْ لَهـــا أَعْـــلاها

٢ مَـــنْ أَسْـــخَطَ الدِّرْهَـــمَ أَرضىٰ اللهَ　　　وَمَـــنْ أَزالَ المـــالَ صَـــانَ الجـــاها[٤]

«١٣»

التخريج: تاريخ يميني: ٣٧.

---

١. هذا المصراع لابي النجم العجلي. راجع: خزانة الادب للبغدادي: ٣/٣٣٧ ـ ٣٣٨. والبعض نسبه الىٰ غيره.

ويروى بعده:

هـــي المـــنىٰ لو أنـــنا نـــلناها　　　يـــاليتَ عـــيناها لنـــا وفـــاها

بـــثمنٍ نُـــرضي بـــه أبـــاها　　　إنّ ابـــاها وأبـــا أبـــاها

قـــد بـــلغا في المجـــد غـــايتاها

٢. البراية: القوة، وناقة ذات براية أي بقاء وقوّة على السير.

٣. القلوص: الناقة. والعتق: السبق. وذِفرىٰ البعير: أصل أُذُنِهِ.

٤. ورد المصراع الثاني من البيت الثاني في اعيان الشيعة هكذا: «ومن أذلَّ المالَ صان الجاها».

ـ وللخوارزمي في أبي علي البلمي عند حصوله على هراة شعر[1]:

١ تُهَنىءُ بالأمير هَراةَ إذْ قَدْ عَلا عَن ان يهنّأ عن هواها
٢ وكيف تُهَنّأُ الدُّنيا جَميعاً بِمَنْزِلَةٍ مِنَ الدُّنيا احتَواها

« ١٤ »

التخريج : شرح ديوان ابي الطيب المتنبي للواحدي : ٣٤٠.

ـ ولاجل هذا قال ابو بكر الخوارزمي :

١ .... تخشىٰ عليها أمُّها أباها

« ١٥ »

التخريج : اليتيمة ٢٥٧/٤.

ـ وله من غرر مدحه :

١ ولَقَدْ عَهِدْتُ العلمَ أكسَدَ مِنْ بُهتانِ فِرْعَونَ لَدَىٰ موسىٰ
٢ فأقامَ قاعِدَ سَوقِهِ رَجُلٌ مَيْتُ الرَّجاءِ بِبابِهِ يحيىٰ
٣ فالعلمُ أصْبَحَ في الوَرَىٰ عَلَماً والشِّعْرُ أمْسىٰ يَسْكُنُ الشِّعْرَىٰ[2]

« ١٦ »

التخريج : اليتيمة : ٢٦٠/٤ ـ ٢٦١؛ تاريخ يميني : ٥٠؛ الفتح الوهبي : ١٣١/١.

ـ وله من أخرىٰ يرثي بها مؤيد الدولة ويعزي ويهنىٰ فخر الدولة :

---

١. ورد في ترجمة تاريخ يميني للجرفادقاني ص ٦٤ البيتان كما يأتي :

تُهَنّأُ بالامير هراةُ اذقد علا من أن يهنّأ عن هراها
وكيف تهنّأُ الدنيا جميعاً بناحية من الدنيا احتواها

وقد ورد في تاريخ يميني المصراع الثاني من البيت الأول بهذا الشكل «علا عن لهنّأ عن هواها».
وأرى ان ما ورد في الترجمة اقرب الىٰ الذوق وأصح من الناحية اللغوية. والظاهر أن خطأً في كتابتها قد حدث في أصل الكتاب.

٢. علماً : جبلاً ظاهراً. الشِّعرَىٰ : نجم في السَّماء.

١ رُزِئْتَ أخاً لو خُــيِّرَ الجــدُ في أخٍ   مـن النـاسِ طُـهراً مـاعداه ولا استثنىٰ[1]
٢ وقـد جـاءتِ الدُّنـيا إليكَ كـما تَـرَىٰ   طُـفَيْلِيةً قَـدْ جـاوَبَتْ قـبلَ أن تُـدعىٰ[2]
٣ صَـبَتْ بكَ عِشـقاً وهي معشوقةُ الورىٰ   فـقد أصْبَحَتْ قَيْساً وعَـهْدي بِها لَـيلىٰ[3]
٤ ولمّـا رأتْ خُـطابَّها تـركتهُمْ   ولم تَـرْضَ إلّا زَوْجَـها الأَوّلَ الاولىٰ[4]
٥ ولم تـتساهَلْ في الكـفيِّ ولم تَـقُلْ   رَضِـيتُ إذا مـا لم تكـنْ إبـلٌ مـعزىٰ
٦ عـلىٰ أنَّهـا كـانت جَـفَتْكَ تَـذَلُّلاً   فَـخَلّيتها حـتىٰ أَتَتْ تَـطْلُبُ الرُّجـعىٰ[5]

«١٧»

التخريج: ثمار القلوب: [١٩٧ مطبعة الطاهر]، [٢٤٦ مطبعة دار نهضة مصر].
ـ انشدني ابو بكر الخوارزمي لنفسه من قصيدة حول تكنية قابض الارواح بأبي يحيى:

١ سريـعةٌ مَـوْتِ العـاشِقينَ كَأَنَّمـا   يـغارُ عَـلَيْها مِـنْ هَـواهُـمْ أَبـو يحـيىٰ

«١٨»

التخريج: ثمار القلوب [١٩٧ مطبعة الطاهر]، [٢٤٦ مطبعة دار نهضة مصر].
ـ وله من قصيدة مرثية (يكني فيها قابض الارواح بأبي يحيى):

١ أُعَـوِّذُهُ مِـنْ نَـفْحَةِ الرِّيحِ خِـيفَةً   عـليهِ ورِجْـلُ الموتِ تـطلُبُهُ عَـجْلىٰ

---

١. ورد هذا البيت في تاريخ يميني بهذا الشكل:
رزيت أخاً لو خـيِّر الجـدُ في أخٍ   مـن النـاسِ طـرّاً مـاعداه ولا استثنىٰ
٢. ورد البيت الاول والثاني في الفتح الوهبي ١/١٣١.
٣. ورد البيت الثالث في تاريخ يميني بهذا الشكل:
طَبَتْ بَك عشـقاً وهـي معشوقة الورىٰ   فقد اصبحت قـيساً وعـهدي بهـا ليـلىٰ
وطبت بِهِ: اي أنها سُحرت به واحبّته وعشقته. وصبت به: عشقته أيضاً فالكلمتان تناسبان المعنىٰ.
٤. ورد في تاريخ يميني كلمة «فرّكتهُمْ» بدل كلمة «تركتهُمْ».
والفرك: البغض والكره وهو خاص بالزوجة.
٥. ورد في ترجمة تاريخ العتبي للجرفادقاني ص ٦٨ المصراع الاول بهذا الشكل:
علىٰ انها جاءت جنتك تذللا...

٢ وأَدعــو لَـهُ بـالعُمْرِ في كـلِّ مَـشْهَدٍ   ويَــضْحَكُ مِـنّي في الكَـيْنِ أَبـو يَحْـيىٰ

«الباء»

«١٩»

التخريج : اليتيمة : ٤/٢٤٥.

ـ وله أيضاً :

١ أَخــو كَـلِماتٍ مـاجَلاها لِسَـانُهُ   عَـلىٰ أَحَـدٍ إلّا غَـدا وَهْـوَ حـاطِبُ

٢ مَتىٰ يَـرْوِها أَهْـلُ الصِّـناعَةِ يُـنْشِدوا   «عـجائب حـتىٰ ليس فـيها عـجائبُ»[1]

«٢٠»

التخريج : اليتيمة : ٤/٢٤٩.

ـ وله من أخرىٰ :

١ وَيْـشَرَبُ لكـنْ في إنـاءٍ مِـنَ الثَّرىٰ   رَحـيقاً خَـوابِـيها الطِّـلا والمـناكبُ[2]

٢ وَيشْـمَعُ لكـنّ الغـناءَ مَـدائِـح   وَيَكْـنِزُ لكـنّ الكـنوزَ مـناقِبُ[3]

٣ لَـوَ أنَّ حَـبيباً كـان لاقـاهُ لَمْ يَـقُلْ   «وَأَكْـثَرُ آمـالِ النـفوسِ الكـواذِبُ»

آخره تضمين.

«٢١»

التخريج : اليتيمة : ٤/٢٥٣ : تاريخ يميني : ١٧٨ ـ ١٧٩ ؛ قول على قول : ٩/٥٨ .

ـ وله في شمس المعالي قابوس :

---

١. المصراع عجز بيت لأبي تمام وصدره قوله : «علىٰ انها الايام قد صرن كلها» راجع ديوان أبي تمام ، ج ٤/٤٢.

٢. الرحيق : الشراب الصافي. الطِّلا : الدماء.

المناكب : جمع منكب وهو مجمع رأس الكتف والعضد . والمنكب من القوم : عونهم الذي يعتمدون عليه.

٣. يكنز : يجمع. المناقب : الآثار الحميدة.

١ شموسٌ لَهُنَّ الخِدْرُ والبَدْرُ مُغرِبٌ فَطالِعُها بالبَيْنِ والهجرُ غاربُ
٢ ولكنَّا شمسُ المعالي خِلافُها مَشارِقُهُ ليستْ لَهُنَّ مَغارِبُ[١]
٣ فما لَقَّبوهُ الشمسَ إلّا وقَدْ رَوَوْا «بأنّكَ شمسٌ والملوكُ كواكِبُ»[٢]
٤ أقولُ لِزُوّارِ الأَميرِ تَرَجَّلوا فَمَنْ زارَهُ مِنْ راجِلٍ فَهْوَ راكِبُ
٥ وإن زارَهُ الفرسانُ كنتُ كفيلَهم بأنْ يَرجِعوا والخيلُ فيهم جَنائِبُ[٣]
٦ إذا رَجَعوا عَنْ بابِهِ فَنَشِيدُهُمْ «وإن سكتوا أثنَتْ عليهِ الحَقائِبُ»[٤]
٧ ألا بلّغوا عنّي الاميرَ رِسالةً تَدُلُّ على أَنّي على الدَّهْرِ عاتِبُ[٥]
٨ إلى كَمْ يَحِلُّ المرءُ مثلكَ بَلدَةً بِها منبرٌ فيها لِغَيْرِكَ خاطِبُ[٦]
٩ لَقَدْ هانَ مَنْ أَمسىٰ بِبَلْدَةِ غيرِهِ «وقَدْ ذَلَّ مَنْ بالَتْ عليهِ الثَّعالِبُ»[٧]
١٠ عليكَ بهذا السيفِ فاقْضِ ديونَهُ فِللسَّيْفِ دَيْنٌ عندَ كَفِّكَ واجِبُ
١١ فلا تَقْعُدَنْ تُغضي الجُفُونَ عَلَى القَذَىٰ وفي الارضِ مَرْكوبٌ وَرُمحٌ وصاحِبُ[٨]

---

١. وردت الكلمة الاولىٰ من هذا البيت في تاريخ يميني «ولكنها..».
٢. ورد هذا البيت فقط في قول على قول: ٥٨/٩.
وورد الحرف الاول من البيت في تاريخ يميني «وما...».
المصراع الاخير من هذا البيت للنابغة الذبياني وهو بيت عجزه «اذا طلعتْ لم يبد منهن كوكب». راجع ديوان النابغة: ص ١٨.
٣. كناية عن الغناء.
٤. هذا البيت لا يوجد في تاريخ يميني. وفيه تضمين مأخوذ من قول نُصَيْب بن رباح في سليمان بن عبدالملك:
فعاجوا فاثنوا بالذي انت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائبُ
راجع: الاغاني: ٣٣٧/١.
٥. عاتب: لامه على مكروه لفعله. ووردت الكلمة الثانية من البيت في تاريخ يميني «ألا بلّغا..».
٦. ورد الشطر الثاني في تاريخ يميني «بها منبر فيه لغيرك خاطب».
٧. لا يوجد هذا البيت في تاريخ يميني. والىٰ نهاية هذا البيت ينتهي ما نقله الثعالبي من القصيدة معلقاً في نهاية هذا البيت «ان هذه من سقطاته وعرره الواقعة في غرره فان فيه سوء ادب وهو بالتقريع اشبه منه بالتقريظ وليس مما يخاطب به الملوك.
٨. البيت وما بعده في ص ١٧٩ من تاريخ يميني. والىٰ هنا اكتفىٰ مانقله من ابيات صاحب كتاب «ترجمة تاريخ يميني»

١٢ أَعَزْمُكَ هذا الدَّهرُ فَالْزَمْهُ يَغْتَرِم فَلَنْ يَوقِظَ الْعزّامَ الّا المُطالبُ

١٣ وانتَ أبْنُ عَمِّ السَّيفِ بل أَنْتَ عَمُّهُ وكيفَ يخافُ الأَقْربينَ الأَقارِبُ

١٤ أَلَيْسَ أبوكُمْ وشمكيرَ وَجَدُّكُمْ زيارُ ومَرْداويجُ عَمٌّ مناسبُ[1]

١٥ تَحَرَّكْ بِنا إمّا لواءٌ وَمنبرٌ وإمّا حُسامٌ كالعقيقَةِ قاضِبُ

«٢٢»

التخريج : اليتيمة : ٤/٢٦٤؛ سيرة السلطان جلال الدين منكُبرتي : ١٨٢؛ تاريخ الادب العربي للزيات : ٢٦٩؛ تاريخ الادب العربي لعمر فروخ : ٢/٥٤٦.

ـ وله في هجاء بني العباس :

١ مالي رأيتُ بَني العبّاسِ قَدْ فَتَحوا مِنَ الكُنىٰ وَمِن الأَلْقابِ أَبوابا[2]

٢ وَلَقَّبوا رَجُلاً لو عاشَ أوّلُهُمْ ما كان يَرضىٰ به للحَشِّ بوّابا[3]

٣ قلَّ الدَّراهِمُ في كَفَّيْ خَليفَتِنا هذا فَأَنْفَقَ في الأَقْوامِ أَلقابا

«٢٣»

التخريج : اليتيمة : ٤/٢٤٦.

ـ وله في هجاء فقيه :

← ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

١. ورد هذا البيت في كتاب «سبك شناسى» ج ٢ ص ٣٦ بهذا الشكل :

وان ابـاكـم وشمكـيرٌ وجـدّكـم زَيـارٌ ومـرداويـجُ عـمٌّ مـناسبُ

وكلمة زيار أصح من كلمة زياد التي وردت في تاريخ يميني.

٢. وردت كلمة «الاسماء» بدل الالقاب في سيرة السلطان منكبرتي. وعلّق محقق الكتاب قائلاً« لمّا كان ابو بكر الخوارزمي (٣٢٣ ـ ٣٨٣) قد عاش في عصر كان البويهيون يسيطرون فيه على الدولة العباسية ويتحكمون في الخلفاء انفسهم مما دفع هؤلاء الخلفاء الىٰ ارضائهم بشتىٰ الوسائل والاساليب منها : الاسراف في منحهم الالقاب، فمن المحتمل ان يكون الخوارزمي قد قصد بهذه الابيات ان يصوّر هذا المظهر في حياة العباسيين في ذلك الوقت.

٣. الحُش والحَش : النخل المجتمع والبستان وجمعه حُشان وحِشان وجمع الجمع حشاشين.

وقد ورد بدل هذه الكلمة كلمة (للقصر) عند الزيات وعمر فروخ.

كما ورد مطلع البيت الاول عند عمر فروخ بهذا الشكل «أما رأيت ....».

١ مُجـــبِرٌ صـــيَّرَ ابــنَهُ نــاصِبيّاً مُجـــبِراً مِـــثْلَهُ وتِــلْكَ عَـجيبَهْ[١]

٢ ليسَ يَـرْضى أَنْ يَـدْخُلَ النـارَ فـرداً ســـاعةَ الحَــشْرِ أو يــقودَ حَــبيبَه

« ٢٤ »

التخريج : اليتيمة : ٤/٢٦٨.

ـ وله من قصيدة أخرىٰ :

١ يــا أيُّهــا الخــاطبُ مَـدْحي وَهَـلْ يُــورَدُ مِــنْ غَــيْرِ رَشــاءٍ قَــلِيبْ[٢]

٢ شـــيئانِ لَمْ يَجْـــتَمِعا لامْـــرِئٍ حُبُّ الدنــــانيرِ وحُبُّ الحَـــبيبْ

« ٢٥ »

التخريج : اليتيمة : ٤/٢٦٨ ـ ٢٦٩.

ـ ومن صاحبية لما ورد حضرته مكتوب من جهة تاش :

١ فَــإِنْ رَدَّني دَهــري عَـلَيْكَ طـريدةً فلا غروَ أَنْ يَسْـتَرْجِعَ القـوسَ حـاجِبُ

٢ هُوَ الوكرُ طِـرْنا عـنه والرّيشُ وافِـدٌ وعُـــدْنا إليـــه الآنَ والرّيشُ ذاهِبُ

ـ ومنها يتعرض الىٰ هجاء السامانيين :

٣ جزىٰ اللهُ عنّي أهـلَ سـامانَ مـا أَتَـوْا وفي اللهِ للـــثَّأرِ المُـــضَيَّعِ طــالِبُ

٤ هــم زوّجــوني الهَــمَّ بـعدَ طَـلاقِهِ وذلكَ عُـــرسٌ للـــمآتِمِ جــالِبُ

٥ هُمْ أَعْطَشوا زَرْعـي فشِـمْتُ سـحائباً غَــرائِبَ لَمّــا أَخْــلَفَتْني القَــرائِبُ[٣]

٦ فأَمْحَـوْا لِـزَرْعي بـالحَصادِ وأَنْـضَبوا مِــياهاً لَهـا أيـدي سِـواهُـمْ مَـذانبُ[٤]

---

١. مجبر، على زنة اسم الفاعل كمكرم: أي قائل بالجبر. وملخص هذه المقالة ان العبد لا اختيار له في فعل ما يفعل وترك ما يترك من خير وشر وانه كالريشة في مهب الريح. واصحاب هذه المقالة يزعمون ان عقاب المسيء ظلم، وثواب الطائع محاباة.

٢. الرّشاء : الحبل؛ القليب : البئر.

٣. شمت : نظرت وتطلّعت.

٤. مذانب: جمع مذنب: مسيل ما بين القلعتين أو مسيل الماء الىٰ الارض ومن الوادي اسفله وقيل المذنب: الجدول يسيل عن الروضة بمائها الىٰ غيرها. والمذانبة: الدّلاء يؤخذ بها الماء.

٧ أَتَحصُدُ أيديكُمْ ويَزْرَعُ غَيْرُكُمْ فَأَنْتُمْ جَرادٌ والمُلوكُ سَحائِبُ[١]

ثم يرجع:

٨ اذا طَمِعَ السلطانُ فيما كَسَبْتُهُ بِشِعْرِيَ فالسُّلطانُ بالشِّعْرِ كاسِبُ

٩ فَأَنْتُمْ مَدَحْتُمْ آلَ بُويَةَ لا أَنا وأَمْدَحُ مِنْ لَفْظِ اللِّسانِ حَقائِبُ

«٢٦»

التخريج: اليتيمة ٢٧٤/٤؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب [ط دار المعارف] ص ٦٤٤.

ـ وله في النَّد[٢]:

١ وطِيبٍ لا يُحَلُّ بِكُلِّ طِيبٍ يُحَيِّينا بأَنْفاسِ الحَبيبِ[٣]

٢ يَظَلُّ الذَّيْلُ يَسْتُرُهُ ولكنْ تَنِمُّ عَلَيْهِ أزرارُ الجُيوبِ

٣ متىٰ يَشْمُمْهُ أَنفٌ حَنَّ قلبٌ كأَنَّ الأَنْفَ جاسُوسُ القُلوبِ[٤]

«٢٧»

التخريج: اليتيمة ٢٧٥/٤.

ـ ومن ارجوزة له يَبرم فيها بالدّهر وبدنياه:

١ لا تَشْكُرِ الدَهْرَ لِخَيْرٍ سَبَّبَهْ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّدْ بالهِبَهْ[٥]

---

١. اخذ الخوارزمي هذا المعنىٰ من قول ابن عيينة* [من الطويل]:

أَبوكَ لَنا غَيثٌ نَعيشُ بِظِلِّه وأنتَ جَرادٌ لَسْتَ تُبقي ولا تَذَرُ

* هو ابو محمد سفيان بن عيينة ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ وتوفي سنة ١٩٨ هـ في مكة راجع: تاريخ الادب العربي لعمر فروخ، ٢٤١/٢.

٢. ضرب من الطيب يدخّن به. وقد يقال: النَّد. ٣. وردت في ثمار القلوب كلمة «يحلّ» بدل «يخلّ».

٤. ورد البيتان ١ و ٣ فقط في ثمار القلوب حول «انفاس الحبيب وبها يشبّه كلّ شيء طيب».

وقد جاء البيت الثالث بهذا الشكل في ثمار القلوب:

متىٰ يشممه أنفٌ جُنَّ قلبٌ كأنّ الانفَ جاسوسُ القلوبِ

وأظن البيت بهذا الشكل يستقيم وزنه، لانه لا يستقيم بالشكل الوارد في اليتيمة فقد جاءت كلمة الأنفس في الشطر الثاني وأظنّه تصحيف.

٥. اورد شوقي ضيف في تاريخ الادب العربي ٦٠٠/٥ آخر البيت بهذا الشكل «.. في الهبَه».

٢ وإنَّما أخْطأَ فيكَ مَذْهَبَهْ كالسَّيْلِ اذْ يَشُقّ مكاناً خَرَّبَهْ

٣ والسُّمُّ يَسْتَشْفي بهِ مَنْ شَرِبَهْ ما أَثْقَلَ الدَّهْرَ عَلَىٰ مَنْ رَكِبَهْ[١]

٤ حَدَّثَني عَنْهُ لِسانُ التَّجرُبَهْ ما أهونَ الشَّوْكَةَ قَبْلَ الرَّطبه[٢]

٥ واسهل الكدّ على من أكْسَبَهْ

«٢٨»

التخريج : اليتيمة ٤/٢٧٦ ـ ٢٧٧.

ـ وله في الحِكَم والامثال :

١ المُلكُ عِندي مِتْعَةُ الشَّبابِ والعَزْلُ عِندي فُرْقَةُ الأَحبابِ

٢ والفَقْرُ عِندي عَدَمُ الشَّرابِ والشَّيبُ عِندي كَذِبُ الخضابِ

٣ والقُبحُ عندي عَدَمُ الآدابِ والعرسُ عِندي لَيْلَةُ الكِتابِ

٤ والرَّوضُ عندي مُلحُ الأعرابِ والبغضُ عندي كثرةُ الإعرابِ

٥ والسَّيفُ عندي قَلَمُ الكُتّابِ والنُّجح عندي سُرْعَةُ الإيابِ

٦ والطَّردُ عندي كَلْحَةُ البَوّاب والذُّلُّ عِندي وَقْفَةُ الحجاب[٣]

٧ والقَحطُ عندي قِلَّةُ الأَصحابِ والشُّؤمُ عندي كثرةُ العِتابِ

٨ والعِيُّ عندي هَذَرُ الخطابِ والعِزُّ عندي طاعَةُ الصَّواب

٩ والإلُّ عندي خلّةُ القِحابِ والغُول عندي طلعةُ الكذاب[٤]

١٠ والصَّفحُ عندي أبلغُ العِقابِ واللومُ عندي سَفَهُ الشَّرابِ

١١ والأمْسُ عندي أسرعُ الهرّابِ والمالُ عندي أسرعُ الهراب

١٢ والغَد عندي الحقُ الطلاّبِ والفخرُ عندي أَفْخَرُ الثّيابِ

---

١. ورد الشطر الثاني بهذا الشكل : «ما أصعب الدهر علىٰ من ركبه» في مخطوطة مجهولة.

٢. ورد الشطر الاول مكان الشطر من البيت الثالث ويليهما البيتان الاول والثاني في المخطوطة المجهولة.

٣. الطرد : من طرد ـ يطرد ، الكلحة : العبسة.

٤. الإلّ : الذمة أو العهد.

١٣ والسّـجنُ عـندي مـنزلُ التُّرابِ　　والهـولُ عـندي مَـوْقِفُ الحِسـابِ

« ٢٩ »

التخريج : اليتيمة ٣/٣٠٧.

ـ قال ابو بكر الخوارزمي[١] :

١ جـادَ الغـمامُ بِـدَمْعٍ كـاللُّجَيْنِ جَـرَى　　فَـجُدْ لَـنا بـالّتي في الّـلونِ كـالذَّهَبِ

« ٣٠ »

التخريج : رسائل الخوارزمي : ٢٦١.

ـ وله رسالة ختمها بهذين البيتين :

١ عَـجِبْتُ للـدّهرِ في تَـصَرُّفِهِ　　وكـلُّ أَفـعالِ دَهْـرِنا عَـجَبُ

٢ يُـبايِنُ الدَّهْـرُ كـلَّ ذي أدب　　كأنمـا نـاكَ أُمَّـهُ الأَدَبُ

« ٣١ »

التخريج : محاضرات الادباء ٣/٣٦١.

ـ وله حول البخور الطيب[٢] :

١ بُخُـورٌ مـثلُ أنـفاسِ الحـبيبِ　　وطِـيبٌ قـد أَخَـلَّ بِكُـلِّ طـيبِ

٢ يَـظَلُّ الذّيـلُ يَشـتُرُهُ ولكـن　　تـنمّ عـليهِ أنـفاسُ الجـنوبِ

٣ اذا مـا شَمَّ أنـفٌ حَـنَّ قَـلْبٌ　　كَأَنَّ الانـفَ جـاسوسُ القُـلوبِ

« ٣٢ »

التخريج : ديوان المعاني ١/١٥٦ ـ ١٥٧.

---

١. قال الثعالبي : سمعت ابا بكر يقول عند انشاد هذه الثلجيات (اشارة الىٰ ابيات ابن المعتز في الثلجيات) : كل هذه الثلجيات عيال علىٰ قول الصنوبري [من مجزوء الكامل] :

ذهَبٌ كـؤوسك يـا غـلا　　مُ فـإنه يـومٌ مُـفَضَّض

فقلت : قد اخذه منه من لم يزد على معناه فقال [ابو بكر البيت اعلاه].

٢. وشبيه هذه الالفاظ والمعاني قد تكرر في القطعة ٢٦.

ـ وقال الخوارزمي حول الشيب[١]:

١ وقالوا أَفِقْ من سَكْرةِ اللّهْو والصِّبا فَقَدْ لاحَ صُبْحٌ في دُجاكَ عَجيبُ

٢ فقلتُ لَهُمْ كُفّوا المَلامَ وأَقْصِروا فإنَّ الكَرىٰ عِنْدَ الصَّباحِ يَطيبُ

«٣٣»

التخريج: تاريخ يميني ١٩٧؛ ترجمة تاريخ يميني ٢٥٦؛ سفينة الدرر ورقة ٥٩؛ درج الغرر ودرج الدرر ٤١ ـ ٤٢.

ـ وله أيضاً من قصيدة يمدح الميكالي «أبا نصر احمد بن علي ابن اسماعيل» وهو من أعيان السلطان بنيسابور:

١ تِلْكَ الدِّيارُ فَريسَةُ الأَحْقابِ صَنَعتْ بِعَيْني صُنْعَ ساكِنها بي[٢]

٢ وإلىٰ الأَميرِ ابنِ الاميرِ تَواهَقَتْ رَزْحَى الرِّكابِ بِرازحي الرُّكّابِ[٣]

٣ لَبِسوا الدُّجىٰ لُبْسَ الغُرابِ بريشهِ وغَدَوا لِحاجَتِهم غُدُوَّ غُرابِ[٤]

٤ والفَجْرُ يَطْرُفُ والظّلامُ كَأَنَّهُ فَضَلاتُ عَتْبٍ في خِلالِ عِتابِ

٥ طَلَبوا امْرءاً أفعالُهُ مَحْسُوبَةٌ ونَوالُهُ فَوْضىٰ بغيرِ حِسابِ[٥]

٦ غَدَتِ المدائحُ وهي اسماءٌ لَهُ ولِغَيْرِهِ أَصْبَحْنَ كالأَلْقابِ[٦]

٧ والمَكْرَماتُ كثيرةُ الخُطّابِ لأنّها تَأْتي علىٰ الخُطّاب

---

١. وقد علق عليه ابو هلال العسكري بقوله «وهذا معنى مليح اظنه ما سُبق إلَيه».

٢. لم يرد هذا البيت في درج الغرر و درج الدرر. ومعناه: ذهب نور بصري من كثرة البكاء كما ان ساكنها أسهرني.

٣. تواهقت الابل: مدت اعناقها وتواصلت؛ رزحت الناقة: سقطت تعباً وهزالاً.

وقد ورد هذا البيت وبعده الابيات ٩ ـ ١٣ في درج الغرر ودرج الدرر، وعلّق المحقق جليل العطية في الهامش «ان الحصري [في زهر الآداب: ٦٩٦] قد نسب هذه الابيات الىٰ احمد بن شبيب وهو وهم منه وراجعت زهر الاداب فوجدت ذلك في ج ٣ ص ٧٥٠.

٤. يعني: لبسوا ركاب الدجىٰ.

٥. محسوبة: معتدّبها؛ فوضى: متفرق.

٦. وردت ستة ابيات فقط في ترجمة تاريخ يميني تنتهي بهذا البيت.

٨ مُـتَبَسِّمُ الحُـجّابِ مُكْـتَئِبُ العِـدىٰ ... مُـثري النَـديمِ مُجـازِفُ الحُسّـابِ[1]

٩ شِـيَمٌ أَرَقُّ مِـنَ الهَـوىٰ وأَلَذُّ مـن ... خَـطَأ العَـدُوِّ رَدَدْتُـهُ بِـصَوابِ[2]

١٠ وعـزائمٌ لو كـنَّ يـوماً أسهـماً ... لَـنَفَذْنَ في الأَيـام غـير نـوابِ[3]

١١ مـائيةُ الحـركات إلّا أنّهـا ... نـاريّةُ الإِقـدامِ والإِلهـابِ[4]

١٢ قد أصبحتْ ألفـاظُهُ صـورَ النهىٰ ... وقـوالبَ الاسماعِ والألبـابِ

١٣ يَخْـطُرْنَ بـينَ سِـياسةٍ وريـاسةٍ ... ويَـتُهْنَ بـين مَـثُوبَةٍ وعِـقابِ[5]

١٤ واذا حَـلَلْتَ لَـهُ جـناباً واحـداً ... حَـلَّ المـؤمِّلُ مِـنْكَ أَلْـفَ جَـنابِ.

«٣٤»

التخريج: من غاب عنه المطرب (٢٦٢ ط الجوائب) و(٩٣ ط دمشق).

ـ وأنشد ابو بكر الخوارزمي في وصف الشمس:

١ أَمـا تَـرَىٰ الشـمسَ بَـدَتْ ... كأنّهـا تُـرْسُ ذَهَبْ

٢ كأنّهـا قـد رُكِّـبَتْ ... للـناظِرينَ مِـنْ لَهَبْ

٣ النُّـورُ بـادٍ عِـنْدَنا ... كـما الظّـلامُ مُـنْتَهَبْ

٤ أشكـرُ عـنها مَـلِكاً ... أحسـنَ في مـا قـد وَهَبْ

«٣٥»

---

١. يعني: لا يمكن عدّ عطاياه فما يقولون وما يعدون يكون مجازفة.

٢. ورد هذا البيت في درج الغرر بهذا الشكل:

شـيمٌ أرقُّ مـن الهـواء بـل الهـوى ... والذُّ مـن ظَـفَرٍ بـعَقب ضراب

والضراب: القتال.

٣. نواب: من النبو، جمع نابية وهو اسم الفاعل من نبا السيف والرمح اذا حاد عن ضريبته.

٤. ورد في درج الغرر بدل مائية الحركات، مائية الجريان. ومعنى ذلك: ان عزائمه مائية الحركات أي لطيفة يعني ان عزماته كالماء لطافة وكالنار حرارة واحراقاً.

٥. ورد في درج الغرر بدل «بين سياسة ورياسة» بين رئاسة وسياسة. وجاء في سفينة الدر ورقة ٥٩ بدل الشطر الثاني، «ويمسن بين عقوبة وثواب».

التخريج : التمثيل والمحاضرة، ١٩٢.

ـ وله في التعريض بأمثلة النحويين :

١ ما كنتُ أَحْسَبُ أنّ عَمْراً يُذنِبُ　　فَيُخَصُّ زيدٌ بالملاَمِ ويُضْرَبُ

« ٣٦ »

التخريج : ربيع الابرار ونصوص الاخبار ٣/٢٣٨.

ـ وله حول الكتاب وأهميته :

١ وأَرثي لَهُ مِنْ مَوْقفِ السُّوءِ عِنْدي　　كَمَرْثِيَّتي للطِّرفِ والعِلْجُ راكِبهُ[1]

« ٣٧ »

التخريج : وفيات الاعيان ؛ ٥/١١٠[2].

ـ وله :

١ أيُّها الرَّبعُ لِمْ عَلاَكَ ٱكتِئابُ　　أَينَ ذاكَ الحِجابُ والحُجّابُ

٢ أينَ مَنْ كانَ يَفْزَعُ الدَّهْرُ مِنْهُ　　فَهُوَ اليومَ في التُّرابِ تُرابُ

٣ قُلْ بلا رقبَةٍ وغَيْرِ ٱحْتِشامٍ　　ماتَ مَوْلايَ فَاعْتَراني ٱكْتِئابُ

« ٣٨ »

التخريج : نهاية الارب في فنون الادب : ٣/١١٣

ـ قال الخوارزمي :

١ ....　　ومن عجب الايام ترك التّعجّبِ

« ٣٩ »

---

١. الطرف : الكريم من الخيل ؛ العلج : الرجل من كفار العجم.

٢. يقول ابن خلكان : «رأيت في بعض المجاميع أنّ الصاحب بن عباد عبر على باب داره بعد وفاته فلم ير هناك احداً بعد ان كان الدهليز يغصّ من زحام الناس فانشد تلك الابيات الثلاثة. ثم رأيت في كتاب اليميني للعتبي هذه الابيات وقد نسبها الى أبي العباس الضبي ثم قال ويقال انها لابي بكر الخوارزمي وقد اجتاز بباب الصاحب بن عباد. ولا يمكن ان تكون على هذا التقدير للخوارزمي لانه مات قبل الصاحب».

التخريج : الدرّ الفريد وبيت القصيد : ٣/٣٥٠.

ـ وله :

١ سَـتَمْضي مَـعَ الأَيّـامِ كُـلُّ مُـصيبَةٍ وتَحْـدُثُ أَحْـداثٌ تُـنَسّي المَـصائِبا

« ٤٠ »

التخريج : الدّرّ الفريد وبيت القصيد : ٣/٣٥٠.

ولابي بكر الخوارزمي :

١ سـتَتْشَبُ نَـفْسَكَ أُنشـوطَةٌ وأَعْـزِزْ عـلَيَّ بِمَـنْ تَشَبُ[1]

٢ وتَحْـمِلُها في آتِّـباعِ الهَـوىٰ عـلى آلةٍ ظَـهْرُها أجْـدَبُ

« ٤١ »

التخريج : التبيان في المعاني والبديع والبيان : ٤٣٧.

١ أَنـا في مُـقاساةِ حَـرِّ الشَّـوقِ كـما اَعْـتادَ مَحْـموماً بِخَـيْبَرَ صَـالِبُ

٢ وفي تَـذَكُّـرِ عَـهْدِ الاجـتماعِ كما اَهْتَزَّ مِـنْ صِرْفِ المُـدامَـةِ شـارِبُ

« ٤٢ »

التخريج : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (٣٩٨ مط الطاهر) و(٥٠٥ في مط دار نهضة مصر)؛ الحيوان في الادب العربي : ١/١٥٤.

ـ وقال ابو بكر الخوارزمي يشكو حاله :

١ ضَـنَيْتُ فَـلَوْ أُلقِيتُ في حَـلْقِ بَـقَّةٍ خَـريفيّةٍ مِـنْ دِقَّـتي لَمْ تَـغُصَّ بي[2]

٢ وأَصْـبَحَ قَـلْبي في يَـدِالهَـمِّ واَغْـتَدَتْ أمـانِيَّ في أظْـفارِ عَـنْقاءَ مُـغْرِبِ[3]

---

١. الوشب : من قولهم تمرة وشبة غليظة اللحاء. والاوشاب : الاوباش والاخلاط واحده وِشب. ووشب ـ يشب : يعني اختلط يختلط.

٢. بقة خريفية : ضعيفة. الغصة : ما يعترض في الحلق. ويضرب المثل في ضعف البقّة وصغرها.

٣. عنقاء مغرب : طائر عظيم يبعد في طيرانه وقيل انه من الالفاظ التي ليس لها مدلول حقيق.

« ٤٣ »

التخريج : أعيان الشيعة : ٣٧٨/٩.

ـ وله أيضاً :

١ ومُحجَّبٍ بِحِجابِ عِزٍّ شامِخٍ وشُعاعُ نورِ جبينِهِ لا يُحجَبُ

٢ حاوَلْتُهُ فرأيتُ بَدْراً طالِعاً والبدرُ يَبْعُدُ بالشّعاعِ ويَقْرُبُ

٣ قَبَّلْتُ نورَ جَبينِهِ مُتَعَزِّزاً باللَّحْظِ مِنْهُ وقَدْ زَهاهُ المَوْكِبُ

٤ كالشَّمْسِ في كَبِدِ السَّماءِ ونُورُها مِنْ جانِبَيْهِ مُشَرِّقٌ وَمُغَرِّبُ

٥ إنْ يَنْأَ شَخْصي عَنْ مَجالِسِ عِزِّهِ فالنّفسُ في أَلْطافِهِ تَتَقَلَّبُ

٦ واذا تقاربَتِ النفوسُ وإن نَأَتْ أَشْخاصُها فَهُوَ الجِوادُ الأَقْرَبُ

« ٤٤ »

التخريج : مصارع العشّاق ٢٩٢/١ .

ـ ومن ملح أبي بكر الخوارزمي في النسيب والغزل قوله :

١ وقالوا لَها هذا حَبِيبُكِ مُعْرِضاً فقالَتْ : ألا إعْراضُهُ أَيْسَرُ الخَطْبِ

٢ فما هي إلّا نَظْرَةٌ بِتَبَسُّمٍ فَتَصْطَكُّ رِجْلاهُ ويَسْقُطُ للجَنْبِ

« ٤٥ »

التخريج : اليتيمة ٢٦٧/٤.

ـ وله في هجاء رجل جليت ابنته عن الختن وهي منه حبلى لأشهر :

١ يا جاليَ البِنْتِ بَعْدَ ما ثُقِبَتْ تبرُزُ القِدْرَ بَعْدَ ما قُلِبَتْ

٢ هذا كما قَدْ يُقال في مَثَلٍ جَصَصْتَ الدارَ بعد ما خَرِبَتْ

« ٤٦ »

التخريج : التوفيق للتلفيق ، ١٨٦ .

وله في التلفيق بين ذكر الكاتب والخط والحروف :

١ كَتَبْتُ وَشِيناتُ حالي غَلَبْنَ عَلَيَّ لِمَنْ جَلَّ عَنْ مُشْبِهِ

٢ فَشَـوقي إليـهِ، وشُكـري لَـهُ وشِـعْرِيَ فـيه وشُـغْلي بِـهِ

فقد لفّق هنا بين أربع شينات.

«التاء»

« ٤٧ »

التخريج: روضات الجنات: ٥/٦٣.

ـ قال الخوارزمي[1]:

١ مـا تـابعٌ لَمْ يـتَّبِعْ مَـتبوعَهُ في لَـفْظِهِ وَمَحـلِّهِ يـاذا الثَّـبَتْ

٢ مـاذا بِـعلْمٍ غـير عـلمٍ نـافعٍ بـالغْت في إتـقانِهِ حَـتىٰ ثَـبَتْ

«الجيم»

« ٤٨ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٢؛ التوفيق للتلفيق، ١٥٩؛ من غاب عنه المطرب، ٥٦؛ عيون التواريخ ١٠/١٣٢؛ الوافي بالوفيات ٣/١٩٤؛ سرور النفس ١٦٤ ـ ١٦٥؛

ـ ومن أخرىٰ له:

١ وَلَـقَدْ ذَكَـرْتُكِ والنـجومُ كأَنَّهـا دُرٌّ عَـلَىٰ أَرْضٍ مِـنَ الفَـيروزَجِ[2]

٢ يَـلْمَعْنَ مِـنْ خَـلَلِ السَّحابِ كأنَّهـا شَرَرٌ تـطايَرَ في دُخـانِ الـعرفَجِ[3]

---

١. قال صاحب روضات الجنات خلال ترجمته لعبد الرحمن بن كمال الدين السيولص: «والعجب ان هذا اللغز في ابياته صورة المسألة، وهو ماذا بعلم غير علم نافع، ولما عرضه علىٰ الزمخشري قال له: لقد جئت شيئاً إدّاً أي عجباً.(روضات الجنات، طبعة قم، ٥/٦٣)

٢. ورد البيت الاول فقط في التوفيق للتلفيق في موضوع التلفيق بين الجواهر والذهب والفضة.

٣. من خلل السحاب: من خلاله. العرفج: شجر سهلي اصلها واسع تنبت عليه اغصان دقاق ليس لها ورق له بال ←

٣ والأُفْقُ أَحْلَكُ مِنْ خواطرِ كاسِبٍ ... بالشِّعْرِ يَسْتَجدي اللِّئامَ وَيَرتَجي

٤ فَمَزَجْتُ دَمْعِيَ بالدِّماءِ وَلَمْ أكُنْ ... صِرْفَ الهَوىٰ والعَهْدِ إنْ لم أَمْزِجِ[1]

«٤٩»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٣ ـ ٢٤٤

ـ وله من أخرىٰ في فرس عضد الدولة:

١ حَسَدَ السِّماكَ سَمِيُّهُ لَمّا بَدا ... في سَرْجِهِ شَخْصُ الهُمامِ الأَبْلَجِ[2]

٢ وغَدا فَأَضْحىٰ لاحِقاً ضدَّ اسْمِهِ ... وأَراكَ أَعوج وَهْوَ عَيْنُ الأَعْوَجِ[3]

٣ فَلَوَ أَنَّ شاعِرَ بُحتُرٍ في عَصْرِهِ ... ما قالَ في فَرَسٍ ولا في أَعْوجِ

٤ «خَفَّتْ مواقِعُ وَطْئِهِ فَلَوَ انَّهُ ... يَجْري بِرَمْلَةِ عالِجٍ لم يُرْهِجِ»[4]

«٥٠»

التخريج: محاضرات الادباء ٣/٦٢٧.

ـ وله حول الفرس المثير للغبار:

← وفي اطرافها زمع يظهر في رؤوسها شيء كالشعر اصفر. ولهب العرفج شديد الحمرة ويقال ان العرفج نبت طيب الرائحة اغبر الخضرة له ازهار صفراء ولا شوك له.

وجاء في الوافي بالوفيات «.. من دخان العرفج».

١. ورد هذا البيت في اليتيمة فقط ولم يرد في المصادر الاخرىٰ

صرف الهوىٰ خالصه والصرف: هو الصافي ومن الخمر الذي لم يخالط بالماء.

٢. السماك: فرس منسوب لعضد الدولة.

٣. واعوج: فرس سابق رُكب صغيراً فاعوّجت قوائمه. وأعوج: فحل كريم تنسب الخيل الكرام له وكان الفرس لبني هلال وليس في العرب فحل اشهر ولا أكثر نسلاً منه (اللسان: ماده عوج)

ولاحقاً ضد اسمه: اشارة الىٰ انه ليس باعزل لان السماك يسمىٰ بالاعزل (اللسان: مادة سمك).

٤. رملة عالج: مكان كثير الرمل. لم يرهج. لم يترك غباراً.

والبيت كما هو للبحتري. راجع الديوان ج ٣٩/٢.

١ يَــــرْفَعُ نَــــقْعاً كَــدُخان الَــعْرفَجِ　　أوْ مِــثْل نَــدْفِ الكُــرْسُفِ المُــنَفَّجِ[١]

«٥١»

التخريج: اليتيمة ٢٥٦/٤

ـ وله من أخرىٰ:

١ خَـتَمتْ بكَ العـجمُ المـلوكَ وراجَـعَتْ　　بِكَ تــاجَ مُـلكِهِمِ القـديمِ المـنهجِ

٢ لَمْ يَــفْقِدوا بِكَ أردشــيرَ وإنَّمــا　　فَــقَدوا نَــقيصَةَ ديــنِهِ المُسْــتَسْمِجِ[٢]

«الحاء»

«٥٢»

التخريج: اليتيمة ٢٦٥/٤

ـ وله في أبي الطيّب البيهقي:

١ فَسَــا الشــيخُ سَهْــواً وفي كَــفِّهِ　　شَرابٌ فَــلُمْناهُ لَــوْماً قَــبيحاً

٢ فــقالَ ٱلدَّخْــلُ والخَــرجُ لي　　فَأَدْخَــلْتُ راحاً وأَخْــرَجْتُ ريحاً[٣]

«الدال»

«٥٣»

التخريج: اليتيمة ٢٣٦/٤

ـ وله في طاهر بن شار من قصيدة:[٤]

---

١. العرفج: ورد وصفه في القطعة ٤٨. الكُرْسُف: القطن وهو الكرسوف واحدته كُرسُفة.
المُنفَّج: المرتفع، وكل ما ارتفع فقد نفج وانتفج وتنفَّجَ.

٢. المستسمج: الثقيل المكروه.　　٣. ورد أيضاً «فقال لي الدخل والخرج ...».

٤. أغلب الظن ان طاهر هذا هو صاحب سجستان اذ يدل البيت الاول على ابن شار وجاء في القطعة الاولى طاهر بن شار واظنه طاهر بن الحسين (راجع الكامل لابن الاثير ٣٣٩/٥).

١ ألا أبـلغْ بـني شـارٍ كـلامي ومَـنْ لم يَـلْقَهُمْ فَـهوَ السـعيدُ
٢ عـلامَ ابـتعتمُ فَـرَساً عـتيقاً وليسَ لديكـمُ عَـلَفٌ عَـتيدُ[1]
٣ وفـيمَ حَـبستمُ في البـيتِ بـازاً يَحـيصُ الطـيرُ عَـنْهُ أَوْ يَحـيدُ
٤ فـلا قـرّبتُموهُ فَـعَلَّمتُموهُ ولا خـلّيتُمُ عَـنْهُ يَـصيدُ[2]

« ٥٤ »

التخريج : اليتيمة ٢٤٠/٤؛ خاص الخاص، ١٥١؛ التوفيق للتلفيق، ١٨٦؛ الاعجاز والايجاز، ١٩٩؛ الدر الفريد وبيت القصيد ٢٦٢/٣.

ـ وله من أخرىٰ :

١ خَـليليَّ عَـهْدي بـاللَّيالي صَـوافـيا فَـما بـالُها أَبـدلْنَ جـيماً بِـصادِها[3]
٢ خَـليليَّ هَـلْ أَبْـصَرْتُما مِـثْلَ أَدْمُـعي نَـفِدْنَ وحـقِّ اللهِ قـبلَ نـفادِها[4]
٣ ولا تَحْـسـبا عـيشي عـليَّ فـانّني أُؤرِّخُ يـومَ المـوتِ يومَ اْفـتقادِها[5]
٤ وَلَسْتُ أُحبُّ الضـوءَ إلّا لِـوَجْهها ولا البـدرَ الّا طـالِعاً مِـنْ بِـلادِها
٥ ولو أنـني أنـصَفْتُها وَرَعَـيْتُها لَسـارَ فـؤادي في طـريقِ فـؤادِها

« ٥٥ »

التخريج : اليتيمة ٢٤٢/٤.

---

١. عتيد : أي حاضر مهيّأ، وعتَّدَ واعتد الشيء : أعدّه وهيأه.

٢. وردت كلمة «قَرْنصتُموهُ» بدل كلمة «قربتموه». وقرنص بازاً : اقتناه راجع كتاب بديع الزمان الهمذاني للدكتور مصطفىٰ الشكعة ص ٩٦.

٣. ورد في التوفيق والتلفيق البيت الاول فقط في باب التلفيق بين ذكر الكاتب والخط والحروف.

٤. ورد في الاعجاز والايجاز البيت الثاني فقط وجاءت كلمة نفدت بدل نفدن وجاء هذا البيت فقط في الدر الفريد وبيت القصيد.

٥. ورد في اليتيمة البيتان الاولان فقط، و وردت الابيات الخمسة كلها في خاص الخاص.

ـ وله من أخرىٰ:

١ ليسَ علىٰ القَلبِ لِلْعَذولِ يدٌ ولا لِيومي مِنَ الفراقِ غدُ

٢ كلُّ فؤادٍ مَعَ الهَوىٰ عَرَضٌ وكلُّ يومٍ مَعَ النَّوىٰ أَسَدُ[1]

٣ يا أيُّها الطالبونَ بي رَشَدا مَتَىٰ التقىٰ الحبُّ قَطُّ والرَّشَدُ

٤ ولي فؤادٌ مذْ صِرْتُ أَفقِدُهُ لَمْ أَنتَفِعْ بَعْدَهُ بِما أَجِدُ[2]

٥ ولي حَبيبٌ لو كنتُ أُنصِفُهُ وَجَدْتُ فيه أضعافَ ما أَجِدُ

٦ شَهِدْتُ للقَلْبِ حينَ علّقهُ بأنّه للوجوهِ مُنتَقِدُ[3]

«٥٦»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٣.

ـ وله من قصيدة في عضد الدولة:

١ ولمّا أكثر الحسّاد فيه وقالوا قد تَغَضَّنَتِ الخدودُ[4]

٢ أجابَ الفَضْلُ عنهُ حاسِديهِ (لأمرٍ ما يُسَوَّدُ مَنْ يَسودُ)[5]

٣ بِودّي لَوْ رأى كنفيه يوماً وَمَنْ قد عاشَ تحتَهُما لَبيدُ[6]

٤ ولو أنّ الوليدَ رآه يَوْماً غدا وَرَجاؤُهُ غضٌّ وَليدُ

٥ وحلَّ عُرىٰ الزّماعِ ولمْ يَرِدَّدْ «أُشَرِّق أم أُغَرِّب يا سعيدُ»[7]

---

١. النوىٰ: البعد والفراق. ٢. أجد من الوجد: وهو العشق.

٣. علقه: احبّه وشغف به. والعلاقة: الهوى والحب اللازم للقلب.

٤. تغضّنت: تجعّدت.

٥. المصرع الثاني لبلعام بن قيس الكناني ـ هكذا ورد في اليتيمة. وأظنه بلعاء بن قيس الكناني، راجع الاغاني: ١٣/٩١ و ١٥/٧٧ و ٢١/١٦٣ و ٢٢/٦٣.

٦. لان لبيداً يقول:

ذهب الذين يُعاش في اكنافهم وبقيتُ في خلفٍ كجلدِ الاجربِ

راجع ديوان لبيد ص ٣٤.

٧. حل عُرى الزماع: أي انثنىٰ عن الامر الذي كان قد ازمع وصمّم على فعله.

«٥٧»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٣.

ـ وله من أخرىٰ:

١ مـتىٰ مـا زرتُهُـم أوصيتُ أهـلي   وَصِـيَّةَ عـائِدٍ بـالجرمِ بـادي

٢ بِـتَجديدِ الصَّـنادِقِ للـهَدايـا   وتَـوسيعِ المَـرابِـطِ للـجِيادِ

٣ وان ودّعـتُهُمْ أَنشـدتُ فـيهم   (سـقىٰ عـهدَ الحـمى سيلُ العِـهادِ)[1]

«٥٨»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦١ ـ ٢٦٢.

ـ وله من قصيدة رثىٰ بها ابا سعيد الشبيبي وكان واداً له عاتباً عليه:

١ أَيـدري السـيفُ أَيَّ فـتىً يُـبيدُ   وأَيَّـةَ غـايةٍ أضـحىٰ يُـريدُ

٢ لَـقَدْ صـادَتْ يَـدُ الأيـام طَـيْراً   تَـضيقُ بِـهِ حَـبالَةُ مَـنْ يَـصيدُ

٣ وأَصْـبحَ في الصَّـعيدِ أبـو سَـعيدٍ   ألا إنّ الصـعيدَ بِـهِ سَـعيدُ[2]

٤ وَقَـدْ كـانت تَـضيقُ الارضُ عَـنْهُ   فَـلِمْ وَسِـعَتْ لِجـثَّتِهِ اللّـحودُ

٥ بَـلىٰ مَسَّ الثَّرىٰ قَـلْباً رحـيباً   فأعـدىٰ التُّرْبَ فَـاتَّسَعَ الصَّـعيدُ

٦ فـلا أدري أَأَضْـحَكُ أَمْ أُبَكّـي   وتَهْـدِمُني المـنيّةُ أو تُشـيدُ

٧ صَـديقٌ قَـدْ فَـقَدْناهُ قَـديمٌ   وثكـلٌ قـد وَجَـدْناهُ جَـديدُ[3]

٨ مُـصابٌ وهـو عِـنْدَ النـاسِ نُـعمىٰ   ونَحْسٌ وهـو عِـنَد النّـاسِ عـيدُ

٩ تُهـنّيني الأنـامُ بِـهِ ولكـنْ   تُـعزّيني المـواثِـقُ والعُـهودُ

---

١. هذا المصراع لابي تمام. راجع شرح الصولي لديوان أبي تمام ج ٣٨٠/١.

٢. الصعيد: الثرىٰ أو القبر، أو المرتفع من الارض وقيل الارض المرتفعة من الارض المنخفضة وقيل مالا يخالطه رمل ولا سبخة، وقيل: هو وجه الارض أو كل تراب طيب.

٣. ورد الشطر الاول في اليتيمة «صديق فقد...» ولا يستقيم به الوزن.

١٠ وَسَـيفٌ قُـدْ ضربتُ بـه مِراراً ... فَمِـنْ ضَربـاتِهِ بي لي شُهـودُ

١١ فـلمّا أن تَـفَلَّلَ ظَـلْتُ أَبكـي ... وعِـندي مِـنْهُ بَـعْدُ دَمٌ جَسـيدُ[1]

١٢ وَمِـنْ عَـجَبِ اللَّيالي أنَّ خَـصْمي ... يَـبيدُ وأَنَّ حُـزني لا يَـبيدُ

١٣ وأنَّ النّـصفَ مِـنْ عَـيني جَمـودُ ... وأنَّ النـصفَ مـن قَـلْبي جَـليدُ

١٤ إذا سَـفَحَتْ عـليه دُمـوعُ عَـيْني ... نَهـاها الهـجرُ مِـنهُ والصـدودُ

١٥ وآثـارٌ لَـهُ عِـندي قـباحٌ ... يجـمّشُ بَـيْنَها الرأسَ الحـديدُ[2]

١٦ فَـنِصْفٌ مِـنْ مَـدَامِعِها سَخينٌ ... وَنِـصفٌ مـن مَـدامِعِها بَـرودُ

١٧ فَـنْ هـذا رأى في النـاس مـثلي ... أُريـد مِـنَ المـنىٰ مـالا أريـدُ

١٨ وَمِـنْ نَكَـدِ المَـنِيَّةِ فَـقْدُ حُـرٍّ ... تُخـالِفُ فـيه اخـواني الشُّهـودُ

١٩ فَـذَا هَـنِّي وقـالَ مَـضىٰ عـدُوٌّ ... وذا عَـزَّى وقـالَ مَـضىٰ وَديـدُ

٢٠ رأيتُ العـقلَ يَـنْفَعُ وهـو قَـصْدٌ ... ويُـلقي في المـهالِكِ إذ يَـزيدُ

٢١ كَـمِثْلِ الـدِّرعِ إنْ خَـفَّتْ أَجَـنَّتْ ... وإنْ ثَـقُلَتْ فَـحامِلُها جَـهيدُ*

٢٢ وَمِـثْلِ المـاءِ يَـروي مـنه قَـصْداً ... ويَـقْتُلُ مِـنْهُ بـالغَرَقِ المَـزيدُ

٢٣ شَهِـدْتُ بِأَنَّ دَهْـراً عِشت فـيهِ ... ومِتُّ مُـقَيَّداً فَـرداً مُـبيدُ

٢٤ وقـالوا البـحرُ جَـزْرٌ ثُمَّ مَـدٌّ ... فـمالَكَ قَـدْ جَـزَرْتَ ولا تَـعودُ

٢٥ بَكَـيتُ عَـلَيكَ بـالعينِ الّـتي لَمْ ... تَـزَلْ مِـنْ سـوءِ فِـعْلِكَ بي تَجـودُ

٢٦ فَـقَدْ أَبْكَـيْتَني حَـيّاً وَمَـيْتاً ... فَـقُلْ لي أيُّ فِـعْلَيْكَ الرَّشـيدُ

٢٧ فَـها أَنـا ذا المُـهَنّأُ والمُـعَزّىٰ ... وهـا أنـا ذا المُـباغِضُ والوَدودُ

---

١. ورد الشطر الثاني في اليتيمة «وعندي من فعد...» وهو غلط مطبعي على ما أظن. وجسيد: جسد جسداً الدم بالشيء الصق وييس فهو جامدٌ؛ وجَسَدَ وجَسِدَ وجسيدٌ وجسادٌ.

٢. يجمّش: جمّش جمشاً شعره: حَلَقَه. وجمشت النورة الشعر: أزالته.

*. اجنت: حفظت وردّت؛ جهيد: مُتعب.

٢٨ وهـا أنـا ذا المصابُ بِكَ المعافىٰ   وهـا أنـا ذا الشَّـقيُّ بِكَ السَّعيدُ

٢٩ لقـد غـادَرْتَني في كُـلِّ حـالٍ   أذمُّ الدَّهْـرَ فـيكَ وأَسْـتَزيدُ

٣٠ فـلا يـومٌ تَمـوتُ بِـهِ تَجِـيدٌ   ولا يـومٌ تَـعيشُ بِـهِ حَمِـيدُ

٣١ ومـا أَصْـبحتُ إلّا مِـثْلَ ضِرْسٍ   تَأَكَّـلَ فَـهْوَ مَـوْجودٌ فَـقيدُ[1]

٣٢ فَـفي تَـرْكـي لَـهُ داءٌ دَوِيٌّ   وفي قَـلْعي لَـهُ أَلَمٌ شَـديدُ

٣٣ فـلا تـبعد إقـامَةَ رَسْمِ حـقٍّ   وإنَّكَ أنتَ لَـلشَّيء البَـعيدُ

٣٤ وإنَّكَ أَنْتَ لَـلسيفُ الحـديدُ   وإنَّكَ أنتَ لَـلْعَلَمُ السَّـديدُ

٣٥ وإنَّكَ أنتَ للـدنيا جَمـيعاً   ولكـن لَـيس لِـلدُّنيا خُـلودُ

« ٥٩ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٣

ـ وله في عائد بن علي لما ضربته السّموم فهلك:

١ عـائِدٌ قَـدْ دَعـا بـه المـعبودُ   وجَمـيعُ الوَرَى إليـهِ يَـعودُ

٢ أَهْـلَكَتْهُ السّـمومُ في أَرْضِ مكـرا   نَ ولِـلّهِ في الرّيـاحِ جُـنودُ[2]

« ٦٠ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٤؛ محاضرات الادباء ١/٣٤٩؛ عيون التواريخ ١٠/١٣٣؛ الوافي بالوفيات ٣/١٩٥.

ـ وله في علوي ناصبي:

١ شريـفٌ فِـعْلُهُ فِـعلٌ وضـيعٌ   دَنِيُّ النَّـفسِ عِـنْدَ ذَوي الجُـدودِ

---

١. تأكّل: تفتّت. وقد ورد تآكل أيضاً.

ورد هذا البيت والبيت التالي له (٣٢ و ٣٣) في شرح المضنون به على غير أهله ص ١٢٤.

٢. مُكران: وهي ولاية بين كرمان من غربيّها وسجستان شماليها والبحر جنوبيّها والهند في شرقيّها وهي ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفاوز والضرّ والقحط. راجع معجم البلدان لياقوت: ٥/١٧٩ ـ ١٨٠.

٢ عَـــوارٌ في شَريَـــعتِنا وقَـــبْحٌ عَـــلَيْنا لِـــلْنَّصارىٰ واليهـــود[1]

٣ كأنَّ اللهَ لم يَخْـــلُقْهُ إلّا لِـــتَنْعَطِفَ القـــلوبُ عَـــلَىٰ يَـــزيدِ

« ٦١ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٦٥

ـ وله في أبي سعيد بن الملة :

١ أَرَى لَكَ أَفْـــعالاً تَـــناقَضَ أَمْـــرُها عَـــلَىٰ أَنَّهـــا في القُـــبحِ والعـارِ واحِـدُ

٢ نَـــبيذُكَ ذا حُـــلْوٌ وَوَجْـهُكَ حـامِضٌ وَمَـــاؤُكَ ذا سُـــخْنٌ، وَفِـــعْلُكَ بـارِدٌ[2]

« ٦٢ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٦٦.

ـ وله في طاهر السجزي :

١ أَلا يـــا ســـائِلي بِأَبي حُسَـــيْنٍ وفي التَّـــجريبِ عِـــلْمٌ مُسْـــتَفادُ

٢ هُـــوَ ابـــنُ سَمِـــيِّهِ والطـــاءُ عَـــيْنٌ وَشِـــبْهُ كَـــنِيِّهِ والسّـــينُ صَـــادُ[3]

« ٦٣ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٧٥؛ بهجة المجالس وأنس المجالس المجلد الاول مـن القسم الاول ٧٠٥ـ٧٠٦.

ـ وله :

١ لا تَـــصْحَبِ الكَسْـــلانَ في حـاجاتِهِ كَـــمْ صَـــالِحٍ بِـــفسَادِ آخَـــرَ يَـــفْسُدُ[4]

---

١. عوار : العيب والنقص. وورد في عيون التواريخ والوافي بالوفيات البيتان الثاني والثالث فقط وجاء الشطر الاول من البيت الثاني «عوار في شريعتنا وقبحٌ ...».

وورد البيت الثالث فقط في محاضرات الادباء. اما في اليتيمة فقد وردت الابيات الثلاثة أعلاه.

٢. وردت الشطر الثاني من البيت الثاني «وماؤة ..» وأظنه غلط مطبعي.

٣. اراد هو ابن عاهر. والسين صاد : اراد ابو حصين وهو كنية الثعلب ومضرب المثل في المكر.

٤. ورد الشطر الاول من البيت الاول في الادب العربي في اقليم خوارزم ١٤٠ «لا تصحب الكسلان في ←

٢ عَدْوَىٰ البليدِ إلىٰ الجليدِ سَريعةٌ والجمْرُ يُوضَعُ في الرَّمادِ فَيَخْمُدُ

« ٦٤ »

التخريج : رسائل الخوارزمي ، ٤٤.

ـ وله في رسالة الىٰ أبي محمد العلوي افتتحها بهما :

١ بِكُتْبِ الأَنامِ كِتابُ وَرْدٍ فَدَتْ يدَ كاتِبِه كُلُّ يَدِ

٢ يُخبِرُ عَنْ حالِهِ عِنْدَنا وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ ما نَجِد

« ٦٥ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٧٧.

ـ وله من اخرىٰ

١ ولا تَغْتَرِرْ بالحَليمِ تُغضِبُهُ فَرُبَّما أَحْرَقَ الثَّرىٰ البَرَدُ

« ٦٦ »

التخريج : رسائل الخوارزمي ، ١٢٣ .

وله في رسالة إلىٰ احمد بن شبيب :

وَلَمّا رَأَيْتُ النّاسَ دونَ محلّه تَيَقَّنْتُ أَنَّ النّاسَ للناسِ ناقِدُ

« ٦٧ »

التخريج : رسائل الخوارزمي ، ٢٣٣ .

وله في رسالة الىٰ صاحب جيش خوارزم ورد عليه كتابه بخبر علته ، يعتذر اليه من ترك العيادة ، ويتوجع له من العلة :

١ ما حالُ مَنْ كانَ لَهُ واحِدٌ يُمْرَضُ عَنْهُ ذلِكَ الواحِدُ

← حالاته...».

«٦٨»

التخريج: محاضرات الادباء ١/٣٠٢.

وله حول الممدوح بأنه مقبّل اليد والرجل:

١ تَــعاوَرَتِ الشِّــفاهُ الكُــمَّ عَــنْها ونــــافَسَتِ الشِّــفاهُ بِــهِ الخُــدودا

«٦٩»

التخريج: محاضرات الادباء ١/٦١٨.

وله:

١ فَــهْوَ بَــقْلٌ وَرَوْضَــةٌ وَجَـوارِش[1] وأدمٌ وزادٌ حــــامِلٌ زاد

«٧٠»

التخريج: محاضرات الادباء ٣/١٦؛ شرح المضنون به على غير أهله، ١٢٢.

وله في ذمّ من تكبر علىٰ اصدقائه لغناه وسلطانه:

١وَصَـلتُكَ بـالسُّلطانِ حـتىٰ اذا اعـتلىٰ مكـانُكَ واسـتمكنْتَ لم تَمْـلِكِ الحِـقْدا

٢ كَـــمُقْتَدِحٍ نـــاراً بِـــزَنْدٍ لِحــاجَةٍ فَـــلَمّا تَــلَظَّتْ نــارُهُ أَحْـرقَ الزّنـدا[2]

«٧١»

التخريج: التوفيق للتلفيق، ١٩١؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب [ط دار المعارف] ص ٥٨٥.

انشدني ابو بكر الخوارزمي لنفسه في [باب التلفيق بين النيران]:

---

١. وردت كلمة جوارشن في المصدر وأظنها تصحيف اذ لامعنى لها.

٢. ورد الشطر الثاني في شرح المضنون على هذا الشكل «فلما تلظّت ناره احرقَتْ زندا».

١ أَعَدَّ الوَرَىٰ لِلْبَرْدِ جُنداً مِـنَ الصَّـلا   فَـــلاقَيْتُهُ مِـــنْ بَـيْنِهِم بِجُـنُودِ[١]

٢ ثَـلاثٌ مِـنَ النّـيرانِ: نـارُ مُـدامَـةٍ   ونـــارُ صَـــباباتٍ ونـــارُ وَقُــودِ

«٧٢»

التخريج: النهاية في الكناية، ٢٠٠.

ـ وله في الكناية عن الأ.. والف...:

١ وَلَمْ تُـصْبِحْ عَـلَى الاسـلامِ سَـيْفاً   وَأَنْتَ كَـــما عَـلِمْت مِـنَ الغُـمُود

٢ وتَـــزْهَدُ في الصَّـلاةِ وفي ذَوِيهـا   ولكِـــنْ لَـيْسَ تَـزْهَدُ في السُّـجودِ

«٧٣»

التخريج: شروح سقط الزند، القسم الاول ١٥٧ ـ ١٥٨؛ شرح العلامة الواحدي علىٰ ديوان أبي الطيب، ٢٣١.

ـ وله:

تَـــغايَرَتِ البِـــلادُ عَـلَىٰ يَـدَيْهِ   وَزَاحَمَتِ الجُـــرومَ بِـــهِ الصرودُ[٢]

«٧٤»

التخريج: معجم الادباء ٣/١٢٧٣ ـ ١٢٧٤[٣].

ـ وله يرثي القاضي السجزي بسمرقند وهو قاض بها وقد توفي سنة ٣٧٨ هـ وقيل توفي بفرغانة وهو علىٰ مظالمها:

١ وَلَمّـا رَأَيْـنا النّـاسَ حَـيْرىٰ لِهَـدَّةٍ   بَـدَتْ بِأَسـاسِ الديـنِ بَـعْدَ تَأَطُّـدِ

٢ أَفَـضْنا دُمـوعاً بـالدِّماءِ مَشُـوبَةً   وقُـلْنا: لَـقَدْ مَـاتَ الخـليلُ بـنُ أَحْـمـدِ

---

١. وردت في ثمار القلوب «ولاقيته» بدل «فلاقيته».

٢. وردت في شرح العلامة الواحدي كلمة الصدور بدل الصرود واكثر الظن انه اشتباه او غلط مطبعي.
الجروم: جمع جَرم بالفتح: وهي الارض الشديدة الحر. والصرد: مكان مرتفع من الجبال وهو أبردها وفي اللسان: والصرود من البلاد خلاف الجروم وفي الصحاح: الكلمتان فارسيتان معرّبتان.

٣. تحقيق احسان عباس اما في النسخة المطبوعة بدار احياء التراث العربي فقد ورد في ج ١١/٨٠.

«٧٥»

التخريج: معجم البلدان ٤/١٩٩٣[1] (طبعة دار احياء التراث العربي)

ـ وقال ابو بكر الخوارزمي حول نهر هندمَند في سجستان:

١ غَدَوْنا شَطَّ نَهْرِ الهند مَندِ سُكارىٰ آخذي بالدَّسْتَبَنْدِ[2]

٢ وراحٌ، قهوةٌ، صفراءُ، صرفٌ شَمولٌ، قَرْقَفٌ مِنْ جَهْنَبَنْدِ[3]

٣ وَسَاقٍ شِبْهُ دينارٍ أَتانا يُديرُ الكأسَ فينا كالدُّرَنْدِ[4]

٤ فَلَمَّا دَبَّ كسرُ اللَّيلِ فينا[5] وأَصْبَحْنا بِحالِ خردمندِ

٥ مَتىٰ تَدْنو بِقُبْلَتِهِ تَلَكَّا ويُلقي نَفْسَهُ كالدَّرْدْمَنْدِ[6]

٦ وهذا شِعْرُ مَزَّاحٍ ظَريفٍ يحاكي أَنَّهُ چند بن چند[7]

«٧٦»

التخريج: دستور الكاتب في تعيين المراتب، الجزء الاول من المجلد الاول، ٧.

ـ وله:

١ أُحِبُّ الحِذْقَ في الأَشْياءِ طُرّاً وأَهْوَىٰ المرءَ يَحْكُمُ ما يُريدُ

٢ فَلَيْسَ بحايكٍ مَنْ حَاكَ غَزْلاً ولكنْ حايكٌ مَنْ لا يُجيدُ

---

١. وردت هذه الابيات في طبعة دار بيروت في ٤١٨/٥.

٢. الدستبند: لعبة للمجوس يدورون وقد أمسك بعضهم يد بعض (اقرب الموارد).

٣. الراح والقهوة والشمول، والقَرْقف: اسماء للخمرة، وجهنبند: يمكن ان يكون اسم مكان.

٤. الدرّند: تعني الشكل والمشابهة والمثل.

٥. ورد هذا الشطر في طبعة دار بيروت «فلما دبّ سكر الليل فينا...» والخردمند: العاقل.

٦. الدَّرْدْمَنْد: المتوجع، المتألم.

٧. چند: عدد مبهم يقابل بضع في العربية.

وقد ورد عجز هذا البيت في بعض الطبعات بهذا الشكل: يحاكى أَنَّهَ جند چه بن جند.

وبهذا الشكل: يحاكى آنْهَ چه چندين چند. وأظن ان الصحيح هو چَنْدينْ چَنْدِ.

«٧٧»

التخريج: نهاية الادب ١١/٣٩؛ دراسات فنية في الادب العربي، ٤٨٦.

ـ وله في وصف القثاء:

١ يــــا رُبَّ قِــثَّاءٍ قَــريبِ المَــوْرِدِ دُرِّ الحَشَــــــا زُمُـــرُّدِ المُجَـــرَّدِ

٢ شَــخْتِ الرُّؤوسِ أَصْــورِ المَــقْلَدِ مِـــثْل ذُنَــــابي ريشِ ديكٍ أَعْــقَدِ[١]

٣ قَدِ ٱلْتَوىٰ فوقَ الثَّرىٰ الرَّطبِ النَّـدي كــــما يَــــلوذُ أَسْـــودٌ بِأَسْـــوَدِ[٢]

٤ ذي زَغَبٍ وفـــــيه لينُ الأَجْـــرَدِ كـــالخَدِّ بـــينَ المُـلْتَحي والأَمْــرَدِ[٣]

٥ كأَنَّــــــــهُ في اللَّـــــوْنِ والتَّأَوُّدِ صَــــوالِجٌ رُكِّـــبْنَ مِـــنْ زَبَــرْجَدِ[٤]

٦ يَكــــــادُ للّـــــينِ ولِـــلتَقَصُّدِ تَجْــنيهِ أَلْحــاظُ الفــتىٰ قــبلَ اليَـدِ[٥]

٧ لَمّـــا حَــصَدْناه قــريب المَحْــصَدِ هَشّاً وَجَـــدْنا مِــنْهُ مــالَمْ يُــوجَدِ[٦]

٨ مــــاءٌ كَــطَعْمِ السُّكَّــرِ الطَّــبَرْزَدِ وَذَوْبَ شَهْـــدٍ ســـائِلاً في جَمَــدِ[٧]

«٧٨»

التخريج: شرح الواحدي لديوان أبي الطيب المتنبّي، ٥٤٥؛ شرح العكبري على ديـوان المتنبّي، ج ١/٧٨.

ـ وهذا المعنىٰ اراده الخوارزمي فذكره في ثلاثة ابيات[٨]:

١ وكــــنتَ اذا نَهَـدْتَ لِــغزْوِ قَــوْمٍ وأوجَــــبَتِ السّــــياسَةُ أَنْ يَــبيدوا

---

١. الشخت: الدقيق الصنابر لا من هزال. أصور: مائل. المقلد: موضع القلادة. اعقد: ملتوي الذنب.

٢. الاسود: الحية وقيل العظيم من الحيّات. ٣. الامرد: الشاب ظهر شاربه ولم تنبت لحيته.

٤. صوالج: جمع صولجان، حديدة معوجة، والتأود: التّني والإنعطاف من جراء التثاقل (لسان العرب).

٥. التقصد: اللين والتكسّر. ٦. المحصد: زمان الحصاد.

٧. الطبرزد: صلب ليس برخو ولا لين. وقيل ان الطبرزد من السكر والعسل وما طبخ بعشره من اللبن الحليب حتىٰ ينعقد وفيه لطف وتبريد واصلاح للحلق وكسر لسورة الادوية.

٨. قال هذا مشيراً الىٰ بيت المتنبي:

اذا مــــا سِرْتَ في آثــار قــومٍ تَخــاذَلَتِ الجَــاجِمُ والرِّقــابُ.

٢ تَـــبَرَّأَتِ الحَـــياةُ إليكَ مِـــنْهُمْ وجـــاءَ إلَـــيْكَ يَـعْتَذِرُ الحَــديدُ

٣ وَطَـــلَّقَتِ الجَـماجمُ كُـلَّ قِـحْفٍ وأنكَـــرَ صُـحْبةَ العِـتْقِ الوريـدُ[1]

«٧٩»

التخريج: شرح المضنون به علىٰ غير اهله، ١٢٤

ـ وله يشكو متضجراً مما وصلت اليه حاله ونفسه وكأنه يرثي نفسه[2]:

١ وَمَـــا أَصْـبَحْتُ إلّا مِـثْلَ ضِرْسٍ تَآكَـــلَ فَــهوَ مَـــوجودٌ فَـقيدُ

٢ فَـــفي تَـــرْكِـي لَـهُ داءٌ دَوِيٌّ وَفي قَـــلْعي لَـــهُ أَلَمٌ شَـديدُ

«٨٠»

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي، ٧٠.

ـ وله في ختام رسالة كتبها الىٰ رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيره اليه:

١ صَـلَّى الإلهُ عَـلَىٰ امـرءٍ وَدَّعْـتُهُ وَأَتَمَّ نِـــعْمَتَهُ عَـــلَيْهِ وَزَادَهـــا

«الذال»

«٨١»

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي، ٩٤.

ـ وله في رسالة إلىٰ أبي سعد أحمد بن شبيب:

١ أَيـــا لَـيْلَةَ الوَصْـلِ لا تَـنْفَذي ويـــا لَـــيْلَةَ البُـعْدِ لا تَـنْفذَي[3]

---

١. العتق: أي العاتق وهو مابين المنكب والعنق (اللسان ١٠/٢٣٧).

٢. هذان البيتان وردا له في القصيدة التي رثىٰ بها ابا سعيد الشبيبي راجع القطعة ٥٨/٣١-٣٢.

٣. وقد ورد هذا البيت بشكل آخر في مروج الذهب للمسعودي ج ٣/٤٨٠

ويـــا ليـــلة الوصـــل لا تـنفدي كـــما ليـــلة الهـــجر لا تـــنفدُ

وقد نسبها ابو تمام الطائي لاعرابي لاقاه في الطريق ضمن ابيات منها:

←

«الرّاء»

« ٨٢ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٤١؛ سرور النفس للتيفاشي (الصفحة مجهولة)[١].

ـ وله من اخرىٰ

١ وَكَمْ لَيْلَةٍ لا أُعلِمُ الدهرَ طيبَها ... مَخافَةَ أَنْ يَقْتَصَّ مِنّي لَها الدَّهرُ[٢]

٢ سُهادٌ ولكنْ دونَهُ كُلُّ رَقْدَةٍ ... وَلَيْلٌ ولكنْ دونَ إِشْراقِهِ الفجرُ

٣ وَسُكْرُ الهَوىٰ لو كانَ يحكيه لَذَّةً ... مِنَ الخَمْرِ سُكرٌ لم يكن حُرِّمَ السُّكْرُ[٣]

٤ وَلَمّا أَدارَتْ مُقْلَةً جاهِلِيَّةً ... هَلاكُ امرئٍ في ضِمْنِ ثَوبي لها نُذْرُ

٥ وَمالَتْ كَأَنْ قَدْ سُقِّيتْ خَمْرَ خَدِّها ... وكيفَ يَميلُ الخَمْرُ مَنْ ريقَةُ الخَمْرُ

٦ حَسَدْتُ عليها ناظري إِذْ تَحِلُّهُ ... كما تَحْسُدُ الافلاكُ نَعْلَ فَنا خُسرو

« ٨٣ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٥١.

ـ وله من عضدية :

١ وَكَمْ عُصْبَةٍ قرحي عَصَوْكَ فَأَصْبَحوا ... بِهِمْ يَومُهُمْ خمرٌ وفي غَدِهِمْ أَمْرُ

← اقول وجنح الدجىٰ ملبَدُ ... وللسَّيل في كل فج يدُ

ونحن ضجيعان في مُجسدٍ ... فلله ما ضمَّن المُجسَدُ

فياغدُ ان كنت بي محسناً ... فلا تدنُ من ليلتي ياغَدُ

والظاهر ان الخوارزمي اخذ هذا البيت وغير بعض لفظه واظن ان تصحيفاً وقع في بيت الخوارزمي فان نفد اصح من نفذ وبخاصة اذا اطلعنا على رسالة الخوارزمي التي ورد فيها هذا البيت. والمجسد الشيء المصبوغ المشبّع بالجَسَد وهو الزعفران والعصفر.

١. وردت الابيات الثلاثة الاولى في هذا المصدر.

٢. وردت في سرور النفس كلمة «طولها» في الشطر الاول من البيت الاول بدل «طيبها».

٣. ورد البيت الثالث في سرور النفس كما يلي

«وسكري هوىً لو كان يحكيه لذة ... من الخمر سكر لم يكن حُرِّم الخمر».

٢ وصـارِخَةٍ للـزَّوجِ كـانَ غِناؤُها (لها كُنية عمرو وليسَ لَها عَمرو)[1]
٣ فَـصَيَّرْتَها ثكـلىٰ وأَصْـبَحَ قَـوْلُها (كـذاقَـلْيَجِلّ الخَـطْبُ ولْيفدحِ الأَمْـرُ)[2]

«٨٤»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٥؛ الدر الفريد وبيت القصيد ٤/٦٦؛ محاضرات الادباء ١/٢٥٩.

ـ وله من ذلك قوله في عضدية:

١ غَـريبٌ عـلىٰ الآيـامِ وُجـدانُ مِـثْلِهِ وأَغـربُ مِـنْهُ بَـعْدَ رُؤْيَـتِهِ الفَـقْرُ
٢ فَـلا حُـرَّ الّا وَهْـوَ عَـبْدٌ لِجـودِهِ ولا عَـبْدَ إلّا وهـو في عَـذْلِهِ حُـرُّ
٣ عَـجِبْتُ لَـهُ لم يَـلْبَسِ الكِـبْرَ حُـلَّةً وفـينا لَـئِنْ جُـزْنا عـلىٰ بـابِهِ كِـبْرُ[3]

«٨٥»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٨.

ـ وله من صاحبية[4]:

١ تَأَخَّـرَ عَـنْ كُـتْبي الجَـوابُ، وَإِنَّما تَأَخَّـرَ بَـرْدُ المـاءِ عَـنْ كَـبِدٍ حَرّىٰ
٢ فَـلا تُـفسِدَنْ عِـشْرينَ أَلْـفاً وَهَـبْتَها بِـعِشْرينَ حَـرْفاً كـلامكَ تُـستمرىٰ[5]

«٨٦»

---

١. المصراع الثاني من بيت أبي صخر الهذلي [من الطويل]:

ابىٰ القـلب الّا حـبها عـامرية لهـا كـنية عـمروٍ وليس لهـا عـمرو

٢. المصراع الثاني تضمين.

٣. ورد البيت الثالث فقط في الدر الفريد وبيت القصيد

كما ورد هذا البيت في محاضرات الادباء وفيه المصراع الثاني كما يأتي «... وفينا اذا جزنا على بابه كبر».

٤. أي في الصاحب بن عباد.

٥. اعتقد ان البيت بوضعه الحالي غير موزون وجاء في كتاب «صاحب بن عباد شرح آثار واحوال» لاحمد بهمنيار ص ١٦٢ المصراع الثاني كمايلي:

بعشرين حرفاً من كلامك تستمرىٰ»

واظن أنه الأصح، اذ بحرف الجر «مِنْ» يستقيم الوزن.

التخريج: اليتيمة ٢٥٩/٤.

ـ وله من أخرىٰ في مرثية أبي الفتح بن العميد:

١ يـا دهـرُ إنكِ بـالرجـال بَـصيرُ ... فـلَطالَما تَجـتاحُهُمْ وتُـبيرُ[1]

٢ يا دهرُ غـيري مَـنْ خـدَعْتَ بـباطلٍ ... وابـنُ العـميدِ مُـغَيَّبٌ مَـقْبورُ

٣ الآن نـادتنا التـجاربُ طـلِّقوا ... دنـياكُـمُ إنَّ السرورَ غـرورُ

٤ يـا دهـرُ ظَـلَّ لِمُخـلَبَيْكَ فَـريسَةً ... رَجُـلٌ لَـعَمْري لَـو عَـلِمْتَ كـبيرُ

٥ رَجُـلٌ لَـوَ انَّ الكُـفْرَ يُحسِـنُ بَـعْدَهُ ... هُـجِيَ القـضاءُ وأُنِّبَ المـقدورُ

٦ أَشْكـو إليكَ النـفسَ وهـي كَـئيبَةٌ ... وأذُمُّ فـيكَ الدَّمْـعَ وهـوَ غَـزيرُ

٧ وأَقـولُ للـعينِ الغَـزيرِ بُكـاؤُها ... خَـطْبٌ لَـعَمْري لَـو عـمِيتِ يَسـيرُ

٨ قَـدْمِتُّ بـعدَكَ مِـيتةً مَسْـتورةً ... قـد سَـاقها لي مـوتُكَ المَـشْهورُ

٩ وَدُفِـنْتُ في قَـبْرِ الهُـمومِ وَضَـمَّني ... كَـفَنانِ، ضـيقُ الصَّـدرِ والتـفكيرُ

١٠ ضَحِكَتْ إليكَ الحورُ ضَحْكَكَ كُـلَّما ... وافـاكَ ضَـيفٌ أَو أَتـاكَ فـقيرُ

١١ وضَـفَتْ عـليكَ ذيـولُ رحمـةِ ربِّـنا ... واللهُ بَـرٌّ بـالجوادِ غَـفُورُ

١٢ وسَـقىٰ ضَريحَكَ مُسْـتَهِلٌّ عـمره ... شهـرٌ وعـمرُ النَّـبتِ مِـنْهُ شُهـور[2]

١٣ جـودٌ كَكَـفِّكَ أوْكَـعَيني أو دَمٍ ... أَجـراهُ سَـيْفُكَ في العِـدىٰ مـشهورُ

١٤ أهـوىٰ القـيامَةَ لا لِـشَيءٍ غـير أَنْ ... أَلقـاكَ فـيها والأنـامُ حُـضورُ[3]

١٥ وأُحِبُّ فـيكَ المـوتَ عِـلْماً أنّـنا ... بَـعْدَ المـماتِ إلىٰ اللِّـقاءِ نَـصيرُ[4]

«٨٧»

١. تبير: تقضي عليهم وتفنيهم. ٢. مستهل: المطر في أوله.

٣. البيت الرابع عشر والخامس عشر وردا في قول على قول ٢٣٣/٥.

٤. اوردت هند حسين طه في كتابها الادب العربي في اقليم خوارزم ص ١٨١ كلمة «أننا» في آخر المصراع الاول معتبرة اياها اكثر ملائمة للمعنى، لأن مصادر تخريج هذه القطعة قد أوردت كلمة «أنني».

التخريج : اليتيمة ٤/٢٦٧ ـ ٢٦٨

ـ قال من قصيدة :

١ لا يَصْغُرُ الرجلُ الكبير بِعِشْرَةِ الرَّجُلِ الصَّغيرِ

٢ بَلْ يكبرُ الرَّجُلُ الصغيرُ بِخِدْمَةِ الرَّجُلِ الكبيرِ

٣ وَيَزكَبُ التِّبرُ النّفيسُ عَلَى الدَّنِيِّ مِنَ السّيُورِ[١]

٤ ماذا يَضُرُّ البدرَ قربُ النّجمِ منهُ المستنيرِ

٥ بل ما يَضُرُّ السيلَ مَجْراهُ عَلَىٰ الارضِ الحَدُورِ

٦ بَلْ ما عَسَىٰ صِغَرُ السَّفينِ يَغُضُّ مِنْ عِظَمِ البُحورِ

٧ قَدْ زَادَني شَرفاً ولم يُنْقِصْهُ مِنْ شَرَفٍ حُضوري

٨ كالنارِ ليسَ بناقِصٍ مِنْها اقْتِباسُ المُسْتَعيرِ

٩ تَلْقَى الفتَىٰ سَهْلَ الشَّريعةِ للجليسِ ولِلْعَشيرِ

١١ والناسُ مثلُ الجِسْمِ يَعْتَمِدُ القبيلُ عَلَىٰ الدَّبيرِ[٢]

١٢ يَتحامَلُ العُضْوُ الخَطيرُ بِقُوَّةِ العُضوِ الحَقيرِ

١٣ كَتَحامُلِ الرُّمْحِ الطَّويلِ بِزُجِّهِ ذاكَ القَصيرِ[٣]

« ٨٨ »

التخريج : اليتيمة ٤/ ٢٧٠ ؛ التوفيق للتلفيق ، ١٧٣ .

ـ وله من اخرىٰ :

١ وَأَراكَ تَشْكو الشَّيبَ تَظْلِمُهُ والشيبُ زَرْعٌ بَزْرُهُ العُمْرُ[٤]

---

١ . السيور : جمع سير ، وهو قطعة من الجلد مستطيلة .

٢ . القبيل والدبير : الامام والخلف او الوجه والقفا .

٣ . الزُّجّ : الحديدة التي تركب في اسفل الرمح وترتكز به الرمح في الارض .

٤ . ورد في التوفيق للتلفيق في المصراع الثاني من البيت الاول كلمة بَذْرُهُ بدل بزره .

٢ كـالخَمْرِ يَجْـلِبُها الخُـمارُ وقَـدْ ... يُهـجىٰ الخُـمارُ وَيُمـدَحُ الخـمرُ[١]

« ٨٩ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٧٠.

ـ وله من قصيدة في الشكوىٰ :

١ وَلَـقَدْ بَـلَوْتُ الأَصـدقاءَ فَـلَمْ ... أَرَ فـيهِمُ أَوْفَىٰ مِـنَ الوَفْـرِ[٢]

٢ وَكَـذاكَ لَمْ أَرَ في العـدا أَحـداً ... أَنكـىٰ لِمَـنْ عـادَىٰ مِـنَ الفَـقْرِ

٣ ذَهَبَ الغِـنىٰ وَوَرِثْتُ عـادَتَهُ ... فَأَنـا الغَـنِيُّ وغَـيْرِيَ المُـثْري

٤ وتجـمَّعَتْ فِيَّ آثْـنتانِ وَلَمْ ... يَـتَجمَّعا في سـالِفِ الدَّهْـرِ

٥ لا يَـبْرَحُ المـقصوصُ مَـوْضِعَهُ ... وَلَـقَدْ قُـصِصْتُ فَـطِرْتُ عَـنْ وَكْـري[٣]

« ٩٠ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٧١.

ـ وله من أخرىٰ في أَبي القاسِمِ المُزْنِيّ لمّا قُبض عليه :

١ وَثَبَ الصَّـغيرُ عَـلَىٰ الكـبيرِ وقَـدْ ... يُـطفي التُّرابُ حَـرارةَ الجَـمْرِ

٢ لا تَـعْجَبَنَّ فَـرُبَّ سَـاقِيةٍ ... قَـدْ كَـدَّرَتْ طَـرفاً مِـنَ البَـحْرِ

٣ هـذا الحُسـامُ يَـفُلُّهُ حَـجَرٌ ... وَبِـهِ قَـوامُ النَّهـي والأمْـرِ

٤ غَـصَبَتْ جَـذيمَةَ نَـفْسَهُ آمْـرأَةٌ ... فَـاصْطيدَ ذاكَ الحـرُّ بـالحِرِّ[٤]

٥ هـيهاتَ هـذا الدَّهْـرُ أَلأَمُ مِـنْ ... أَنْ لا يُـسَرَّ العَـبْدُ بـالحُرِّ

« ٩١ »

---

١. الخمر تؤنث ولذا ورد «وتمدح الخمرُ» وقد يذكّر.

والخمار : ما اصابك من ألم الخمر وصداعها وأذاها. وقيل الخمار : بقية السكر.

٢. الوفر : المال الكثير.

٣. المقصوص : طائر مقصوص الجناح.

٤. حِرُ المرأة : فرجها ؛ وقد تشدد الراء وليس بجيّد (اللسان : حرر).

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧١

ـ وله وقد طُلبت جارية له بعشرة آلاف درهم:

١ يـا طـالباً روحي لِـيَبْتاعَها أَنْتَ رَسُولُ الغَمِّ والحَسْرَهْ

٢ غَدَوْتَ بـالبَدْرَةِ فَـارْجِعْ بِها لَسْتُ أَبِيعُ البَدرَ بالبَدْرَهْ

«٩٢»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧١؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ٢٤٥.

ـ وله من أخرىٰ:

١ أَيـا مَـنْ قُـرْبُهُ خِـبْرَهْ ويـا مَـنْ بُـعْدُهُ عَـبْرَهْ

٢ ويـا مَـنْ وَصْـلُهُ يَـوْمٌ ويـا مَـنْ هَـجْرُهُ فَـتْرَهْ

٣ ويـا مَـنْ وَصْـلُهُ أعلىٰ مِـنَ الشَّـمْأَلِ بـالبَصْرَهْ[1]

٤ ويـا مَـنْ نَـظْرَةٌ مِـنْهُ تُسـاوي مـائَتَيْ بَـدْرَهْ

٥ ويـا مَـنْ قَـدْ حكىٰ خَـدّا هُ قَـلبِيَ فـيها جَمْـرَهْ

٦ ويـا مَـنْ طَـرفُ مَـنْ أَبْـصَرَ بَـدْراً بَـعْدَهُ يَكْـرَهْ

٧ ويـا مَـنْ صَـبْرُ يـومٍ عَـنـهُ في حُكْـمِ الهَـوَى كُـفْرَهْ

٨ ويـا مَـنْ عَـيْنُهُ جَـيْشٌ كَـثيفٌ لأَبِي مُـرَّهْ[2]

٩ ويـا مَـنْ نَخَـرَ الشَّـيطا نُ في مَـوْلِدِهِ نَخْـرَهْ

١٠ وقـالَ اليـومَ أَلْقـيتُ بَـني آدمَ في الحُـفْرَهْ

---

١. الشمأل: لغة في ريح الشمال وهي مرغوبة جداً عندما تهب على البصرة لانها تقلل كثيراً من رطوبة الهواء هناك.

٢. أبو مُرَّةَ: من كنى إبليس وإنما يكنّى إبليس بهذه الكنية لأنَّ الشيخ النجدي الذي ظهر ابليس في صورته فأشار على قريش بأن يكونوا سيفاً واحداً علىٰ النبي (ص) كان يكنّىٰ أبا مرة.

هذا وقد ورد البيت السابع في ثمار القلوب فقط طبعة دار المعارف ص ٢٤٥ اما البيت الثامن فقد ورد بالاضافة الىٰ اليتيمة في ثمار القلوب أيضاً ولكن وردت فيه كلمة «طرفه» بدل كلمة «عينه».

١١ ويـــا مَـــنْ أَنْــذَرَتْ عَــينا ـهُ عَـــيْنِي مـــائَتَيْ مَـــرَّهْ
١٢ أيــــا عَـــيْنُ ارجِـــعي مـــا كـــلُّ وَقْتٍ تَسْـــلَمُ الجَـــرَّهْ
١٣ ويـــا أَحْسَـــنَ مِـــنْ يُـسرٍ يَـــلْقَ صَـــاحِبَ العُـــسْرَهْ
١٤ ومـــا أَعْـــذَبَ في الأَنْــفُسِ مِـــنْ صَـــفْحٍ عَـــلَىٰ قُـــدْرَهْ
١٥ ويـــا مَـــنْ لَسْتُ أَرْضَى قَــطُّ بـــالبَحْرِ لَـــهُ قَـــطْرَهْ
١٦ ولا أَرْضَى لَـــهُ البَـــدْرَ عَـــلَى إِشْراقِـــهِ غُـــرَّهْ
١٧ ولا أَرضَىٰ له الأَرْضَ عَـــلَى فُسْـــحَتِها حُـــجْرَهْ
١٨ ولا أَرْضَى لَـــهُ بـــلقيــــسَ يَجْـــلوها عَـــلَى العُـــذْرَهْ
١٩ ولا أَرْضَى بِـــرِزْقِ الإِنسِ والجِـــنَّ لَـــهُ سُـــفْرَهْ
٢٠ ولا أَرْضىٰ مِـــنَ القَـــلْبِ لَـــهُ عِشْـــقُ بَـــني عُـــذْرَهْ
٢١ ولا أَرْضىٰ لَـــهُ السَّـــعْدَ غُـــلاماً والمُـــنىٰ سُـــخْرَهْ
٢٢ ولا أَرْضىٰ لَـــهُ الرَّمْـــلَ نُـــضاراً والحَـــصَىٰ نُـــقْرَهْ[1]
٢٣ ولا أَرْضَى لَـــهُ إِلّا بِـــنَفْسي أَمَـــةً حُـــرَّهْ
٢٤ قَـــدِ اسْـــتَخْرَجْتُ مِـــنْ عَـــيْنِيَ عَـــيْناً فِي الهَـــوَى ثَـــرَّهْ
٢٥ فَـــلَوْ فَـــجَّرْتُها فَـــجَّرْ تُ مِـــنها اثْـــنَتَيْ عَـــشْرَهْ
٢٦ وَقَـــدْ أَضْـــجَعَني فَـــوْقَ فِـــراشِ الهَـــمِّ والحَـــسْرَهْ
٢٧ وَقَـــدْ عَـــلَّمَني كَـــيْفَ يَمُـــوتُ المَـــرْءُ مِـــنْ نَـــظْرَهْ

«٩٣»

التخريج: اليتيمة ٢٧٥/٤؛ خاص الخـاص، ١٥٢؛ الاعـجاز والايجـاز، ٢٠٠؛ عـيون

١. النضار: الذهب الخالص. والنقرة: القطعة المذابة من الذهب والفضة.

التواريخ، ١٣٢/١٠؛ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ٦٥؛ الوافي بالوفيات، ١٩٥/٣؛ نهاية الارب في فنون الادب، السفر الثالث، ١١٤؛ اعيان الشيعة ٣٧٨/٩.

ـ وله[1]:

١ عَلَيْكَ بِإظْهارِ التَّجلُّدِ للعِدَى ... ولا تُظْهِرَنْ مِنْكَ الذُّبولَ فَتُحْقَرا

٢ أَلَسْتَ تَرَىٰ الرَّيحانَ يُشْتَمُّ ناضِراً ... ويُطْرَحُ في المِيضا إذا ما تَغَيَّرا[2]

«٩٤»

التخريج: اليتيمة ٢٧٥/٤.

ـ وله:

١ تَمَنَّيْتُ خَلّاتٍ عَلىٰ الدَّهْرِ أَرْبعاً ... وَلَمْ أَرَ مَسؤولاً أَشَحَّ مِنَ الدَّهْرِ

٢ جِماعاً بِلاضَعْفٍ، وشُرباً بلا سُكْرٍ ... وعُمْراً بلا شَيْبٍ، وبَذْلاً بِلا فَقْرِ

«٩٥»

التخريج: اليتيمة ٢٧٦/٤.

ـ وله:

١ وَإِنّي لأرْجو الشَّيْبَ ثُمَّ أَخافُهُ ... كَما يُرتَجىٰ شُرْبُ الدَّواءِ ويُحْذَرُ

٢ هُوالضَّيفُ إنْ يَسْبِقْ فَعَيْشٌ مُكَدَّرٌ ... عَلَيَّ وإنْ يُسْبَقْ فَمَوتٌ مُقَدَّرُ

«٩٦»

---

١. ورد المصراع الثاني من البيت الاول في الاعجاز والايجاز بهذا الشكل «ولا تُظهرن منك الدبول فتعثرا»؛ والدبول: الثكل والغم والتعثر: السقوط.

كما ورد المصراع الثاني من البيت الثاني في عيون التواريخ بهذا الشكل «أو يطرح في الميضاة أنَّىٰ تغيّرا».

وجاءت كلمة «يُشمَمُ» في المصراع الاول من البيت الثاني بدل «يشتم» في تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون وذكر البيت الاول فقط في نهاية الارب في فنون الادب وجاء المصراع الثاني من البيت الاول بهذا الشكل «ولا تظهرن منها الدنو فتحقرا».

٢. الميضا: مكان الوضوء حيث يغتسل ويُتنظَّف للصلاة، وقيل: المستراح. وناضراً: أخضر.

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي، ٨٥.

ـ وله في رسالة كتبها مخاطباً صاحب الديوان بالحضرة:

١ إذا كُنْتُ لا أَنْفَكُّ أَغْدو مُطالِباً فَلِمْ أَنْتَ عَبّادٌ وَلِمْ أَنا شاعِرُ

«٩٧»

التخريج: محاضرات الادباء ١/٤٠٨.

ـ وله حول الدعاء بكبت العدا والحساد والاعاذة من شماتتها:

١ ولا زالتْ عِداكَ بِكُلِّ أَرْضٍ لَهُمْ مِنْ سُوءِ ظَنِّهِمُ نَذيرُ

٢ قَصيرٌ نَهارِهِمْ، خَوفٌ طَويلٌ بِهِمْ، وطَويلُ عُمْرِهِمُ قَصيرُ

«٩٨»

التخريج: محاضرات الادباء ١/٧١٤؛ ٣/٣٦٥.

ـ وله حول كيزان الفقاع:

١ وَضَيِّقَةُ الفَمِ دَحْداحَةٌ عَلَيْها قَميصُ نَدىً أَخْضَرُ

٢ تَثُورُ إذا كَشَفوا رأسَها وإنْ قَبَّلوا فَمَها تَهْدُرُ

«٩٩»

التخريج: تاريخ يميني، ٦٥ ـ ٩٦؛ ريحانة الالباوزهرة الحياة الدنيا ١/٧١ ـ ٧٢؛ نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ٢/٣٧٢؛ اعيان الشيعة ٩/٣٧٨.

ـ وله في مدح أبي علي البلعمي[1]:

١ إنَّ الأُولَى خَلْفَ الخُدورِ هُمُ الضَّمائِرُ في الصُّدورِ[2]

---

١. جاء في تاريخ يميني «وفي نسخة اول القصيدة هذا دون ذاك»:

إنّ السّواكنَ في الخدورِ هنّ السواكنُ في الصدورِ

لما مشين على الثرى تاهَ الغبارُ على العبيرِ

واعتزتهنّ القلب لو ردّ المعار على المعير

٢. جاء أيضاً في تاريخ يميني وفي ترجمته للجرفادقاني ص ٨٧.. هم في الضمائر والصدور.

٢ وَقَـــــعَ الغُـــبارُ عَـــلَيهِمُ ... فَـــغَدا يَـــتيهُ عَـــلَى العَـــبيرِ[١]

٣ وأَعَـــــرْتُهُمْ نَـــظَري فَـــا ... رُدَّ المُـــعارُ عَـــلَىٰ المُـــعيرِ[٢]

٤ فَـــغَدَوْتُ في حَـــالِ الأَسـير ... وَرُحْتُ في حَـــالِ الحَسـيرِ[٣]

٥ وكَـــذاكَ مَـــنْ عَشِـقَ النّـجو ... مَ وَرَامَ صَـــيْداً لِـــلْبُدورِ

٦ يـــا سَـــائلي مـــا في الَـبراقِـ ... ـــعِ والهَـــوادِجِ والسُّـــتُورِ؟

٧ فـــيها الرِّضَـــاعُ مِـــنَ المَـنِيَّـ ... ـــةِ والفِـــطامُ مِـــنَ السُّرورِ[٤]

٨ وَسَأَلتَ مَـــــنْ زَوْجُ المَـــنا ... بـــرِ حِـــينَ يَخْـطَبُ والسَّريـرِ[٥]

٩ فَـــهْوَ الأَمـــيرُ ابـــنُ الأَمـيـ ... ـــرِ ابـنِ الامـير ابـنِ الامـيرِ

١٠ المُشْـــتري المـــدحَ القَـــليـ ... ـــلَ بِمـــالِهِ الجَـــمِّ الكَـثيرِ[٦]

١١ مَـــنْ سَـــيْفُهُ كَـسْرُ الجَـبيـ ... ـــرِ وسَـــيْبُهُ جَـــبْرُ الكَسـيرِ[٧]

١٢ والنـــاظِمُ المَـــعْنىٰ الطَـــويـ ... ـــلَ بِـــلَفْظِهِ النَّزرِ القَـــصيرِ

← والخدور: جمع خدر، والخدر ستر يمد للجارية في ناحية البيت ثم صار ماواراك من البيت.

١. يتيه: يتكبر؛ العبير: طيب.

٢. ورد المصراع الثاني في ترجمة تاريخ يميني للجرفادقاني ص ٨٧ بهذا الشكل «ردّ المعار الىٰ المعير».

٣. فغدوت: فاصبحت؛ رحت: أمسيت. الحسير: الكليل ومنه حسر بصره أي كلّ وانقطع نظره من طول مدىٰ وما اشبه ذلك.

٤. ورد البيتان ١ و ٢ والبيت الثاني الوارد في الهامش (١) لهذه القطعة والبيتان ٦ و ٧ في ريحانة الالبا وذكر المصراع الثاني بهذه الصورة «هم في الضمائر والصدور». وذكر المصراع الثاني من البيت الثاني الوارد في الهامش (١) بهذا الشكل «تاه التراب علىٰ الاثير». وجاء البيت ٦ بهذا الشكل:

يـــا ســـائلي مـــن في الهـــواد ... جِ والبراقـــــع والســـــتور

وذكر المصراع الثاني من البيت ٧ بهذه الصورة « ـةِ والفِطامُ عن الستور».

٥. وردت كلمة «يَخْطُبُ» بهذا الاعراب في ترجمة تاريخ يميني ص ٨٧.

٦. جاء المصراع الثاني من هذا البيت في ترجمة تاريخ يميني ص ٨٨ «ـلَ بماله الجم الغفير» وهذا هو آخر بيت في هذه القصيدة ورد في الترجمة.

٧. سيبه: عطاؤه.

١٣ يَـزمي أَعـاديه بِـسَهـ ـمٍ مِـنْ سَـعَادَتِهِ طَـريرِ[١]

١٤ حَـتّىٰ لَـوِ آفْـتَرَشُوا الحـريـ ـرَ لَشَـاكَـهُمْ مَسُّ الحَـريرِ[٢]

١٥ ويُـؤَنِّثُ البُهْـمَ الذكـو رَ بِـسَيْلِكُمُ البِيضِ الذّكُـورِ[٣]

١٦ وَسِهـامُهُ نَـوَبُ الخُـطو بِ وقَـوْسُهُ عَـقَبُ الدُّهـورِ

١٧ وَرِمـاحُهُ حَشْـوُ العِـدا وَعِـداتُـهُ حَشْـوُ القُـبورِ

١٨ أَسْـتَغْفِرُ الرَّحْمٰـنَ بَـلْ حَشْـوُ الخَـوامِـعِ والنُّسـورِ[٤]

١٩ ويَـصُومُ صـارِمُهُ فَـيُفْـ ـطِرُ بـالجَماجِمِ والنّـحورِ

٢٠ وإذا أَتـاهُ سـائِلاً رَبُّ الشُّـوَيْهَةِ والبَـعيرِ

٢١ أَبْـصَرْتَهُ بِـفِنائِهِ رَبَّ الخَـوَرْنَقِ والسَّـديرِ

٢٢ أَمُحَـمَّدُ بـنُ مُحـمدٍ هـذا الثِّمـادُ مِـنَ البُحورِ[٥]

٢٣ لو كـانَتِ الدُّنـيا تَـدو رُ عَـلَىٰ الحَـقائِقِ في الأُمـورِ

٢٤ مـا صـيغَ تـاجُ مُحـمَّدٍ إِلّا مِـنَ القَـمَرِ المُـنيرِ[٦-٧]

---

١. طرير: محدد وطرّهم: ساقهم سوقاً شديداً. وطر السنان: احدّه فهو مطرور وطرير.
وطر القوم بالسيف: شلّهم.

٢. شاكهم: من الشوك وشاكته الشوكة أي دخلت في جسمه. والشاعر يريد ان يقول: ان اولئك الجماعة الذين يتكلم عنهم لو انهم ناموا على الحرير لأحسوا كأن الحرير تحتهم شوك.

٣. الذكور الاولى: جمع ذكر ضد الانثىٰ؛ والذكور الثانية جمع ذكر وهو الحديد.

٤. الخوامع: الضباع اسم لازم لها، لانها تخمع أي تعرج في مشيها.

٥. هذا: يعني ماوصلت اليه. والثمْدُ والثَّمَدُ: الماء القليل الذي لا مادّ له.

٦. جاء في نسمة السحر: «ولابي بكر في امير الامراء الحسين بن سيمجور امير خراسان ... [هذه الابيات] وورد المصراع الثاني من البيت ٢ «فعدىٰ يتيه على العبير».
وبين البيت ٢ و ٣ ورد البيت ٢ المذكور في الهامش رقم (١) لهذه القطعة بهذا الشكل:

لمـا مشـين عـلىٰ الثرىٰ تـاه التراب عـلىٰ الاثـير

ثم ورد بعد هذا البيت مباشرة البيت ٦ بهذا الشكل:

←

«١٠٠»

التخريج: التمثيل والمحاضرة، ١٩٢.

ـ وله:

١ قَـدْ لَـقِيَ الأَحْـبابُ مِـنْهُ الّـذي　　لَمْ يَـلْقَ زَيْـدُ النَّـحْوِ مِـنْ عَـمْرو

«١٠١»

التخريج: النهاية في الكناية، ٢٠١.

ـ وله في الكناية عن البخيل:

١ فَـتَى مُخْـتَصَرُ المأكُـولِ والمَـشْروبِ والعِـطْرِ

٢ نَـقِيُّ الكَأْسِ والقَـصْعَةِ والمِـنْدْيلِ والقِـدْرِ

«١٠٢»

← ياسـائـلـي مـا فـي الهـوادِ　　ج والبـراقـع والسّـتـور

وذكر المصراع الثاني من البيت ٧ «ـةِ والفطام عن السرور».

ثم تلاه البيت ٥ وجاء بعده البيت ٣ بهذا الشكل:

واعـــرتهن القـــلب لو ردّ المـــعار عـــلى المـــعير

ثم تلاه البيت ٨ وجاء مصراعه الثاني بهذه الصورة «.. بر حين تُخطب والسرير».

وتلاه البيت ٩ و ١٠ حيث جاء مصراعه الثاني «.. بماله الجم الغفير». ثم توالت الابيات ١١ ـ ١٨ حيث جاء مصراع البيت ١٨ الثاني بهذا الشكل «.. حسن الجوامع والنشور». وتوالت بعده الابيات من ١٩ ـ ٢٤ إذ ورد البيت الاخير بهذا الشكل» ما صيغ مدح محمد　　الامن القمر المنير».

٧. وردت هذه الابيات كاملة في اعيان الشيعة مع هذه الاختلافات:

البيت الاول المصراع ٢ «.. في الضمائر والصدور».

جاء البيت الثالث هكذا «لما مشين على الثرىٰ　　تاه المعار على المعير» أي الغبار على الارض ولم يرد ذكر للبيت الثالث الموجود في النص الاصلي.

وجاء المصراع ٢ من البيت ١٠ «.. بماله الجم الغفير».

وورد المصراع ٢ من البيت ١٤ «.. لشاكه مَسُّ الحرير».

وجاء المصراع ٢ من البيت ١٨ «.. حشو الخوامع والنسور».

التخريج: دَرْجُ الغُرر ودُرْجُ الدُّرَر، ٤٢.

ـ وله:

١ وَبِــوجهٍ كَـوَجْهِ حَسّـان مـولا يَ «أَبي نـصرٍ ـ الكـريمِ النّـجارِ

٢ الخَـليعِ العِـذارِ بَأساً وجُـوداً لا كَـما قَـدْ عَـهِدْت خَـلْعَ العِـذارِ

٣ وَغَـني الجَـليسِ والتِّربِ والجـيـرانِ والاصـدقاءِ والزُّوّارِ

٤ كـاتِبٍ في سُـطورِ كـلِّ كِـتابٍ كَـلِماتٍ يَـلْطُفْنَ بـالأَبْصارِ

٥ هُـنَّ أَشْـفَىٰ مِـنَ الفَـراغِ عَـلَى النَّـجْعِ وَمْـنِ سَكْـنَةِ المُـباري المُـماري

«١٠٣»

التخريج: دمية القصر وعصرة أهل العصر، ٨٣١/٢.

ـ وقرأت في ديوان الاستاذ أبي بكر الخوارزمي قصيدة رثىٰ [الحكيم ابا بكـر الخسـروي السرخسي[١]] بها مطلعها:

١ طَـوَتِ المَـنونُ مَحـاسِنَ الدَّهْـرِ بِـيَدٍ لَهـاطيٌّ بِـلانَشْرِ

٢ صَـبَحَتْ يَـدُ الدُّنـيا، أبـا بكـرٍ كأساً سَـيُغْبَقُها أبـو بكـرِ

«١٠٤»

التخريج: نهاية الارب ٣١٧/١٠؛ عيون التواريخ ١٣٢/١٠؛ الوافي بالوفيات ١٩٤/٣؛ الحيوان في الادب العربي ١٦٨/٢.

ـ وقال ابو بكر الخوارزمي يصف سلحفاة:

١ بِـنْتُ مـاءٍ بَـدَتْ لَـنا مِـنْ بَـعيدٍ مِـثْل مـا قَـدْ طَـوىٰ النَّـجادِيُّ سُـفْرَهْ[٢]

---

١. هو من شعراء العجم من الائمة المذكورين، وفي ذلك العلم من الاعلام المشهورين، وكانت له وظائف في كل سنة من الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير والصاحب ابي القاسم اسماعيل بن عباد تدر عليه وتتسابق اليه (الدمية ٨٣٠/٢).

٢. ورد في عيون التواريخ والوافي بالوفيات «بنت قفر بدت ...» وجاء في الوافي بالوفيات المصراع الثاني بهذا الشكل ←

٢ رَأْسُهـــا رَأْسُ حَـــيَّةٍ وقَـــراهـــا ظَـــهْرُ تُـرْسٍ وَجِـلْدُها جِـلْدُ صَـخْرَهْ[١]

٣ أَوْكـــما قَـــدْ قَـــلبت جـفن شُربٍ نَـــقَشُوها بِحُـــمْرَةٍ وَبِـــصُفْرَهْ[٢]

٤ مـــثل فِـــهْرِ العَـطّارِ دُقَّ بـه العِـطْـــرُ فَحَلَّتْ طَـرائِـقُ الطِّـيبِ ظَـهْرَهْ[٣]

٥ يَـقْطَعُ الخَـوْفُ رأسَهـا فَـإِذا مـا أَمِـــنَتْهُ فَـــرَأْسُها مُسْـــتَقِرَّهْ[٤]

«١٠٥»

التخريج: معجم الادباء ٢/١٩٠.

ـ وله في رسالة بعث بها الىٰ بديع الزمان الهمذاني:

١ فَـــا النَّـفْسُ إلّا نُـطْفَةٌ بِـقَرارَةٍ إذا لَمْ تُكَـدَّرْ كـانَ صَـفْواً غَـدِيرُها

«١٠٦»

التخريج: مجلة المورد، المجلد ٢، العدد ٤ ص ٥٦.

ـ والذي يبدو من المناظرة [بين الخوارزمي والبديع] ان الهمداني قد سفه بعض الابيات للخوارزمي ورد فيها:

١ كـــالبَحْرِ في تِـــزْخارِهِ والغَـــيْثِ في أَمـــطارِهِ

لان الغيث هو المطر بعينه.

«١٠٧»

← «مثل ما طوىٰ البخاري سُفره».

والنَّجاد: الذي يعالج الفرش والوساد ويخيطها.

١. قراها: ظهرها؛ ترس: الترس من السلاح ما يتوقىٰ به.

٢. لم يرد هذا البيت في نهاية الارب. وجاء ثالث بيت في عيون التواريخ. اما في الوافي بالوفيات للصفدي فجاء بالترتيب الرابع ومصراعه الاول بهذا الشكل «اوكما قد قلبت جفنة شرب ...»

٣. الفهر: الحجر الدقيق الذي تسحق به الادوية علىٰ الصلاية. وفهر العطار: الحجر الذي يدق به الطيب. او قدر ما يدق به الجوز وغيره.

والطرائق: جمع طريقة: كل اخدود من الارض، او صنفة ثوب أو شيء ملزق بعضه علىٰ بعض.

٤. ورد هذا البيت في الوافي بالوفيات بهذا الشكل:

يـــقطع الخـوف رأسهـا فـاذا مـا امـــنت قـــر رأسهـــا مســـتقرة

التخريج: اليتيمة ٤/٣٨٧.

ـ وله وقد هجا أبا بكر النحوي البستي بقوله:

١ نَحْـــوِيُّكُمْ في حُمْـــقِهِ مَـــعْرِفَةٌ لاتَكِـــرَهْ
٢ ذُو لِحْـــيَةٍ مَـــبْسوطَةٍ وَفِـــطْنَةٍ مُخْـــتَصَرَهْ

«الزاي»

«١٠٨»

التخريج: الدرّ الفريد وبيت القصيد ٣/٣٥٠.

ـ وله:

١ سَـــتَنْكُتُ نـــادِماً في الارضِ مِـــنّي وتَـــعْلَمُ أَنَّ رَأْيَكَ كـــانَ عَـــجْزاً

«السين»

«١٠٩»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٢؛ خاص الخاص ٣٢ـ٣٣.

ـ وله من أخرىٰ:

١ عَـــلَيْكَ رَقـــيبٌ ثَـــقيلُ اللّـــحاظِ مَـــتىٰ لَمْ يَحُـــطْ عِـــلْمُهُ يَحْـــدُس[1]
٢ أَنَمُّ مِـــنَ المِسْكِ بِـــالعاشقينَ وأَلْحَـــظُ عَـــيْناً مِـــنَ النَّرْجِسِ[2]

«١١٠»

---

١. وردت كلمة «شديد» في خاص الخاص بدل كلمة (ثقيل).

٢. أنم اكثر نميمة. ويضربون المثل بالمسك للنّمام.

وقد ذكرها الثعالبي في خاص الخاص (مطبعة السعادة) في انها في النّمام.

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٠.

ـ وله من اخرىٰ:

١ وَفِي الدَّسْتِ شَخْصٌ وَدَّتِ الأَنْجُمُ التي تُقابِلُهُ لَوَ أنَّهنَّ مَجالِسُ

٢ فَلاتَعْجَبوا أَنْ يَحْمِلَ الدَّسْتُ عَسْكَراً فَما كُلُّ أَمْرٍ تَقْتَضيهِ المَقايِسُ

٣ وأَنْ يَسَعَ الدَّسْتُ اللّطيفُ لِعالَمٍ فَقَدْ وَسِعَتْ اسْمَ الإلهِ قَراطِسُ

٤ أَمينٌ إذا ما الناسُ مالوا لِغَيْرِهِ (وَمُحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهْوَ حارِسُ)[١]

ـ ومنها:

٥ وكنتُ أمرءاً لا أنشدُ الدَّهْرَ خالياً سِوىٰ بَيْتِ ضُرٍّ نجمةُ الدَّهْرَ ناحِسُ

٦ (أَقِلّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا أمَّ مالِكٍ وَذُمّي زماناً سادَ فيه القَلاقِسُ[٢]

٧ فَأَصْبَحَ إنْشادي لبيتٍ إذا جرىٰ فَفيهِ نَديمٌ مُمْتِعٌ وَمُؤانِسُ

٨ (ودار نَدامىٰ عَطَّلوها وأَدْلَجوا بِها أثَرٌ مِنهم جَديدٌ ودَارِسُ[٣]

«١١١»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٤.

ـ وله من قصيدة في الصاحب وقد اعتل:

١ نَعَوْا لِيَ نَفْسَ المَجْدِ ساعَةَ أَخْبَروا بِما يَشْتكي مِنْ سُقْمِهِ وَيُمارِسُ[٤]

---

١. المصراع الاخير تضمين لعبد الله بن همام، سار مثلاً. وقد عده ابن سلام الجمحي من شعراء الطبقة الخامسة وقال «كان عبد الله رجلاً له جاه عند السلطان ووصلة بهم وكان سرياً في نفسه وله همة تسمو به راجع طبقات الشعراء ص ١٨٤.

٢. القلاقس: العبيد. والبيت كما هو لعبد الله بن همام.

٣. أدلجوا: ساروا الليل كله أو في آخره. الدارس: الممحو، العافي، البالي

والبيت لابي نؤاس راجع الديوان ص ٣٦١ واصل البيت في الديوان:

ودار ندامى عطلوها وادلجوا بها اثر منهم جديد ودارس

ولم ترد كلمة (منهم) في مصدر التخريج.

٤. اعتبر الثعالبي ابا بكر الخوارزمي قد زل في هذا البيت أقبح زلة، فان في لفظة النعي ما فيها من الطيرة، اذ هي مما ←

٢ فَهَلّا فَداهُ مِنْهُ مَنْ لَيْسَ مِثْلَهُ ... وَمَنْ ربعُهُ في ساحَةِ الجُودِ دارِسُ[١]

٣ جَزَى اللهُ عَنّي الدَّهْرَ شَرّاً فإنَّهُ ... يُضايِقُني في واحِدٍ وَيُنافِسُ

«١١٢»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧٣؛ الاعجاز والايجاز، ٢٠٠؛ وفيات الاعيان ؛ ٤/٤٠٢، الدر الفريد وبيت القصيد ٢/٢٣٠؛ عيون التواريخ ١٠/١٣٢؛ الوافي بالوفيات ٣/١٩٣ ـ ١٩٤؛ نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ٢/٣٧١.

ـ وله:

١ يامَنْ يُحاوِلُ صِرفَ الرّاحِ يَشْرَبُها ... فَلا يَلِفُّ لِما يَهْواهُ قِرْطاسا[٢]

٢ الكأسُ والكيسُ لَمْ يُقضَ امْتِلاؤُهُما ... فَفَرِّغِ الكيسَ حَتّى تَمْلأَ الكاسا

«١١٣»

التخريج: اليتيمة ٤/١١٦؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ٦٣؛ المنتخب من كنايات الادباء وارشادات البلغاء، ٤٨.

ـ فحدثني ابو بكر الخوارزمي قال: تحككت وانا أحدث[٣] باللّحام[٤] فقلت فيه:

١ رأيتُ لِلَّحامِ في خَلْقِهِ ... لِلشِّعْرِ تَطْبيقاً وتَجْنيسا[٥]

← يقع في المرثية لا في العيادة.

والسقم والسقام: المرض؛ ويمارس: يعاني ويلاقي.

١. دارس: متقادم عهده.

٢. القرطاس: الورق. وجاء في الاعجاز والايجاز «ولا» بدل «فلا» في بداية المصراع الثاني. كما جاء المصراع الثاني في وفيات الاعيان بهذا الشكل «ولا يفك لما يلقاه قرطاسا» وهكذا جاء أيضاً في عيون التواريخ وفي الوافي بالوفيات وفي نسمة السحر.

٣. يمكن «وانا حدث».

٤. هو ابو الحسن علي بن الحسن اللّحام الحرّاني راجع اليتيمة ٤/١١٦ ـ ١٣٢.

٥. جاء في ثمار القلوب (طبعة دار نهضة مصر) «وانشد الخوارزمي لنفسه في اللجام» واظن انّه غلط والصحيح «اللحام» وورد البيت الاول فيه بهذا الشكل:

رأيت اللجام في خلقه ... كالشعر تطبيقاً وتجنيسا

٢ نَخْــــوَةُ فِــــرْعَوْنَ ولكــــنَّهُ جــانَسَ في حَمْــلِ العَـصا مـوسىٰ[1]

٤ قَــــرينَهُ ابــــليسُ لكــــنَّهُ خَــالَفَ في السَّــجْدَةِ إبــليسا[2]

وأردت بذلك فتح باب الىٰ مهاجاته، فلم يجبني وجرىٰ على قضية قول المتنبّي:

«واغيظ من ناداك من لا تجيبه»

«١١٤»

التخريج: تاريخ گزيده، ٦٨٧

ـ وله في جواب الصاحب بن عباد عندما دخل الخوارزمي عليه من دون اجازة[3]:

١ مَــنْ يَــقُلْ إنّي ثَــقيلٌ أُمُّــهُ حِــرُها أَوْسَــعُ مِــنْ دَرْبِ طَـبَس

«١١٥»

التخريج: بغية الوعاة ١/١٢٥

ـ وله:

١ وَلَمّــا أَنْ غَــرَسْتُ إلَــيْكَ وُدّي فَــلَمْ يُــثْمِرْ لَــدَيْكَ زَكِــي غَــرْسي

٢ أَرَدْتَ مَــلالَةً وأَرَدْتُ هَــجراً فَــصُنْتُكَ عَــنْهُما فَــهَجَرْتُ نَــفْسي

٣ لأَنَّ الذَّنْبَ ذَنْــبي حــينَ أُهْــدي إلى مَــنْ لا يُــريدُ الأُنْسَ أُنْــسي

«الضاد»

«١١٦»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٠؛ خاص الخاص ١٥١؛ زهر الآداب ٣١٤؛ التمثيل والمحاضرة ٣٧٨؛ الاعجاز والايجاز ١٩٩؛ تاريخ الادب العربي للزيات ٢٦٩.

---

١. ورد هذا البيت فقط في المنتخب من كنايات الادباء وجاء بهذا الشكل: .

نخــــوةُ فــــرعونُ لكــــنه خــــالف في الســـجدة ابـــليسا

٢. ورد المصراع الاول من هذا البيت في ثمار القلوب بهذه الصورة:

«وغش ابليس ولكنه..»

٣. وكان الصاحب قد انشد في البداهة عندما دخل الخوارزمي عليه:

كــلما قُــلنا خــلا مجــلسنا بــعث الله ثــقيلا فــجلس

ـ وله من أخرىٰ:

١ قــلتُ للـعينِ حـينَ شـامَتْ جَمـالاً   في وُجـــوهٍ كَـــواذِبِ الإيمــاضِ[١]

٢ لا تَــــغُرَّنَّكِ هــــذهِ الأَوجُـــهُ الغـــرُّ فَـيَارُبَّ حَـيَّةٍ مِـنْ رِيـاضِ[٢]

«١١٧»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٩.

ـ وله من أخرىٰ:

١ خَــضَّبَتْني الأَيّــامُ لَـوْنَ بَـياضٍ   وَخِـضابُ الأَيّـامِ لَـيْسَ بِـناضي[٣]

٢ وَتَخَـــطَّتْني المَـــنونُ إلَى شِــــــعْرِيَ فَأَضْــحىٰ مُكَــفَّناً بِــبَياضِ

٣ وَلَـــعَمْرِي إنِّي لَـــغَيْرُ لَـــبيبٍ   في قِـــتالِ الأَيّـــامِ بـــالمِقْراضِ

«١١٨»

التخريج: معجم الادباء ٢/١٨٠[٤]؛ الصبح المُنبي عن حيثية المتنبّي ٤٦ـ٤٧.

ـ وله:

١ يـا قـاضِياً مـا مِـثْلُهُ مِـنْ قـاضِ   أنـــا بـالّذي تَـقْضي عَـلَيْنا راضِ

٢ فَـــلَقَدْ لَـبِسْتَ ضَـفِيَّةً مَـلْمومَةً   مِــنْ نَسْـجِ ذاكَ البـارِقِ الفَـضْفاضِ

٣ لا تَــــغْضَبَنَّ إذا نَــظَمْتُ تَـنَفُّساً   إنَّ الغَــضىٰ في مِـثْلِ ذاكَ تَـغاضِ

٤ فَـــلَقَدْ بُـليتَ بِشـاعِرٍ مُـتَقادِرٍ   ولَـقَدْ بُـليتُ بـنابِ ذيبٍ غـاضِ[٥]

٥ ولَقَدْ قَرَضْتُ الشِّعْرَ فـاسْمَعْ واسْـتَمِعْ   لِـــنَشيدِ شِـــعْرٍ طـائِعاً وَقَـراضِ

---

١. ورد في الاعجاز والايجاز بدل «في وجوه» كلمة «من بروق».

٢. ورد في خاص الخاص وزهر الاداب والتمثيل والمحاضرة والاعجاز والايجاز «في رياض» بدل «من رياض». ووردت كلمة «لا يغرّنك» بدل «لا تغرنّك» في تاريخ الادب العربي للزيات.

٣. الخضاب: الصباغ. ناضي: مفارق.

٤. اورد معجم الادباء البيت الاول فقط واورد البيت الرابع بصيغة أخرىٰ.

٥. ورد في معجم الادباء بهذا الشكل: ولقد بليت بشاعر متهتك   لا بل بليت بناب ذئبٍ غاضِ.

٦ فَلأَغْلِبَنَّ بَديهةً بِبَديهَتي وَلأَرْمِيَنَّ سَوادَهُ بِبَياضِ[١]

« ١١٩ »

التخريج : نهاية الارب في فنون الادب ٣/١١٤.

ـ وقال أيضاً :

١ وَإِذا مُدَّةُ الشَّقِيِّ تَناهَتْ جاءَهُ مِنْ شَقائِهِ مُتَقاضِي

« العين »

« ١٢٠ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٣٧.

وله من اخرىٰ في هجاء طاهر بن شار :

١ لِلّهِ في كُلِّ ما قَضاهُ لَطائِفٌ تَحْتَها بَدائِعْ

٢ سُبْحانَ مَنْ يُطعِمُ ابنَ شارٍ وَيَتْرُكُ الكَلبَ وَهْوَ جائِعْ

« ١٢١ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٦٠.

ـ وله من أخرىٰ :

١ أَسَرَّكَ أَنَّ الدَّهْرَ يَجْني لِما جَنَىٰ وَلَمْ يَكُ في الأَحْبارِ والنَّصْبِ يَدَّعي[٢]

٢ فَيا عَجَبي مِنْ ناصِبِيٍّ وَفَرْحَةٍ وَأَعْجَبُ مِنْهُ الحُزْنَ في المتَشَيِّعِ

٣ وَأَعْجَبُ مِنْ هذَيْنِ إِظْهارُكَ الأَسىٰ لِمَنْ غابَ عَنْ دارِ الأَسىٰ والتَّوَجُّعِ

٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ قالَ تَمَتَّعُوا قَليلاً ولم يُبْقِ قَليلَ التَّمتُّعِ

---

١. انشد الخوارزمي هذه الابيات في المناظرة التي جرت بينه وبين بديع الزمان الهمذاني.

٢. الاحبار: جمع حَبر وهو العالم والاسقف عند النصارىٰ ورئيس الكهنة عند اليهود.
والنصب : أي من يناصب علياً للعداء.

«١٢٢»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٩.

ـ ومن اخرىٰ له:

١ لاحَتْ لِوَجْهي أَنْجُمُ لِلشَّيْبِ عُدْنَ بِهِ طَوالِعْ

٢ أَوْدَعْتُ مِنْهُنَّ الصِّبا مَنْ لايَرىٰ رَدَّ الوَدائِعْ

٣ فَقَصَصْتُهُنَّ، وإِنَّما دَهْري بِمِقْراضي أُخادِعْ[1]

٤ وإِذا عَدُوُّكَ كانَ بَعْضَكَ في الخُطُوبِ فَمَنْ تُقارِعْ

«١٢٣»

التخريج: معجم الادباء ٢/١٩٥

ـ وله في رسالة الىٰ بديع الزمان الهمذاني:

١ يا بَديعَ القَوْلِ حاشا لَكَ مِنْ هَجْوٍ بَديعْ

٢ وَبِحُسْنِ القَوْلِ عَوَّدْتُكَ مِنْ سُوءِ الصَّنيعْ

٣ لا يَعِبْ بَعْضُكَ بَعْضاً كُنْ مَليحاً في الجَميعْ

«١٢٤»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٣.

ـ وله في أبي سهل البستي الكاتب:

١ ماتَ أَبو سَهْلٍ فَواحَسْرَتا أَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ ماتَ مُذْ جُمُعَهْ

٢ ما حُزْني إِلّا لأَنْ لَمْ يَمُتْ بِمَوْتِهِ مِنْ أَهْلِهِ تِسعَهْ

٣ مصيبَةٌ لا غَفَرَ اللهُ لي إِنْ أَنا أَذْرَيْتُ لَهُ دَمْعَهْ

«١٢٥»

---

١. المقراض: المقص؛ أخادع: من الخداع.

التخريج: أعيان الشيعة ٣٧٨/٩.

ـ وله أورده في المناقب:

١ هـــارونَ يـــا مَـــنْ أَمْـــرُهُ بِـــدْعَهْ جَـــاوَزْتَ قَـــبْراً قُـــرْبُهُ رِفْـــعَهْ

٢ تُـــرِيدُ أَنْ تُـــفْلِحَ مِـــنْ أَجْـلِهِ لَـــنْ تَـــدْخُلَ الجَـــنَّةَ بِـــالشُّفْعَهْ

«الفاء»

«١٢٦»

التخريج: اليتيمة ٢٥٣/٣؛ ٢٥٧/٤؛ خاص الخاص، ١٥١؛ الاعجاز والايجاز، ٢٠٠.

ـ وانشدني أيضاً لنفسه في دار الصاحب:

١ بَـــنَيْتَ الدّارَ عَـــالِيَةً كَـــمِثْلِ بِـــنائِكَ الشَّرَفـــا[١]

٢ فَـــلاَ زَالَت رُؤوسُ عِـــدا كَ في حِـــيطانِها شُرَفـــا[٢]

«١٢٧»

التخريج: اليتيمة ٢٧٤/٤؛ نهاية الارب في فنون الادب ٢٥٥/١١؛ دراسات فنية في الادب العربي، ٤٦٦؛ الادب العربي في اقليم خوارزم، ١٨٧.

وله في باقة ريحان:

١ وَضَـــغْثُ رَيْحـــانٍ إِذا مـــا وَصَـــفَهْ واصِـــفُهُ قـــيلَ لَـــهُ: زِدْ في الصِّـــفَهْ[٣]

---

١. الشَّرَف: المجد.

٢. شُرَفا: جمع شُرفة وهي ما اشرف أي خَرَجَ من بناء القصر.

٣. ورد هذا البيت في الادب العربي في اقليم خوارزم وفي دراسات فنية في الادب العربي، بهذه الصورة:

وصـــفتُ ريحـــاناً اذا مـــا وصـــفه واصـــفه قـــيل له: زد في الصـــفهْ

والضغث: قبضة من عشب مختلط رطب ويابس، وقيل: كل ما ملأ الكف من النبات مما له ساق. والتضغيث: ما بلّ الارض والنبات من المطر.

٢ دَقَّـــــقَهُ صـــانِعُهُ ولَـــطَّفَهْ　　كَأَنَّـــــهُ وَشْمُ يَـــدٍ مُـــطَرَّفَهْ[١]

٣ أو خَــــطٌّ وَرّاقٍ أَدَقَّ أَحْــرُفَهْ　　أَو زَغَـــباتُ طـــائِرٍ مُـــصَفَّفَهْ[٢]

٤ اوحُـــــلَّةٌ بِخُــــضْرَةٍ مُــــفَوَّفَهْ[٣]

«١٢٨»

التخريج: محاضرات الادباء ١/٦١٤.

ـ وله حول الهريسة:

١ هَــلْ تَــنْشُطونَ لِــتَنُّورِيَّةٍ خُــنِقَتْ　　مِــنْ أَوَّلِ اللَّــيلِ حَــتَّىٰ قَــلْبُها يَجِــفُ[٤]

٢ كَأَنَّها وهي فَــوْقَ الجـامِ قَــدْ غَــرِقَتْ　　في دَفْــنِها قَــرٌ بــالشَّمْسِ مُــلْتَحِفُ

٣ أَوْ دِرْهَــمٌ فــوقَهُ الدّيــنارُ مُــنْطَبِقٌ　　أَوْلَـوْحُ عـاجٍ عَـلىٰالزّديـابِ مُكْـتَنِفُ[٥]

«١٢٩»

التخريج: محاضرات الادباء ٣/٤٧.

ـ وله حول التلذذ بالهوى عند المواصلة والتبرم به لدىٰ المعارضة:

---

١. مطرفة: مزينة ومعلّمة؛ يقال: طرفت المرأة بنانها: خضبت اطراف أصابعها
الوشم: غرز الابرة في البدن. والسمة والعلامة علىٰ الجلد.

٢. زغبات جمع زغبة: الشعيرات الصفر على ريش الفرخ وهي اول ما يبدو على الشعر والريش ودقاقه الذي يجود ولا يطول. وأظن الصحيح هو «أو خَطُّ وراق ...».

٣. ورد هذا المصراع في دراسات فنية في الادب العربي بهذا الشكل: «او حلة مُخَضّرة مفوّفه».
والتفويف: التزيين، ثوب مفوّف: مزين بالالوان.
والمفوف من البرود: الرقيق او ما فيه خيوط بيض، والثياب فيها خطوط.

٤. وجف القلب: اضطرب وقلب واجف: مضطرب.

٥. واظن كلمة «الزرياب» أصح لانها تعني الذهب والاصفر من كل شيء. اما كلمة الزدياب فلم اعثر على معنى لها في الكتب اللغوية.

وهَـذا الهَـوَى عَـيْشُ المُحِبِّ إذا صَـفَا ولكـنْ إذا لَمْ يَـصْفُ كـانَ لَـهُ حَـتْفا

«١٣٠»

التخريج: الوافي بالوفيات ٣/١٩٤.

ـ وله:

١ أَسُـومُ الجِـبابَ فَـلا خَـزُّها أُطِـيقُ ٱبْـتِياعاً ولا صُـوفَها

٢ وكَـيفَ السَّـبيلُ إلىٰ جُـبَّةٍ لِمَـنْ لَـيْسَ يَمْـلِكُ تَـصحيفَها

«١٣١»

التخريج: المنتخب من كنايات الادباء وارشادات البلغاء، ٥١؛ الكشكول ٢/١١٠.

ـ وله:

١ أَبـا جَـعْفَر لَسْتَ بـالمُنْصِفِ وَمِـثْلُكَ إنْ قـالَ قَـولاً يَـفِي

٢ فَـإنْ أَنْتَ أَنْجَـزْتَ لي مَـوْعِدي وإلّا هَـجَنْتُ وأَدْخَـلْتُ فِي[1]

٣ وَقَـدْ عَـلِمَ النـاسُ مـا بَـعْدَهُ فَـغَطِّ الحـديثَ ولا تَكْشِـفِ[2]

«القاف»

«١٣٢»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٠ ـ ٢٤١؛ نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ٦/٢٣٦؛ مصارع العشاق ١/٩٠؛ الانساب المتّفقة، ٩٦.

ـ وله من قصيدة اخرىٰ في الصاحب بن عباد[3]:

---

١. استعمل الخوارزمي في هذه الابيات طريقة مشهورة من طرق العرب وهي القطع والاستغناء عن ذكر ما الغز.

٢. لم يرد هذا البيت في الكشكول وجاء البيتان ١ و ٢ فيه من دون نسبة.

٣. ورد في نشوار المحاضرة مايلي:

وكرر صاحب مصارع العشاق:

←

١ يَفُلُّ غَداً جَيْشُ النَّوىٰ عَسْكَرَ اللِّقا　فَـرَأْيُكَ في سَـحِّ الدُّمـوعِ مُـوَفَّقا[١]

٢ وَلَمَّـا رَأَيْتُ الإِلْـفَ يَـعْزِمُ لِـلنَّوىٰ　عَـزَمْتُ عَـلَىٰ الأَجفانِ أَن تَـتَرَقْرَقا[٢]

٣ وخُـذْ حُـجَّتي في تَـرْكِ جَـنْبِيَ سـالِماً　وقَـلْبِيَ وَمِـنْ حَـقَّيْهِما أَنْ يُشَـقَّقا[٣]

٤ يَـدي ضَـعُفَتْ عَـنْ أَنْ تُمَـزِّق جَـيْبَها　ومـا كـانَ قَـلْبي نـاظِراً فَـيُمَزَّقا[٤]

« ١٣٣ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧٣.

ـ وله وقد دخل الىٰ صديق فبخّره وسقاه:

١ بُخِّـرْتُ ثُمَّ سُـقِيتُ في دارِ اُمـرِئٍ　تُـضْحي القـلوبُ طَـوالِباً لِـوِفاقِهِ

٢ فَكَـأَنَّما سُـقِّيتُ مِـن أَلفـاظِهِ　وكَأَنَّمـا بُخِّـرْتُ مِـنْ أَخْـلاقِهِ

« ١٣٤ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧٥.

← «أنشدنا ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي[١]، قال: انشدني قاضي القضاة ابو عبد الله الحسين بن جعفر بن ماكولا[٢]، لابي بكر الخوارزمي الطبري من طبرية الشام[٣]، من تشبيب قصيدة في الصاحب ابي القاسم بن عباد...»

١: ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي القاضي (٣٧٠هـ ـ ٤٤٧هـ) من علماء المعتزلة، تقلّد القضاء في عدة نواح منها المدائن وقرميسين وكان ظريفاً نبيلاً جيد النادرة، وكان اميراً من أمراء الظرف وهو ابن القاضي صاحب النشوار (الاعلام: ٥/١٤٠).

٢: ابو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر العجلي المعروف بابن ماكولا (٣٦٨ ـ ٤٤٧هـ): قاضي قضاة بغداد، من نسل ابي دلف العجلي، كان شافعياً، نزيهاً، اميناً ولي القضاء سنة ٤٢٠هـ وتوفي ببغداد (الاعلام: ٢/٢٦٧).

٣: يلاحظ هنا الاشتباه الذي وقع فيه صاحب مصارع العشاق من انه من طبرية الشام وهذا خبر ينفرد به صاحب مصارع العشاق لم يقل به أحد غيره.

١. يفل: يقطع ويثلم؛ والنوىٰ: البعد والهجر؛ وسحّ الدموع: هطولها.

٢. لم يرد هذا البيت في اليتيمة. اما في الانساب المتفقة فقد ورد البيت الاول والثاني فقط.

٣. ورد في مصارع العشاق كلمة «جسمي» بدل «جنبي» وكلمة «يُحرّقا» بدل «يشققا».

٤. وردت كلمة «تخرّق» بدل «تمزق» وكلمة «حاضراً» بدل «ناظراً» في مصارع العشاق.

ـ وله، ويمكن في عدم الاعتراف بطهارة المرأة:

١ لاتَيْأَسَنَّ مِنْ حبيب إذا تَوَعَّرَ خُلْقُه
٢ فَكُلَّما صَلُبَ الخُبْزُ كانَ سَهْلاً مَدَقُّه

« ١٣٥ »

التخريج: محاضرات الادباء ١/٣٠٥؛ الدر الفريد وبيت القصيد ٣/٣٥٠.

ـ وله:

١ سَتَلْقَ بِهِ بَدْراً وَبَحْراً وَضَيغَماً وَسَيْفاً وإنْساناً وطَوْداً وَفَيْلَقاً

« ١٣٦ »

التخريج: محاضرات الادباء ١/٦٢٢.

ـ وله حول الصغير الرغفان:

١ كأَنَّ رُغْفانَهُ إذا وُضِعَتْ عُشورُ نُقطٍ كُتِبْنَ في وَرَق

« ١٣٧ »

التخريج: محاضرات الادباء ٣/٦٧٥.

ـ وَلَهُ حَوْلَ وصف الضفدع:

١ أَرَّقَني والدِّيكُ لَمّا يَنْطِقِ صوتُ غَريقٍ نِصْفُهُ لَمْ يَغْرقِ
٢ وجاحِظُ العَيْنِ وَلَمّا يُخْنَقِ بِلَحْظِ مَخْنوقٍ وَلَفْظِ أَشْرَقِ

« ١٣٨ »

التخريج: معجم الادباء ٢/١٧٥ ـ ١٧٦؛ الصبح المنبي عن حيثية المتبني، ٤٠ الادب العربي وتاريخه، ١٥٠[1].

---

١. اورد معجم الادباء البيتين الاول والرابع فقط واورد الصبح المنبي الابيات الثمانية كاملة اما كتاب الادب العربي وتاريخه فقد أورد الابيات الاربعة الاولى.

ـ وله في المناظرة بينه وبين بديع الزمان الهمذاني[١]:

١ وإذا أبْتَدَهْتُ بَديهَةً ياسَيِّدي ... فَأَراكَ عِنْدَ بَديهَتي تَتَغَلَّقُ[٢]

٢ وإذا قَرَضْتُ الشِّعْرَ في مَيْدانِهِ ... لا شَكَّ أنَّكَ يا أُخَيَّ تَشَقَّقُ[٣]

٣ إني إذا قُلْتُ البَديهَةَ قُلْتُها ... عَجِلاً وَطَبْعُكَ عِنْدَ طَبْعي يَرْفُقُ[٤]

٤ مالي أَراكَ وَلَسْتَ مِثْلي عِنْدَها ... مُتَموِّهاً بالتُّرَّهاتِ تُمَخْرِقُ[٥]

٥ إني أُجيزُ عَلَىٰ البَديهَةِ مِثْلِ ما ... تَرَيانِهِ وإذا نَطَقْتُ أُصَدَّقُ

٦ لَوْ كنتَ مِنْ صَخْرٍ أَصَم لهَالَهُ ... مِنِّي البَديهَةُ واَغْتَدىٰ يَتَفَلَّقُ

٧ أوكُنتَ لَيْثاً في البَديهَةِ خادِراً ... لَرَأَيْتَ يا مِسْكينُ مِنّي تَفْرَقُ[٦]

٨ وبديهةٌ قَدْ قُلْتُها مُتَنَفِّساً ... فَقُلِ الّذي قَدْ قُلتَ ياذا الأَخْرَقُ

« ١٣٩ »

التخريج: معجم الادباء ٢/١٨٨.

ـ وله في رِسالة الىٰ بديع الزمان الهمذاني:

١ إنَّكَ إنْ كَلَّفْتَني مالَمْ أَطِقْ ... ساءَكَ ما سَرَّكَ مِنّي مِنْ خُلُقْ

---

١. انشدت هذه الابيات حين اقترح على الخوارزمي والبديع ان يقولا علىٰ قافية أبي الطيب:

أرق علىٰ أرق ومثلي يأرق ... وجوىٰ يزيد وعبرة تترقرق

وابتدر ابو بكر الىٰ الاجازة ولم يزل الىٰ الغايات سباقاً فقال [الابيات اعلاه].

٢. في معجم الادباء كلمة (فاذا) بدل «وإذا» وكلمة «تتقلّق» بدل «تتغلق».

وتتغلق: أي يغلق عليك باب الكلام.

٣. المراد به: انك تعجز عن اللحاق بي. وفي الادب العربي وتاريخه (يا أخي) بدل «يا أُخيّ» وكلمة «تتشقق» بدل «تشقق».

٤. يرفق: يلين ويضعف. وفي الادب العربي وتاريخه «غير طبعي» بدل «عند طبعي».

٥. وفي معجم الادباء «ولست مثلي في الورىٰ» بدل «ولست مثلي عندها».

وتمخرق: تضع الكذب والمخرقة الحمق؛ والترهات: جمع ترهة وهي الباطل، وموّهت الشيء: طليته.

٦. الخادر: المقيم في أجمته مأخوذ من الخدر؛ وتفرّق: تخاف وتفزع.

« ١٤٠ »

التخريج : الدر الفريد وبيت القصيد ١/٢٠٣.

وله :

١ أَوَ ما شَمَمْتَ بِذي الأَبارِقِ نَفْحَةً ... خاضَتْ إلىٰ كَبِدِ الفَتَىٰ المُشْتاقِ

٢ آهاً عَلىٰ نَفخاتِ نَجْدٍ إنَّها ... رُسُلُ الهَوَىٰ وأَدِلَّةُ العُشّاقِ

٣ أَسُقِيتَ بالكَأْسِ الّتي سُقِّيتُها ... أَمْ هَلْ عَدَتْكَ إليَّ كَفُّ السّاقي

٤ أَصفِ الغَرامَ المعرقَ مِنْ دائِهِ ... إنِّي لأَقْدَمُ مِنْكَ في العُشّاقِ

٥ أَبْثَثْتُهُ كَمَدي وطُولَ تَغرُّبي ... وأَليمَ ما بي مِنْ جَوَىً وفِراقِ

٦ أَشْكُو إليهِ بَياضَ سُودِ مَفارِقي ... ونَظَلُّ نَعْجَبُ مِنْ سَوادِ الباقي

« ١٤١ »

التخريج : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

ـ وله :

١ رَمَيْتُ بِكَ الأعداءَ عَنْ قَوس غنيةٍ ... وأصبحَ حُبُّ النّاسِ مِنّي مُطَلَّقا

٢ وَصَغَّرْتَ عِنْدي الخَلْقَ حَتّىٰ حَسِبْتَني ... عَلىٰ كُلِّ مَنْ خاطَبْتُهُ مُتَصَدِّقا

٣ وكُنْتُ مَتَىٰ أنقُل إلىٰ أَهْلِ مَجْلِسٍ ... تَناءَ مَجْلِسٍ مِنْ فيكَ قُمْتُ مُصَدقا

٤ وكنتُ مَتَىٰ ما أَرْوَعَتْكَ قَصيدةً ... غَدَوْتُ بها أُصغي نَشيداً وأحذِقا

٥ وكُنتُ إذا اَسْتَفْتَحْتُ بِاسْمِكَ سَفْرَةً ... تَطايَرَ عَنّي نَحْسُها وَتَفَرَّقا

٦ وكُنْتُ مَتَىٰ أَذْكُرْكَ والكأسُ في يَدي ... صَفَتْ، وَغَدا الدّاذِيُّ فيها مُعَتَّقا[1]

٧ وكُنْتُ مَتَىٰ أَحْسدْ غَنِيّاً عَلَى الغِنىٰ ... ذَكَرْتُكَ سِرّاً واَسْتَطَلْتُ لَكَ البَقا

« ١٤٢ »

---

١. الداذي : نبت له حبّ مثل الشعير يُتّخذ منه شراب مُسكر.

التخريج : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب [ط دار المعارف] ٤٩٥.

ـ وانشدني الخوارزمي لنفسه :

١ تَــغَرَّبْتُ أسألُ مَــنْ عَــنَّ لي مِنَ النـاسِ هَـلْ مِـنْ صَـديقٍ صَـدُوقِ

٢ فَــقَالوا عَــزيزانِ لا يُـوجَدانِ صَـدِيقٌ صَـدُوقٌ وَبـيضُ الأنـوقِ[1]

«الكاف»

« ١٤٣ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٤٠.

ـ وله من أخرىٰ :

١ عَذيرَيَّ مِنْ تِلْكَ الوجوهِ الّـتي غَـدَتْ مَـناظِرُها لِـلنّاظِرينَ مَـعاركا

٢ عَذيرَيَّ مِنْ تِلْكَ الجُسومِ الّتي غَـدَتْ سَـبائِكَ تُـغْني النـاسُ فـيها السَّـبائِكا

« ١٤٤ »

التخريج : محاضرات الادباء ٣/٢٣٧.

ـ وله حول المعيّر بِفَساد الحُرمة :

١ زُفَّتْ إلَـيْكَ صَـديقَةٌ لِـفَتىً فَـصِرْتَ لَـهُ شَريكـا

٢ فَـعَلَيْكَ كُـلُّ مَـؤُونَةٍ وَعَـلىٰ شَريكِكَ أَنْ يَـنِيكا

« ١٤٥ »

---

١. العرب تضرب المثل ببيض الانوق في الشيء الذي لا يوجد، فتقول أعَزّ من بيض الأنوق وأبعد من بيض الأنوق. والأنوقُ: الرَّخَم الذكر؛ وانما البيضة للانثىٰ هذا قول ابي عمرو. واما غيره من اللغويين والمعنويين فإنّهم أجمعوا على أنّ الأنوق تلتمس لبيضها الاوكار البعيدة، والاماكن الوحشية، والجبال الشاهقة وصُدوع الصّخر الغامضة فلا يصل اليها سَبُعٌ ولا آدمي.

التخريج: التمثيل والمحاضرة، ٢٥١.

ـوله في وصف الدنيا:

١ أَصْبَحَتِ الدُّنيا لَنَا عِبَرة　　والحمدُ لِلّهِ عَلَىٰ ذلِكا

٢ قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَىٰ ذَمِّها　　وَمَا أَرَىٰ فيهم لَهَا تارِكا

«اللّام»

«١٤٦»

التخريج: اليتيمة ٢٣٩/٤؛ خاص الخاص، ١٥٠؛ الاعجاز والايجاز، ١٩٨؛ غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم، ٧٠٢ ـ ٧٠٣؛ الانساب المتفقة، ٩٧؛ إنباه الرواة علىٰ أنباه النّحاة ٢٧٧/١.

ـقال من قصيدة وأبدع في وصف ما يتزايد من حسن الحبيب علىٰ الايام التي من شأنها تغيير الصور وتقبيح المحاسن:

١ وَشَمْسٍ مـا بَـدَتْ إلّا أَرَتْنا　　بِأَنَّ الشَّمْسَ مَطْلَعُها فُضُولُ[1]

٢ تَزِيدُ عَلَىٰ السِّنينَ ضِيا وحُسْناً　　كَما رَقَّتْ عَلَىٰ العِتْقِ الشَّمولُ[2]

«١٤٧»

١. وردت في الاعجاز والايجاز كلمة «ما نبت» بدل «ما بدت».

٢. وردت في خاص الخاص كلمة «سناً» كلمة «ضيا».

وجاءت في الاعجاز والايجاز كلمة «الستين» بدل «السنين» وكلمة «ضنا» بدل كلمة «ضيا» واظن انه اشتباه.

ووردت في غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم وفي الانساب المتفقة كلمة «صباً» بدل كلمة «ضيا» وكذا الحال في إنباه الرواة على أنباه النحاة غير ان المصدر الاخير ذكره من دون نسبة.

وقد اعتبر الثعالبي هذا البيت في الاعجاز والايجاز «من وسائط قلائد» شعر الخوارزمي.

ورقّت على العتق الشمول: الشمول: الخمرة أو هي الخمرة الباردة الطيبة الطعم؛ والعتق: القِدم؛ ورقت: اصبحت اكثر صفاءً وعذوبة.

التخريج: اليتيمة ٢٤١/٤؛ ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا ٢/٢٥٠؛ انوار الربيع في انواع البديع ١٠٩/٥.

١ بَسَمَتْ فَأَبْدَتْ جِيدَها فَتَكَشَّفَتْ عَنْ نَظْمِ دُرٍّ تَحْتَ نَظْمِ لآلي[١]

٢ وَأَرَتْكَ خَدَّيْها ولاحَ عَلَيْهِما صُدْغانِ ذو خالٍ وآخَرُ خالي[٢]

٣ فكأنَّ ذا ذالٌ خَلَتْ من نُقطَةٍ وكأنَّ ذا دالٌ ونُقْطَةُ ذالِ[٣]

«١٤٨»

التخريج اليتيمة ٢٤١/٤.

وله من أخرىٰ:

١ قَدْ عَصاني دَمْعي وَخِلّي فَخِلْتُ الخِلَّ دَمْعاً وَخِلْتُ دَمْعِيَ خِلّا

٢ وأحاطَتْ بِيَ الخصومُ فَجِفْناً مُسْتَهِلّاً وصاحِباً مُسْتَقِلّا

٣ وَفُؤاداً لَوْ ظَنَّ إِبليسُ أنَّ النارَ في حَرِّهِ لَصامَ وَصَلّىٰ

«١٤٩»

التخريج: اليتيمة ٢٤٥/٤

وله من قصيدة في الصاحب بن عباد:

١ وَمَنْ نَصَرَ التَّوحيد والعدلَ فِعْلُهُ وَأَيْقَظَ نُوّامَ المَعالي شَمائِلُه

---

١. ورد صدر هذا البيت هكذا «بسمت جيدها فتكشّف» ولا يستقيم به الوزن.

وقد ورد هذا البيت في اليتيمة ولم يرد في المصدرين الآخرين. والجيد: العنق.

٢. وردت في ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا كلمة «وارتك خديه» بدل «وارتك خديها» وهكذا جاء في انوار الربيع في انواع البديع ولكني اظن ان ماورد في اليتيمة هو الاصح اذا اخذنا بنظر الاعتبار ما جاء في البيت الاول.

والصدغ: الشعر المتدلي علىٰ ما بين لحاظ العين الىٰ اصل الاذن أي على المنطقة التي تسمىٰ بالصدغ أيضاً.

والخال: شامة في البدن أي نقطة واضحة.

٣. وردت في ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا كلمة «ونقطة خال» بدل «ونقطة ذال» والأصح ماورد في المتن اعلاه اتساقاً مع ماورد في المصراع الاول من هذا البيت.

٢ وَمَــنْ تَــرَكَ الأَخْـيارَ يُـنِشدُ أَهْـلَهُ «أَجِلْ أَيُّهـاالرَّبْـعُ الّـذي خَـفَّ اَهِـلُه»[١]

«١٥٠»

اليتيمة ٤/٢٤٦ ـ ٢٤٧.

ـ وله من أخرىٰ يسترحم فيها ابن عباد:

١ كَـتَبْتُ أَبــنَ عَـبّادٍ إِلَـيْكَ وَحَـالَتي كَـحالِ صَـدٍ طَـمَتْ عَـلَيْه مَـناهِلُه

٢ ومــا تــرَكَتْ كَـفّاكَ فِيَّ خَـصَاصَةً ولكـنَّ شَـوْقاً قَـدْ غَـلَتْ بِي مَـراجِـلُه[٢]

٣ أَبَــيْتَ إِذا أَجْــرَيْتُ ذِكْـرَكَ مُـنْشِداً «كأَنَّكَ تُــعطيه الّــذي أَنْتَ سـائِلُه»[٣]

«١٥١»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥١.

ـ وله من أخرىٰ في الصاحب بن عباد:

١ وَجَـدْنا أَبْـنَ عَـبّادٍ يُـؤَدّي فَـرائِـضاً مِــنَ المَجْــدِ ظَـنَّتْها اللّـئامُ النَّـوافِـلا

٢ جَــديرٌ بِأَنْ يَـغْشَىٰ الكَـريهَةَ مُـنْشِداً «أُقــاتِلُ حَــتّىٰ لا أرىٰ لي مُــقاتِلا»[٤].

«١٥٢»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٢ ـ ٢٥٣.

ـ وله من قصيدة في الهجاء:

١ زَمَــــنُ المُــروءَةِ عَــهْدُهُ بِـفُتُوَّةٍ عَــــهْدي بِــتَرْكِ الشُّرْبِ في شَــوّالِ

٢ غَـضْبانُ يُـنْشِدُ حـين يُـبْصِرُ سـائِلاً كَــــفِيْ دُعـــاؤُكَ إِنَّــني لَكَ قــالي

---

١. المصراع صدر مطلع في قول أبي تمام وعجزه: «لقد ادركت فيك النّوىٰ مـا تحـاوله» راجـع: ديـوان أبي تمـام ٢١٠/٣.

٢. الخصاصة: الحاجة والفقر؛ المراجل: جمع مرجل وهو القِدْر.

٣. هذا المصراع تضمين.

٤. المصراع لزيد الخيل وهو شاعر مُقِلّ مخضرم معدود في الشعراء الفرسان راجع تـرجمـته واخـباره في الاغـاني ١٧/٢٤٥ ـ ٢٦٩.

٣ وَلَـهُ قـواعِـدُ قَـدْ حَكَتْ في طُـولِها «آلَتْ أُمـــــورُ الشِّرْكِ شَرَّ مآلِ»[1]

« ١٥٣ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٤.

ـ وله في سقطاته المنكرة قوله للصاحب من قصيدة[2]:

١ وَمَـــهيبٍ كَأَنَّمـــا أَذْنَبَ النّـــا سُ إليـــهِ فَـــهُمْ مُـــغشَوْنَ ذُلّا

٢ وظَـــريفٍ كأنَّ في كـــلِّ فِـــعْلٍ مِـــنْ أَفـــاعِيلِهِ عَـرائِسُ تُجْـلَىٰ

« ١٥٤ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٥ ـ ٢٥٦؛ الاعجاز والايجاز، ١٩٩؛ خاص الخاص، ١٥٠.

وقال من قصيدة يمدح فيها عضد الدولة[3]:

١ بِحَـمْدِكَ لا بِحَـمْدِ النّـاسِ أَضْـحىٰ وَكـــيلي لَـــيْسَ يَكْـفيهِ وَكـيلُ[4]

٢ وكـــانُوا كُـــلَّما كـــالوا وَزَنّـــا فَـــصِرْنا كـــلَّما وَزَنـــوا نَكـيلُ

٣ وَزِدْتُ مِـــنَ العِـــيالِ وذاكَ أَنّي كَـتَبْتُ عَـلَىٰ لِـقائِكَ مَـنْ أَعُـولُ[5]

٤ وَعِشْتُ ونـــاقِصٌ رِزْقي فَأَضْـحىٰ مُـــفاعِلَتَنْ مُـــفاعِلَتَنْ فَـــعُولُ[6]

---

١. هذا المصراع مطلع قصيدة لابي تمام يمدح فيها المعتصم ويذكر أخذ بابك، وعجز البيت هو «وأقرّ بعد تخمّطٍ وصيالِ». وآلت: رجعت؛ التخمط: الغضب والتكبر؛ الصيال: السطوة راجع: شرح ديوان أبي تمام، شاهين عطية؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢م ص ٢٤٤.

٢. وعلق صاحب اليتيمة على هذين البيتين قائلاً «فان الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف، اذ هو من أوصاف الاحداث والقيان والشبان، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتىٰ شبّه افاعيله بعرائس تجلىٰ. فلو مدح مخنثاً لمازاد».

ثم يُحاول الثعالبي ان يبرر هذه السقطة لاستاذه قائلا: «والكامل من عدت سقطاته، ولكل جواد كبوة، ولكلّ عالِمٍ هفوة».

٣. وردت الابيات الثلاثة الأُوَل فقط في الاعجاز والايجاز ووردت الابيات ٤ و ٥ و ٦ فقط في خاص الخاص.

٤. وردت في الاعجاز والايجاز كلمة «بحمد» بدل «بحمدك» وأظن ان ماورد في المتن هو الأصح.

٥. عال العيال: كفاهم معاشهم ومؤنهم.

٦. ورد المصراع الثاني في خاص الخاص بهذا الشكل «... مفاعيلن مفاعيلن فَعُول».

٥ وكـنتُ أبيعُ من سِقْطِ القَوافي   وأحجُرُ ما تَضَمَّنَتِ الحمُولُ[1]

٦ وأكْتُمُ مَنْ أُبايعُ دِقَّ بَزّي   فَفَاضَ عَلَيْهِ نائِلُكَ الجَزيلُ[2]

« ١٥٥ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٥٧؛ محاضرات الادباء ١/٣٠٢؛ خاص الخاص ١٥١؛ الاعجاز والايجاز، ٢٠٠.

ومن صاحبية له :[3]

١ وَأَبْيَضَ وَضّاحِ الجَبينِ كَأَنَّما   مُحَيّاهُ قَدْ دَرَّتْ عَلَيْهِ شَمائِلُهُ

٢ يُقَبِّلُ رِجْلَيْهِ رِجالٌ أَقَلُّهُمْ   تُقَبَّلُ في الدَّسْتِ الرَّفيعِ أَنامِلُه[4]

ومنها :

٣ أُقَبِّلُ أَشْعاري إِذِ اسْمُكَ حَشْوُها   وَأَشِمُّ مَلْبوسي لأَنَّكَ باذِلُه[5]

٤ وأَخْطُرُ في حاناتِ دارِ مَلاَتُها   طَرائِفَ باقِي العَيْشِ مِنْها وحاصِلُه[6]

« ١٥٦ »

التخريج : اليتيمة ٣/٢٥٢ ـ ٢٥٣؛ ٤/٢٧٥.

---

١. السّقط : ما تطاير من شرر الزند عند القدح، والسَّقَط : ردي المتاع، والسَّقَطُ من الاشياء ما تُسقطه فلا تعتد به. وقد اشار الىٰ رزقه الوافر باستخدام البحر الوافر.

٢. دق : أي النفيس منها؛ والدق والدقيق والدقاق من كل شيء، نقيض الجل، وهو كل شيء صغير؛ والنّائل : العطاء.

٣. ورد البيت الثاني فقط في محاضرات الادباء؛ ورد البيتان الثالث والرابع فقط في خاص الخاص والاعجاز والايجاز.

٤. الدست : صدر البيت، فارسي معرب، ويطلق علىٰ مجلس الرئيس.

٥. وردت في الاعجاز والايجاز كلمة «بادله» بدل «باذله»، وبادله بمعنىٰ مغيره.

٦. وأخطر : أمرّ، وامشي علىٰ مهل؛ حافات : اطراف؛ طرائف : جمع طريفة أي مستملحة والطرائف : جمع طريف : وهو المال الحديث النعمة.

وقد وردت في الاعجاز والايجاز «حامله» بدل «حاصله» واظن ان ما ورد في المتن هو الأصح من حيث المعنىٰ وتناسقه مع بقية البيت.

ـ انشدني ابو بكر الخوارزمي لنفسه قصيدة في دار الصاحب عارض بها قصيدة الرستمي [١] في الوزن والقافية اذ هي أجود القصائد، فنها:

١ أَكُلُّ بِناءٍ أَنْتَ بانِيهِ مُعْجِزٌ بَنَيْتَ المَعالي أَمْ بَنَيْتَ المَنازِلا
٢ فَلا الإِنْسُ تَبْني مِثْلَهُنَّ مَعالِماً ولا الجِنُّ تَبْني مِثْلَهُنَّ مَعاقِلا
٣ كَنائِسُ أضحَتْ لِلْغمامِ عَمائِماً علُوّاً وأَمْسَتْ في الظَّلامِ قَنادِلا [٢]
٤ رِحابٌ كَأَنْ قَدْ شاكَلَتْ صَدْرَ رَبِّها وَبِيضٌ كَأَنْ قَد نازَعَتْهُ الشَّمائِلا
٥ وَبَهْوٌ تُباهي الأَرْضُ مِنْهُ سماءَها بِأَوْسَعِ مِنْها آخِراً وأَوائِلاً
٦ وَصَحْنٌ يَسيرُ الطرفُ فيه وَلَمْ يكُنْ لِيَقْطَعَهُ بِالسَّيْرِ إِلّا مَراحِلا
٧ تَلُوحُ نُقوشُ الجَصِّ في جُدْرانِهِ كَما زَيَّنَ الوَشْمُ الدَّقيقُ الأَنامِلا
٨ وماءٌ إِذا أَبْصَرْتَ مِنْهُ صَفاءَهُ حَسِبْتَ نُجومَ اللَّيلِ ذابَتْ سَوائِلا
٩ رَأَيْتَ سُيوفاً قَدْ سُلِلْن عَلىٰ الثَّرىٰ وصَارَتْ لَها أَيدي الرِّماحِ صَياقِلا [٣]
١٠ وَرَوْضٌ كَعَيشِ السّائليكَ نَضارَةً وَوَجْهُكَ بِشْراً حِينَ تَلْحظُ آمِلا
١١ أصائِلُهُ للنّورِ أضحتْ هَواجِراً هَواجِرُهُ للطِّيبِ أَضْحَتْ أصائِلا
١٢ هي الدارُ أَمْسَتْ مَطْرَحَ العِلْمِ فَاغْتَدَىٰ لَها ناهِلُ الآمالِ رَيّانَ ناهِلا
١٣ إذا ما انْتَحاها الرَّكْبُ لَمْ يَتَطَلَّبوا إِلَيْها دَليلاً عَنْ مَنْ كانَ قافِلا [٤]
١٤ وأَنْتَ امْرُؤٌ أَعْطَيْتَ مالَو سَأَلْتَهُ إِلَهَكَ قالَ الناسُ أَسْرَفْتَ سائِلا [٥]

١. هو أبو سعيد الرستمي من شعراء اصفهان راجع ترجمته في اليتيمة ٣/٣٥٥ ـ ٣٧٧ والقصيدة مذكورة أيضاً في اليتيمة ٣/٢٤٣

٢. الكنائس: هنا تعبير عن القباب المرتفعة.

٣. الصيقل: الذي يسن السيوف ويجلوها وجمعه صياقل وصياقله. وقد ورد هذا البيت والبيت الذي قبله (٨ و ٩) في اعيان الشيعة ٩/٣٧٨ ولكن البيت الاول (٨) جاء على هذا الشكل:

وماء اذا اوصلت منه صفاءه حسبت نجوم الليل فيه سوائلا

٤. انتحىٰ: قصد وتوجه ناحيتها.

٥. علق الثعالبي على هذا البيت قائلاً: «في هذا البيت مبالغة بغيضة».

١٥ وإنّي وإلْــزامــيكَ بـالشِّعْرِ بَعْدَما تَــعَلَّمْتُهُ مِــنْكَ الذّرىٰ والفــواضِـلا

١٦ كـــمُلزِمِ رَبِّ الدّارِ أُجْــرَةَ دارِهِ وَمِــثْلُكَ أَعْــطَىٰ مِـنْ طَـريقَيْنِ نـائِلا

«١٥٧»

التخريج : اليتيمة ٢٥٨/٤

ـ وله من أخرىٰ في أبي الحسين المزني :

١ كَــلِمٌ هِــيَ الأَمْــثالُ إلّا أنَّهــا في النّــاسِ قَــدْ أَضْـحَتْ بِـلا أَمْثالِ

٢ فــإذا لُــقِينَ فَــإِنَّهُنَ عَــوالي وَإذا شُمِــمْنَ فَــإِنَّهُنَّ غَــوَالي[1]

«١٥٨»

التخريج : اليتيمة ١٦٢/١؛ ٢٥٨/٤؛ تنبيه الاديب علىٰ ما في شعر ابي الطيب من الحسن والمعيب، ٣٣٤؛ الصُّبح المنبي عن حيثية المتنبي، ٢٧٩.

ـ ومن ميكالية له :[2]

١ فَــدَيْتُكَ مــا بَــدا ليَ قَــصْدُ حُــرٍّ سِــواكَ مِــنَ الوَرَىٰ إلّا بَــدا لي

٢ وأَنَّكَ مِــنْهُمُ وكَــذاكَ أَيْــضاً مِــنَ المــاءِ الفَــرائِـدُ والّـلآلي

٣ وتَسْكُــنُ دارَهُـم وكَـذلِكَ سُكْـنى الـ ــحجارَةِ والزُّمُــرُّدِ في الجِـبالِ[3]

---

١. وردت في اليتيمة كلمة «فانّهم غوالي» بدل «فانهنّ غوالي» والأصح ما جاء في المتن اعلاه لان الوزن به يستقيم.

٢. علق الثعالبي على هذه الابيات الثلاثة قائلاً «اخذ ابو بكر الخوارزمي معنى [بيتي المتنبي وهما]:

١) فــان تــفق الانــام وانت مــنهم فــان المسك بــعض دم الغــزال(١)

٢) ومــا أنــا مــنهمُ بــالعيشِ فــيهم ولكـــن مــعدنُ الذهب الرَّغــام(٢)

والرغام : التراب.

قريب من قريب. وهذا معنىً قد اخترعه المتنبي وكرره في تفضيل البعض على الكل فاحسن غاية «الاحسان».

(١) ديوان المتنبي، عبد الوهاب عزام ص ٢٢٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٧.

٣. وردت في تنبيه الاديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب كلمة «كذاك» بدل «كذلك» واعتقد أنها أفضل وأصح.

«١٥٩»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٧.

ـ وله في أبي سعيد رجاء وأبي القاسم العباس ابني الوليد:

١ وَلَمّا أَنْ رَأَيْتُ ٱبْنَيْ وَليدٍ وَبَيْنَهُما ٱخْتِلافٌ في الفِعالِ

٢ وَهَبْتُ قَبيحَ ذا لِجَميلِ هذا وَأَسْلَفْتُ العَواقِبَ واللَّيالي

٣ إذا اليَدُ أَحْسَنتْ مِنْها يَمينٌ فَسَوَّغْنا لَها ذَنْبَ الشِّمالِ

«١٦٠»

اليتيمة: ٤/٢٧٠؛ محاضرات الادباء ١/٢٠٧؛ الكشكول ٣/٣٤٤.

ـ وله يهجو:

١ أبا نصرٍ رُوَيْدَكَ مِنْ حِجابٍ فَلَسْتَ بِذلكَ الرَّجُلِ الجَليلِ[1]

٢ ولا تَبْخَلْ بِهذا الوَجْهِ عَنّا فَلَيْسَ بِذلكَ الوَجْهِ الجَميلِ

٣ وَلِلأشْعارِ قَوْمٌ لَسْتَ منهم ولكِنّي هَجَوْتُكَ في السَّبيلِ

«١٦١»

اليتيمة: ٤/٢٧٤.

ـ وله من قصيدة:

١ عَذيريَّ مِنْ عَينِ الزَّمانِ فانّها إذا ٱسْتَحْسَنَتْ مُسْتَحْسَناً قَلَّ طائِلُه

٢ وما أنتَ إلّا البَيْتُ غُنْمٌ دُخُولُهُ كَثيرٌ عَوادِيهِ بَعيدٌ مَراحِلُه

---

١. وردت في محاضرات الادباء كلمة «ابا عمرو» بدل «أبا نصر» وكذلك في الكشكول.
وأغلب الظن ان ماورد في محاضرات الادباء هو الأصح لان الخوارزمي كان على علاقة حسنة مع ابي نصر الميكالي وقد مدحه عدة مرات راجع القطع: ٤ و ٣٣ و ١٠٣ و ١٦٠ و ١٦٨ و ١٧١ و ١٨٠ ولذا فلا يمكن ان يكون المقصود هو ابانصر احمد بن علي بن اسماعيل الميكالي، وربما يكون المقصود ابو نصر آخر وهذا مستبعد.

«١٦٢»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧٦.

ـ وله:

١ لا تَـفْرُطَنْ في حِـدّةٍ أَعْـمَلْتَها   فَـيكِلَّ ذاكَ الحَـدُّ مـنكَ وتَـفْشَلا[1]

٢ أَوَ ما تَـرىٰ الصَّـمْصامَ والسّكّينَ إنْ   زادا عَـلَىٰ حَـدِّ الصِّـقالِ تَـفَلَّلا[2]

«١٦٣»

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي، ٤٢.

ـ وله قد اختتم رسالة كان قد بعثها الىٰ وزير خوارزم شاه لما نكب وكان خريجة هرجة:

١ إنَّ الامـيرَ هـو الّـذي   يُـضحي أمـيراً يَـومَ عَـزْلِه

٢ إنْ زالَ سُـلطانُ الولا   يـةِ كـانَ في سُـلْطانِ فَـضْلِه

«١٦٤»

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي، ٢١٣.

وله في رسالة كتبها الىٰ قاضي سجستان حين نكبه أميرها:

١ فإنْ تَسْجُنوا القَـسْريَّ لاتَسْجُنوا اسْمَـهُ   ولا تَسْـجنوا مَـعروفَهُ في القَـبائِلِ

«١٦٥»

التخريج: محاضرات الأدباء ١/٣٨٤؛ نهاية الارب في فنون الادب ٣/١١٣.

ـ وله:

١ خـذي ثـارَ الكَسـادِ مِـنَ اللَّـيالي   لِكُـلِّ صِـناعَةٍ يَـوماً مُـديلُ[3]

«١٦٦»

التخريج: تاريخ يميني، ١٩٦؛ ترجمة تاريخ يميني، ٢٥٥؛ خزانة الادب وغاية الارب

---

١. فيكلّ: يضعف ويتعب.   ٢. تفللا: تقطعا.

٣. ورد المصراع الثاني فقط في نهاية الارب.

٣٩٤/٢؛ درَج الغرر ودُرج الدرر، ٤٠ ـ ٤١؛ العمدة، ٤٤؛ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١٣٣/٣؛ سفينة الدّرر ورقة ٥٩؛ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، ٣٨٩.

ـ قال يمدح ابا نصر احمد بن علي بن اسماعيل الميْكالي من قصيدة اولها[١]

١ زَفَّ المَنامُ إليَّ طَيفَ خيالِهِ	لَوْ أنَّ طَيفاً كانَ مِنْ أَبدالِهِ[٢]
٢ وَلَوَ أنَّ هذا الدَّهْر يَشْكُرُ لَمْ يَدَعْ	شُكْرَ الأَميرِ وَقَدْ غَدا مِن آلِهِ[٣]
٣ لا يَنْشَفُ الإلحاحُ نائِلَه ولا	سُؤْلَ أمْرِئٍ يَنْهاهُ عَنْ إسآلِهِ[٤]
٤ الوَفْرُ عِنْدَ نَوالِهِ والنَّيلُ عِنْدَ سَوالِهِ	والمَوْتُ عِنْدَ صِيالِهِوالخَلْقُمِنْ سُوالِهِ
٥ والجودُ مِنْ عُذّالِهِوالدَّهْر مِنْ عُمّالِهِ	وَفِعالُهُ كَمَقالِهِ وَيَمينُهُ كَشِمالِهِ[٥]
٦ تَتَجَمَّعُ الآمالُ في أَمْوالِهِ	فَيُفَرِّقُ الأَموالَ في أَمْوالِهِ[٦]
٧ لا عِلْمَ إلّا عِزَّهُ في عِزِّهِ	لا حِلْمَ إلّا حالَهُ مِنْ حالِهِ

---

١. ورد البيت الثامن فقط في خزانة الادب وغاية الارب وفي كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان وفي كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص وفي كتاب سفينة الدرر ووردت الابيات (٨ و ٩ و ١٠) في درج الغرر ودرج الدرر وفي كتاب العمدة لابن رشيق.

٢. طيف: صورة؛ لو أن: بمعنى ليت أو شرط حذف جوابه.

٣. آله: اتباعه. وقد ورد في الترجمة «لو أن» بدل «ولو أن»

وجاء في تاريخ يميني ص ١٩٦ «هكذا جاء في ديوانه:

ولو ان هذا الدهر يشكر لم تدع	شكوى وقد عددت بعض خصاله
ولو أن هذا الجود يشكر لم تدع	شكر الامير وقد عدى من آله

٤. وردت في ترجمة تاريخ يميني كلمة «لا يَنْسَفُ» بدل «لا ينشف».

٥. ورد البيتان (٤ و ٥) في ترجمة تاريخ يميني ص ٢٥٥ بهذا الشكل:

والوفر عند نواله والنيل	عند سؤاله والموت عند صياله
والخلق من سُؤّاله والجود من	عذّاله والدهر من عماله
وفعاله كمثالِهِ وشماله	كيمينه ويمينهُ كشماله

٦. ورد هذا البيت في سفينة الدرر بهذا الشكل:

تتجمع الآمال في أمواله	وتفرق الأموال في آماله

وأظن انه الأصح مما ورد في المتن لان المعنى يستقيم به اكثر.

٨ سَمْحُ البَدِيهَةِ لَيْسَ يُمْسِكُ لفظَهُ وَكأَنَّمَا أَلفَاظُهُ مِنْ مالِهِ[١]

٩ وكأَنَّما عَزَماتُهُ وسُيوفُهُ في حَدِّهِنَّ خُلِقْنَ مِنْ إقبالِهِ[٢]

١٠ مُتَبَسِّمٌ في الخَطْبِ يُحْسَبُ أَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ مُتَلَثِّمٌ بِفِعالِهِ[٣]

١١ هَبْني وَفَيْتُ بِحَمْدِهِ مِنْ فَضلِهِ مَنْ ذا يَفي بالشُّكْرِ عَنْ أَفْضالِهِ

«١٦٧»

التخريج: التمثيل والمحاضرة، ٢٩٢.

وله في وصف السيف:

السَّيفُ يَمْضي وَبِهِ انْفِلالُ والحُرُّ يُعطي وَبِهِ إقْلالُ

«١٦٨»

التخريج: دَرْجُ الغرر ودُرْج الدرر، ٤١.

ـ وله:

١ قَومٌ إذا لَطُفَ المُسيءُ بِعَفْوِهِمْ وافاهُمُ في وَقْتِ بَذْلِ المالِ

٢ وإذا اشْتَكَتْ يَدُكَ الخُلُوَّ فإنَّهُم نِعْمَ النَوالُ لَها مِنَ الإقْلالِ

---

١. ورد هذا البيت في خزانة الادب وغاية الارب وفي التبيان في علم المعاني والبديع والبيان في «فن الاستتباع».
وجاء هذا البيت في معاهد التنصيص على شواهد التّلخيص في باب الاستتباع بهذا الشكل:
سمح البديهة ليس يملك لفظه وكأنما الفاظه من ماله
وسمح البديهة: سهل البديهة أي بديهته مطاوعة يسمح بما يُقترح عليه.

٢. أي ان عزماته وسيوفه نافذة كأنها خلقت من اقباله النافذ حكمه على ما يريده وجاء في درج الغرر ودرج الدرر كلمة «من حدّهن» بدل «في حدّهن» واعتقد ان ما ورد في المتن هو الاصح.

٣. وجاءت في درج الغرر كلمة «فحسب» بدل «يحسب» وأظنّ الأخيرة افضل؛ ووردت كذلك «تحت الغبار ملثم» بدل عبارة «من حسنه متلثم». اما في كتاب العمدة فقد وردت كلمة «العجاج» بدل كلمة «الغبار» الواردة في درج الغرر.

٣ حـــفُّوا بمـــغَشّ الجَـــناب مُـــقَابَل شرفاً أمــــيرِ العـــمِّ شـــيخِ الخـــالِ[1]

٤ بَسّـــامَة في الخَـــطْبِ تحْسَبُ أنَّـــهُ تحْتَ الغُـــــبار مُـــلَثَّمٌ بِـهِــــلالِ

٥ جَـــلَتِ العَـــتاقَةُ وَجْـــهَهُ فَكَأَنَّمـــا نَســـجَ الحَـــياءُ عَـــلَيْهِ ثَـــوْبَ جَمـــالِ

« ١٦٩ »

التخريج: دَرج الغرر ودُرج الدرر، ٤٢.

وله:

١ فَـــلَوْ أَضْـــحىٰ «أَبـو نَـصْرٍ» مَـقالاً لَمَـــا فَـــضُلَ الفِـــعالُ عَـــلَى المَـــقالِ

٢ ولَـــوْ أَضْـــحىٰ «أَبـــو نَـصْرٍ» شِمالاً لَـــقَصَّرَتِ اليَمِـــينُ عَـــنِ الشِّمالِ

٣ وَلَـــوْ أَنَّ الوَرَىٰ كـــانوا رِمـــاحاً لَكـــانَ بَـنو أبـــيهِ هُـــمُ العَـــوالي

« ١٧٠ »

التخريج: محاضرات الادباء، ٣/٣٤.

وله:

١ ومـــا بِيَ فِـــيكَ مِـــنْ زُهْـدٍ ولكـنْ أُخَـــــفِّفُ عَـــنْكَ أَعْـــباءَ المَـــلالِ

« ١٧١ »

التخريج: تاريخ بيهق، ١٨٦؛ معجم الادباء ٦/٢٥٤٣[2]، معجم البلدان ١/٦٨[3]؛ تـاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعـلام، ٦٩؛ عـيون التـواريخ ١٠/١٣٣؛ الوافي بـالوفيات، ٣/١٩٥؛ مجالس المؤمنين ١/٩٨؛ روضات الجـنات ٧/٢٩٣؛ قـاموس الرجـال ٨/٢٢٧؛ تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ٨٨.

---

١. هكذا ورد البيت. ولكني أظنه بالشكل الآتي ليستقيم الوزن:

حـــفّوا بمـــغشيّ الجـــناب مُـــقابَل شـرفاً أمـــيرِ العـــمّ شـــيخِ الخـــالِ

والابيات على ما اظن في مدح أبي نصر احمد الميكالي لان الكتاب المذكورَ مؤلف في هذه العائلة والفصل الاول يتضمن اقوال اهل العصر ومنهم الخوارزمي فيه. ٢. تحقيق احسان عباس.

٣. منشورات الاسدي.

ـ قال ياقوت: وقرأت في آخرِ ديوانِهِ لَهُ:

١ بِآمـــلَ مَــوْلدي وَبَــنو جَــريرٍ فَأَخْــوالي وَيَحْكــي المــرءُ خَــالَهْ[1]

٢ فَــها أَنــا رافِـضِيٌّ عَــنْ تُــراثٍ وغَـــيري رافِـضِيٌّ عَــنْ كَــلالَهْ[2]

«١٧٢»

التخريج: الدرّ الفريد وبيت القصيد ٣/٢٦٢.

ـ وله:

خَــليليَّ هَــلْ بــعدَ الحــبيبِ وفَـقْدِهِ عَــزاءٌ وَهَــلْ بَــعْدَ الفِــراقِ تَجَــمُّلُ

«١٧٣»

التخريج: عيون التواريخ ١٠/١٣٢؛ الوافي بالوفيات ٣/١٩٤ـ ١٩٥.

ـ ذكر ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري في كتاب «النورين» قال: كان ابو بكر الخوارزمي رافضياً غالياً وفي مرتبة الكفر عاليا، اخبرني من رأه بنيشابور وقد كظّه الشراب فطلب فقّاعاً فلم يجده فقال لُعن بما قال:

١ إذا أَعـــوزَ الفــقّاع لَمّــا طَــلَبْتُهُ هَــجَوْتُ عَــتيقاً[3] والدَّلامَ[4] ونَــعْثَلا[5]

---

١. آمل: مدينة في بلاد خراسان علىٰ ضفة جيحون اليسرىٰ تدعىٰ أيضاً: آمل الشطّ وآمل جيحون وآمل المفازة، وآمل زم تميزاً لها عن مدينة آمل التي تقع في شمالي ايران في منطقة طبرستان القديمة جنوب بحر قزوين واسمها الايراني الصحيح «آمو» أو «آموي» أو «آموية» راجع معجم البلدان ١/٨٥و ١/٢٥٥؛ دائرة المعارف للبستاني ١/٣٥٧. وقد علق ياقوت على هذين البيتين قائلاً «لقد كذب ولم يكن ابو جعفر رحمه الله رافضياً» ووردت في الوافي بالوفيات كلمة «وبني جرير» بدل «وبنو جرير» والأصح ما ورد في المتن اعلاه.
ووردت في روضات الجنات كلمة «فاخواني» بدل «اخوالي» واظن انه غلط مطبعي وقد جاء هذا البيت فقط في قاموس الرجال. وقد ورد هذا البيت فقط في تاريخ بيهق.

٢. ورد هذا البيت في تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام للذهبي بهذا الشكل:

فــغيري رافــضي عــن تــراث وهــا انــا رافــضي عــن كــلاله

وقد جرت مناقشة البيت و محتواه في الفصل الثالث.

٣. عتيق: اسم للخليفة الاول قيل سمي بذلك لأنّ الله تبارك وتعالى اعتقه من النار واسمه عبدالله بن عثمان. وقيل: كان يقال له عتيق لجماله. (اللسان ـ عتق).

←

«١٧٤»

التخريج: نهاية الارب في فنون الادب ١٠/١٦٥؛ الحيوان في الادب العربي ٣/٢٠١ ـ ٢٠٢.

ـ وقال ابو بكر الخوارزمي يصف القُنفذ:

١ ومُدَجَّجٍ وسلاحُهُ مِنْ نَفْسِهِ ... شاكي الدَّوابِرِ أَعْزَلُ الإقْبالِ[1]

٢ يُمْسي ويُصْبِحُ لَمْ يُفارِقْ بَيْتَهُ ... ولَقَدْ سَرَىٰ عَدَداً مِنَ الأميالِ[2]

٣ وَتَراهُ يَكْمُنُ بَعْضُهُ في بَعْضِهِ ... فَتَطيشُ عَنْهُ أَسْهُمُ الأَهْوالِ

٤ عَيْناهُ مِثْلُ النُقْطَتَيْنِ وخَطْمُهُ ... يَحْكي ثَدْيَّ رِضاعَةِ الأَطْفالِ[3]

٥ وَكَأَنَّ أَقْلاماً غُرِزْنَ بِظَهْرِهِ ... مَسَّ المِدادُ رُؤوسَها بِبَلالِ

٦ تَتَهارَبُ الحَيّاتُ حِينَ يَرَيْنَهُ ... هَرَبَ اللُّصوصِ رَأَتْ سَوادَ الوالي

٧ وَكَأَنَّهُ الخِنْزيرُ إلّا جِلْدَهُ ... وَصِياحَهُ وَتَقارُبَ الأَوْصالِ

«١٧٥»

التخريج: أنوار الربيع في أنواع البديع ١/١٨٩.

وله:

١ يا شادِناً مِتُّ قبلَه ... قَدْ صارَ في الحُسْنِ قِبلَه

٢ أُمْنُنْ عَلَيَّ بِقُبْلَه[4]

---

٤. يعني به الخليفة الثاني. والأدلَم من الرجال: الاسود الطويل؛ ومنه الحديث: فجاء رجل ادلم فاستأذن علىٰ النبي (ص) قيل هو: عمر بن الخطاب (اللسان ـ دلم).

٥. نعثل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية. وكان الخليفة الثالث ان نيل منه وعيب شُبّه بهذا الرجل المصري لطول لحيته. وفي حديث عائشة «اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً» تعني عثمان. (اللسان ـ نعثل).

١. وجاء «بسلاحه» أيضاً. الدوابر: جمع دابر وهو الخلف: الاقبال: الأمام.

٢. سرىٰ: جرىٰ. ٣. خطمه: أنفه.

٤. ورد هذان البيتان في باب الجناس المصحف والمحرف من انوار الربيع.

« ١٧٦ »

التخريج : اعيان الشيعة ٩/٣٧٨.

ـ وله :

١ وَبَعْضُ النّاسِ يَعْلو وَهْوَ سُفْلٌ وَبَعْضُ النّاسِ يَسْفُلُ وَهْوَ عالي

٢ وَبَعْضُ النّاسِ يُمْلِكُ وَهْوَ عَبْدٌ وَبَعْضُ النّاسِ يُعْزَلُ وَهْوَ والي

«الميـم»

« ١٧٧ »

التخريج : اليتيمة ٤/٢٣٥ ـ ٢٣٦؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ٤٧؛ التمثيل والمحاضرة، ٢١.

قصد ابو بكر الخوارزمي سجستان وتمكن من واليها أبي الحسين طاهر بن محمد ومدحه، واخذ صلته، ثم هجاه وأوحشه حتىٰ أطال سجنه، فما قاله في تلك النكبة قصيدة كتب بها الىٰ الامير ابي نصر احمد بن علي الميكالي مستشفعاً به[1]:

١ كِتابي أَبا نَصْرٍ اليْكَ وَحالَتي كَحالِ فَريسٍ في مَخالِبِ ضَيْغَمِ[2]

٢ أَرَقُّ مِنَ الشكوىٰ وأَدْجىٰ مِنَ النَّوىٰ وأَضْعَفُ مِنْ قَلْبِ المُحِبِّ المُتَيَّمِ

٣ غَدَوْتُ أَخا جُوعٍ وَلَسْتُ بِصائِمٍ وَرُحْتُ أَخا عُرْيٍ وَلَسْتُ بِمُحْرِمِ

٤ وَقَعْتُ بِفَخِّ الخَوْفِ في يَدِ طاهِرٍ وقوعَ سليكٍ في حَبائِلِ خَثْعَمِ[3]

٥ وما كُنْتُ في تَرْكيكَ إلّا كَتارِكٍ يَقيناً وراضٍ بَعْدَهُ بالتَّوَهُّمِ

٦ وقاطِنِ أَرْضِ الشِّرْكِ يَطْلُبُ تَوْبَةً وَيَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ الحَطيمِ وَزَمْزَمِ

١. وردت الابيات ٧و ٨ و ٩ فقط في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. وورد البيت (٧) في التمثيل والمحاضرة. ولم يرد البيت (٩) في اليتيمة.

٢. الضيغم : الاسد.

٣. يعني سليك بن سلكة السعدي حين أسره أنس بن مالك الخثعمي.

٧ وَذي عِـلَّةٍ يأتي عَـليلاً لِـيَشْتَفي ... بِهـا وَهْـوَ جـارٌ للـمَسيحِ ابـنِ مَـرْيَمِ[1]

٨ وراوي كـلامٍ مُـقْتَفٍ إثْـرَ بـاقِلٍ ... وَيَـتْرُكُ قُسّـا خـائِباً وابـنَ أَهْـتَمِ[2]

٩ وَمـا كُـنْتُ في تَـركيكَ إلّا كـتارِكٍ ... طَـهوراً وَراضٍ بَـعْدَهُ بـالتَّيَمُّمِ[3]

١٠ جَـنابٌ تَجَـنَّبْناهُ لَـيْسَ بِمُجْدِبٍ ... وَبَحْـرٌ تَخَـطَّيْناهُ لَـيْسَ بِمُـرْزِمِ[4]

١١ ومـاءٌ زُلالٌ قَـدْ تَـرَكْنا وُرودَهُ ... زُلالاً وبِـغناهُ بِـشَرْبَةِ عَـلْقَمِ

١٢ لَبِسْتُ ثِـيابَ الصَّـبْرِ حـتّىٰ تَمَزَّقَتْ ... جَـوانِـبُها بَـيْنَ الجَـوىٰ والتَّـنَدُّمِ

١٣ أظَـلُّ إذا عـاتَبْتُ نَـفْسِي مُـنْشِداً ... (فَـهلّا تَـلا حـامِيمَ قَـبلَ التَّـقدّمِ)[5]

---

١. وردت في التمثيل والمحاضرة كلمة «به» بدل «بها» والاول الاصح. كما ورد في ثمار القلوب طبعة دار المعارف ص ٦٠ كلمة «طبيباً» بدل «عليلاً» وكلمة «به» بدل «بها» وأظن ذلك هو الاصح.

٢. وردت في ثمار القلوب كلمة «جانباً» بدل «خائباً» وكلمة «يقتفي» بدل «مُقتفٍ».

ويقتفي: يتبع؛ باقل: يُضرب به المثل في العيّ.

ابن الاهتم: عمرو بن سنان التيمي المنقري ابو ربعي: احد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والاسلام، من أهل نجد، كان يدعىٰ «المكحل» لجماله في شبابه ووفد علىٰ النبي (ص) فأسلم ولقي إكراماً وحفاوة. ولما تكلّم بين يدي النبي (ص) اعجبه كلامه فقال (ص): إنَّ من البيانِ لسحراً». وشعره جيد. وفي البيان والتبيين: كان شعره في مجالس الملوك حُللاً منتشرة تأخذ منه ماشاءت ولم يكن في بادية العرب في زمانه اخطب منه وهو صاحب البيت المشهور:

لَـعَمري مـا ضـاقَتْ بـلادٌ بأهـلها ... ولكـنّ اخـلاقَ الرجـالِ تَـضيقُ

ولُقّبَ أبوه بالأهتم لان ثنيته هُتِمتْ يومَ الكلاب.

راجع الاعلام للزركلي: ٥/٧٨ و ٢٤٧.

هذا وجاءت الابيات (٧ و ٨ و ٩) في ثمار القلوب بهذا الترتيب (٩ و ٨ و ٧) في موضوع ضرب المثل بطب عيسىٰ اذ تقول العرب: فلان يتطبب على عيسىٰ بن مريم وقال المتنبي:

فآجـرَكَ الإلهُ عـلىٰ عـليلٍ ... بَـعثتَ الىٰ المسـيح بـه طـبيباً

راجع ديوان المتنبي: ١/١٩٧.

٣. هذا البيت يشبه البيت الخامس. وقد ورد في ثمار القلوب بهذا الشكل:

وقـد كـنت في تـركك لي مـثل تـاركٍ ... طـهوراً وراضٍ بـعده بـالتيمّمِ

٤. مرزم: منقطع؛ رزم الماء اذا انقطع وأرزمه غيره: أي قطعه.

٥. المصراع الثاني قاله قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل وصدره: يذكّر في حاميم والرّمح شاجرٌ».

١٤ وأَنْشِدُ في ذِكْري لِدارِكَ باكياً «ألا أَنْعِمْ صَباحاً أَيُّها الرَّبْعُ وأَسْلَمِ»
١٥ وَلَمْ أَرَ قَبْلي مَنْ يُحارِبُ بَخْتَهُ وَيَشْكو إلىٰ البؤسِ أفْتِقادَ التَّنَعُّمِ
١٦ ولا أحدٌ يحوي مَفاتيحَ جَنَّةٍ وَيَقْرَعُ بالتَّطْفيلِ بَابَ جَهَنَّمِ
١٧ وَقَدْ كانَ رَأْساً لِلتّدابيرِ بَلْعَمٌ وَقَدْ صِرْتُ في الدّنيا خَليفَةَ بَلْعَمِ[1]
١٨ وَقَدْعَاشَ بَعَدْ الخُلْدِفِي الأَرْضِ آدَمٌ فَإِنْ شِئْتَ فَاعْذُرْني فَإِنِّي ابنُ آدَمِ
١٩ فياليْتَني أَمْسَيْتُ دَهْرِيَ راقِداً فَإِنِّي مَتَىٰ أَرْقُدْ بِذِكْرِكَ أَحلُمِ
٢٠ مَكانَكَ مِنْ قَلبي عَلَيكَ مُوَفَّرٌ مَتَىٰ ما يَرُمْهُ ذِكْرُ غَيْرِكَ يَحْتَمي
٢١ لِغَيْرِكَ دُرْدِيُّ الوِصالِ وَثَيِّبُ المَقالِ وَمَمْزوجُ المَوَدَّةِ فَاعْلَمِ[2]
٢٢ وأَنْتَ الّذي صوَّرتَ لي صورةَ المُنَىٰ وأَرْكَبْتَني ظَهْرَ الزَّمانِ المُذَمَّمِ
٢٣ وَصَيَّرْتَ عِنْدي أَنْحَسَ الدَّهْرِ أَسْعَداً وكَذَّبْتَ عِنْدي قَوْلَ كُلِّ مُنَجِّمِ
٢٤ وَصَغَّرْتَ قَدْرَ النّاسِ عِنْدي وطالَما لَحَظْتُ صَغيراً عَنْ حَماليقِ مُعْظَمِ[3]

«١٧٨»

التخريج: شرح المضنون به على غير أهله ٢٦٥ ـ ٢٧٠؛ اليتيمة ٤/٢٤٠.

ومن جميل غزله:

١ أَغَرَّكِ يَوْمَ البَيْنِ مِنّي تَبَسُّمي فَشَيَّعْتِ سَهْماً في فُؤادي بِأَسْهُمِ
٢ رُوَيْدَكِ عَهْدَ القَلْبِ بالصَّبْرِ بَعْدَكُمْ وَحَقِّكِ عَهْدُ النارِ بالبَرْدِ فافهمي[4]

---

١. يعني بلعم بن باعوراء الذي أنزل فيه «واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها» لأنه كفر بالله بعد تعلمه الاسم الاعظم، وجحد نعم الله سبحانه وتعالىٰ.

٢. دُردي الوصال: الدُرديّ من الزيت أو نحوه: ما يبقىٰ في أسفل الاناء من الكدر. وثيب المقال: أي الكلام الذي ليس بكراً لان الثّيب: هي التي افتقدت بكارتها.

٣. الحماليق من الاجفان: مايلي المقلة من لحمها، وقيل هو ما في المقلة من نواحيها وقيل الحملاق: ماولي المقلة من جلد الجفن.

٤. البرد: يقال ماء برد أي بارد. والبَرَد بالفتح هو حبّ الغمام.

٣ عَذيرِيَ مِنْ ضَحْكٍ غَدا سبَبَ البكا ... وَمِنْ جَنَّةٍ قد أَوْقَعَتْ في جَهَنَّمِ

٤ زَعَمْتِ بأَنِّي قَدْ سَلَوتُ وهذهِ ... أَراجيفُ مَنْ في عَزْمِهِ قَتْلُ مُسْلِمِ[1]

٥ علىٰ ذا قَدومي أَجْرِمي وَتَجرَّمي ... وَبَكّى وأَبكي واظْلمي وَتظَلَّمي

٦ كأَنَّكِ لاتَروينَ بَيْتاً لِشاعِرٍ ... سِوىٰ بيتِ «مَنْ لايَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ»[2]

٧ تَعَلَّمْتِ فِعْلَ الدَّهْرِ ثُمَّ سَبَقْتِهِ ... فَأَنْسانيَ التِّلميذُ فِعْلَ المُعَلِّمِ

٨ أديري لِحاظَ القَلْبِ فِيَّ لِتَنْظُري ... إلىٰ مُفْلِسٍ مَنْ صَبْرُهُ عَنْكِ مُعْدَمِ

٩ ولا تُرْسِلي هذي اللَّواحِظَ كُلَّها ... فَواحِدَةٌ تَكْفيكِ قَتْلَ المُتَيَّمِ

«١٧٩»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٢ ـ ٢٤٣.

ـ وله من أخرىٰ:

١ قُلْتُ لَمّا دَمِعَتْ عَيْناكَ والدَّمْعُ سِجام[3]

٢ إنَّما عُوقِبْتَ عَنْ عَيْنَيَّ فَاعْلَمْ يا غُلام

٣ لا أُصيبَتْ هذه العَيْنُ بِعَيْني والسَّلام

«١٨٠»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٤ ـ ٢٤٥ و٢٥٦؛ خاص الخاص، ١٥٠؛ الاعجاز والايجاز، ١٩٩؛ محاضرات الادباء ١/١٥٩.

ـ وله من قصيدة في آل بويه:

---

١. الأراجيف: أي الاخبار السيئة والكاذبة التي يضطرب لها الناس وهي جمع أرجاف.

٢. ورد البيتان (٣ و ٦) فقط في اليتيمة. وجاءت في البيت السادس في اليتيمة كلمة «لأنك» بدل «كأنَّكِ» وأظن ان ماورد في المتن هو الانسب.

وفي المصراع الثاني اشارة الىٰ قول زهير ابن ابي سلمىٰ المزني من معلقته:

ومن لا يذُدْ عن حوضِهِ بسلاحِهِ ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

راجع ديوان زهير، ص ٨٨.

٣. سجام: سائل.

١ أَلا حَـرِّكـا لي أَبـرويزَ بـنَ هُـرْمزٍ وقُـولا لَـهُ قُـمْ تَـلْقَ أُعْـجوبَةً قُـمِ

٢ تَـطَلَّعْ إِلىٰ الدُّنـيا لِـتَعْلَمَ أَنَّ مـا مَـلَكْتَ مِـنَ الدُّنـيا بِمِقْدارِ دِرْهَـمِ[1]

٣ لَـعَمْرُكَ لولا آل بُـويَة لَمْ يَكُـنْ نَهـاريَ إِلّا مِـثْل لَـيْلِ المُـتَيَّمِ[2]

٤ وَصِمْتُ عَنِ الدُّنـيا وأَقْـطَرْتُ بـالمُنَىٰ وَلَمْ يكُ إِلّا بـالحَديثِ تَأَدُّمـي[3]

٥ وَأَنْشَـدْتُ في داري وَفـياأرىٰ بها «أَمِـنْ أُمِّ أَوفىٰ دِمْـنَةٌ لَمْ تَكَـلَّمِ»[4]

ومنها أيضاً:

٦ وَهُـمْ جَـعَلُوني بَـيْنَ عَـبْدٍ وقَـينَةٍ ودارٍ وديـنارٍ وثـوبٍ ودرهـمِ[5]

٧ وَهُـمْ تـركوا الايـامَ تَـعْجَبُ أَنْ رَأَتْ سُـلُوِّي ولا أَرقىٰ السَّماءَ بِسُـلَّمِ

٨ وَهُـمْ خـالفوني وأَوطأوا في صِـلاتِهِمْ وَصِـلْتُ عَـنِ الابـطالِ شِـعْريَ فـيهمِ[6]

« ١٨١ »

التخريج: اليتيمة ٢٤٧/٤.

ـ وله من أخرىٰ في عضد الدولة:

١ أَضْـحَتْ ثِـيابُ فَـناخِسرو مُـزَوَّرَةً عَـلىٰ هِـزَبْرٍ وانسـانٍ وَصـمْصامِ

---

١. ورد البيتان الاول والثاني فقط في محاضرات الادباء.

٢. ورد هذا البيت في اليتيمة ٢٤٤/٤ وفي خاص الخاص بهذا الشكل:

لعـمرك لولا آل بـويّة في الورىٰ لكـان نهـاري مـثلُ ليـلِ المُـتيَّمِ

والمتيّم: المحب وليل هذا طويل لانه لاينام وما أطول الليل علىٰ من لا ينام.

٣. تأدّمي: طعامي وأكلي.

٤. المصراع لزهير وهو صدر مطلع لمعلقته وعجزه: «بِحَوْمانةِ الدّرّاج فالمتثلّمِ» راجع ديوان زهير، ص ٧٤.

٥. قينة: جارية.

٦. ورد هذا البيت في الاعجاز والايجاز بعد البيت السادس مباشرة وجاء البيت فيه بهذا الشكل:

وهـم غـمروني دائماً بـصِلاتهم وصـنْتُ عَـنِ الايـطاء شِـعْريَ فـيهم

والصّلاة: العطايا. والايطاء: عيب عروضي وذلك بأن يكرر الشاعر لفظة أكثر من مرة ضمن سبعة أبيات على الأكثر. وأظن أنّ البيت بالصورة التي وردت في الهامش أنسب من البيت الوارد في المتن وأوقع في المعنىٰ.

٢ القـائِل القَـوْلَ عـيَّ السّـامِعونَ بـهِ　فَـيَّلوا بَـيْنَ أَوْهـامٍ وأَفْـهامِ
٣ والفـاعِلُ الفِـعْلَةَ الغَـرّاءَ لامِـعَةً　أَوْضـاحُها بَـيْنَ أَقْـلامٍ وأَعْـلامِ
٤ والتّـارِكُ التَّرْكَ والخذلانَ يَـنْشُدُهُمْ　(يـابُؤْسَ لِلـجَهلِ ضَرّاراً لأَقْـوامِ)[١]
٥ أَغْـنَيْتَني عَـنْ أُنـاسٍ كـانَ بَـعْضُهُمُ　عُـذْري وَمَكْـثي فـيهِ بَـعْضُ إِجرامـي
٦ المُـبْغِضينَ لِـيَوْمِ الفِـطْرِ جُـهْدَهُمُ　لأَنَّهُـمُ قَـطَّعوهُ غَـيْرَ صُـوّامِ
٧ قَوْمٌ إذا مَـرَّ ضـيفٌ دَحْـرَجوا حَـجَراً　وأَسْمَـوا اليـومَ يـومَ العـيدِ أو رامِ
٨ قَـدْ قَـدَّموا نَـفَراً قَـبْلي فَأَنْشَـدَهُم　فَـضْلي ونَـقْصُ الأُلىٰ لاقـوا بـإِكـرامِ
٩ (قَـدَّمْتَ قَـبْلي رِجـالاً لَمْ يَكُـن لَهُـمُ　في الحـقِّ أَنْ يَلْحَقوا الأَبْـوابَ قُـدّامـي)[٢]

«١٨٢»

التخريج: اليتيمة ٢٤٧/٤ ـ ٢٤٨.

وله من أخرىٰ:

١ لَـوَ انَّكَ قَـدْ أَبْـصَرْتَ تـاشاً وفـائِقاً　عَـلَىٰ ظَـهْرِ يَخْتٍ أَدْبَـرِ الظَّـهرِ رازِمِ[٣]
٢ وَقَـد كَـتَبَ الإدبـارُ في جَـبْهَتَيْهِما　بِـإِنْشاءِ مَـثْمورٍ وتَحْـريرِ نـادِمِ
٣ (فَـلا تَأْمَـنَنَّ الدَّهْـرَ حُـرّاً ظَـلَمْتَهُ　فَـإِنْ نِمْتَ فَـاعْلَمْ أَنَّـهُ غَـيْرُ نـائِمِ)[٤]

«١٨٣»

التخريج: اليتيمة ٢٤٨/٤.

---

١. هذا المصراع للنابغة الذبياني راجع ديوانه ص ١٠٥.
٢. هذا البيت تضمين كلّه، لم اعثر على قائله فيما بين يدي من مظان.
٣. اغلب الظن ان تاشاً هو تاش الحاجب للامير نوح بن منصور وهو ابو العباس حسام الدولة، وقد قاد تاش هذا الجيش الذي قدمّه الامير نوح بن منصور لامداد ومساعدة قابوس بن وشمكير الذي كان عضد الدولة قد طرده من جرجان وطبرستان. وقد انهزم هذا الجيش فانقلب الىٰ نيسابور. راجع: الامثال لابي بكر الخوارزمي، تحقيق محمد حسين الاعرجي، ص: ع ـ ف.
٤. البيت كله تضمين لم اعثر على قائله فيما بين يدي من مظان.

ـ وله من أخرىٰ في مدح آل بويه:

١ وَقائِعُ لَوْ مَرَّتْ بِسَمْعِ ٱبنِ غالبٍ ... لَما قالَ ما بَيْنَ المُصَلّى وراقمِ

٢ «أتتني وَرَحْلي بالمدينةِ وَقْعَةٌ ... لآلِ تميمٍ أَقْعَدتْ كُلَّ قائِمِ»[1]

٣ سَلِ اللهَ واسْأَلْ آلَ بُويَةَ إِنَّهُمْ ... بِحارُ المَعالي لابِحارُ الدَّراهمِ

٤ تُحِبُّهمُ البلدانُ فَهي نواشِزٌ ... علىٰ كلِّ زوجٍ بَعْدَهُم أو محارِمِ[2]

٥ إذا رَامَها أَعْداؤُهُم تَرَكَتْهُمُ ... فَلَمْ يَلْقَهُمْ إلّا بِرُمْحٍ وصارِمِ

٦ مَمالِكُ قَدْ نادَتْ عَلَيْهِمْ حُروبُهمْ ... بِطولِ القنا يُحْفَظْنَ لا بالتَّمائِمِ[3]

«١٨٤»

التخريج: اليتيمة ٢٤٨/٤ ـ ٢٤٩؛ شرح المضنون به على غير أهله، ٢٢٢؛ محاضرات الادباء ٦٨/٣.

ـ وله من اخرىٰ كتب بها من أرجان الىٰ الصاحب وصف فيها الحمىٰ:

١ وَلَوْ أَبْصَرْتَ في أَرْجانَ نَفْسي ... عَلَيْها مِنْ أَبِي يَحيىٰ ذِمامُ[4]

٢ وَلي مِنْ أُمِّ مِلْدَمٍ كُلَّ يَوْمٍ ... ضَجيعٌ لا يَلِذُّ لَهُ مَنامُ[5]

٣ مُقَبِّلَةٌ ولَيْسَ لَها ثنايا ... مُعانِقَةٌ ولَيْسَ لَها ٱلْتِزامُ

٤ كَأَنَّ لَها ضَرائِرَ مِن غِذائي ... فَيُغْضِبُها شَرابِيَ والطَّعامُ

---

١. وقعة: المرة من وقعت الابل يعني: بركت. وهذا البيت للفرزدق. قاله حين سمع وهو بالمدينة قتل وكيع بن أبي الاسود لقتيبة بن مسلم. وراجعت ديوان الفرزدق ولم اعثر علىٰ هذا البيت فيه.

٢. الناشز: التي ترفض الطاعة.

٣. القنا: الرماح. والتمائم: جمع تيمة ما يعلقه الانسان في كتفه أو عضده لرد الأذىٰ.

٤. يقال لقابض الارواح ابو يحيىٰ كما يقال للحبشي ابو البيضاء وللاعمىٰ ابو البصير.

٥. أم مِلْدَم: الحمىٰ. والعرب تقول: قالت الحمّىٰ انا أم ملدم آكل اللحم وأمصّ الدّم. وكلمة ضجيع تعتبر أنسب من ضجيج. وضجيع بمعنىٰ الضجعة وهي المرض والرقدة. والضجعة والمضاجع: الكثير الاضجاع والكسلان الملازم للبيت لا يكاد يخرج منه فهو مقيم به لعجزه.

٥ اذا مـا صافَحَتْ صَفَحاتِ وَجْهي غَـدا أَلِفاً وأَمْسىٰ وهـو لامُ

٦ إِذاً لَـرَأَيْتَ عَـبْدَكَ والمَـنايا تَـصيحُ بـه تَـنَبَّهْ كَـمْ تَـنامُ

٧ ومـا اْسْتَبْكاكَ مِـنْ بَـعْدي أَسيرٌ يَـرُضُّ عِـظامَهُ الحـقُّ العِـظامُ[1]

٨ ولا تَـرْجيعُ ثَكْـلىٰ خَـلْفَ نَـعْشٍ «أَمحـمولٌ عـلىٰ النَّـعْشِ الهُـمامُ»[2]

٩ ولا تَـرديدُ صَبٍّ وَهْـوَ بـاكٍ «سـقيتِ الغـيثَ أَيَّـتُها الخـيامُ»[3]

١٠ ولَـوْلا فَـقْدُ وَجْـهِكَ لَمْ أُعَـبِّسْ عَـلَىٰ ضَـيْفٍ يُـقالُ لَـهُ الحِـمامُ

١١ فَـما في العَـيْشِ لولا أَنْتَ طِـيبٌ ولَا في المَـوْتِ لولا أَنتَ ذامُ[4]

١٢ وكُـنْتُ ذَخَـرتُ أفكـاري لِـوَقْتٍ فكـانَ الوَقْتُ وَقْـتَكَ والسَّـلامُ[5]

١٣ وكُـنتُ أُطـالبُ الدُّنـيا بِحُـرٍّ فَأَنْتَ الحُـرُّ، وآنْـقَطَعَ الكَـلامُ

١٤ وَلَمّـا سِرْتُ عَـنْكَ رأيتُ نَـفْسي وَبَـيْنَ القَـلْبِ والرِّجْـلِ اْخْـتِصامُ[6]

١٥ فَـذاكَ يـقولُ مِـنْكَ السَّيرُ عَـنْهُ وتِـلْكَ تَـقُولُ مِـنْكَ الاغـترامُ[7]

١٦ وَسـائِلَني بِـعلْمِكَ مَـنْ أَراهُ وقـالوا: مـا وَراءَكَ يـا عـصامُ

١٧ فـقلتُ: زكـاةُ مـا يَحويهِ عِـلمٌ لِمَـنْ لِـغُلامِهِ مِـثْلي غُـلامُ

---

١. يرض: يدق ويطحن.

٢. الترجيع: النواح والبكاء. والثكلىٰ: الفاقدة

وهذا المصرَاع للنابغة الذبياني وهو عجز بيت صدره: «ألم أقسم عليكِ لَتُخْبِرَنّي».

راجع ديوان النابغة ص ١١٠؛ اذ كان الملك اذا مرض حملته الرجال علىٰ اكتافها يتعاقبونه ويقولون انه اوطأله من الارض وأروح له. ولما مرض النعمان حمل على سرير ما بين الغمر وقصوره.

٣. هذا المصراع عجز بيت لجرير وصدره: «مَتىٰ كانَ الخِيامُ بِذي طُلُوح» راجع ديوان جرير ص ٤١٦.

٤. أي ذاماً له.

٥. ورد البيتان (١٢ و ١٣) فقط في شرح المضنون به على غير اهله وجاء «وانقطع الكلام» بدل «انقطع» وأظنه الأصح ليستقيم به الوزن.

٦. ورد البيتان (١٤ و ١٥) فقط في محاضرات الادباء حول الرغبة في حفظ المودة عند الغيبة.

٧. الاغترام: الغرم: الغرامة أو الدين، والغارم الذي لزمه دين او حمالة أو كفالة.

« ١٨٥ »

التخريج: الجماهير في الجواهر، ١٩٥.

ـ وقال أبوبكر الخوارزمي [في الجمانة وأنها مصاغة من فضة]:

١ شربناها وذيلُ الليلِ مُغفٍ — أكَبَّ وخُطَّ جفنيه المَنامُ

٢ كَمِثلِ جُمانةٍ بيضاءَ شُقَّتْ — فلاءَمَ بينَ نِصفيها النِّظامُ

« ١٨٦ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٠.

ـ وله من أخرىٰ:

١ يا مَنْ يُدَرِّسُ خالياً حُجّابَهُ — سَهْلُ الحجابِ مُؤَدَّبُ الخُدّامِ

٢ كَمْ تَطْرُدُ الدُّنيا وتَرْجِعُ بَعْدَما — «قد طُلِّقَتْ تَطْليقَةَ الإسلامِ»[١]

٣ فَكَأَنَّها شيعيَّةٌ قُمِّيَّةٌ — وكَأَنَّ سَيِّدَنا الوزيرَ إمامي[٢]

٤ ويقولُ للخُطّابِ غيرَكَ «ليس ذا — وقتَ الزيارةِ فارجِعي بِسَلامِ»[٣]

« ١٨٧ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥١؛

---

١. المصراع الاخير لابن هرمة، واسمه ابراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة وكنيته ابو اسحاق راجع حول ترجمته كتاب: الشعر والشعراء في العصر العباسي للدكتور مصطفىٰ الشكعة ص ٨١ـ٩٥.

٢. نسبة الىٰ قم في ايران وبها حوزة علمية مشهورة للطائفة الشيعية.

٣. وهذا مأخوذ من بيت جرير:

طرقتكِ صائدةُ القلوبِ وليسَ ذا — وقتَ الزيارةِ، فارجعي بسلامِ

راجع ديوان ص ٤٥٢.

وقد وردت كلمة «وقت الزيادة» في اليتيمة واعتقد أنه تصحيف واشتباه مطبعي.

أقول ربما قال الخوارزمي هذه الابيات في الصاحب بن عباد عندما حاول التفرغ للتدريس حيث اتخذ لنفسه بيتاً سماه «بيت التوبة» ولبث اسبوعاً على ذلك.

راجع معجم الادباء (ط دار احياء التراث العربي)، ٦/٢٥٢.

ـ وله من أخرىٰ:

١ تُــــعاصِيهُمْ أَشْــــيافُنا فَكَأَنَّمــــا ... يَــرَيْنَ بَــرِيئاً مَــنْ سَــفَكْنَ لَــهُ دَمــا[1]

٢ كَأَنَّ ظُــباها سَــاعَةَ الرَّوعِ عُــلِّمَتْ ... (ولَــنْ تَسْــتَطيعَ الحِـلْمَ حَــتّىٰ تَحَــلَّما)[2]

« ١٨٨ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥١ ـ ٢٥٢.

ـ وَمِن قصيدة في ابي نصر بن العميد[3]:

١ لَئِنْ كُنْتُ أُضْحي مِنْ عَطاياكَ شـاعِراً ... لَقَدْ صُرتُ أُمْــسي مِــنْ جَـنابِكَ مُــفْحَما

٢ أَبَــيْتُ إِذا أَجْـــرَيْتُ ذِكْــرَكَ مُــنْشِداً ... وأَنْ أَعْــــتُبَ الأَيّــــامَ فــيه فَــرُبَّما

٣ وَمالي مِنَ الأَصْـواتِ مُـقْتَرَحٌ سِـوىٰ ... «أُعـــالِجُ وَجْـــداً في الضَّــميرِ مُكَــتَّما»[4]

« ١٨٩ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٢؛ دَرج الغُرر ودُرج الدرر، ٤٠

ـ وله من قصيدة في الامير ابي نصر الميكالي:

١ نَجُــرُّ ذُيــولَ الفَــخْرِ حَــتّىٰ كَأَنَّــنا ... لِــــعِزَّتنا في آلِ مـــيكالَ نَــنْتَمي[5]

---

١. وردت في كتاب الادب العربي وتاريخه لمحمد هاشم عطية ص ٤٥، كلمة «تُغاضِيُهُم» بدل «تعاصيهُمُ».

٢. المصراع الاخير لحاتم الطائي، وهو عجز بيت صدره: «تحمَّلْ عن الأدنَيْنَ واسْتَبق وُدَّهمْ». راجع ديوان حاتم الطائي ص ٨١.

٣. واغلب الظن انه ابو الفتح بن العميد وزير ركن الدولة البويهي وهو ابن ابي الفضل بن العميد وزير ركن الدولة قبل ابنه. لان التاريخ لا يحدثنا الا عن ابن العميد الاول والثاني والأول قد توفي سنة ٣٥٩ هـ وأغلب الظن ان الخوارزمي كان في تلك الفترة في نيسابور ولذلك فالارجح انه لم يلتق ابن العميد الاول ولم يمدحه وانما اتصاله كان بان العميد الثاني الذي قتل سنة ٣٦٦ هـ وكان وزيراً لركن الدولة بعد ابيه أبي الفضل بن العميد منذ سنة ٣٥٩ ـ ٣٦٦ هـ. ولكن الخوارزمي قد مدح ركن الدولة فلا بد وانه مدح وزيره ابن العميد الثاني. [الكامل لابن الاثير ٥/٣٦٨، ٤١٢، ٤١٧].

٤. المصراع الاخير للبحتري وهو عجز مطلع قصيدة صدره: «يَهونُ عَلَيْها أن أبيتَ مُتَيَّما»
ووردت في الديوان كلمة «شوقاً» بدل «وجداً» راجع ديوان البحتري ١/١٠٨.

٥. وردت في درج الغرر «العز» بدل كلمة «الفخر»، واظن ان كلمة الفخر أنسب منعاً للتكرار وانسجاماً في المعنىٰ.

٢ هُـمُ شَـحْمَةُ الدُّنيا فَإِنْ نَتَعَدَّهُمْ إلىٰ غَيْرِهِمْ نَحْصَلْ عَلَىٰ الفَرْثِ والدَّمِ[١]

٣ سَقَىٰ اللهُ ذَاكَ الرَّوْضَ جُوداً كَجُودِهِمْ وَصَيَّرَ آجالَ العُداةِ إلَيْهِمِ[٢]

٤ وَأَبْقَىٰ أَبا نصرٍ لِيُرْبِي عَلَيهِمُ بِسنينَ كَما أَربىٰ بَنينَ عَلَيْهِمِ[٣]

٥ وعَاشَ إلىٰ أَنْ يَتْرُكَ النَاسُ مَدْحَهُ ومَنْ ذا الّذي يَرْجو إيابَ المُثَلَّمِ[٤]

٦ هُوَ الحُرُّ لا يحبو بِثَوْبٍ مُطَرَّزٍ غَسيلٍ ولا يَدْعو بكيسٍ مُخَتَّمِ[٥]

٧ ولا يَعْدمُ الرّاوُونَ مِنْهُ ثَلاثَةً عَطَاءً وعُذْراً وانبساطاً لَدَيْهِمِ[٦]

٨ ويَعْذِبُ إن يُنْصِفْ كما عَذُبَتْ «نَعَمْ» ويَثْقلُ إنْ يَظلِمْ كما ثَقُلَتْ لَمِ

٩ صَفوحٌ عَنِ الجُهّالِ يَنْشُدُ فِعْلَهُ «وَيَشْتِمُ بالأفعالِ لا بِالتَّكَلُّمِ»[٧]

«١٩٠»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٥.

ـ وله من اخرىٰ:

١ مَتَىٰ أَشُقُّ رَواقَ المُلْكِ تَلْحَظُني عَيْنُ آمْرِئٍ بِغُيوبِ المَجْدِ عَلّامِ

---

١. وردت في درج الغرر كلمة «فن يتعدّهم» بدل «فان نتعدهم»، ووردت كلمة «يحصل» بدل كلمة «فحصل». واظن ان ماورد في المتن أفضل اذا اخذنا بنظر الاعتبار ماورد في البيت الاول «حتىٰ كأننا».
وشحمة الدنيا: أي احسن شيء فيها وأطيبه؛ الفرث: الروث من الحيوانات أو بقايا الاطعمة في كروشها. والفرث: السرجين مادام في الكرش والجمع: فروث والسرجين والسرجون: الزبل وهو السرقين معرب «سرگين».

٢. وردت في درج الغرر كلمة «الرهط» بدل «الروض» وأظن الرهط أفضل من حيث المعنىٰ.

٣. وردت في درج الغرر كلمة «نساء» بدل «بنين»؛ وليربي: ليزيد.

٤. الاياب: العودة. المثلّم: أي الذي ثلمه الدهر في نفسه وماله، وثلم السيف ونحوه والاناء وغيره: كسر حرفه. ويبدو ان هذا يُضرب مثلاً للذي ينكبه الدهر فينزله من مكانته العالية.
وجاء في الامثال «لا افعل ذلك حتىٰ يؤوب المثلّم» ومعنىٰ البيت أن الناس لن يتركوا مدحه.

٥. يحبو: يجود ويعطي.

٦. وردت في درج الغرر كلمة «الزوار» بدل «الراوُون».

٧. وردت في درج الغرر كلمة «ويُستام» بدل «ويشتم» والصواب «ويشتم». وهذا المصراع تضمين وهو جاهلي معروف.

٢ مَتَىٰ أَرَىٰ قَمَرَ الدِّيوانِ مُطَّلِعاً ... في سَطْوِ بَهْرامَ بَلْ في مُلْكِ بَهْرامِ[1]

٣ مَتَىٰ أُقَبِّلُ فَرْشاً لا يُقَبِّلُهُ ... عافٍ فَيفرقُ بينَ التُّربِ والسّامِ[2]

٤ مالي أبيتُ بِشيرازٍ وأُصْبِحُ في ... داري فَدَتْ يَقْظَتي نَومي وأَحْلامي[3]

٥ ما يَطْلُبُ الحِلْمُ مِنْ قَلْبي يُقَلِّبُهُ ... عِنْدي مِنَ السُّقْمِ ما يَكْفيهِ أَسْقامي

٦ أَصْبَحْتُ أَشْكُرُ لَيْلاً أَشْتكي غَدَهُ ... اللّيلُ عَوْني والأيّامُ غُرّامي

٧ والأرضُ تَعْلَمُ أَني سَوفَ أَمْسَحُها ... حَتّىٰ أَرَىٰ مَنْ يَرىٰ باللّيلِ أوهامي

«١٩١»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٦.

ـ وله من أخرىٰ:

١ وَغاظَ مَدْحُكَ أقواماً وفي يَدِهِمْ ... لَوْ طاوَعوا الجودَ تَقديمي وَإِحْجامي

٢ وَمَا ظَعَنْتُ عَلَىٰ نَهْرٍ فَأُغْضِبَهُ ... لكن ذكرتُ عُبابَ الزّاخِرِ الطامي[4]

٣ أَكُلُّ فاضِلِ أَقْوامٍ شَهِدْتُ لَهُ ... يَغتاظُ مِنْ ذِكْرِهِ مَفْضولُ أَقْوامِ[5]

«١٩٢»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٥٧ ـ ٢٥٨.

---

١. جاء في اللسان، أنّ السطو: القهر بالبطش. والسطوة: المرة الواحدة والجمع: السطوات.

٢. العافي: الطالب المعروف أو الضيف أو المحتاج.

السام: جمع سامة وهي السبيكة من الذهب والفضة أو عروقهما في الحجر وقيل هي نقرة ينقع فيها الماء أو عرق في الجبل مخالف لجبلته.

٣. من هذا البيت يمكن ان نستنتج ان المدح موجه الىٰ ركن الدولة البويهي او ابنه عضد الدولة أو مؤيد الدولة.

٤. ظعنتُ: رَحَلتُ.

العباب الزاخر: الماء الكثير الواسع.

الطامي: الفائض الذي يحمل الطمىٰ ويرسبه.

٥. ربما تكون هذه القطعة من ضمن القطعة السابقة في مدح ركن الدولة البويهي او ابنه عضد الدولة أو مؤيد الدولة غير ان الثعالبي صدرها بقوله: «ومن أخرىٰ». وبعد ذكره قطعتين فصلتا بين هذه القطعة والقطعة ١٩٢.

ـ ومن قصيدة في مؤيد الدولة البويهي ذكر فيها افتتاحه قلعة من أبكار القلاع واستنزاله صاحبها المسمىٰ كوشيار :

١ وَكُـنْتَ سَماءً والعَجَاجُ سَحائِباً وَخَيلُكَ أَبراجاً وَجَيْشُك أَنْجُما[1]

٢ وَأَنْزَلْتَ مِنْها كوشَيارَ وَإِنَّما تَقَنَّصْتَ مِنْ فَوْقِ المَجَرَّةِ ضَيْغَما[2]

٣ عَرَفْتُكَ صَيّادَ الأُسودِ وَلَمْ أَكُنْ عَرَفْتُكَ صَيّادَ الأُسودِ مِنَ السَّما

٤ خَدَمْتُكُمُ يا آلَ بُويَةَ مُدَّةً غَدا بَيْنَها فَرْخُ الوَسائِلِ قَشْعَما[3]

« ١٩٣ »

التخريج : اليتيمة ٢٥٩/٤؛ محاضرات الادباء ٣٠٥/١؛ تكملة تاريخ الطبري ٢٢٩/١.

ـ وله من قصيدة رثىٰ بها ركن الدولة أبا علي[4]:

١ أَلَسْتَ تَرَىٰ السَّيفَ كيفَ انْثَلَمْ وَرُكْنَ الخِلافَةِ كيفَ انْهَدَمْ

٢ طَوَىٰ الحَسَنَ بنَ بويهِ الرَّدىٰ أَيَدْري الرَّدَى أَيَّ جَيْشٍ هَزَمْ

ـ ومنها أيضاً :

٣ طَويلُ القَناةِ قَصيرُ العِداتِ ذَميمُ العِداةِ حَميدُ الشِّيَمْ[5]

---

١. العجاج : الغبار.

٢. المجرة : البياض المعترض في السماء ويسمىٰ شرج السماء وباب السماء ودرب التّبّان، وهو طائفة من نجوم هذا الفضاء الواسع الفسيح، كأنها مجتمعة وهو شبه جزيرة من ملايين. ويقال انها تحوي ثلاثين ألف شمس كشمسنا ولكل شمس نظام كما لشمسنا هذه نظامها.

٣. القشعم والقشعوم : المسن من الرجال والنسور، والرخم لطول عمره وهو صفة وقيل : هو الفخم المسنّ من كل شيء.

٤. هو ركن الدولة ابو علي الحسن بن بويه توفي في ١٨ محرم سنة ٣٣٦ هـ راجع ترجمته في : الكامل لابن الاثير ٤١٢/٥ ـ ٤١٤؛ البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٢/١١ ـ ٣٢٣.

٥. طويل القناة : كناية عن قوته وقدرته؛ والقناة : هي الرمح.
والشيم : الصفات والمزايا والافعال.

٤ فَصيحُ اللِّسانِ بَديعُ البَنانِ رَفيعُ السِّنانِ سَريعُ القَلَمْ[١]

٥ يَكيلُ الرِّجالَ بِأَقْدارِها وَيَرْعىٰ البيوتاتِ رَعْيَ الحَرَمْ

٦ جَوادٌ عَلَيْهم بَخيلٌ بِهِمْ إذا ساءَ خَصَّ وإنْ سَرَّ عَمْ

٧ فيا دَهْرُ سُحْقاً ولا تَحْتَشِمْ فَقَدْ ذَهَبَ الرَّجُلُ المُحْتَشَمْ

٨ أَحينَ جَرَى مُلْكُهُ في المُلوك وَرَدَّ بِهِ اللهُ مُلكَ العَجَم[٢]

٩ وخَطَّ الفَناءُ عَلىٰ قَبْرِهِ بَخَطِّ البِلَى وَبَنان السَّقَمْ

١٠ إذا تَمَّ أَمْرٌ دَنا نَقْصُهُ تَوَقَّعْ زَوالاً إذا قيلَ تَمْ[٣]

وَمنها أيضاً:

١١ إذا كان يَبْكي الوَرىٰ بالدُّموعِ وَتَبكي بِهِنَّ فَأَيْنَ القِيَمْ

١٢ وَقَدْ ساءَني عُطَلُ الدَّهْرِ مِنْكَ وَقَدْ كُنْتَ حِلْياً عَلَيْه انْتَظَمْ

١٣ فَما يَسْتَحِقُّ الزَّمانُ اللئيم مَقامَكَ فيه وأَنتَ الكَرَمْ

« ١٩٤ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٤ ـ ٢٦٥؛ ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا ٢/٣٣٨؛ اعيان

---

١. ورد هذا البيت فقط في محاضرات الادباء ١/٣٠٥ بهذا الشكل:

سريعُ اللسان سريع السنان سريع البنان سريع القلم

كما ورد في تاريخ الادب العربي لعمر فروخ ٢/٥٤٦ بهذا الشكل:

فصيح اللسان بديع البيان رفيع السنان سريع القلم

ورفيع السنان: كناية عن الظفر في الحروب وسريع القلم: كناية عن نفاذ أوامره.

٢. ورد هذا البيت فقط في تكملة تاريخ الطبري للهمداني وورد بعده البيتان ٩ و ١٠ وجاء المصراع الاول من البيت العاشر بهذا الشكل: «اذ تم أمرٌ بدا نقصُهُ».

كما ورد المصراع المذكور في تاريخ الادب العربي للزيات ص ٢٧٠ وفي تاريخ الادب العربي لعمر فروخ ٢/٥٤٦ بهذا الشكل: «اذا تمّ شيء بدا نقصه».

٣. ورد الشطر الاول من هذا البيت بهذا الشكل «اذا تم شيء بدا نقصه» في: احداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين، للدكتور عبد السلام الترمانيني ٢/٨٧٥.

الشيعة ٩/٣٧٨.

ـ وله في أبي سعيد بن ملة:

١ أَبـــو سَـــعيدٍ زُحَـــلٌ لِـلْكِرام وَمِــنْسَفٌ يَـنْسِفُ عُـمْرَ الأَنـام[1]

٢ لَمْ أَرَهُ إِلّا خَشِــيتُ الرَّدىٰ وَقُــلْتُ يــاروحُ عَــلَيْكِ السَّـلام[2]

٣ يَـبْقىٰ وَيَـفْنىٰ النـاسُ في شُـؤْمِهِ قُـوموا أنْـظُروا كـيفَ نجـوتُ اللِّـئام[3]

٤ ثُمَّ تَــراهُ ســالِماً آمِــناً يــا مَـلِكَ المَـوْتِ إِلىٰ كـمْ تَـنام

«١٩٥»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٥؛ خاص الخاص ١٥١ ـ ١٥٢.

ـ وله في أبي الطيب البيهقي:

١ يَـبْكي مِـنَ المَـوْتِ أَبـو طـيِّبٍ دَمْــعٌ لَــعَمْري غَــيْرُ مَـرْحومِ[4]

٢ وَيَشْــتكي مـا يَشْـتَهِي غَـيْرُهُ شِكــايَةَ الخَــيْرِ مِــنَ الشُّـومِ

٣ ســاكِـتُنا الشّـيخُ أَبـو طَـيِّبٍ والصَّــمْتُ أَحـياناً مِـنَ اللّـومِ

«١٩٦»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٦.

ـ وله من قصيدة:

---

١. زحل: متعب ومبعد؛ المنسف: من نَسَفَ: دَكَّ وذرا.

٢. وردت الابيات ٢ و ٣ و ٤ في ريحانة الالبا وورد البيت الثالث هكذا:

يـــبقىٰ ويــفنىٰ النــاس مــن شــؤمه قــوموا انـظروا كـيف تمـوت الكـرام

وورد البيت الرابع هكذا:

كـــيف نــراه ســالماً بــيننا يــاملكَ المــوت الىٰ كـم تـنام

٣. ورد البيتان ٣ و ٤ في اعيان الشيعة، وجاء المصراع الاول من البيت الثالث هكذا:

«يبقىٰ ويفنىٰ الناس من شؤمه».

٤. وردت كلمة «الملك» في خاص الخاص بدل «الموت».

ووردت كلمة الدمع مرفوعة في كلا المصدرين وأظنها منصوبة على المفعولية.

١ فَـإِنْ أَسْكُـنْ بِـبَلْدةِ ابْـنِ شَـهْـرٍ* فَـإِنَّ البـدرَ يَـنْزِلُ في الظَّـلامِ
٢ أُصَـغِّرُها وإِنْ عَـظُمَتْ ولكِـنْ لَهـا أهْـلونَ لَـيْسوا بـالعِظامِ
٣ وَفُـرسانٌ ولكِـنْ في الحَشـايا وأَجْـوادٌ ولكِـنْ بـالكَلامِ
٤ صِـغارٌ بـالمَطالِبِ والسَّـجايا[1] وَإِنْ كـانوا كِـباراً بـالعِظامِ

«١٩٧»

التخريج: اليتيمة ٢٦٨/٤.

ـ وله من اخرىٰ:

١ وَمَـتىٰ شَـتَمْتَ الدَّهْـرَ تَشْـتُمْ صـابراً تـبكي وَيَـضْحَكُ ذلك المَشْـتومُ

«١٩٨»

التخريج: اليتيمة ٢٧٠/٤؛ اعيان الشيعة ٣٧٨/٩؛ قول على قول ٢٨١/٢ و ٣٣٦/٣ و ٢٤٨/٧.

ـ وله في تلميذ عاق [اسمه ابو بكر]:

١ هـذا أَبـوبَكرٍ صَـقَلْتُ حُسـامَهُ فَـغَدابِـهِ صَـلْتاً عَـلَيَّ وأَقْـدَما[2]
٢ أَمْـسَىٰ يُجَـهِّلُني بِمـا عَـلَّمْتُهُ وَيَـرِيشُ مِـنْ ريـشي لِـرَمْيي أَسْهُـما[3]
٣ يـا مُـنْبِضاً قَـوْساً بِكَـفِّي أُحْـكِمَتْ ومُسَـدِّداً رُمْحاً بِكَـفِّي قُـوِّما[4]

---

* . ربما كانت الكلمة ابن شارٍ وهو طاهر صاحب سجستان الذي هجاه الخوارزمي في القطع ١ و ٥٤ و ١٢١.
١. أي ان هممهم صغيرة ترضى بالدون من الاشياء. ٢. في قول على قول جاءت كلمة «ابو زيد».
٣. في قول على قول جاءت عبارة «ليرمي اسهما».
ويريش: من أريش السهم: أي ألصق عليه الريش. ويريد هنا ان يقول: انه يرميه بسهام من صنعه.
٤. انبض القوس: حرّك وترها؛ قوّم الرمح: سوّاه وأزال عوجه. ووردت عبارة «ومسدداً رمحاً بناري» في قول على قول.

٤ أَرْقَيْتَ بي في سُلَّمٍ حَتّىٰ اذا نِلْتَ الّذي تَهْوىٰ كَسَرْتَ السُّلَّما[1]

«١٩٩»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧٠ ـ ٢٧١.

ـ وله من اخرىٰ في نكبة المزني:

١ وَلَقَدْ بَكَيتُ عَلَيْكَ حَتّىٰ قَدْ بَدا دَمْعي يُحاكي لَفْظَكَ المنظوما

٢ وَلَقَدْ حَزِنْتُ عَلَيْكَ حَتّىٰ قد حكَى قَلْبي فؤادَ حَسُودِكَ المحموما

«٢٠٠»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧٣؛ النهاية في الكناية ١٩٣؛ محاضرات الادباء ١/٧٠٤؛ شرح مقامات الحريري البصري ٢٩؛ الغيث المسجم ١/٢٧٩.

ـ وله في وصف الخمر والساقي من قصيدة:

١ وَصَفْراءَ كالدينارِ نبتَ ثَلاثَةٍ شَمالٍ وأَنهارٍ وَدَهْرٍ مُحَرَّمِ

٢ مَسَرَّةُ مَحْزونٍ وَعُذْرُ مُعَرْبِدٍ وَكِبْرُ مَجُوسيٍّ وفِتْنَةُ مُسْلِمِ

٣ مَماتٌ لأَحياءٍ، حَياةٌ لِمَيِّتٍ وعُدْمٌ لِمَنْ أَثْرَىٰ ثَراءٌ لِمُعْدَمِ[2]

---

١. في قول على قول: ورد البيت الرابع بهذه الصورة:

ورقيت بي في سلّم حتىٰ إذا نلت الذي تبغي كسرت السلّما

وقد وردت هذه الابيات في اعيان الشيعة ٩/٣٧٨ بهذا الشكل:

هذا أبو زيد صقلت حسامه فعدا به صلتاً عليّ وأقدما

انشا يجهلني بما علمته ويريشُ من ريشي لرميي اسهما

فأجابه ابو زيد:

يا منبضاً قوساً بكفي احكمت ومسدداً رمحاً بكفي قوّما

أرقيت بي في سلم حتىٰ إذا نلت الّذي تهوىٰ كسرت السّلّما

وأظن أنّ رواية الثعالبي هي الاصح لأنها الأُقدم ولأن صاحب اعيان الشيعة لم يرجعنا الىٰ المصدر الذي أخذ هذه الابيات منه.

٢. وردت هذه الابيات الثلاثة فقط في شرح مقامات الحريري البصري ووردت فيه كلمة «كنز» بدل «كبر» في ←

٤ يَــدورُ بِهــا ظَـبْيٌ تَــدورُ عَـيونُنا عَلىٰ عَـيْنِهِ مِـنْ شَرْطِ يَحـيىٰ بن أكْـثَمَ[1]

٥ يُــنَزِّهُنا مِــنْ ثَـغْرِهِ وَمُــدامِــهِ وَخَــدَّيْهِ في شَمْسٍ وَبَــدْرٍ وأَنْجُــمِ[2]

٦ نهَــضنا إِلَيْهـا والظَّـلامُ كَأَنَّــهُ مَــعَاشُ فَــقيرٍ أو فُــؤادُ مُــعَلَّمِ[3]

«٢٠١»

التخريج: اليتيمة ٢٧٣/٤ ـ ٢٧٤؛ التمثيل والمحاضرة ٢٣٢؛ زهر الآداب ٤٥١/١؛ اسرار البلاغة للجرجاني ١٠١٦؛ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ٦١٦؛ فصل المقال في شرح كتاب الامثال ٢٢١؛ وفيات الاعيان ٤٠١/٤؛ عيون التواريخ ١٣١/١٠؛ الغيث المسجم ٥٢/١ ـ ٥٣؛ نصرة الثائر علىٰ المثل السائر ٢٢٤ ـ ٢٢٥؛ الوافي بالوفيات ١٩٣/٣؛ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ١٠٦/٣؛ نسمة السحر ٣٧٤/٢؛ روضات الجنات ٢٩٨/٧.

ـ وله:

١ رَأَيْــتُكَ آنَ الشُّرب خَــيَّمْتَ عِـنْدَنا مُــقيماً وإِنْ أَعْـسَرْتَ زُرْتَ لِمــاما[4]

← المصراع الثاني من البيت الثاني.

كما وردت هذه الابيات الثلاثة فقط في الغيث المسجم وجاءت فيه كلمة «ثّبت» بدل «نبت» في المصراع الاول من البيت الاول.

١. وورد هذا البيت فقط في النهاية في الكناية بهذا الشكل:

يـــدور بهــا ســاقٍ مــدور عــيوننا علىٰ عينيه مـن شرط يحـيى بـن اكـثم

وأظنه الأصح لوجود المفعول المطلق ووجود كلمة عينيه بدل عينه.

٢. ورد البيتان الرابع والخامس فقط في محاضرات الادباء تحت عنوان (وصف الشراب والساقي).

٣. فؤاد معلّم: أي به علامة.

وقد وردت كلمة «نهضت» بدل «نهض» وكلمة «معلَّم» بدل «معلِّم» في كتاب بديع الزمان الهمذاني للشكعة ص ١٠٢. وأظن ان كلمة «نهضنا» أفضل لانها تنسجم مع البيت الرابع والخامس حيث يتحدث بصيغة المتكلم مع غيره.

٤. آن الشرب: أوانه؛ خيّمت عندنا: سجنت نفسك عندنا. ←

← لماما: أحايينا أي الفترة بعد الفترة.
ورد هذان البيتان من التمثيل والمحاضرة بهذه الصورة:

رأيــتك ان ايــسرت خــيّمت عــندنا لزاماً وان اعــــسرت زُرتَ لِـــماما
فـــا انتَ الا البـدرُ ان قـلّ ضـوؤه أغبّ وان دام الضـــياء أقـــاما

وورد البيتان في زهر الاداب الّا ان المصراع الاول من البيت الاول ورد بهذا الشكل «رأيتك ان أيسرت خيّمت عندنا» ويقول الحصري ٣٩٩/١ان هذين البيتين كقول ابراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبدالملك الزيات:

أســـدٌ ضــارٌ اذا مـــا نَـــعْتهُ وابٌ بـــرّ اذا مـــا قـــدّرا
يـــعرف الأ بـــعد ان اثـــرى ولا يـــعرف الادنى اذا مـــا افـــتقرا

كما ورد هذان البيان في سمط اللآلي منسوبين الىٰ ابراهيم بن العباس ولكن محقق الكتاب علق في هامش صحفة ٦١٦ قائلاً: انه لم ير احداً يكون قد نسبهما اليه (ابراهيم بن العباس)، وورد هذان البيتان في وفيات الاعيان وجاء المصراع الاول من البيت الاول هكذا «رأيتك ان ايسرت خيمت عندنا» وعلق عليه قائلاً: انه يشير الىٰ قول ابنة عبيد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة: مارأيت ألأم من اصحابك، اذا ايسرت لزموك، واذا اعسرت تركوك، فقال: هذا من كرمهم، يأتوننا في حال القوة منّا عليهم ويعافوننا في حال الضعف مناعنهم.
وورد المصراع الاول من البيت الاول في عيون التواريخ بهذا الشكل «رأيتك ان أيسرت خيّمت عندنا». وجاء البيتان في الغيث المسجم للصفدي بهذه الصورة:

رأيــتك ان ايــسرت خــيمت عــندنا لزاماً وان اعــــسرت زرت لمـــاما
فـــا انت الا البــدر ان قــلّ نــوره اغبّ وان زاد الضـــياء اقـــاما

وورد المصراع الاول من البيت الثاني في نصرة الثائر علىٰ المثل السائر للصفدي بهذا الشكل:
«فما انت الا البدر ان قل ضوؤه».
وورد المصراع الثاني من البيت الاول في الوافي بالوفيات للصفدي بهذا الشكل:
«مقيماً وان اعسرت زرت لمّا» مشيراً الىٰ ان الطغرائي قد اخذ هذا المعنىٰ من أبي بكر في قوله (الطغرائي):

سأحــجب عــني أسرتي عند عــسرتي وأبـــرزُ فـــيهم ان اصـــبتُ ثــراءَ
ولي أســـوة بـــالبدر يــنفق نــوره فــيخفىٰ الىٰ ان يـــستجد ضـــياءَ

وعلّق الجرجاني في اسرار البلاغة في باب مآخذ التمثيل من الموجودات قائلاً: «المعنىٰ لطيف وان كانت العبارة لم تساعده على الوجه الذي يجب فان الاغباب ان يتخلل وقت الحضور وقت يخلو منه. وانما يصلح لان يراد ان القمر اذا نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر في بعض الليالي ويمتنع عن الظهور في بعض وليس الامر كذلك لانه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السّرار».
وورد البيتان في شذرات الذهب مثل ماورد في الوافي بالوفيات للصفدي وهكذا الحال بالنسبة الىٰ نسمة السحر
←

٢ فما أَنْتَ إلّا البَدْرُ إنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغَبَّ وإنْ زادَ الضّياءُ أقاما

«٢٠٢»

التخريج: اليتيمة ١/١٦٣؛ تنبيه الاديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب ٣٣٢؛ الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ٢٨٠.

ـ وله وقد أَخذ معناه من المتنبي [١]:

١ قَدْ ظَلَمْناكَ بِحُسْنِ الـ ظَنِّ يا بَعْضَ الأَنامِ

«٢٠٣»

التخريج: اليتيمة ١/٣٤٣ ـ ٣٤٤؛ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ١١٩.

ـ حدثني ابو بكر الخوارزمي، قال: حضرت مع الشيخ ابي الحسن النمري دعوة القاضي ابي بكر الحميري، فغنىٰ بعض القوالين بهذه الابيات... [٢] فاستملحها ابو الحسن وسألني عن قائلها، فأخبرته أنها لابي الفرج الوأواء فاقترح علي معارضتها فارتجلت أَبياتاً ثم أتممتها قصيدة منها:

١ لَمّا بَدَتْ روحُ الضّيا ءِ تَدُبُّ في جِسْمِ الظَّلامِ

← والىٰ روضات الجنات.

ويفيد الصفدي في نصرة الثائر معلقاً على اخذ الخوارزمي المعنىٰ من قول ابراهيم بن العباس الصولي المار ذكره قائلاً: ولما اراد [الخوارزمي] ان يضرب لذلك مثالاً في الخارج لم يجده الا في القمر وضوئه. وابراهيم بن العباس الصولي هو ابو اسحاق الكاتب الشاعر توفي بسامراء سنة ٢٤٣ هـ وكان مولى يزيد بن المهلب وكان هو واخوه من وجوه الكتاب. راجع معجم الادباء ١/١٦٤ـ١٩٨.

١. وقد قال المتنبي:

وصرتُ أشكُّ فيمن أصطفيه لِعِلْمِيَ أنَّهُ بعض الأنامِ

٢.

قم يا غلام الىٰ المدامِ قُم داوني منها بجامِ

قم فاسقني برق الثغو ر فقد مضى برق الغمامِ

بادر الىٰ صرف الحُمَيّا سابقاً صرف الحِمام*

وتغنَّم الغفلات من دهرٍ يجور على الكرامِ

* الحميّا: الخمر الخالصة.

الحِمام: الموت.

٢ وَغَدَتْ نُجومُ اللَّيلِ وهْيَ تَفِرُّ مِنْ حَدَقِ الأَنامِ
٣ والدّيكُ يتلو دائِماً هَجْوَ النّيامِ عَلَىٰ القِيامِ
٤ ناقَضْتُ ما قالَ المؤذّنُ بالفِعالِ وبالكلامِ
٥ هُوَ قالَ حَيَّ عَلَىٰ الصلاةِ وقُلْتُ حَيَّ عَلى المُدامِ

ومنها:

٦ لمّا رأيتُ الهَمَّ يَطْرُقُ مَنْ أَتاهُ بِلاسَلامِ
٧ ضَيْفٌ يَزورُ فَلَيْسَ يَأْكُلُ غَيْرَ لَحْمي أوعِظامي
٨ والدَّهْرُ قَدْ حَمَلَ السِّلاحَ عَلَى الكِرامِ عَنِ اللِّئامِ
٩ داوَيْتُهُ بالرّاحِ إنَّ الرّاحَ تِرْياقُ الكِرامِ[1]

«٢٠٤»

التخريج: رسائل ابي بكر الخوارزمي ٢٣٠.

ـ وله في مطلع رسالة الىٰ أبي سعيد أحمد بن شبيب لما شارف نيسابور مرحباً به:

١ مَرْحَباً بالقَمَرِ الطالِعِ في جُنْحِ الظَّلامِ
٢ مَرْحَباً بالأَسَدِ الوَرْدِ وبالجَيْشِ اللّهامِ
٣ مَرْحَباً بأبنِ شبيبٍ وأَياديهِ الجِسامِ
٤ مَرْحَباً بالرَّجُلِ الأَوْحَدِ مِنْ بَيْنِ الأَنامِ
٥ مَرْحَباً بالكاتِبِ الجَزْلِ وبالحِبْرِ الهُمامِ
٦ قَدْ نَجَوْنا مِنْكَ يا بَيْنُ فَوَدِّعْ بِسَلامِ

«٢٠٥»

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي ٢٠٠.

ـ وانشد في رسالة الىٰ أبي منصور ملك الصغانيان يعزيه في عمه ابي سعيد:

---

١. الترياق: دواء السموم؛ الراح: الخمر.

١ فما كانَ قَيْسٌ هَلْكُهُ هَلْكُ واحِدٍ ولكـنَّهُ بُنيانُ قَومٍ تَهَدَّما

«٢٠٦»

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي ٢٠٠.

ـ وانشد في رسالة الىٰ أبي منصور ملك الصغانيان يعزيه في عمه ابي سعيد:

١ إذا مُقرَمٌ مِنّا ذوىٰ حَدُّ نابِهِ تَخَمَّطَ مِنّا نابُ آخَر مُقْرَمِ[1]

«٢٠٧»

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي ٢٣٤.

وقال في رسالة الىٰ صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتابه بخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة:

١ وَمَا أَخُصُّكَ في بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إذا سَلِمْتَ فَكُلُّ النّاسِ قَدْ سَلِموا

«٢٠٨»

التخريج: خاص الخاص ١٥٠.

ـ وله من وسائط قلائده:

١ هُمُ جَعَلوني رَبَّ عَبْدٍ وَقَيْنَةٍ ودارٍ وديـنارٍ وثـوبٍ ودرهـمِ

٢ وَهُمْ خالَفوني وأَوْطأوا في صلاتِهم فَصُنْتُ عَنِ الايطاءِ شِعْرَي فيهمِ[2]

«٢٠٩»

التخريج: محاضرات الادباء ١/٣٣٤.

---

١. قرم الصغير يقرِم قرماً: أكل أكلاً ضعيفاً وذلك عندما يتعلّم الاكل إبّان الفطام. (المعجم الوسيط).

٢. واطأ الشاعر في الشعر وأوطأ فيه: اذا اتفقت له قافيتان على كلمة واحدة معناها واحد. فان اتفق اللفظ واختلف المعنى فليس بايطاء. والايطاء عيب عند العرب لانه دال عندهم على قلة مادة الشاعر ونزارة ماعنده.

وهذان البيتان قد وردا في القطعة ١٨١/٦، ٨ ضمن قصيدة له.

ـ وله فيمن ازداد شرف آبائه به:

١ هُـوَ ٱبْـنُ الرَّئـيسِ والعَـميدِ كِـلَيْهِما   وَفَـوْقَهُما قَـدْراً وإنْ كـان مِـنْهُما

٢ وَقَـدْ يُـوقِدُ الزَّنـدانِ نـاراً لِـقابِسٍ   فَـتُضحي مِـنَ الزَّنْـدَيْنِ أَعْـلَىٰ وأَعْـظَما

« ٢١٠ »

التخريج: محاضرات الادباء ١/٥٨١.

ـ وله حول من يحقق رجاء آمليه:

١ كُـنّا وَرَدْنـا وَكُـلُّنا آمِـلٌ   ثُمَّ صَـدَرْنا وَكُـلُّنا نِـعَمُ

« ٢١١ »

التخريج: محاضرات الادباء ٣/٢٤٤.

ـ وله حول من يتعاطى مع كل احد:

١ إذا فـاتَهُ تَحْـصيلُ ظَـبْيٍ مُـقَنَّعٍ   فَـهِمَّتُهُ تَحْـصيلُ ظَـبْيٍ مُـعَمَّمِ

٢ يَـصيدُ كِـلا الظَّـبْيَيْنِ هـذا وهـذه   حَـنيفٌ ولكـنْ فِـعْلُهُ فِـعْلُ مُجْـرِمِ

« ٢١٢ »

التخريج: محاضرات الادباء ٣/٥١٢.

ـ وله حول من توجع له المكارم:

١ أُعَـزِّيكُمُ أَمْ أُعـزِّي النَّـدىٰ   فَـمـا هُـوَ دُونَكُـمُ في الأَلَمْ

« ٢١٣ »

التخريج: تاريخ يميني ١٧٧ ـ ١٧٨؛ تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ٦٨؛ عيون التواريخ ١٠/١٣١؛ الوافي بالوفيات ٣/١٩٢؛ مرآة الجنان ٢/٤١٧؛ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٣/١٠٥؛ انوار الربيع في انوار البديع ٢/١٦٠ ـ ١٦٢ و ٤/٣٧٠؛ نسمة السحر ٢/٣٧٣؛ سفينة الدر ورقة ٦٣.

ـ وله أيضاً من قصيدة يمدح بها شمس المعالي قابوس بن وشمكير الجيلي امير طبرستان

وجرجان:

١ قَـامَتْ تُـوَدِّعُني بـالأَدْمُعِ السّـجمِ والصَّـمتُ بـينَ يـدٍ مـنها وبـين فَـمِ

٢ البَـيْنُ أَخْـرَسَها والبَـيْنُ أَنْـطَقَها وهــذه حـالَةٌ في النّـاس كُـلِّهِمِ

٣ قَدْ طالَما ٱنْهَزَمَتْ عَـنّا السّـيوفُ فـلا تُحـاربينا بِجَـيش الوَرْدِ والعَـنَمِ[1]

٤ وقـد خَـلَعَتْ لِجـامَ الإتّـباعِ فـلا تَـلْقَ سِـواءِ القَـنا في ذِمَّـةِ اللجمِ[2]

٥ لَمْ يَـبْقَ في الأَرضِ لي شيءٌ أَهـابُ لَـهُ فَهَلْ أَهابُ ٱنكسـارَ الجَـفْنِ ذي السَّـقمِ

٦ أَسْـتَغْفِرُ اللهَ مِـنْ قَـولي غَـلَطْتُ بَـلَىٰ أهـابُ شمسَ المـعالي أُمَّـةِ الأُمَـمِ[3]

٧ كَأَنَّ لَحْظَكَ مِـنْ سَـيفِ الأمـيرِ ومِـنْ حَتْمِ القَضاءِ وَمِنْ عَـزمي وَمْـنِ كَـلِمِي

٨ قـالَ الأمـيرُ لأَخْـلاقِ الكِـرامِ قِـفي بِحَـيثُ أَنْتِ فَـا زَادَتْ عَـلَىٰ نَـعَمِ

٩ وقــالَ لِـلْعِلْمِ والآدابِ لا تَـرِدا إلّا عَـلَيَّ فَـا فَـاها بِـلا وَلِمِ

١٠ القـائِلُ القـولَ لَـوْفاهَ الزَّمـانُ بِـهِ صـارَتْ ليـاليه أَيـاماً بِـلا ظُـلَمِ

---

١. وردت في ترجمة تاريخ يميني للجرفادقاني ص ٢٣٣، كلمة «الجيوش» بدل كـلمة «السـيوف». ووردت كـلمة «والغيم» بدل «والعنم» في نسمة السحر ووردت كلمة «عظمي» بدل «غرمي» في البيت السابع ووردت كلمة «لقائل» بدل «القائل» في البيت العاشر وكذا كلمة «علىٰ» بدل «بلا» في نفس البيت وجاء كلمة «نضوب» بدل «بنضوب» في البيت ١٢ وجاء المصراع الثاني من البيت المذكور بهذا الشكل «فقد تحفّ ضروع الوابل السجم» وورد البيت ١٣ بهذا الشكل:

قـد يجـزرُ البـحر بـعد المـد نـعرفه ويـنزل الجـدب وكـر الاجـدل القـطم

وورد المصراع الثاني من البيت ١٤ بهذا الشكل: «قد يولع السيف يوم الروع بالبهم». ولم ترد الابيات من ١٥ ـ ١٨ في نسمة السحر.

٢. ورد في ترجمة تاريخ يميني ص ٢٣٣ المصراع الثاني هكذا «تُلقِ سواء الفنا في ذمة اللّجم».

٣. ورد في ترجمة تاريخ يميني ص ٢٣٣ حرف «في» بدل حرف «من» في المصراع الاول. وقد وردت الابيات ١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٦ و ٧ فقط في تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ووردت كلمة «الغنم» بدل «العفم» في البيت الثالث، وكلمة «مقصد» بدل كلمة «أمة» في المصراع الثاني من البيت السادس.

ووردت البيتان ٥ و ٦ فقط في انوار الربيع ٣٧٠/٤ وجاء في المصراع الاول من البيت ٥ حرف «من» بدل كلمة «لي» وحرف «فَلِمَ» بدل «هل» في المصراع الثاني.

١١ والفاعِلُ الفِعْلَةَ الغَرّاءَ لَوْ مُزِجَتْ ... بالنّارِ لَمْ تَكُ لِلنّيرانِ مِنْ حُمَمِ
١٢ لا تَحْفَلَنْ بِنُضوبِ المالِ في يَدِهِ ... فَقَدْ تَجِفُّ ضُروعُ العَارِضِ السُّجُمِ
١٣ لا يَجْزُرُ البحرُ بعدَ المَدِّ يحرِفُهُ ... وَيَنْزِلُ الجَذْبُ وَكرِ الأَجْدَلِ القَطِمِ
١٤ ولا يَغُرَّنْكَ أَنَّ الدَّهْرَ حارَبَهُ ... قَدْ يُغْذَرُ السَّيفُ يومَ الرَّوعِ بالبُهَمِ
١٥ الآن إِذْ غَدَتِ الدُّنيا تُجَشِّمُهُ ... وقابَلَتْهُ صَباحاً أَوْجُهُ النِّعَمِ
١٦ تَرنو إليهِ فَتُخفي شَخْصَ مُنقبِضٍ ... لِراحَتَيْهِ وتُغْضي طَرْفَ مُحْتَشِمِ
١٧ إذا دَعَتْ نَخْوَةٌ ساقاً نَهَتْ قَدَماً ... والعُمْرُ يَذْهَبُ بَيْنَ السّاقِ والقَدَمِ
١٨ حَيْرى يُقَرِّبُها حالٌ وتُبعِدُها ... كذا يكونُ رُجوعُ الآبِقِ السَّدِمِ

«٢١٤»

التخريج: نزهة الالباءِ في طبقات الادباء ٢٢٣؛ معجم الادباء ٢٥٦/٦؛ وفيات الاعيان ٤٠٢/٤؛ عيون التواريخ ١٣١/١٠؛ الوافي بالوفيات ١٩٢/٣؛ مرآة الجنان ٤١٧/٢؛ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ١٠٥/٣؛ انوار الربيع في انواع البديع ١٦٠/٢ ـ ١٦١.

ـ وله في هجاء الصاحب بن عباد:

١ لا تَمْدَحَنَّ ابنَ عَبّادٍ وإنْ هَطَلَتْ ... كَفّاهُ بالجودِ سَحّاً يُخْجِلُ الدِّيَما[1]

---

١. جاء في عيون التواريخ كلمة «تحمدن» بدل «تمدحن» وورد المصراع الثاني هكذا «كفاه بالجود حتى اخجل الديما». وكذا جاء البيت الاول في الوافي بالوفيات.

أما في مرآة الجنان فقد جاء البيت الاول هكذا:

لا يحمدن ابن عباد وان هطلت ... يداه بالجود حتى اخجل الديما

وجاء هذا البيت في شذرات الذهب مثل ماجاء في مرآة الجنان مع اختلاف واحد هو «لا تحمدن» اما أنوار الربيع في انواع البديع فقد سجل البيت الاول كما يأتي:

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت ... كفاه يوماً ولا تذممه إن حرما

وهكذا ورد هذا البيت في معجم الادباء

اما في وفيات الاعيان فقد جاء البيت الاول مثل ما جاء في مرآة الجنان مع اختلاف واحد وهو كلمة «تحمدن» بدل «يحمدن».

فَــــإِنَّها خَـــطَراتٌ مِـــنْ وَســـاوِسِهِ   يُـــعطي وَيَمْـــنَعُ لا بُخْـــلاً ولا كَـــرَما

« ٢١٥ »

التخريج: الوافي بالوفيات ٣/١٩٤

ـ وله:

١ وَلي قَمـــيصٌ رَقـــيقٌ   تَـــقُدُّهُ الأَوْهـــامُ

٢ وَجُـــبَّةٌ لا تُســـاوي   تَـــصحيفَها والسَّـــلامُ

« ٢١٦ »

التخريج: ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا ١/١٤٢.

ـ وله:

١ أَمْـسىٰ بِـلا عِـظَمٍ لَـدَيْهِ تَـعاظُمٌ   فَكَأَنَّـــهُ أَيْـــرُ الحِـــمارِ القـــائِمُ

٢ وَيَـــقُولُ: إِنَّ النّـــاسَ كُـــلُّهُمُ أَنـــا   والنّـــاسُ كُـــلُّهُمُ لَـــدَيْهِ بَهـــائِمُ

« ٢١٧ »

التخريج: الوساطة بين المتنبي وخصومه ٣٧٧.

← ويقول ابن خلكان: قلت هكذا وجدت هذين البيتين منسوبين الىٰ ابي بكر الخوارزمي المذكور في الصاحب بن عباد، ذكر ذلك جماعة من الادباء في مجاميعهم وفي مذكراتهم ثم نظرت في كتاب معجم الشعراء تأليف المرزباني فوجدت في ترجمة ابي القاسم الاعمىٰ واسمه معاوية بن سفيان وهو شاعر راوية بغدادي احد غلمان الكسائي اتصل بالحسن بن سهل يؤدب اولاده فعتب عليه في شيء فقال يهجوه:

لا تحـمدَنْ حسـناً بـالجودان مَـطَرَتْ   كـفاه غَـزْراً ولا تـذممْهُ ان زرمـا*١

فـليس يمـنع ابـقاءً علىٰ نشبٍ   ولا يجـود لِـفضلِ الحـمدِ مُـغتنما*٢

لكـنها خـطراتٌ مـن وسـاوسه   يُـعطي ويمـنَعُ لا بخـلاً ولا كـرما

والله اعلم بذلك. وفيات الاعيان ٤/٤٠٢ ـ ٤٠٣؛ وراجع معجم الشعراء للمرزباني، ص ٢٨٣.

*١: زرما: زرمه زرماً: قطعه. والزرم: القليل المنقطع. والزرم: البخيل المضيق عليه ويقال هو زرم الدمع أي منقطعه.

*٢: النشب والنشبة والمنشبة: المال الاصيل من ناطق او صامت أي المال والعقار واكثر استعماله في الاشياء الثابتة كالدور والضياع.

ـ وله:

١ وَإِذا طَـلَبْتَ إلى كَـريمٍ حَـاجَةً ... فَـلِقاؤُهُ يَكْـفيكَ والتَّسْـليمُ

٢ وإِذا رَآكَ مُسَـلِّماً عَـرفَ الّـذي ... حَمَّـلْتَهُ فَكَأَنَّـهُ مَـلْزومُ

«٢١٨»

التخريج: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ٥٦.

ـ وله من قصيده مدح بها الصاحب بن عباد واشار فيها الىٰ القلم وهو آلة الكاتب الذي يتقدم به ويترأس:

١ يَـدٌ تَـراهـا أَبَـداً ... فَـوقَ يَـدٍ وَتَحْتَ فَـم

٢ مـا خُـلِقَتْ بَـنانُها ... إلّا لِسَـيْفٍ وَقَـلَم

«٢١٩»

التخريج: نهاية الارب في فنون الادب ٢٤٦/١١.

ـ وله في وصف الزعفران:

١ أَمـا تَـرىٰ الزَّعْـفرانَ الغَـضَّ تَحْسَبُهُ ... جَمْـراً بَـدا في رَمـادِ الفَـحْمِ مُـضْطَرِما

٢ كَأَنَّـهُ بَـيْنَ أَطْـرافٍ تَحُـفُّ بِـهِ ... طَـرائِـقُ الدَّمِ في خَـدَّيْنِ قَـدْ لُـطِما

٣ دَمٌ عَـياناً وَمِسْكٌ نَـشْرُ رائِـحَةٍ ... في طِـيبِهِ وكَـذاكَ المِسْك كـانَ دَمـا

«٢٢٠»

التخريج: نهاية الارب في فنون الادب ٤٠٥/١.

ـ وله في وصف القلعة وبيان منعتها وارتفاعها وقدمها:

١ وَبِكْـرٌ تحـامَتْها البُـعولُ مَخـافَةً ... فَـقَدْ تـركَتْ في كَـثْرَةِ المَـهرِ أَيِّمـا[١]

٢ مُمَـنَّعَةٌ لَمْ يَـغْلطِ الدَّهْـرُ بِـاسْمِها ... وَلَمْ يَـرَها في النَّـوْمِ إلّا تَـوَهُّما

---

١. الشطر الاول كناية عن منعتها على الاعداء.

٣ تَــزِلُّ عــقابُ الجَــوِّ عَــنْ شُرَفــاتِها   وَتَــبْغي إِلَــيْها الرِّيحُ مَــرْقى وَسُــلَّما[1]

٤ وَيُسْـمَعُ في الأَفْـلاكِ صَـيْحَةُ دِيكِـها   فَــتَحْسِبُ دِيكَ العَــرْشِ صـاحَ تَـرَنُّما

٥ عَجُوزٌ تُرىٰ في صِـحَّةِ الجِـسمِ كـاعِباً   وَلَوْ أُرِّخَتْ كـانَتْ مِـنَ الدَّهْـرِ أَقْـدَما[2]

« ٢٢١ »

التخريج: اليتيمة ٢٤١/٢.

ـ وله:

١ هَــلُمَّ الخُــطا بَـدْرا الدُّجُـنَّةِ وأَرْفُـقا   بِعَيْنَيْكُما فـالضَّوْءُ قَـدْ يُـورِثُ العَـمَىٰ[3]

٢ ولا تَــعْجَبا أَنْ يَمْـلِكَ العَــبْدُ رَبَّــهُ   فَإِنَّ الدُّمَى اسْتَعْبَدْنَ مَـنْ نَحْتَ الدُّمَـىٰ

« النــون »

« ٢٢٢ »

التخريج: اليتيمة ٢٣٤/٤.

ـ ورد أبو بكر الخوارزمي بُخارَى وصحب أبا علي البلعمي الوزير، فَلَم يحمد صحبته وفارقه وهجاه بقوله:

١ إِنَّ ذا البَــلْعَمِيَّ والعَــيْنُ غَــيْنٌ   وَهْــوَ عَــارٌ عَــلَىٰ الزَّمــانِ وَشَــيْنُ[4]

٢ إِنْ يَكُــنْ جــاهِلاً بِحُــقَّيْ حُــنَيْنٍ   فَــهُوَ الخُــفُّ والزَّمــانُ حُــنَيْنُ

« ٢٢٣ »

---

١. مبالغة في وصف علوها.

٢. اشارة الىٰ انها قديمة قدم التاريخ ولكنها ماتزال قوية فتية.

٣. اذا كانت كلمة «بدرا الدّجنة» منادى، فيجب عندئذ ان نقول «بدري الدجنة».

٤. والعين غين: أي ذا البلغمي. والبلغم خلط من اخلاط البدن، وهو احد الطبائع الاربع. ويكنىٰ به عن الثقيل المهذار.

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٠؛ خاص الخـاص ١٥١؛ تـاريخ الاسـلام ووفـيات المشـاهير والاعلام ٦٩؛ حماسة الظرفاء ٢/٤٨ ـ ٤٩؛ اعيان الشيعة ٩/٣٧٨.

ـ وله من أخرىٰ في حسن الحبيب:

١ مَـضَتِ الشَّـبيبةُ والحبيبةُ فَـالْتَقَىٰ	دَمْـعانِ في الأَجْـفانِ يَـزْدَحِمانِ[١]
٢ مـا أَنْـصَفَتْني الحـادِثاتُ رَمَـيْتَني	بِمُـودِّعَيْنِ وَلَـيْسَ لي قَـلْبان[٢]

«٢٢٤»

التخريج: اليتيمة ٤/٢٤٥؛ الافضليات ١٧٠ ـ ١٧١؛ الدر الفريد وبيت القصيد ٤/٦٣.

ـ وله من اخرىٰ*:

١ مُـقَابَلٌ بَـيْنَ أَقْـوام وَأَلْـوِيَةٍ	مُـرَدَّدٌ بَـيْنَ إيـوانٍ وَديـوانِ[٣]
٢ إذا أَتَىٰ دارَهُ الأَضْـيافُ أَنْشَـدَهُمْ	«وَإِخْوتي أُسْـوَةٌ عِـنْدي وإِخْـواني»**
٣ يـا تَـرْجُمانَ اللَّـيالي عَـنْ مَـعاذِرِها	وَحُـجَّةَ الزمـن الباقي عـلى الفـاني[٤]
٤ يا أَبْحَثَ النّاسِ عَنْ شِعْرٍ وعَـنْ كَـرَمٍ	يـا مُـورِثَ الطَّـبْعِ إحْسـاناً بـإِحْسانِ
٥ يـاتَارِكي مُنْشِداًمَنْ ظَلَّ يَحْسُدُني	«لَيسَ الوقُـوفُ عَلَىٰ الأَطْـلالِ مِنْ شاني»[٥]
٦ طَـلَّقْتُ بَـعْدَكَ مَـدْحَ النّـاسِ كُـلِّهِمُ	فَـإِنْ أُراجِـعْ فَـإِنّي مُحْـصَنٌ زاني

---

١. وردت في تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام كلمة «الاحشاء» بدل «الاجفان».

ووردت في حماسة الظرفاء كلمة «ذهب» بدل «مضت» وكلمة «فانبرىٰ» بدل «فالتقىٰ» وكلمة «في الخدّين» بدل «في الاجفان».

اما في اعيان الشيعة فوردت كلمة «بان» بدل «مضت» وكلمة «يلتقيان» بدل «يزدحمان».

٢. وردت في اعيان الشيعة كلمة «بفجيعتين» بدل «بمودّعين».

وانصفتني: انصف: عدل؛ رميتني: نزلت بي؛ مودّعَيْن: يقصد الشبيبة والحبيبة.

*. يبدو من مراجعة البيتين ١٣ و ١٤ ان هذه القطعة في مدح الصاحب بن عباد.

٣. وردت في الافضليات كلمة «مردَّد» بدل «مردَّد» وأظنها الأصح.

**. المصراع الثاني لابي تمام وشطره الاول «ذو الودّ مني وذي القربىٰ بمنزلةٍ» راجع شرح ديوان ابي تمام ص ٣١٤.

٤. ورد البيت الاول والثالث والسادس فقط في الافضليات وجاءت كلمة «مقادرها» بدل «معاذرها».

٥. هذا المصراع لعبد الله بن عمار الرقي.

٧ وكيفَ أَمدَحُهُم والمَدْح يَفْضَحُهُم إنَّ المُسَبِّبَ للجاني هُوَ الجاني
٨ قَوْمٌ تَراهُم غضابىٰ حينَ تُنْشِدُهُمْ «لكنَّهُ يَشْتهي مَدْحاً بِمَجّانِ»[1]
٩ وَرَابني غَيْظُهُم في هَجْوِ غَيْرِهِمْ وَإنَّما الشِّعْرُ مَغصوبٌ بِعُثْمانِ
١٠ ماكُلُّ غانِيَةٍ هِنْدٌ كما زَعَموا وَرُبَّما سُبَّ كَشْحانٌ بِكَشْحانِ[2]
١١ فَسَوْفَ يَأتيكَ مِنّي كُلُّ شارِدَةٍ لَها مِنَ الحُسْنِ والإحْسانِ نَسْجانِ
١٢ يَقولُ مَنْ قَرَعَتْ يوماً مَسامِعَهُ قَدْعَنَّ حَسّانُ في تَقْريظِ غَسّانِ
١٣ الوَشْيُ مِنْ أصبهان كانَ مُجْتَلَباً فاليومَ يُهدَى إلَيْها مِنْ خُراسانِ
١٤ قَدْ قُلتُ إذْ قيلَ اسماعيلُ مُمْتَدَحٌ لَهُ مِنَ النّاس بَخْتٌ غَيْرُ وَسْنانِ[3]
١٥ «الناسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَمْدَحُوا رَجُلاً حَتّىٰ يَرَوا عِنْدَهُ آثارَ إحْسانِ»[4]

« ٢٢٥ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٦.

ـ وله أيضاً:

١ أَبو زَيْدٍ فَتىً حُرٌّ، ولكِنْ لَنا في أَمْرِ ذاكَ الحُرِّ ظَنَّهْ
٢ أَراهُ يَشْتري الغِلمانَ سُوداً عَفاريتاً فَيوهِمُني بِأنَّهْ[5]

« ٢٢٦ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٦٣.

---

١ ـ البيت كله تضمين وقد ورد هذا البيت فقط في الدر الفريد وبيت القصيد ٤/٦٣ منسوباً الىٰ الطبرخزميّ، وهي نسبة اخرىٰ ينسب بها الخوارزمي، وشطره الاول «عثمان يعلم ان الحمد ذو ثمن» ولكن وردت كلمة «حمداً» بدل «مدحاً».

٢. الكشحان بكشحان: حقد بحقد وعداوة بعداوة.

٣. بخت: حظ، وسنان: غافل، والوسن: النعاس الذي يسبق النوم.

٤. البيت كله تضمين. وجاء في كتاب الادب العربي وتاريخه لمحمد هاشم عطية ص ١٤٥ كلمة «مالم يروا عنده» بدل «حتىٰ يروا عنده».

٥. اي بأنه معروف بهذه الخلة، فقطع واستغنىٰ عن ذكر ما ألغز.

ـ وله من قصيدة يرثي بها أبا الحسن المحتسبي:

١ وَصَاحِبٍ لِيَ لَوْ حَلَّتْ رَزِيَّتُهُ ... بالطَّيْرِ ما هَتَفَتْ يَوْماً عَلَى فَنَنِ[1]
٢ عاشَرْتُهُ عِشْرَةً لَوَ أَنَّها وَقَعَتْ ... بَيْنَ الضُّحَىٰ والدُّجَىٰ سارا عَلَىٰ سَنَنِ[2]
٣ حَتَّىٰ إذا نِلْتُ سُؤْلي مِنْ مَواهِبِهِ ... وَصادَني بِشِباكِ الوَصْلِ والمِنَنِ[3]
٤ ثَكِلْتُهُ بَعْدَما سارَتْ مَحاسِنُهُ ... في العَظْمِ واللَّحْمِ سَيْرَ الماءِ في الغُصنِ[4]
٥ يا دَهْرُ أَثْكَلْتَني حَتَّىٰ أَبا الحَسَنِ ... لَقَدْ أَمِنْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مُؤْتَمَنِ
٦ وَصِلْتَ سَهْمَكَ مِنِّي يَوْمَ قَتْلِكَهُ ... في مَقْتَلِ القَلْبِ لا في مَقْتَلِ البَدَنِ
٧ جَمَعْتَ ضِدَّيْنِ مِنْ خُرقٍ وَمِنْ أَدَبٍ ... بَطْشَ الجَهُولِ وَمَكْرَ العاقِلِ الفَطِنِ[5]
٨ قَدْ كنتُ أَعْجَبُ لِمْ أَخَّرتَ مِنْ أَجَلي ... فالآنَ أَدْري لِماذا كُنْتَ تَذْخَرُني
٩ وَلَمْ يَكُنْ في الوَرَىٰ ذا مَنْظَرٍ حَسَنٍ ... في مَخْبَرٍ حَسَنٍ إلّا أَبو حَسَنِ

«٢٢٧»

التخريج: اليتيمة ٢٧٣/٤

ـ وله في وصف الخمرة:

١ عُزِلَ الوَرْدُ عَنْ أُنوفِ النَّدامىٰ ... وأَتَتْنا ولايَةُ الرَّيْحانِ
٢ فاقْضِ حَقَّ الرَّيْحانِ بالرّاحِ فالرَّيْحانُ والرّاحُ في الوَرَىٰ أَخَوانِ
٣ وانْدُبِ الوَرْدَ وابْكِهِ بِدُموعٍ ... مِنْ دُموعِ الأَقْداحِ لا الأَجْفانِ

«٢٢٨»

---

١. الفنن: الفرع من الشجر وجمعه أفنان. ٢. السنن: الشريعة والحدود.
٣. المنن: الانعام.
٤. وردت في كتاب بديع الزمان الهمذاني لمصطفىٰ الشكعة ص ١٠٠ كلمة «صارت» بدل كلمة «سارت». واظن ان سارت هي الاصح لورود المفعول المطلق منها في المصراع الثاني.
٥. الخرق: الجهل والطيش.
المكر: حسن التدبير.

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧١؛ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤١٢؛ نسمة السحر ٢/٣٧٢؛ الحيوان في الادب العربي ١/١٥٧.

ـ وله من اخرىٰ في نكبة المزني:

١ قَتْلُ المَواجِرِ والعَجائِبِ جَمَّةٌ شَيخ المشايخ بَلْ فَتَىٰ الفتيانِ

٢ لا تَعْجَبوا مِنْ صَيْدِ صَعْوٍ بازياً إنَّ الأُسودَ تُصادَ بالخِزْفانِ[1]

٣ قَدْ أَغْرقَتْ أملاكَ حِمْيَرَ فَأْرَةٌ وبَعُوضَةٌ قَتَلَتْ بَني كَنْعانِ[2]

« ٢٢٩ »

التخريج: اليتيمة ٤/٢٧٤.

ـ وله:

١ سَقانيَ الوَجْهُ الحَسَنْ كَأْساً فَخَلَّيْتُ الرَّسَنْ[3]

٢ وَصَارَ عِنْدي حَسَناً قَتْلُ الحُسَيْنِ والحَسَنْ

« ٢٣٠ »

التخريج: رسائل ابي بكر الخوارزمي ٧٠.

ـ وله في رسالة بعثها الىٰ رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيره اليه:

١ مَتَىٰ يكونُ الّذي أرجو وآمُلُهُ أَمّا الّذي كُنْتُ أَخْشاهُ فَقَدْ كانا

---

١. الصّعو: العصفور الصغير.

٢. ورد البيتان ٢ و ٣ فقط في ثمار القلوب طبعة دار المعارف وصدرهما الثّعالبي بهذه العبارة «وانشدني الخوارزمي لنفسه من قصيدة له في ماس الحاجب الذي سعىٰ في قتل ابي الحسن المَرْزُباني».

كما ورد البيتان فقط في نسمة السحر تحت عبارة «ومن شعره في الوزير القاسم المرزباني لما قبض عليه». وجاء البيتان أيضاً في كتاب الحيوان في الادب العربي.

ويعني فأرة العرم والبعوضة التي يروى أنها دخلت في انف نمرود بن كنعان وكان بها حتفه.

٣. الرّسن: الحبل، وما كان من الازمة علىٰ الانف. ويريد هنا انه تحرر من كل قيد.

« ٢٣١ »

التخريج : رسائل ابي بكر الخوارزمي ٧٤.

ـ وله في رسالة كتبها الىٰ يزيد صاحب سمرقند :

١ قُـولا لِمَـوْلاي في الدُّنـيا وفي الدِّيـنِ　　الحـــمدُ لِـــلّهِ حَـــتىٰ أَنْتَ تَجْـفوني[1]

« ٢٣٢ »

التخريج : رسائل ابي بكر الخوارزمي ٨٨.

ـ وله في رسالة كتبها الىٰ ابن سهل سعيد بن عبدالله الكاتب[2] :

١ لَمْ تَـــزَلْ تَجْـهَلُ الخِـيانَةَ حَـــتّىٰ　　عَـــلَّمَتْكَ الأَيّـــامُ كَـيْفَ تَخُـونُ

« ٢٣٣ »

التخريج : رسائل ابي بكر الخوارزمي ٩٠.

ـ وله في رسالة كتبها الىٰ ابن سهل سعيد بن عبدالله الكاتب[3] :

١ صَوْمانِ صَـوْمُ نَـوَىٰ وَصَـوْمُ عِـبادَةٍ　　أَنّىٰ يَـــعيشُ فَـــتىً لَـهُ صَـوْمانِ

« ٢٣٤ »

التخريج : رسائل أبي بكر الخوارزمي ٢٠٤.

ـ وله في رسالة كتبها الىٰ علي بن كامة :[4]

---

١. يقول الخوارزمي في رسالته المذكورة «وصرت انا قض ابن المعتز في شعره» اذ قال عبدالله بن المعتز :

قـولا لمكـتوم يـا خـير البسـاتين　　الحـمد الله حـتىٰ أنت تجـفوني

قـد كـنت مـتظراً هـذا فجئت بـه　　وليس خـلق عـلى غـدر بمأمـون

٢. يعاتب الخوارزمي ابن سهل لتأخره عن الكتابة اليه وظن به الظنون وينشده هذا البيت ثم يعتذر اليه قـائلاً: فويلي ان لم يعف سيدي عني ولم يغفر لي ما بدر مني ...».

٣. اختتم الخوارزمي رسالته المذكورة بهذا البيت وقد عارض به الخليع الشامي حيث يقول :

سكـران سكـر هـوىً وسكـر مـدامـةٍ　　أنّىٰ يـفيق فـتىً بـه سكـران

راجع اليتيمة ٣٢٣/١، وجاء المصراع الثاني في الرسائل بهذا الشكل «فتىً يعيش فتىً له صومان».

٤. قال الخوارزمي هذين البيتين في معرض حديثه عن رضاع اللبن ورضاع الشراب والفرق بينهما.

١ أَقْرِ السَّلامَ عَلَى الأَمِيرِ وَقُلْ لَهُ إِنَّ المُنَادَمَةَ الرِّضَاعُ الثانِي
٢ إِنَّ المُنَادَمَةَ الَّتِي نَادَمْتَنِي رَفَعَتْ عِنَانِي فَوْقَ كُلِّ عِنَانِ

« ٢٣٥ »

التخريج: رسائل ابى بكر الخوارزمي ٢١١.
ـ وله مفتتحاً رسالة كتبها الىٰ قاضي سجستان حين نكبه اميرها:

١ إِذا ما الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُناسٍ كَلاكِلَهُ أَناخَ بآخَرِينا
٢ فَقُلْ للشّامِتِينَ بِنا أَفِيقوا سَيَلْقَ الشّامِتونَ كَما لَقِينا[1]

« ٢٣٦ »

التخريج: محاضرات الادباء ٣/٢٤٤.
ـ وله حول غلام تشير اليه الرجال والنساء لخسّته:

١ مُؤَنَّثُ الدَّلِّ إِلّا أَنَّهُ ذَكَرٌ لِمُسْلمٍ وابْنِ هاني فيهِ شَرطانِ[2]

« ٢٣٧ »

التخريج: التمثيل والمحاضرة ٣٦٤.
ـ وله في وصف الطائر:

١ عَلْقٌ غَدا بَيّاعُهُ مُبْتاعَهُ لِهَوانِهِ[3]

← وعلي بن كامة هو ابن اخت ركن الدولة البويهي وهو الذي أوصل الخوارزمي الىٰ خاله فقد وصفه ابو بكر في رسائله بأنه صديق شبيبته (الرسائل، ص ٢٠٣).

١. اعتبر الدُّد في كتابه «ابو بكر الخوارزمي» ص ٧٩ هذين البيتين للخوارزمي قائلاً «ومن استعاراته قوله ...».
واعتبرتهما هند حسين طه في كتابها «الادب العربي في اقليم خوارزم» ص ٢٠٢ للخوارزمي أيضاً. كما نُسبا الىٰ الخوارزمي في كتاب «المنتخب من ادب العرب» ٢/٣٤.

٢. الدَّلُّ: الغُنج والشَّكل.
ومسلم وابن هاني: اشارة الىٰ مسلم بن الوليد صريع الغواني، والىٰ أبي نواس الحسن بن هاني.

٣. جاء في لسان العرب، علق بالشيء علقاً وعلقة: نشب فيه. وقال اللحياني: العلق: النشوب في الشيء. واعلق الحابل: أي علّق الصيد في حبالته أي نشب. والعلق: النفيس من كل شيء. والعَلَق: الجمع الكثير.

٢ كَالفَرْخِ لَمْ يخطبْ فَصا ... رَ أَبُوهُ مِنْ أَخْتانِهِ[1]

«٢٣٨»

التخريج: معجم الادباء ١٩٣/٢؛ مجتمع الهمداني من خلال مقاماته ١٢.

ـ وله في رسالة الىٰ بديع الزمان الهمذاني:

١ رَجُلٌ يَوازِنُكَ المَوَدَّةَ جاهِداً ... يطغي وَيَأْخُذُ مِنْكَ بالميزانِ

٢ فإذا رَأىٰ رُجْحانَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ ... مالَتْ مَوَدَّتُهُ مَعَ الرُّجْحانِ

«٢٣٩»

التخريج: الدر الفريد وبيت القصيد ٢٦٢/٣.

ـ وله:

١ خَليليَّ هَلْ بالشّامِ عَيْنٌ حَزينَةٌ ... تُبكّي عَلَى لَيْلىٰ لَعَلّي أُعينُها

٢ قَدْ أَسْلَمها الباكونَ إلا حَمامَةٌ ... مُطَوَّقَةٌ بانَتْ وَبانَ قَرينُها

٣ تُجاوِبُها أُخْرىٰ عَلَى خَيْزُرانَةٍ ... يَكادُ يُدانيها مِنَ الأَرْضِ لِينُها

«٢٤٠»

التخريج: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ٣١١.

ـ وله:

١ لِمْ لا أُجانِسُ دَهْري في تَقَلُّبِهِ ... لِمْ لا أُبادِلُ إِنْساناً بِإِنْسان

٢ لِمْ لا أُحاكي حَبيباً في مَقالَتِهِ ... ما اليومُ أَوَّل تَوديعي ولا الثاني

٣ لِمْ لا أُقارِضُ ما قَدْ قالَهُ حَسَنٌ ... «وَصْلاً بِوَصْلٍ وَهجراناً بِهِجْرانِ»[2]

---

١. خاتنه: تزوج اليه. والختن: زوج البنت أو الاخت: كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ أو من كان من قبل الزوج كالاب والاخ والعم ومن كان من جهة المرأة جميعهم اختان.

٢. هذا المصراع لابي نواس وكلمة «حسنٌ» الواردة في البيت اشارة اليه وما قاله ابو نواس هو:

يا مَن يبادِلُني عِشْقاً بسُلوانِ ... أَمْ مَنْ يُصَيِّرُ لي شغلاً بإنسانِ

←

«٢٤١»

التخريج: عيون التواريخ ١٠/١٣٢؛ الوافي بالوفيات ٣/١٩٥؛غرر الخصائص الواضحة ٥٦.

ـ وله:

١ وَمَـــا خُـــلقَتْ كَـفَّاك إلّا لأَرْبَـع ... عَـــوايـدَ لَمْ تُخْـلَقْ لَهُـنَّ يـدانِ[1]

٢ لِـــتَقْبيلِ أَفْـــواهٍ وَتَـبْديدِ نـايِلٍ ... وَتَـــقْليبِ هِـــنْديٍّ وَجَـــرِّ عِنَانِ[2]

«٢٤٢»

التخريج: المنتخب من كنايات الادباء وارشادات البلغاء ٥١.

ـ وله في التعريض به:

١ أَبـــو بكـــرٍ هُـــوَ اللّـــوطيُّ حَـقاً ... ولكـــنْ رُبَّمـــا لَحِـــقَتْهُ ظَـــنَّهْ

٢ أَراهُ يَـــبْتَغي الغِـــلْمانَ ســـوداً ... عَـــفاريتاً فَـــيوُهِمُني بِأَنَّـــهْ[3]

«٢٤٣»

التخريج: اليتيمة ٢/٤٢٨.

← كـيما اكـون له عـبداً يـقارِضُني ... وصـلاً بـوصلٍ، وهـجراناً بهـجرانِ

والمقارضة: المجازاة، ويقارضني: يجازيني. راجع ديوان ابي نواس ص ٦٤٨.

١. وردت في غرر الخصائص الواضحة كلمة «عوائد» بدل «عوايد».

٢. ورد البيت الثاني في غرر الخصائص الواضحة بهذا الشكل:

لشكـــرك افـــواه وتـــنويل نـــائل ... وتـــغليب هـــندي واخـــذعنان

وقد ورد في نفح الطيب للمقرى التلمساني ٣/٤٣٥ بيتان نسبهما الى ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) قالهما في المدح وهما:

ومـــا خُـــلقت كـــفاك إلّا لاربـــع ... عـــقائل لم تُخـــلق لهُـــنّ يـــدان

لتـــقبيل أفـــواهٍ، واعـــطاء نـــائلٍ ... وتـــقليب هـــندي، وحـــبس عـــنان

ويبدو ان الخوارزمي قد اخذ معنى البيتين واكثر الفاظهما وتصرف في البعض القليل الآخر.

٣. أي بانه معروف بخلة سوء فقطع واستغنىٰ عن ذكر ما ألغز.

وهذه القطعة قريبة في الفاظها ومعانيها من القطعة «٢٢٥».

ـ وله في من زعم انه ابن نصر بن احمد الخبز أرزي[1]:

١ يَـــقُولُ نَـــصْرٌ أَبي فَـــقُلْتُ لَهُـــمْ   عِـــنْدي بِهـــذا شَهـــادَةٌ حَسَـــنَهْ
٢ نَـــعَمْ ولكـــنْ أُمُّـــهُ حَمَـــلَتْ   مِـــنْ بَـــعْدِ مـــا مـــاتَ شَـيْخُهُ بِسَـــنَهْ

« اليـاء »

« ٢٤٤ »

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي ٩٦.

ـ وله في رسالة كتبها الىٰ تلميذ له:

١ أُحِـــبُّكَ مـــا لَـــوْ كـــانَ بَـــيْنَ مَـــعاشِرٍ   مِـــنَ النّـــاسِ أَعـــداءٌ لَجَـــرَّ التّـــصافِيا

« ٢٤٥ »

التخريج: التمثيل والمحاضرة ٢٣٧.

ـ وله:

١ قَـــدْ يُـــبْصَرُ الخَـــفِيُّ في الجَـــلِيِّ   كـــالغَيْثِ يُـــلْقَ وَهْـــوَ في الحَـــبِيّ[2]

« ٢٤٦ »

التخريج: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١٩٨[3].

ـ وقال ابو بكر الخوارزمي يهجو أبا طاهر الكرماني الكاتب:

---

١. كان نصر بن احمد الخبز أرزي شاعراً امياً وكانت حرفته خبز الارز في دكانه بمربد البصرة ويحكى انه ما كشف قناع العزبة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث وشعره شاهد بذلك. فمن النوادر أنّ شاعراً يكنّى بزعمه ابا طاهر انتمىٰ اليه وورد نيسابور باشعار تناسب دعوته فقال فيه ابو بكر الخوارزمي هذين البيتين. راجع اليتيمة ٤٢٨/٢ ـ ٤٢٩.

٢. الحبيّ: السحاب الكثيف الذي يدنو من الارض.

٣. ورد هذا البيت في ثمار القلوب طبعة دار نهضة مصر ودار المعارف ص ٢٤٧.

١ واللهِ لا فَــــارَقَتْ كَـــفِّي قَــفاهُ ولَمْ يَــنْسِخْ أَبــو قَــلَمونٍ في نَــواحِـيهِ[1]

« ٢٤٧ »

التخريج: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١٣٦.

ـ وله:

١ رُبَّ لَـــيْلَةٍ كَـــطَلْعَةِ النّــاصِبِيِّ ذي نُجـــومٍ كَـــحُجَّةِ الشّـــيعِيِّ[2]

« ٢٤٨ »

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي ٨٦.

وله في رسالة كتبها الىٰ وزير صاحب خوارزم:

١ لَوْ كُنْتُ أُهدي عَـلَى قَـدْري وَقَـدْرِكُمْ لَكُــنْتُ أُهـدي لَكَ الدُّنـيا ومـا فـيها

« ٢٤٩ »

التخريج: محاضرات الادباء ٣/٣٥٥.

ـ وله حول ذم من حَسُن لباسه ولؤم فعاله وخلقه:

١ أَبـــو سَـعْدٍ لَـهُ ثَـوْبٌ نَـفيسٌ ولكـــنْ تَحْتَ ذاكَ الثَّــوْبِ عُــرْيَهْ

٢ فَـــإِنْ جــاوَزْتَ كِسْــوَتَهُ إِلَــيْهِ فَـــلَيْسَ وَراءَ عَـــبّادانَ قَـــرْيَهْ

« ٢٥٠ »

التخريج: اليتيمة ٣/٣٢٧.

---

١. (ابو قلمون): هو في الثياب كأبي براقش في الطير. فان ابا قلمون يتلوّن وابا براقش يتخيلّ. وابو قلمون: كنية لثياب إبريسم وكتان تُنسج بالروم ومصر يضرب بها المثل، يقال اكثر تلوناً من أبي قلمون كما قال الشاعر:

انـــا ابـــو قَــلَمونْ في كـــلِّ لونٍ اكـــونْ.

وفي بيت الخوارزمي تشبيه لما تتركه كفه من آثار على قفاخصمه.

٢. يُشبّه الليلَ بطلعة الناصبي معتنق المبادى المائلة عن الحق ويشبه النجوم اللامعة بحجة الشيعي معتنق المبادئ الصحيحة الوضاءة.

والشيعة تصف وجه الناصبي بالسواد ويُشبّه به كلّ شديد السواد

راجع ثمار القلوب طبعة دار المعارف ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

ـ وقال ابو بكر الخوارزمي في هجاء الصاحب بن عباد:

١ صــــاحِبُنا أَحــــوالُــــهُ عــالِيَهْ لكـــــنَّا غُـــــرفَتُهُ خــــالِيَهْ

٢ وإنْ عَــــرَفْتَ السِّرَّ مِــــنْ دائِــهِ لَمْ تَسْأَلِ اللهَ سِــــوَى العــــافِيَهْ

«٢٥١»

التخريج: الكشكول ٢/١٢٥٥.[1]

ـ وله:

١ أَيَّ خَيْرٍ يَـرْجو بَـنُو الدَّهْـرِ في الدَّهـ ـــــرِ ومـــازَالَ قــــاتِلاً لِــبَنيهِ

٢ مَــنْ يُــعَمَّر يُــفْجع بِمَـوتِ الأخِـلّا ءِ وَمَــــنْ مـــاتَ فــالْمُصيبَةُ فـيهِ

---

١. ورد هذا البيتان في معاهد التنصيص ١/٢٣٠ منسوباً لمحمد بن وهيب بهذا الشكل:

أيَّ خــيرٍ يــرجــو بــنو الدهــر مـــازال قـــاتلاً لِـــبَنيه

مـــن يُــعمَّر يُــفجع بــفقد الاحــبّا ءِ ومـــن مـــات فـــالمصيبة فــيه

ومحمد بن وهيب شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية واصله من البصرة وكان يتشيع وله مراثٍ في اهل البيت [معاهد التنصيص ١/٢٢٠؛ الاغاني، ١٩/٧٣ـ٩٦].

ملحق

بما يشكّ في نسبته للخوارزمي

«١»

التخريج: اليتيمة وفيات الاعيان ٥/١٤٠[1].

ـ وله:

١ أيُّها الرَّبْعُ لِمْ عَلاكَ اكْتِئابُ   أينَ ذاكَ الحِجابُ والحُجّابُ

٢ أَيْنَ مَنْ كانَ يَفْزَعُ الدَّهْرِ مِنْهُ   فَهُوَ اليومَ في التّرابِ تُرابُ

٣ قُلْ بلا رَقْبَةٍ وَغَيْرِ احْتِشامٍ   ماتَ مُولايَ فاعْتَراني اكتِئابُ

«٢»

التخريج: ٤/٢٣١[2].

١ ما أَعْلَمَ الناسَ أَنَّ الجودَ مَكْسَبَةٌ   لِلْحَمْدِ لكنَّهُ يَأْتي عَلَى النشبِ[3]

---

١. قيل ان هذه الابيات للصاحب بن عباد وقيل انها لابي العباس الضبي.

٢. ذكر الثعالبي هذا البيت ضمن ذكره لنثر يعود الى الخوارزمي تحت عنوان «في ذكر إلا ولولا» ولم يعلق بأنه له او لغيره ولكن السياق يدل على انه للخوارزمي.

٣. النشب: المال من نقد وحيوان.

« ٣ »

التخريج: اليتيمة ٢/٤٢٥.

ـ قال ابو بكر الخوارزمي يهجو المفجّع[١]:

١ إنَّ المُـــفَجَّعَ فَـــالْعَنُوهُ مُـــؤَنَّثٌ نَــغْلٌ يَــدينُ بِــبُغْضِ أَهْــلِ البَـيْتِ[٢]

٢ يَهْــوىٰ العَــلوقَ وإِنَّمــا يَــلْقاهُمُ بِمُــؤَخَّرٍ حَــــيٍّ وقُـــبْلٍ مــيِّتِ[٣]

« ٤ »

التخريج: رسائل أبي بكر الخوارزمي: ١١٩.

ـ وله:

١ ولا وِســـادَ عَـــلَى سَمِّ الأَســـاوِدِلِي «ولا قَـــرارَ عَـــلَى زَأْرٍ مِـــنَ الأَسَـدِ»[٤]

« ٥ »

التخريج: الحماسة الشجرية، ١٤٣ ـ ١٤٤.

---

١. هو ابو عبدالله الكاتب ويلقب بالمفجع البصري، وله مصنفات كثيرة وهو صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة في التأليف والاملاء. راجع اليتمية: ٢/٤٢٤.

وحكى ابو بكر الخوارزمي قال: قال لي اللحام: انشدني المفجع لنفسه [من الخفيف]:

لي ايـــرٌ اراحـــني الله مـــنهُ صـــار همـي بـه عـريضاً طـويلا

نـــام اذ زارني الحـــبيب عـــناداً ولعـــهدي بـــه يـــنيك الرسـولا

حَشَـــبتُ زورةٌ عـــليّ لحـــيني فـــافترقنا ومـــاشفينا غـــليلا

فقلتُ فيه [البيتين أعلاه] ولا ندري هل تاء الضمير ترجع الىٰ اللحام أم الىٰ ابي بكر الخوارزمي ويمكن انها للخوارزمي لانه معروف بشيعيته ومعاداته لمبغضي أهل البيت. ولكن المفجع كان شيعياً أيضاً (معجم الادباء ١٧/١٩١) وقد توفي قبل ٣٣٠هـ اذن فالارجح ان يكون البيتان للحام على هذا الاساس.

٢. النغل: ابن الزنىٰ. ٣. العلوق: الاولاد.

٤. المصراع الثاني للنابغة الذبياني وصدره «أُنبئتُ ان أبا قابوس اوعدني»

راجع، ديوان النابغة، تحقيق كرم البستاني، ص ٣٦.

وربما يكون المصراع الاول له على الرغم من انه لم يشر الىٰ ذلك عندما اورد هذا البيت في رسالته الىٰ أبي علي البلعمي.

ـ وقال ابو العباس الطبري [قلت لعله : ابن العباس] :

١ العِـــزُّ ضَـــيْفٌ لايَـراهُ بِـرَبْعِهِ مَـنْ لا يَـرىٰ بَـذْلَ التِـلادِ تِـلادا

٢ والجـودُ أَعْـلىٰ كَـعْب كـعبٍ قَـبْلَنا فَـقَضىٰ جَـواداً حـينَ مـاتَ جَـوادا

« ٦ »

التخريج : محاضرات الادباء ٣٤/٣.

وله في باب العيادة[1] :

١ إنْ كُـنْتُ في تَـرْكِ العـيادةِ تـاركاً حَـظّي فَـإنّي في الدُّعـاءِ لَجـاهِدُ

٢ وَلَـرُبَّما تَـرَكَ العـيادةَ مُشْـفِقٌ وأَتَىٰ عَـلىٰ غِـلِّ الضَّـميرِ الحـاسِدُ

« ٧ »

التخريج : الامثال ٢٧٢.

وله :[2]

١ أرى عَـهْدَها كـالوَرْدِ لَـيْسَ بِـدائمٍ ولا خَـيْرَ فِـيمَنْ لا يَـدُومُ لَـهُ عَـهْدُ

« ٨ »

التخريج : رسائل أبي بكر الخوارزمي، ٦٣؛ ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا ٣٦٦/٢؛ غرر الخصائص الواضحة (بولاق) ٤٦٦ و(القاهرة) ٢٩٥.

---

١. ورد هذان البيتان كذلك في بهجة المجالس وأنس المجالس ـ المجلد الاول من القسم الاول، ٢٦٢ ـ غير منسوبين، كما وردا في عيون الاخبار لابن قتيبة ٤٦/٣ غير منسوبين ايضاً. ومجئ هذين البيتين في عيون الاخبار يدل علىٰ انهما ليسا للخوارزمي وما ورد في محاضرات الادباء كان اشتباهاً لان ابن قتيبة قد توفي سنة ٢٧٦ هو والخوارزمي بعد لمّا يولد.

٢. هذا البيت في الاغاني ٩٣/٢٠ واحد من ستة ابيات؛ وخاص الخاص: ١١٦ منسوب لابي عيينة (محمد بن ابي عيينة بن المهلب بن ابي صفرة) في (دنيا) التي كان يُشبِّبُ بها وقد زوّجت وبلغه انها تهدى الىٰ زوجها. في حين يرىٰ محقق كتاب الامثال أنه للخوارزمي ويستدل بالكناية التي استخدمها الخوارزمي عن نفسه بـ «عبيد الله» كما فعل في مكان آخر من كتاب الامثال.

ودنيا هي فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مَرْد بن عثمان بن قبيصة اخي المهلب (الاغاني: ٩٤/٢٠).

ـ وله في رسالة كتبها الىٰ وكيل الوزير ابن عباد بأصفهان وقد ولي سوق الطعام بعناية وهو أمّي:[١] و[٢]

١ كَفَىٰ حَزَناً أنْ لا صَديقٌ ولا أخٌ ... يُفيدَ غِناءً لا يُداخِلُهُ كِبْرُ
٢ وإلّا ٱلْتَوىٰ أوْ ظَنَّ أنَّكَ دُونَهُ ... وَتِلْكَ الّتي جَلَّتْ فَما عِنْدها صَبْرُ
٣ فَلا نالَ فَوْقَ القوتِ مِثْقالَ ذَرَّةٍ ... صَديقٌ ولا أوفىٰ عَلىٰ غَيْرِه اليُسْرُ
٤ وماذاكَ إلّا رغبةٌ في وِصالِهِ ... وإلّا حذار أنْ يميلَ بِهِ الدَّهْرُ

«٩»

التخريج: الوافي بالوفيات ١٩٥/٣.

ـ وكان الخوارزمي يتعصب لآل بويه ويذم آل سامان وكان في أيام ياسر الحاجب وانهزامه الىٰ جرجان فبسط لسانه فيه وفي الوزير العتبي وبلغ العتبي عنه أنه قال:

١ قل للوزير أزال الله دولَتَهُ ... جزيتَ صرفاً علىٰ نوحِ بنِ مَنْصورِ

ولم يكن قال ذلك وانما قيل على لسانه.

«١٠»

التخريج: ابو بكر الخوارزمي، حياته وأدبه ٩٣[٣].

---

١. حول هذه الابيات يقول الخوارزمي في رسائله «.. اني قد كنت رويت ابياتاً والقلب غير مقسم الافكار... فلما عاملني سيدي فلان بما ذكرتُه ذكرتُها ...» ومن هذه العبارة يستنتج انها ليست له ولكن المصادر الاخرىٰ نسبتها اليه.

٢. وجاءت في ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا، الابيات ١ و ٣ و ٤ وانفردت الرسائل بذكر البيت الثاني. وجاء المصراع الثاني في البيت الاول بهذا الشكل «... يفيد غنىً إلا تداخَلَهُ كِبرُ». وجاء البيت الثالث كما يلي:

فما نال فوق القوت مثقالَ ذرة ... صديق ولا وافىٰ على عسره اليسرُ

ووردت الابيات ١ و ٣ و ٤ في غرر الخصائص الواضحة. وجاء المصراع الثاني من البيت الاول كما يأتي «يفيد غنىً الا يداخله كبر» كما ذكر المصراع الثاني من البيت الثالث بهذا الشكل «صديق ولا اوفىٰ علىٰ عسره يُسر». وورد المصراع الثاني من البيت الرابع بهذه الصورة «والاحذاراً ان يلم به العذر».

٣. اعتمد المؤلف في ايراد هذه الابيات على كتاب ثمار القلوب للثعالبي ص ٣٠٩ وعند الرجوع الىٰ المصدر المذكور ←

ـ ونحا الخوارزمي في هجاء ابي منصور الهروي منحىً جديداً. فقد اتهمه بأنه سرق كتاب العين وغيّر من معالمه وسماه كتاب تهذيب اللغة ونسبه لنفسه.

وهنا يتهم ابا منصور الهروي بالسرقة العلمية والادبية. يقول ابو بكر:

١ الازهـــــريُّ وَزَغَــــةْ ‏ ‏ ‏ ‏ وحُمــــقُهُ حُمْــــق دُغَـــةْ

٢ ويــــدّعي مِـــنْ جَـــهْلِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ كـــتابَ تهـــذيبِ اللّـــغَةْ

٣ وهــــو كـــتاب العــــين إلّا أنّـــــهُ قـــد صَـــبغهْ

« ١١ »

التخريج: محاضرات الادباء ١٦١/٣.

ـ ويُروَى للخوارزمي:

١ فَـــصادَرَهُم عَـــلَىٰ الارواحِ خــرقٌ ‏ ‏ ‏ ‏ إذا اَبْـــتاعوا الحـــياةَ فَـلا يَـــقيلُ

ويروى لعابدة المهلبية.

« ١٢ »

التخريج: محاضرات الادباء ١٥٨/٣.

ـ ويرویٰ للخوارزمي:

١ كَأَنَّ السّـــمرَ والزانـــات فـــيه ‏ ‏ ‏ ‏ نَخـــيلٌ قَـــدْ نحـــلن مِـــنَ الفَســـيل

ويروى لعابدة المهلبية.

« ١٣ »

← وجدنا الابيات وقد صدرها الثعالبي بهذه العبارة:

«انشدني الخوارزمي لبعض اهل عصره في أبي منصور الازهري الهرويّ:» ويبدو ان مؤلف الكتاب قد اخطأ في نسبة هذه الابيات للخوارزمي.

والوَزَغَة: سامٌّ أبرصَ للذكر والانثىٰ أو الوزغة للانثىٰ والوزغ للذكر (المعجم الوسيط ١٠٢٩/٢).

والدُّغَة: سوء خلق.

التخريج: محاضرات الادباء ١٥٩/٣.

وله حول الكتابة بالطعن والضرب:

١ كَتَبْتَ عَلَى وجوهِهِمُ سُطوراً غَرائِبَ حِبْرُهُنَّ دمٌ هَتولُ

٢ يُتَرْجِمُها الأعادي للأعادي وَيَقْرأُها عَلَى الحيِّ القتيلُ

٣ وَمالَكَ غيرُ جُمْجُمَةٍ رسولٌ ومالَكَ غيرُ صاحِبِها رَسيلُ

وتروىٰ هذه الابيات لعابدة المهلبية.

« ١٤ »

التخريج: المختار من شعر بشار، ٢٩٧[1].

ـ وله:

١ اذا ما ظَمِئْتُ إلىٰ ريقِهِ جَعَلْتُ المُدامَةَ مِنْهُ بَديلا

٢ وَأَيْنَ المُدامَةُ مِنْ ريقِهِ ولكِنْ أُعَلِّلُ قَلْباً عَليلا

« ١٥ »

التخريج: ديوان بديع الزمان الهمذاني ٧٧.

ـ وقيل إنَّ الخوارزمي نظم ابياتاً نسبها الىٰ بديع الزمان يُشيد فيها ببني أمية ويُفضّلهم على الشيعة وفيها يقول:

١ إمامي لا يُعادِلهُ إمامٌ تَواضَعَ تَحْتَ رايتِهِ الأَنامُ

٢ يَزِيدُ الخَيْرِ والسامي أَبوهُ أقاما الخَلْقَ طُراً فأسْتقاموا

٣ فَمَنْ يَكُ لائِمي في حُبِّ رهْطي فَإِنِّي في وَلائِي لا أُلامُ

٤ وَمَنْ يَفْخَر بآلِ أَبي تُرابٍ فآلي مِنْ أُمَيَّةَ والسَّلامُ[2]

---

١. لم يُنسب هذان البيتان في المصدر اعلاه ولكن المحقق قد نسبها في هامش ص ٢٩٦ الىٰ أبي بكر الخوارزمي اعتماداً علىٰ معاهد التنصيص ٢٢٧/١. وعند مراجعتي لمعاهد التنصيص باجزائه الاربعة لم اعثر على هذين البيتين.

٢. اقول من عجز هذا البيت يبدو أنّ القطعة للخوارزمي. اذ استعمل هذه الكلمة في قطع أخرىٰ بمثل هذا الاسلوب ←

«١٦»

التخريج: رسائل الخوارزمي، ٦٨.

ـ وكتب الىٰ تلميذ له رسالة وقصيدة[١]:

١ وفَارقْتُ حَـتّىٰ مـا أُبـالي مَـنِ آنْـتَوى وإنْ بـــانَ جـــيرانٌ عـــليٌّ كِــرامُ

٢ فَقَدْ جَعَلْتُ نفسي عَـلَى النَّأْي تَـنْطَوي وعَــيْني عَــلَىٰ فَــقْدِ الصَّــديقِ تَـنامُ

← (راجع ٣/١٨٠؛ ١٢/١٨٥؛ ٢/٢١٥). او إن الذي وضع هذه الابيات ونسبها الىٰ الخوارزمي قـد اسـتعمل اسلوب الخوارزمي نفسه.

١. من سياق عنوان الرسالة، يمكن ان نستدل علىٰ أنّ هذين البيتين اللذين ختم بهما الخوارزمي رسالته له وليسا لغيره.



الخلاصة باللغة الفارسية

ابو بکر محمد بن عباس معروف به خوارزمی (در گذشته ۳۸۳ هـ) شاعر، نویسنده و دانشمندی است که در جهان ادبیات عرب پرآوازه شد. کمتر کتاب یا پژوهشی است که دربارهٔ سومین دورهٔ ادبیات عصر عباسی، و یا به تعبیر بعضی دوران «دُول و امارات» پرداخته و دربارهٔ این شاعر دانشمند ـ که در دوران زرین تمدن اسلامی می زیسته ـ سخنی به میان نیاورده باشد. با این حال کنکاشها و پژوهشهای خاص دربارهٔ این شخصیت ادبی، انگشت شمار و چندان عمیق و استوار نبوده و جنبهٔ تفسیری و تحلیلی در آنها به چشم نمی‌خورد، که این امر با شهرت این اندیشمند وتوانمندیهای بی‌شمار ادبی او در نظم و نثر هیچگاه تناسب ندارد. از این رو، در این کتاب بر آن شدم تا سهمی در رفع این نقص به ویژه در زمینهٔ شعر وی داشته باشم.

این اثر مشتمل بر مقدمه و سه فصل است:

فصل نخست دربارهٔ عصر خوارزمی است که از سه قسمت تشکیل می شود:

در قسمت اول به بیان شرایط سیاسی دوران خوارزمی پرداخته، و در آن به این نتیجه می‌رسیم که در این دوره خلافت عباسی دچار ضعف شده و دولتها و حکومتهای گوناگونی در سراسر جهان اسلام به وجود آمده که فرمانبرداری آنها از دار الخلافهٔ عباسی شدت و ضعف داشت. این مسئله تا حدود زیادی باعث زوال شوکت خلافت عباسی گردید و شاعران را در انتقاد از این دولت گستاختر ساخت. از این رو به سادگی می توان به انگیزهٔ این شاعر در عدم مدح خلفای عباسی و انتقاد از آنان و نیز هجوشان پی برد.

از جملهٔ مهمترین دولتها و امیرنشینان همروزگار خوارزمی که بر شعر او تأثیر مثبت و منفی گذاشته‌اند، دولت سامانیان در خراسان و ماوراء النهر، دولت آل بویه در ایران و عراق، دولت بنی‌حمدان در شام و دولت زیاریه در طبرستان بوده است. در این فصل روشن

می‌شود که رابطهٔ خوارزمی شاعر با دولتمردان سامانی یکسان نبوده و به تناسب زمان و حکام وقت گاه بهبودی یافته و گاه تیره شده است. ولی عموماً وی چندان گرایشی به سامانیان نداشته و این امر را می توان در نامه‌ها و ابیات او به‌وضوح دریافت.

از سوی دیگر، خوارزمی زمانی کمتر از یک دهه را با دولت حمدانیان به سر برد. به نظر می رسد که روابط او با حاکمان، درباریان، دولتمردان، عالمان، شاعران ونویسندگان درباری، حسنه بوده است، و هیچ‌گونه سندی دال بر موضع‌گیری خوارزمی در مقابل این دولت و مخالفت با آن در دست نیست.

همچنین در این قسمت به این نتیجه می رسیم که خوارزمی با برخی از رجال دولت آل بویه، به ویژه در ایران ارتباط خوبی داشته است تا بدانجا که وی را به دلیل مناسبات حسنه با رجال آل بویه، متهم به جاسوسی به نفع آنان بر علیه سامانیان می کردند. علی‌رغم تیره شدن روابط خوارزمی و برخی از وزرای آل بویه همچون صاحب بن عبّاد، این تیرگی لطمه‌ای به گرایش وی به رجال این دولت وارد نساخت، زیرا آنان عامل اصلی نجات وی از نابسامانی اقتصادی بودند. نامه‌ها و اشعار خوارزمی خطاب به فرمانروایان آل بویه: رکن الدوله، عضد الدوله و فخرالدوله، و وزرای آل بویه: ابن العمید و صاحب بن عبّاد مؤید این گفته‌هاست.

در روزگار خوارزمی، دولت زیاریه از شکوه و جلال گذشته برخوردار نبود، زیرا نفوذ دولت آل بویه بر سرزمین زیاریان سایه افکنده بود، و این امر باعث شد که «قابوس بن وشمگیر» فرمانروای آل زیار به سامانیان پناه ببرد. با این‌همه خوارزمی روابط حسنهٔ خود را با وی حفظ کرد و وی را در ۳۳ بیت شعر ستوده است.

در قسمت دوم شرایط اجتماعی دوران خوارزمی مورد بررسی قرارگرفته است. در این دوران پدیده‌های اجتماعی بسیاری به چشم می‌خورد از جمله: اختلاف طبقاتی ناشی از رفاه اقتصادی حاکم بر سراسر کشور اسلامی، اختلافات مذهبی و نژادی، شیوع پدیدهٔ جشن عید نوروز و مهرگان و بزرگداشت آن دو، پیدایش مظاهر فساد و دوری از ارزشهای اسلامی، پدید آمدن مسئلهٔ خرید غلامان و به بیگاری کشیدن آنان و عشق‌ورزی به آنها. از سوی دیگر، درکنار اختلافات مذهبی و درگیری بین مسلمانان، پدیدهٔ تسامح با پیروان ادیان غیر اسلامی به‌وضوح به چشم می‌خورد، تا جایی‌که مسلمانان در جشنها و اعیاد غیر اسلامی مانند عید فصح شرکت می کردند. در چنین شرایطی به نظر می‌رسد که خوارزمی نسبت به جامعه و آفات اجتماعی و اخلاقی آن کاملاً بی تفاوت بود، زیرا از وی عکس العمل دیده

نمی شود که نشانهٔ انتقاد از این وضعیت و یا شرکت او در پدیده‌های متداول آن دوران باشد، جز فساد و گرایش به همجنس و تغزّل به مذکر که در آن هنگام به شدت رایج بود و او نیز دست کمی از دیگران نداشت. این پدیده آنچنان در آن زمان در میان طبقات گوناگون اجتماعی أعمّ از حاکمان و علما و ادبا شایع بود که بوی منافات با مبانی اخلاقی از آن به مشام نمی‌رسید.

در قسمت سوم، شرایط فرهنگی دوران خوارزمی مورد تجزیه و تحلیل قرار گرفته است. دراین قسمت آمده است که خوارزمی تحت تأثیر سه محیط مهم فرهنگی بوده است: نخست محیط خوارزم و بلاد ماوراء النهر، دیگری محیط حلب و بلاد شام، و سوم محیط عراق و ایران. به نظر می رسد که شرایط محیط حلب و شام بیشترین اثر را در رشد و تکامل استعدادهای ادبی و فکری او داشته، زیرا این محیط سرشار از عالمان، اندیشمندان، فیلسوفان، ادیبان وشاعران بوده است. در این زمینه ثعالبی گوید که خوارزمی خود نیز به این حقیقت اذعان دارد، ولی در نامه‌ها و اشعار خوارزمی اشاره‌ای به این محیط فرهنگی و رجال آن یافت نمی‌شود، هر چند که وی با بسیاری از شعرا و علمای آن محیط ارتباط داشته است.

همچنین خوارزمی با برخی از شعرا و ادبای خوارزم در تماس بوده و اشعار شماری از آنان را بازگو کرده است.

اما در محیط عراق، او نزد بعضی از علمای آن دیار به فراگیری علم پرداخت و در عین حال با شماری از شعرا و ادبای محیط فرهنگی ایران مرتبط بود.

به نظر می‌رسد که خوارزمی در دو محیط فرهنگی عراق و شام مانند متعلمی بود که سعی در رشد شخصیت علمی و ادبی خود داشت، به همین دلیل یا به دلایل ناشناختهٔ دیگری، در این دو محیط هیچ‌گونه اثر ادبی از وی بر جای نمانده است. محیط ایران و خراسان و ماوراء النهر برای ارائهٔ آثار منثور و منظوم مساعد بود و وی بیشترین آثار خود را در این دیار عرضه کرده است.

فصل دوم شامل زندگی خوارزمی است از تولد تا وفات. در این فصل آمده است که نام خوارزمی محمد بن عباس و کنیه‌اش ابو بکر و القابش به گونه‌ای که خود گفته است «طبری» و «خوارزمی» است. عده‌ای با ترکیب این دو لقب وی را طبرخزمی و سپس با حذف میم طبرخزی نامیده‌اند.

اما دربارهٔ تولد او، رأی راجح آن است که او در دههٔ دوم قرن چهارم هجری در شهر آمل خوارزم به دنیا آمده است. در این فصل نتیجهٔ قاطعی در اینکه خوارزمی خواهرزادهٔ محمد بن جریر طبری ویا محمد بن جریر بن رستم طبری است به دست نیامده، و ظنّ غالب که چون مادر خوارزمی از سرزمین طبرستان بوده، بنابراین می توان مردان طبرستانی را علی العموم، در حکم دایی خوارزمی شمرد.

همچنین در این رساله اثناعشری بودن مذهب خوارزمی احراز نگردید و با بررسی و پژوهشی نسبتاً عمیق در این موضوع از فحوای نامه‌هایش به دلایلی دست یافتیم که رجحان دارد او را شیعهٔ زیدی بدانیم. وی با شیعیان امامی اثناعشری روابطی خوب و نزدیک داشته و حتّی تا اندازه‌ای به آنان گرایش داشته است.

اما در خصوص خاندان خوارزمی اطلاعات چندانی در دست نیست، جز آنکه این خاندان در بدو امر مرفّه و ثروتمند بوده‌اند، ولی بعدها، فقر و تنگدستی بر آنان سایه افکنده است و تا واپسین روزهای زندگی دامنگیرشان بوده، تا آنجا که عضد الدوله صله‌های فراوانی به خوارزمی بخشید وموجب رفاه افراد خانوادهٔ او شد. از خانوادهٔ خوارزمی کسی را جز فرزندی به نام ابوالفضل، یا علی نمی‌شناسیم، و چه بسا این دو ـ چنانکه پیشتر گفته شد ـ نام و کنیهٔ یک تن می‌باشد.

با تحقیق به این واقعیت می رسیم که دو انگیزه خوارزمی را به سیر و سیاحت در بلاد واداشته است. نخست: رشد و تکامل شخصیت علمی ـ ادبی از طریق تعلم و یادگیری؛ دوم: دستیابی به صله و هدایا که وضع اقتصادی نابسامان او را بهبود بخشد.

همچنین در این فصل با شخصیتهایی که خوارزمی با آنها در ارتباط بوده وآنان را مدح یا هجو کرده، آشنا می شویم، همچون صاحب بن عبّاد که روایات مربوط به نحوه و مکان آشنایی خوارزمی با او موجود است. سمعانی نخستین کسی است که دربارهٔ این آشنایی سخن گفته است. وی می‌گوید که خوارزمی در این هنگام بیست نام برای سگ از بر داشته است، در حالیکه ابن خلّکان این عدد را پنج برابر دانسته است، و به همین مقدار قطعه شعرهایی در ذمّ و مدح سگ به آن افزوده است. ابن خلّکان در جای دیگری نیز نقل می‌کند که خوارزمی هنگام ورود بر صاحب بن عبّاد بیست هزار بیت شعر از مردان و همان مقدار از زنان را حفظ کرده بود. گفتنی است که هاله‌ای از شک و تردید این روایات را فراگرفته است چندانکه تصدیق آنها را دشوار و ناممکن می‌سازد.

همچنین در این فصل اشاره می شود که نمی‌توان منقولات بدیع الزمان همدانی را دربارهٔ مناظره‌اش با خوارزمی پذیرفت. ولی قدر مسلم آن است که این مناظره اثر نا مطلوبی بر روحیه و حیثیت خوارزمی گذاشته، و شاید بتوان گفت که یکی از عوامل مرگ زودرس خوارزمی همین مناظره بوده است.

فصل سوم به شعر خوارزمی اختصاص یافته است. در این فصل این نکته بر ما آشکار می‌شود که خوارزمی نه تنها یک شاعر بلکه عالمی است آشنا به اصول و دارای صفاتی است که هر شاعر باید به آنها آراسته باشد. ما توانستیم در این فصل آراء و عقاید خوارزمی را دربارهٔ انگیزهٔ شاعر در سرودن شعر بشناسیم. خوارزمی عقیده دارد که شعر باید از شعور و احساس سرچشمه بگیرد و از طبیعت و انگیزه‌های روانی آدمی و احساسات عاطفیش در برابر وقایع زندگی سخن بگوید. همچنین شعر باید به انسان و احساسات و مشکلات روحی او بپردازد.

خوارزمی با اعتقاد به لزوم حفظ اشعار عرب، وجود قوهٔ ابداع و ابتکار را در شاعر ضروری می‌داند.

ابوبکر خوارزمی دربارهٔ شیطان خویش سخن می‌گوید. او برای پاسخ به ندای قلب خویش می‌سراید و می‌نویسد و سپس برای اجابت خواستهٔ شیطان خود شعر و نثر خود را تهذیب و تنقیح می کند. او همچنین در بارهٔ صفاتی که شعرا به آنها متصفند سخن می گوید. وی نه تنها به اصول و فنون شعر احاطه دارد و برای شاعر برنامه ریزی درسی می‌کند، بلکه تاریخ ادبی شعر و حوادثی که بر شعر در طول تاریخ گذشته، و نیز درگیریهای فرقه‌ای و قومی که در شعر مصداق و تأثید داشته بخوبی می شناخت.

و در این فصل آشکار می شود که خوارزمی دیوانی داشته که به تدریج از بین رفته است، و آنچه در حال حاضر در دسترس ماست چیزی جز گزیده‌ای از شعر او نیست، که آن هم متناسب با اهداف گرد آورندگان آن و موضوعات مورد نظر آنان است.

با مطالعه و بررسی آثار ادبی بسیار، توفیق رفیق شد که ۲۵۱ قطعه شعر از خوارزمی به‌قرار زیر جمع آوری شود:

۵۵ قطعه تک بیتی.

۹۳ قطعه که هر یک از دو بیت تجاوز نمی کند.

۴۰ قطعه که هر کدام دارای سه بیت است.

١٤ قطعه كه هر كدام داراى چهار بيت است.

١٠ قطعه پنج بيتى.

١١ قطعه شش بيتى.

٣ قطعه داراى هفت بيت.

٤ قطعه داراى هشت بيت.

٦ قطعه داراى نه بيت.

دو قطعه يازده بيتى.

دو قطعه سيزده بيتى.

يک قطعه چهارده بيتى.

سه قطعه پانزده بيتى.

يک قطعه شانزده بيتى.

يک قطعه هفده بيتى.

يک قطعه هيجده بيتى.

يک قطعه بيست و دو بيتى.

يک قطعه بيست و چهار بيتى.

يک قطعه بيست و هفت بيتى.

يک قطعه سى و شش بيتى.

و اين بدين معناست كه حدود ٧٥ درصد مجموع قطعه‌ها، هر يک از سه بيت تجاوز نمى‌كند، و حدود ١٨ درصد مجموع قطعه‌ها هر كدام از نه بيت فراتر نيست. به عبارت ديگر ٩٣ در صد قطعه‌ها بين يک تا نه بيت است.

گمان مى رود آنچه در دست ماست بيش از يك پنجم ديوان مفقود او نيست، و اين خود دليلى است بر دشوارى كار محقق در زمينهٔ شناخت قدرت شعرى خوارزمى و ارزيابى دقيق آن.

و اما مقاصد و اغراض شعرى خوارزمى در ابيات موجود به شرح ذيل است:

١ ـ مدح: از مجموع ٩١٨ بيت، شمار ابيات مدحيه به ٣١٨ بيت مى رسد؛ بنابراين مى توان گفت كه ٣٤/٦٪ اشعار ديوان جمع آورى شده در زمينهٔ مدح است.

٢ ـ هجاء: كه مجموعاً به ١٤٣ بيت مى رسد وحدود ١٥/٦٪ كل اشعار است.

۳ ـ غزل: نزدیك به صد بیت است وحدود ۱۰/۹٪ کل دیوان است.
٤ ـ وصف: حدود ۹۸ بیت است، و ۱۰/۷٪ کل دیوان است.
۵ ـ رثاء: حدود ۹۸ بیت است، و ۱۰/۷٪ کل دیوان است.
٦ ـ حکمت: به ٦۵ بیت می رسد، و حدود ۷٪ کل دیوان است.
۷ ـ شکایت: ۲۹ بیت است و حدود ۵/۳٪ کل دیوان است.
۸ ـ خمریات: حدود ۲۷ بیت است، و ۳٪ کل دیوان است.
۹ ـ تفاخر به خود: جمعاً ۹ بیت است و حدود ۰/۹۸٪ کل دیوان را تشکیل می‌دهد.
۱۰ ـ مقاصد متفرقه در زمینه‌های اعتذار، معما، طنز و بذله گویی، تلفیق و تشیع که مجموعاً به هفت بیت می رسد و حدود ۰/۷٦٪ از کل دیوان است.

شاید فزونی نسبت مدح در شعر خوارزمی گویای این واقعیت باشد، که او به مسائل مادی می‌اندیشید، تمایل به رسیدن به جایگاه و منزلتی والا داشت، و نسبت به دولت آل بویه تعصب فراوان می‌ورزید. خوارزمی در مدح، مطلع قصیدهٔ خود را با اطلال شروع نمی‌کند. بلکه ابتدا دو سه بیت غزل گونه سروده و سپس بدون مقدمهٔ طولانی وارد مقصود اصلی خود (مدح) می‌شود. انگیزهٔ مشترک خوارزمی در این قبیل قصاید، دستیابی به صله و هدیهٔ ممدوحان خویش بود. شاید همین انگیزه وی را به هجای افراد نیز وا می‌داشت. هجای خوارزمی را می توان سه نوع دانست: سنتی، تمسخر آمیز و فاسد، که برای هر نوع مثالهایی آوردیم. هجای سنتی خوارزمی با دیگر شاعران سنتی، که جنبه‌های منفی را بارز می کنند، تفاوتی ندارد، ولی او در هجای فاسد (ماجن) الفاظ مستهجن و رکیک رایج در آن زمان را به کار می‌برد.

غزل خوارزمی را می توان به سه قسمت تقسیم کرد، غزل زمینه ساز، غزل سنتی، تغزل به مذکر. در غزل زمینه ساز، عاطفه و احساس هیچگونه نقشی ندارد. اما در غزل سنتی شدت و ضعف بیان عاطفه در نوسان است. و ظن غالب این است که منشأ غزل او، احساس رنج و ناشکیبی از عدم وصال به معشوق نبوده است. اما در زمینهٔ تغزل به مذکر، ظن غالب آن است که او با شاعران همروزگار در این زمینه همراه و همنوا بوده، اما از وی فسقی نقل نشده است.

خوارزمی در زمینه وصف، برخی از پدیده‌های طبیعت جاندار و بی‌جان و نیز برخی از پدیده‌های اجتماعی و علمی را توصیف کرده است.

ابو بکر در رثاء، شاعری سنت گراست، و همچون دیگران صفات مثبت مرثی را بیان

می‌کند. لیکن در برخی موارد، او رثا را با شکوه و عتاب و یا با تمسخر درمی‌آمیزد، و گاه نیز حالت تناقضی را که نسبت به مرثی دارد، بر زبان می‌راند: حالت محبت و گلایه، شادی و غم، تبریک و تسلیت.

از آنجا که خوارزمی از حافظهٔ بسیار قوی برخوردار بوده، و از زندگانی تجربهٔ فراوانی اندوخته و با سیر و سیاحت نقاط بسیاری از جهان اسلام را زیر پا گذاشته، و با بسیاری از فضلا و ادبا مصاحبت و مراودت داشته است، شعر حکمی و اندرزهای او سرشار از نکات قابل تأمل است که حکایت از آگاهی و تجربه و رأی و نظر او نسبت به زندگی دارد. ابیات او نمایانگر ژرف اندیشی اوست، چه او بیشتر تابع عقل بود نه احساس و به همین لحاظ شعر او از نظر معیارهای نقد ادبی طراز اول به حساب نمی‌آمد.

شاید شرایط سخت زندگی خوارزمی، آشفتگی اوضاع سیاسی، اختلاف طبقاتی، درگیریهای فرقه‌ای و قومی، وی را بر آن داشت که ابیاتی را در شکوه از روزگار، دوستان، غربت، فراق و سرانجام پیری بسُراید.

خوارزمی به شعر و هنر خود، و نیز به خانواده‌اش مباهات و تفاخر می‌کرد؛ ولی با این‌همه غالباً از حد اعتدال خارج نمی شد و هرگز به گزافه گویی نمی‌پرداخت.

در مجموع می توان خوارزمی را بر اساس معیارها و موازین مکانی و زمانی آن روزگار، شاعری برجسته پنداشت. اما بر اساس معیارها و موازین شعری این روزگار ـ که شعر هنری والا، و تعبیری از تجربهٔ حسی درونی به صورت الهام است ـ نمی توان او را از بزرگان شعرای عرب دانست، بلکه او نویسندهٔ درخشانی است که سعی داشت شهرت ادبی خود را با سرودن شعر به کمال رساند، و نیز شاید بتوان گفت: که او از بسیاری از نویسندگان معاصرش ـ که شعر نیز می سرودند ـ در زمینهٔ شعر، پر استعدادتر، و به ساحت آن نزدیکتر بود.

اما در خصوص ویژگیهای فنی شعر خوارزمی باید گفت که وی در مضمون از پیشینیان تقلید می کرد و سروده‌هایش اشاراتی به حوادث تاریخی و حکایات قدیمی دارد و تضمینهای بسیاری از سروده‌ها و ابیات شعرای دیگر در آن به چشم می‌خورد. شعر خوارزمی در مفهوم و معنی از ابتکار در وصف پیری و شراب، به کار بردن مفاهیم اشعار دیگران در شعر خود، و خود محوری و به خود اندیشی برخوردار است. این شاعر به مسائل عمومی، اجتماعی و اسلامی نمی‌اندیشید، و شعرش فاقد مفاهیم عاطفی و احساسات گرم

بود. افزون بر این برخی از ابیاتش به دلیل گزافه گویی نفرت دیگران را برمی‌انگیخت و صور خیال و تشبیهات و استعارات شعر او نیز در سطح بالایی نبود که درک آنها مشکل باشد.

و اما از لحاظ شکل، گرچه به قصاید کاملی از او دست نیافته‌ایم، ولی می توان گفت که او گاه در یک قصیده چندین مقصد و غرض را جمع کرده است. زیرا در قصاید او جمع بین مدح و هجا، مدح و وصف، مدح و رثا، غزل و وصف به چشم می‌خورد.

بیشترین الفاظی را که به کار برده آسان و بی‌تکلف است. در عین حال از الفاظ مستهجن و رکیک، اصطلاحات علمی و فنی، و واژگان غیر عربی و معرب نیز استفاده کرده است.

شعر او عاری از آرایه‌های بدیعی در رنگهای گوناگون و اشکال متنوع نیست، زیرا طباق، جناس، مقابله، اقتباس و تضمین در آنان به وفور یافت می‌شود.

و خلاصه کلام اینکه خوارزمی در شعر خود همانند نثرش شاعری نیست که از یك عقیده دفاع کند، یا از تجربه و احساس درونی زنده‌ای برخوردار باشد که بتواند آن را بازگوید. شاعری نیست که معانی والای انسانی را در جامعه رواج دهد، و نیز شاعری نیست که فساد و اضطراب، تفرقه و از خود بیگانگی جامعه را اصلاح کند، اوضاع مسلمانان را سامان بخشد، و خطر را گوشزد کند. او نتوانسته است با زبان شعر و نثر رسالت خود را در تفهیم اصول و مفاهیم انسانی ایفا کند. خود محوری بر تار و پود اندیشهٔ او سایه افکنده و این ویژگی در شعر و نثر او کاملاً نمایان است. البته اگر به دیوان مفقود او دست می یافتیم چه بسا در این داوری تجدید نظر می شد.

در تدارک این رساله سعی و اهتمام وافر داشته‌ام که گفته‌هایم علمی، مستند و بکر باشد. در حد توان تلاش کرده‌ام با استفاده از منابع معتبر و مراجعه به منظوم و منثور خوارزمی کاملترین و واقعی‌ترین تصویر را با نقد و تحلیل از این شاعر ارائه دهم، به نظر قاصر خود انشاء الله حق علمی مطلب را ادا کرده باشم.

فهرس القوافي

« الباء »

« التّاء »

« الجيم »

« الحاء »

« الدّال »

« الفاء »

« القاف »

« الكاف »

« اللاّم »

« الميم »

« النون »

« الياء »

الملحق



فهرس الأعلام



فهرس المصادر والمراجع

ـ أ ـ

١ ـ إبن الحجاج، آذرتاش آذرنوش، دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، طهران، ج٢، ١٤١٥ / ١٩٩٥م.

٢ ـ أبو بكر الخوارزمي بين نثره وشعره، مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٣ م.

٣ ـ أبو بكر الخوارزمي حياته ـ شعره ـ رسائله، دكتور السيد ابراهيم محمد الدُّد، مطبعة علاء القاهرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٤ ـ أبو بكر الخوارزمي حياته وادبه، الدكتور احمد امين مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة اعلام العرب ١٠٧، القاهرة، ١٩٨٥م.

٥ ـ أبو بكر الخوارزمي، مريم صادقي، دائرة المعارف بزرگ اسلامي تهران، ١٣٧٢ هـ.ش، ٥ ٣٤٩ ـ ٢٥٣ (بالفارسية).

٦ ـ أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، الدكتور عبد الامير الاعسم، دار الاندلس بيروت، ١٩٨١ م.

٧ ـ أبو الطيب المتنبي ـ دراسة في التاريخ الادبي، د. ريجيس بلاشير، ترجمة ابراهيم الكيلاني

دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥ م.

٨ ـ أبو نواس ـ شعره ـ، آذرتاش آذرنوش، دائرة المعارف بزرگ اسلامي، تهران، ج٦، ١٣٧٣هـ.ش (بالفارسية).

٩ ـ الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، انيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٨، ١٩٨٨ م.

١٠ ـ إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، الدكتور محمد مصطفى هدارة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م.

١١ ـ إتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، الدكتور نبيل خليل ابو حلتم، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥م.

١٢ ـ إتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، الدكتور يوسف حسين بكار، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٧١م.

١٣ ـ أحداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين، الدكتور عبد السلام الترمانيني، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م.

١٤ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ابو بكر محمد بن احمد شمس الدين بن ابي عبد الله المقدسي البشاري (ت ٣٨٠هـ) مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٦م.

١٥ ـ إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والاندلس، ذو الوزارتين ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥م.

١٦ ـ أخلاق الوزيرين، ابو حيان علي بن محمد التوحيدي (ت ٤١٤هـ)، حققه وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٥م.

١٧ ـ أدباء فلاسفة ـ بحث في الادب والفلسفة خلال العصور: الجاهلي والاموي والعباسي، الدكتور ميخائيل مسعود، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٩٣م.

١٨ ـ الادب الاندلسي ـ موضوعاته وفنونه، الدكتور مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٣م.

١٩ ـ الادب العربي في إقليم خوارزم، هند حسين طه، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٢٠ ـ الادب العربي وتاريخه في العصر العباسي، محمد هاشم عطية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي / القاهرة، ط٣، ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦م.

٢١ ـ الادب في موكب الحضارة الاسلامية، الدكتور مصطفى الشكعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.

٢٢ ـ أدب المرتضى من سيرته وآثاره، الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، مطبعة المعارف بغداد، ط١، ١٩٥٧م.

٢٣ ـ أدب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية، محمد رضا الشبيبي، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٤ ـ أربع رسائل منتخبة من مؤلفات الامام العلامة ابي منصور الثعالبي النيشابوري، ط١، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ١٣٠١ هـ.

٢٥ ـ أروع ماقيل في الحكمة، إميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٢٦ ـ أروع ماقيل في المديح، إميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٢٧ ـ أروع ماقيل في الهجاء، إميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٢٨ ـ أسرار البلاغة في علم البيان، الامام عبد القاهر الجرجاني (ق ٤٧١ هـ)، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، نشره كتابخانه ارومية، قم، ايران، ١٤٠٤ هـ.

٢٩ ـ إعتاب الكتاب، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨هـ)، تحقيق الدكتور صالح الاشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م.

٣٠ ـ الاعجاز والايجاز لأبي منصور الثعالبي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ـ ١٩٨٣م.

٣١ ـ الاعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٨٦م.

٣٢ ـ أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ، حلب، ١٩٢٣م.

٣٣ ـ أعيان الشيعة، السيد محسن الامين، تحقيق واخراج حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٤ ـ الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧ م.

٣٥ ـ الافضليات، ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي(٤٦٣ ـ ٥٤٢ هـ)، تحقيق الدكتور وليد قصاب والدكتور عبد العزيز المانع، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٦ ـ أقرب الموارد في فُصح العربية والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني، مطبعة مرسلي اليسوعية، بيروت، ١٨٨٩م.

٣٧ ـ إكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ادوارد فنديك، مطبعة الهلال، مصر، ١٨٩٦م.

٣٨ ـ الالتزام في الشعر العربي، الدكتور احمد ابو حاقة، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.

٣٩ ـ الامالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، مراجعة لجنة احياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة، دار الجيل ودار الآفاق الحديثة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٤٠ ـ الامثال، ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، تحقيق محمد حسين الاعرجي، دار موفم للنشر، الجزائر، ١٩٩٤م.

٤١ ـ الامثال العربية القديمة، رودلف زلهايم، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢ م.

٤٢ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، الوزير جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ج ١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩ هـ، ١٩٥٠م.

٤٣ ـ الانساب، ابو سعد عبد الكريم محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦م.

٤٤ ـ الانساب المتفقة، ابو الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني (ت ٥٠٧ هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣ م.

٤٥ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (١٠٥٢ ـ ١١٢٠ هـ) تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، الطبعة الاولى (١٣٨٨هـ ١٩٦٨م الى ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م).

٤٦ ـ الاوائل، الشيخ محمد تقي الشيخ التستري، ايران، ١٣٦٣ هـ.ش.

ـ ب ـ

٤٧ ـ البحث الادبي: طبيعته، مناهجه، اصوله، مصادره، دار المعارف بمصر، ط ٢ (بدون تاريخ).

٤٨ ـ البداية والنهاية، الامام الحافظ ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، دار احياء التراث العربي بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٤٩ ـ بديع الزمان الهمذاني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية مع دراسة لحركة الادب العربي في العراق العجمي وماوراء النهر، الدكتور مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٠ ـ بديع الزمان همداني ومقامات نويسي، علي رضا ذكاوتي قراگزلو، انتشارات اطلاعات، تهران، چاپ اول، ١٣٦٤هـ.ش، (بالفارسية).

٥١ ـ بررسى در أحوال وآثار ابو حيان علي بن محمد بن عباس توحيدي شيرازي، دكتر خدا مراد مراديان، بنياد نيكوكارى نورياني، تهران، ١٣٥٢هـ .ش، (بالفارسية).

٥٢ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم الصاحب كمال الدين عمر بن احمد بن أبي جرادة (٥٨٨ ـ ٦٦٠هـ) حققه وقدم له الدكتور سهيل زكار، ج ٩، دمشق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٥٣ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ط ١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

٥٤ ـ البلاغة العربية في ثوبها الجديد ـ علم البديع ـ، الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٣، ط ٣، ١٩٩٣م.

٥٥ ـ البلاغة العربية في ثوبها الجديد ـ علم البيان ـ، الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم

للملايين، بيروت، ج ٢، ط ٤، ١٩٩٢م.

٥٦ ـ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الاثري، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ).

٥٧ ـ بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس، الامام ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ)، المجلد الاول من القسم الاول، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١م.

٥٨ ـ بين الخوارزمي والهمذاني، علي الجندي، مجلة الرسالة، العدد ٣٣٧ السنة السابعة ٧ / ١١ / ١٣٥٨هـ، ١٨/ ١٢ / ١٩٣٩م، ص ٢٣٠٢ ـ ٢٣٠٤؛ والعدد ٣٤٢ السنة الثامنة ١٣ / ١٢ / ١٣٥٨هـ ـ ٢٢ / ١ / ١٩٤٠م، ص ١٣٥ ـ ١٣٦؛ والعدد ٣٤٣ السنة الثامنة ٢٠ / ١٢ / ١٣٥٨هـ ـ ٢٩ / ١ / ١٩٤٠م، ص ١٧٥ ـ ١٧٧.

ـ ت ـ

٥٩ ـ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.

٦٠ ـ تاريخ الادب العباسي، رينولد. ا. نكلسون، ترجمة وتحقيق الدكتور صفاء خلوصي، منشورات المكتبة الاهلية، مطبعة اسعد، بغداد، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

٦١ ـ تاريخ الادب العربي، الدكتور احمد حسن الزيات، دار الثقافة، بيروت، ط ٢٩، ١٩٨٥م.

٦٢ ـ تاريخ الادب العربي، الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٥م.

٦٣ ـ تاريخ الادب العربي، د. ر. بلاشير، ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨٤م.

٦٤ ـ تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، ط ٢، افست دار الكتاب الاسلامي، قم، (لاتوجد سنة الطبع).

٦٥ ـ تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي، ادوارد جرانقيل براون، ترجمة الدكتور ابراهيم امين الشواربي، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

٦٦ ـ تاريخ ادبيات در ايران، دكتر ذبيح الله صفا، انتشارات فردوس، تهران، ط ١٢،

١٣٧١هـ.ش (١٩٩٢م) ، (بالفارسية).

٦٧ ـ تاريخ الاسلام السياسي والمدني والثقافي والاجتماعي ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٧، ١٩٦٥م.

٦٨ ـ تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨) حوادث ووفيات (٣٨١ ـ ٤٠٠هـ)، تحقيق الدكتور عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٩م.

٦٩ ـ تاريخ ايران ، شاهين مكاريوس ، مطبعة المقتطف بمصر ، ١٨٩٨م.

٧٠ ـ تاريخ بغداد او مدينة السلام ، الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، دار الكتاب العربي بيروت (لاتوجد سنة الطبع) ، أفست طبعة القاهرة ، ١٣٤٩هـ.

٧١ ـ تاريخ بيهق ، ظهير الدين ابو الحسن علي بن ابي القاسم زيد البيهقي (٥٦٥هـ) ، بكوشش دكتر قاري سيد كليم الله حسيني ، چاپخانة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد(هند) ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ، (بالفارسية).

ـــــــــــــ ، ابو الحسن علي بن زيد بيهقي معروف بابن فندق (ت ٥٦٥هـ) با تصحيح وتعليقات احمد بهمنيار ومقدمة ميرزا محمد بن عبد الوهاب قزويني ، چاپ دوم ، چاپخانة اسلاميه ، (بالفارسية).

٧٢ ـ تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزگين ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع في الشعر ، نقله الى العربية د.عرفه مصطفى ، راجع الترجمة د. محمود فهمي حجازي ود. سعيد عبد الرحيم (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣) ، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة ، قم ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ.

٧٣ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، جرجي زيدان ، ج ٤ ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٣٥م.

٧٤ ـ تاريخ الخلفاء ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٤هـ.

٧٥ ـ تاريخ الشعر العربي ، الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

٧٦ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ، كارل بروكلمان ، نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٢ ، ١٩٩٣م.

٧٧ ـ تاريخ طبرستان، بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار كاتب (تأليف ٦١٣هـ)، بتصحيح عباس اقبال، بەاهتمام محمد رمضاني، تهران، ١٣٢٠هـ.ش، (بيالفارسية).

٧٨ ـ تاريخ كزيده، حمد الله بن ابي بكر بن احمد بن نصر مستوفي قزويني (تأليف ٧٣٠هـ)، باهتمام دكتر عبد الحسين نوائي، مؤسسة انتشارات امير كبير، تهران، ط٢، ١٣٦٢ هـ.ش، (بالفارسية).

٧٩ ـ تاريخ المسلمين، الشيخ المسكين جرجس ابن العميد (ت ٦٧٢هـ)، القاهرة، ١٩٢٥م.

٨٠ ـ تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسله ماد تا عصر حاضر، عبد الله رازي، انتشارات شركت نسبي حاج محمد حسين اقبال وشركا، تهران، چاپ دوم، ١٣٣٥ش، (بالفارسية).

٨١ ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب، الدكتور احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

٨٢ ـ تاريخ نيشابور، الحاكم ابو عبد الله محمد بن عبد الله النيشابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تلخيص الخليفة النيشابوري احمد بن محمد بن حسن، نسخة خطية مصورة موجودة في مركز دائرة المعارف الاسلامية في طهران.

٨٣ ـ تاريخ نيشابور، سيد علي مؤيد ثابتي، انجمن آثار ملي، تهران، ١٣٥٥هـ.ش، (بالفارسية).

٨٤ ـ تاريخ يميني، محمد بن عبد الجبار العتبي (ت ٤٢٧هـ)، سعى في طبعه حميد الدين مخدومي خليفة، مطبعة محمدي، لاهور، ١٣٠٠هـ.

٨٥ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، السيد حسن الصدر، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة بغداد، ١٣٥٤هـ.

٨٦ ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، العلامة شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣) تحقيق وتقديم الدكتور هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٧م.

٨٧ ـ تتمة المنتهى في وقايع ايام الخلفاء، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، تصحيح آقا على محدث زاده، چاپخانة علمية، قم، ١٣٩٧هـ.

٨٨ ـ تجارب الامم، ابو علي احمد بن محمد مسكويه (ت ٤٢١هـ)، نشره هـ.ف.آمدروز،

القاهرة، ١٩١٤ ـ ١٩١٥م.

٨٩ ـ تراث فارس، أ.ج. آربري، مطبعة دار احياء الكتب العربية، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٩م.

٩٠ ـ ترجمة تاريخ يميني، ابو الشرق ناصح بن ظفر جرفادقاني، به اهتام جعفر شعار، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، تهران، ٢٥٣٧ ش، (بالفارسية).

٩١ ـ تصحيح انتقادي رسائل ابو بكر خوارزمي، محمد مهدي پورگل، پايان نامهٔ دورهٔ دكتري، دانشكده الهيات ومعارف اسلامي دانشگاه تهران، ١٣٥٧هـ.ش، (بالفارسية ومكتوب باليد).

٩٢ ـ تعليقات نقض، مير جلال الدين حسيني ارموي (محدث)، انتشارات انجمن آثار ملي، تهران، ١٣٥٨هـ.ش، (بالفارسية).

٩٣ ـ تكملة تاريخ الطبري، محمد بن عبد الملك الهمداني (ت ٥٢١ هـ) وتحقيق البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ٢، ١٩٦١م.

٩٤ ـ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٩٥ ـ التمثيل والمحاضرة، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

٩٦ ـ تنبيه الاديب على مافي شعر ابي الطيب من الحسن والمعيب، وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي المكي الشافعي الشهير بـ «بالكثير الحضرمي» (حوالىٰ ٩٧٥ هـ) تقديم وتحقيق د. رشيد عبد الرحمن صالح، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٣٩٦هـ.

٩٧ ـ التوفيق للتلفيق، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، تحقيق ابراهيم صالح، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ ث ـ

٩٨ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيشابوري، مطبعة الظاهر، القاهرة (بدون تاريخ).

———، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

———، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

- ج -

٩٩ ـ الجامع في تاريخ الادب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.

١٠٠ ـ الجماهر في الجواهر، أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ ـ ٤٤٠ هـ)، تحقيق يوسف الهادي، شركة النشر العلمي والثقافي، تحت اشراف مكتب نشر التراث المخطوط، طهران، ط ١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٥م.

١٠١ ـ جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب، احمد الهاشمي، دار الكتب العلمية بيروت، (الجزء ١ـ٢)، ط ٣٠ (بدون تاريخ).

- ح -

١٠٢ ـ الحاجة الى استعراض جديد لمكتبة الادب العربي، ابو الحسن علي الحسين الندوي، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، الجزء الرابع، المجلد الثاني والثلاثون، تشرين الاول، ١٩٥٧م.

١٠٣ ـ حديقة الافراح لازالة الاتراح، احمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الانصاري الشرواني (ت ١٢٥٣هـ)، بولاق، ١٢٨٢هـ.

١٠٤ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، نقله الى العربية محمد عبد الهادي ابو ريدة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م.

١٠٥ ـ حلب والتشيّع، الشيخ ابراهيم نصر الله، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٠٦ ـ الحماسة الشجرية، هبة الله بن علي، ابو السعادات العلوي المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٤٥هـ.

١٠٧ ـ حماسة الظرفاء من اشعار المحدثين والقدماء، ابو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الزوزني

(ت ٤٣١هـ)، تحقيق محمد المعيبد، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٨م.

١٠٨ ـ الحيوان في الادب العربي، شاكر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب بيروت، ط ١، ت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ـ خ ـ

١٠٩ ـ خاص الخاص، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، عني بتصحيحه الشيخ محمد السمكري، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١، ١٣٢٦هـ ـ ١٨٠٩م.

ـــــــــــــــ، تحقيق الدكتور صادق النقوي، حيدر آباد الدكن، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

١١٠ ـ خزانة الادب وغاية الارب: تقي الدين ابو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٩٩١م.

ـــــــــــــــ، وبهامشه رسائل بديع الزمان، دار القاموس الحديث، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٤هـ.

١١١ ـ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ).

ـ د ـ

١١٢ ـ دائرة المعارف، بطرس البستاني دار المعرفة، بيروت، ١٢٩٤هـ ـ ١٨٧٧م.

١١٣ ـ دراسات فنية في الادب العربي، الدكتور عبد الكريم اليافي، بيروت، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م.

١١٤ ـ دراسات في الشعر العربي المعاصر، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٧، ١٩٧٩م.

١١٥ ـ دَرْج الغُرر ودُرْج الدّرر، عُمر بن علي بن محمد المطويعي (ت نحو ٤٤٠هـ)، تحقيق جليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١١٦ ـ الدرّ الفريد وبيت القصيد، محمد بن ايدمر (ت بعد ٦٩٤هـ)، اصدار فؤاد سزكين وآخرين، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية في اطار جامعة فرانكفورت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١١٧ ـ دستور الكاتب في تعيين المراتب، محمد بن هندو شاه نخجواني، (القرن ٨ هجري)، بسعي واهتمام وتصحيح عبد الكريم علي اوغلي علي زاده، موسكو، ١٩٦٤م، (بالفارسية).

١١٨ ـ دمية القصر وعُصرة اهل العصر، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي (مـتـ ٤٦٧هـ) تحقيق ودراسة الدكتور محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ـــــــــــ، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١١٩ ـ ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق الاستاذ محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٢٠ ـ ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمىٰ بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه، مصطفىٰ السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

١٢١ ـ ديوان ابي الطيب المتنبي، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها الدكتور عبد الوهاب عزام، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨م.

١٢٢ ـ ديوان ابي الطيب المتنبي وفي اثناء متنه شرح الامام العلامة الواحدي، فريد رخ ديتر بصي، برلين، ١٨٦١م.

١٢٣ ـ ديوان ابي نواس، دار صادر، بيروت، (لايوجد تاريخ الطبع).

١٢٤ ـ ديوان البحتري، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).

١٢٥ ـ ديوان بديع الزمان الهمذاني، بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

١٢٦ ـ ديوان جرير، تحقيق اكرم البستاني، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م.

١٢٧ ـ ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٢٨ ـ ديوان زهير بن ابي سلمىٰ، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).

١٢٩ ـ ديوان الشريف الرضي، الشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسين، مطبعة وزارة الارشاد الاسلامي، طهران، ١٤٠٦هـ.

١٣٠ ـ ديوان (شعر ابي الفرج محمد بن احمد الغساني الملقب بالوأواء الدمشقي) عني بنشره مع ترجمة باللغة الروسية الاستاذ الفاضل كراتشوفسكي، ليدن، ١٩١٣م.

١٣١ ـ ديوان الطغرائي، تحقيق الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور يحيىٰ الجبوري، دار القلم، الكويت، ط ٢، ١٩٨٣م.

١٣٢ ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، (لايوجد تاريخ الطبع).

١٣٣ ـ ديوان المعاني، ابو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تصحيح الدكتور كرنكو، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

١٣٤ ـ ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).

ـ ذ ـ

١٣٥ ـ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق الدكتور احسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ١٩٧٥م.

١٣٦ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة، آقا بزرگ الطهراني، تنقيح احمد المنزوي، مؤسسة اسماعيليان، قم، (بدون تاريخ).

ـ ر ـ

١٣٧ ـ ربيع الابرار ونصوص الاخبار، الامام محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق الدكتور سليم النعيمي، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٣٨ ـ الرثاء في الشعر العربي او جراحات القلوب، الدكتور محمود حسن ابو ناجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

١٣٩ ـ رجال النجاشي، ابو العباس احمد بن علي النجاشي الاسدي الكوفي (٣٧٢ ـ ٤٥٠هـ)، تحقيق محمد جواد النائيني، دار الاضواء، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٤٠ ـ رسائل ابن الاثير، حررها وحققها انيس المقدسي، تم طبعها بمساعدة المجمع العلمي العراقي، دمشق، ١٩٥٩م.

١٤١ ـ رسائل ابي بكر الخوارزمي، ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، تقديم الشيخ نسيب

وهيبة الخازن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٠م.

١٤٢ ـ الرماني النحوي ـ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ـ الدكتور مازن المبارك، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤م.

١٤٣ ـ روضات الجنات في احوال العلماء والسادات، الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصفهاني (ت ١٣١٣هـ) تحقيق اسد الله اسماعيليان، مكتبة اسماعيليان، تهران ـ قم، (١٣٩١هـ).

———، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٤٤ ـ ريحانة الادب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب، ميرزا محمد علي مدرس (ت ١٣٧٣هـ)، چاپخانهٔ شفق، تبريز، چاپ دوم، ١٣٤٧ش.

١٤٥ ـ ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي (٩٧٧ ـ ١٠٦٩هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٧م.

ـ ز ـ

١٤٦ ـ زهر الآداب وثمر الألباب، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم الدكتور زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محي الدين عبد الحميد (١ـ٤)، دار الجيل، بيروت ط ٤ (بدون تاريخ).

———، تحقيق وضبط وشرح علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م.

ـ س ـ

١٤٧ ـ سامانيان، احمد علي محبي، انجمن تاريخ افغانستان نمره (٤٠)، ١٣٣٤هـ.ش، (بالفارسية).

١٤٨ ـ سبک شناسی يا تاريخ تطور نثر فارسي، محمد تقي بهار «ملك الشعراء»، چاپخانهٔ شرکت سهامی چاپ، تهران، چاپ دوم ١٣٣٧هـ.ش، (بالفارسية).

١٤٩ ـ سحر البلاغة وسر البراعة، ابو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)، صححه

وضبطه الاستاذ عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).

١٥٠ ـ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، صباح الدين (شهاب الدين) ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي القيسي (ت ٦٥١هـ) (المشهور بالتيفاشي)، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

١٥١ ـ سفينة الدرر ـ الشهبي الصالحي ـ مخطوط بدار الكتب المصرية، ادب ٥٣.

١٥٢ ـ الجزء الاول من سمط اللالي في شرح أمالي القالي، الوزير ابو عبيد البكري الأونبي، تصحيح وتنقيح وتعليق عبد العزيز الميمني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٦م.

١٥٣ ـ سير اعلام النبلاء، الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ج ١٦، تحقيق اكرم البوشي، اشراف شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٥٤ ـ سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، محمد بن احمد النسوي، نشر وتحقيق حافظ احمد حمدي، منشورات دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٥٣م.

١٥٥ ـ سيف الدولة الحمداني او مملكة السيف ودولة الاقلام، الدكتور مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت ومكتبة المتنبي، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٧م.

١٥٦ ـ سيف الدولة الحمداني وعصر الحمدانيين، سامي الكيالي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩م.

ـ ش ـ

١٥٧ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب، للمؤرخ الفقيه الاديب ابي الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

ـــــــــــ، دار الافاق الجديدة، بيروت، (بدون تاريخ).

١٥٨ ـ شرح ديوان أبي تمام، شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢م.

١٥٩ ـ شرح رسالة ابي بكر الخوارزمي الى جماعة الشيعة بنيسابور، صادق آئينه وند، دار

التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٥م.

١٦٠ ـ شرح الصولي لديوان ابي تمام، تحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان، بغداد، ط ١، ١٩٧٧م.

١٦١ ـ شرح المضنون به على غير أهله، هو شرح الشيخ العلامة عبيد الله بن عبد الكافي (ت بعد ٧٢٤هـ) على الابيات التي انتخبها الشيخ الامام العلامة عز الدين عبد الوهاب الزنجاني (ت بعد ٦٥٥هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١، ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م.

١٦٢ ـ شرح مقامات الحريري البصري الامام الشيخ العلامة ابو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي (ت ٦٢٠هـ)، اشرف على نشره وطبعه وتصحيحه محمد عبد المنعم خفاجي، الجزء الاول، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد احمد حنفي، القاهرة، ط ١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

١٦٣ ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (أبي حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن ابي الحديد ٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

١٦٤ ـ شروح سقط الزند، السفر الثاني من آثار ابي العلاء المعري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م.

١٦٥ ـ شعراء الغري او النجفيات، علي الخاقاني، مطبعة بهمن، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٨هـ.

١٦٦ ـ الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري، حسين صبيح العلاق، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ومكتبة التربية، بغداد، ١٩٧٣م.

١٦٧ ـ الشعر والشعراء، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢م.

١٦٨ ـ الشعر والشعراء في العصر العباسي، الدكتور مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٩١م.

١٦٩ ـ شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور (المؤلف سنة ١٣٠٩هـ)، الميرزا ابو الفضل ابن الميرزا ابو القاسم الطهراني، كتابفروشى مرتضوي، تهران، (بدون تاريخ)، (بالفارسية).

١٧٠ ـ شفاء الغليل، شهاب الدين احمد الخفاجي (٩٧٧ ـ ١٠٦٩هـ)، تصحيح بدر الدين

النعساني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

١٧١ ـ الشهاب في الشيب والشباب، الشريف المرتضىٰ ابو القاسم علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ)، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠٢هـ.

ـ ص ـ

١٧٢ ـ الصاحب بن عباد: حياته وأدبه، الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط ١، ١٣٧٦ / ١٩٥٧م.

١٧٣ ـ صاحب بن عباد ـ شرح احوال وآثار ـ احمد بهمنيار بكوشش دكتر محمد ابراهيم باستاني باريزي، تهران، ١٣٣٤هـ.ش، (بالفارسية).

١٧٤ ـ الصاحبي، في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

١٧٥ ـ صبح الاعشىٰ في صناعة الانشاء، ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٧٦ ـ الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، يوسف البديعي (ت ١٠٧٣هـ) تحقيق مصطفىٰ السقا ومحمد شتا وعبده زياده عبده، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٧٧ ـ الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٠م.

١٧٨ ـ صحيح مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.

١٧٩ ـ الصداقة والصديق، ابو حيان علي بن محمد بن علي التوحيدي الصوفي (ت ٣٨٠هـ)، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠١هـ.

ـ ط ـ

١٨٠ ـ طبقات اعلام الشيعة في القرن الرابع (نوابغ الرواة في رابعة المئات)، آقا بزرگ الطهراني، تحقيق علي نقي منزوي، مؤسسة اسماعيليان، قم، ط ٢، (بدون تاريخ).

١٨١ ـ طبقات الشافعية الكبرىٰ، شيخ الاسلام تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار المعرفة، بيروت، اوفست عن طبعة القاهرة سنة ١١٢٩هـ.

١٨٢ ـ طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م.

١٨٣ ـ طبقات النحاة واللغويين، تقي الدين ابن قاضي شهبة الاسدي الشافعي (ت ٨٥١هـ)، تحقيق الدكتور محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧٤م.

١٨٤ ـ الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، الدكتور بهيج مجيد القنطار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٠٤٦هـ / ١٩٨٦م.

١٨٥ ـ طيف الخيال، الشريف المرتضىٰ ابو القاسم علي بن الحسين بن موسىٰ (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق صلاح خالص، دار المعرفة، بغداد، ١٩٧٥م.

ـ ظ ـ

١٨٦ ـ ظهر الاسلام، احمد أمين، ج ١، القاهرة، مطبعة خلف، ١٩٥٨م.

ـــــــــــــــ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ج ١ ط ٣، ج ٢ ط ١، (بدون تاريخ).

ـ ع ـ

١٨٧ ـ عرْفُ الطِّيِّب في شرح ديوان ابي الطِّيِّب، الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ).

١٨٨ ـ العصر الجاهلي، الدكتور شوقي ضيف (تاريخ الادب العربي ١)، دار المعارف، القاهرة، ط ٨، ١٩٧٧م.

١٨٩ ـ عصر الدول والامارات (الجزيرة العربية ـ العراق ـ ايران)، الدكتور شوقي ضيف (تاريخ الادب العربي ٥)، دار المعارف، القاهرة، ط ٢ (بدون تاريخ).

١٩٠ ـ عصر الدول والامارات (الشام)، الدكتور شوقي ضيف (تاريخ الادب العربي ٦)، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٠م.

١٩١ ـ العصر العباسي الاول، الدكتور شوقي ضيف (تاريخ الادب العربي ٣)، دار المعارف، القاهرة،

ط٨، ١٩٨٢م.

١٩٢ ـ العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف (تاريخ الادب العربي ٤)، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٥م.

١٩٣ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (٣٩٠ ـ ٤٥٦هـ) حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.

١٩٤ ـ عيار الشعر، محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام، القاهرة، بدون تاريخ.

١٩٥ ـ عيون الاخبار، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٢٥م.

١٩٦ ـ عيون التواريخ، محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن الكتبي الداراني الدمشقي، صلاح الدين (ت ٧٦٤) مخطوطة ولي الدين رقم ١٤٩٢، القسطنطينية (مصورتها موجودة في مركز دائرة المعارف الاسلامية الكبرى بطهران).

ـ غ ـ

١٩٧ ـ الغدير في الكتاب والسنة والادب، عبد الحسين احمد الاميني النجفي، دار الكتب الاسلامية، مطبعة مروي، طهران، ط ٤، ١٤١٠هـ.

١٩٨ ـ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، ترجم نصه العربي الى الفرنسية أج. زوتينبرج، المطبعة الوطنية، باريس، ١٩٦٣م.

١٩٩ ـ غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة لأبي اسحاق محمد بن ابراهيم بن يحيىٰ بن علي الكتبي (الوطواط) (ت ٧١٨هـ)، بولاق، ١٢٨٤ هـ.

ـــــــــــــــ، المطبعة الادبية، القاهرة، ١٣١٨هـ.

٢٠٠ ـ الغزل في العصر الجاهلي، الدكتور احمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٣م.

٢٠١ ـ الغيث المسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

ـــــــــــــ، ط ٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـ ف ـ

٢٠٢ ـ الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي، احمد بن علي المنيني (١٠٨٩ ـ ١١٧٢هـ)، المطبعة الوهبية، ١٢٨٦هـ.

٢٠٣ ـ فصل المقال في شرح كتاب الامثال لأبي عبيد البكري الأونبي (ت ٤٨٧هـ)، حققه وقدم له: الدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور احسان عباس، ط ١، ١٩٥٨م.

٢٠٤ ـ فقه اللغة وسر العربية، الامام أبو منصور اسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) مؤسسه مطبوعاتي اسماعيليان، قم، ايران (بدون تاريخ).

٢٠٥ ـ فن الشعر الخمري وتطوره في الادب العربي، ايليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٦٠م.

٢٠٦ ـ فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ايليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٠٧ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ١٢، ١٩٩٣م.

٢٠٨ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ١٢، ١٩٩٥م.

٢٠٩ ـ فنون ايرانية في العصر الاسلامي، الدكتور زكي محمد حسن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٠م.

٢١٠ ـ فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، الدكتور مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١م.

٢١١ ـ الفهرست، ابو الفرج محمد بن اسحاق النديم، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤٨هـ.

٢١٢ ـ فهرست الكتب العربية المحفوظة بدار الكتب الشرقية في طوكيو، اعداد الجمعية لدراسات آسيا الوسطىٰ والاسلام، طوكيو، رجب ١٤٠٥هـ / مارس ١٩٨٥م.

٢١٣ ـ فهرست ميكرو فيلمهاى كتابخانۀ مركزى دانشكاه تهران، محمد تقي دانش پژوه، انتشارات دانشگاه تهران، (١٢٥٩)، تهران، ١٣٤٨هـ.ش، (بالفارسية).

ـ ق ـ

٢١٤ ـ قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، مركز نشر الكتاب، المطبعة العلمية، قم، ١٣٨٧هـ.

٢١٥ ـ قاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، (بدون تاريخ).

٢١٦ ـ قصيدة الغزل العربية بين الحلم والواقع من العصر الجاهلي حتى القرن الثاني الهجري، الدكتور عبد الحميد جيدة، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، لبنان، ١٩٨٧م.

٢١٧ ـ قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي، الدكتور عبد الحميد جيدة، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، لبنان، ١٩٨٥م.

٢١٨ ـ قول علىٰ قول، حسن سعيد الكرمي (الاجزاء: ٢، ٣، ٥، ٧، ٩)، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط ٥، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

ـ ك ـ

٢١٩ ـ الكامل في التاريخ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني المعروف بابن الاثير، تحقيق علي شيري، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م.

٢٢٠ ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، مصطفىٰ عبد الله الشهير بحاجي خليفة، مطبعة وكالة المعارف، ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م.

٢٢١ ـ كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، الشيخ ابراهيم افندي الاحدب الطرابلسي (١٢٤٠ ـ ١٣٠٨هـ)، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠م.

٢٢٢ ـ الكشكول، الشيخ بهاء الدين محمد العاملي (ت ١٠٣١هـ) مطبعة الحكمة، قم، ج

١٣٧٧هـ، وج ٣، ١٣٧٩هـ.

٢٢٣ ـ كنز العلوم واللغة، محمد فريد وجدي، مطبعة الواعظ، مصر، ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م.

٢٢٤ ـ كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث، الدكتور إميل يعقوب، طرابلس، لبنان، ١٩٨٦م.

ـ ل ـ

٢٢٥ ـ اللباب في تهذيب الانساب، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الاثير (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، ج ١، ١٣٥٧هـ، ج ٢، ١٣٥٦هـ.

٢٢٦ ـ اللزوميات، ابو العلاء المعري، تحقيق جماعة من الاخصائيين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م.

٢٢٧ ـ لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن المنظور الافريقي المصري، نشر ادب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

٢٢٨ ـ لغت نامه، علي اكبر دهخدا، چاپخانه مجلس ودانشگاه تهران، تهران، ١٣٢٥ ـ ١٣٥٠ش، (بالفارسية).

ـ م ـ

٢٢٩ ـ مجالس المؤمنين، سيد نور الله شوشتري (شهادت ١٠١٩هـ)، كتابفروشى اسلامية، چاپخانهٔ اسلاميه، تهران، ١٣٦٥هـ.ش.

٢٣٠ ـ المجاني الحديثة، الاب شيخو، اشراف فؤاد افرام البستاني، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)، بيروت، ط ٣، ١٩٦٨م.

٢٣١ ـ مجتمع الهمداني من خلال مقاماته، الدكتور مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٣٢ ـ مجمع الامثال، ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني (ت ٥١٨هـ)، مطبعة الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٣٦٦هـ.ش.

٢٣٣ ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: ابو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هـ) المكتبة الحيدرية، قم، ١٤١٦هـ ـ ١٣٧٤هـ.ش.

٢٣٤ ـ المحمدون من الشعراء، ابو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تصحيح وتعليق محمد عبد الستار خان ايم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند، ج ١، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م، ج ٢، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

٢٣٥ ـ المختار من شعر بشار، اختيار الخالديين وشرحه لأبي الطاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التُجيبيّ البرقيّ، دار المدنية للطباعة والنشر، بيروت، (بدون تاريخ).

٢٣٦ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، ابو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (ت سنة ٧٦٨هـ)، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

٢٣٧ ـ مروج الذهب، ومعادن الجوهر، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، ج ٣، منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٩هـ.

٢٣٨ ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الدكتور ناصر الدين الاسد، دار الجيل، بيروت، ط ٨، ١٩٨٨م.

٢٣٩ ـ مصارع العشاق، الشيخ ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج القارى (٤١٧ـ ٥٠٠هـ)، المجلد الاول دار صادر، بيروت، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.

٢٤٠ ـ مصفىٰ المقال في مصنفي علم الرجال، الشيخ آقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٨هـ)، تصحيح احمد المنزوي، چاپخانهٔ دولتى ايران، ١٩٥٩م.

٢٤١ ـ مطالع البدور ومنازل السرور، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي (ت ٨١٥هـ)، القاهرة، ١٣٠٠هـ.

٢٤٢ ـ معالم العلماء، الحافظ الشهير محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.

٢٤٣ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن احمد العباسي (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م.

٢٤٤ ـ معجم الادباء، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).

ـــــــــــــ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ ـ

١٩٨٠م.

———————، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٩٣م.

٢٤٥ ـ معجم البلدان، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، مكتبة الاسدي، طهران، ١٩٦٥م

———————، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٤٦ ـ معجم الشعراء، الامام ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤ هـ)، تصحيح وتعليق الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٤٧ ـ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧م.

٢٤٨ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إليان سركيس، مطبعة سركيس، القاهرة، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م.

٢٤٩ ـ المعجم المفصل في الادب، الدكتور محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٢٥٠ ـ المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٢٥١ ـ معجم مقاييس اللغة، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

٢٥٢ ـ مفاتيح العلوم، محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق وتقديم ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيرو ،، ط١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٥٣ ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٨٦٢)، تحقيق وتقديم محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٥٤ ـ مقامات بديع الزمان الهمذاني من خلال احاديث ابن دريد، الدكتورة إكرام فاعور، دار إقرأ، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٥٥ ـ المكارم والمفاخر، ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، شرح عزت العطار، القاهرة، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م.

٢٥٦ ـ مكتبة العصر الجاهلي وادبه، الدكتور عفيف عبد الرحمن، دار الاندلس، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٥٧ ـ من ادب التشيع بالخوارزم، الدكتور صادق آئينه‌وند، انتشارات اطلاعات، تهران، ١٤١٠هـ.

٢٥٨ ـ مناظرة الخوارزمي والهمذاني، منذر الجبوري، مجلة المورد تصدرها وزارة الاعلام، الجمهورية العراقية، المجلد الثاني، كانون الاول ١٩٧٣م، العدد الرابع، دار الحرية للطباعة مطبعة الحكومة، بغداد، ١٣٩٣هـ ـ ١٣٧٣م.

٢٥٩ ـ من تاريخ الادب العربي، طه حسين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٩١م.

٢٦٠ ـ المنتخب من ادب العرب، جمعه وشرحه: احمد الاسكندري واحمد امين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري والدكتور احمد ضيف، دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٥٣م.

٢٦١ ـ المنتخب من كنايات الادباء وارشادات البلغاء، القاضي ابو العباس احمد بن محمد الجرجاني الثقفي (ت سنة ٤٨٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.

٢٦٢ ـ من غاب عنه المطرب، ابو منصور الثعالبي، تحقيق عبد المعين الملوحي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٧م.

ـــــــــــــــ، منشور في كتاب: التحفة البهية والطرفة الشهية، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠٢هـ.

٢٦٣ ـ مهيار الديلمي، حياته وشعره، الدكتور عصام عبد علي، منشورات وزارة الاعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٦م.

٢٦٤ ـ الموازنة بين ابي تمام والبحتري، الحسن بن بشر بن يحيىٰ الامدي البصري، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).

٢٦٥ ـ موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، شاكر مصطفىٰ، ج ١، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

٢٦٦ ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

ـ ن ـ

٢٦٧ ـ نثر الدّر، الوزير الكاتب ابو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١هـ)، ١ـ٧ اجزاء، مراجعة علي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة (بدون تاريخ).

٢٦٨ ـ النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، ج ١، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٤م؛ ج ٢، مطبعة السعادة بمصر، ط ٢ (بدون تاريخ).

٢٦٩ ـ نثر النظم وحل العقد، ابو منصور عبد الملك الثعالبي، المطبعة الادبية بمصر، ١٣١٧هـ.

٢٧٠ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة (بدون تاريخ).

٢٧١ ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الانباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م.

٢٧٢ ـ نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر، السيد يوسف بن يحيىٰ بن الحسين بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الحسيني اليماني الصنعاني (ت سنة ١١٢١هـ) نسخة السيد محسن الامين العاملي وتم نسخ الجزء الثاني في شعبان ١٣٥٣هـ في النجف الاشرف.

٢٧٣ ـ نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، القاضي ابو علي المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ) تحقيق عبود الشالجي المحامي، ج ٦، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

٢٧٤ ـ نصرة الثائر على المثل السائر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢٧٥ ـ نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، جمع وتقديم الدكتور جميل سعيد والدكتور داود سلوم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ٢، ١٩٨٦م.

٢٧٦ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢٧٧ ـ النقد الادبي ـ اصوله ومناهجه ـ، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ـ بيروت، ط٦، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٢٧٨ ـ نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، تحقيق كمال مصطفىٰ، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٧٩ ـ نهاية الارَب في فنون الادب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٢٣م.

٢٨٠ ـ النهاية في الكناية للامام العلامة ابي منصور الثعالبي، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠٢هـ.

ـ هـ ـ

٢٨١ ـ الهجاء، الدكتور سامي الدهان، دار المعارف بمصر، ١٩٥٨م.

٢٨٢ ـ هدية الاحباب في ذكر المعروفين بالكنىٰ والالقاب والانساب، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، كتابخانة صدوق، تهران، ١٣٦٢ش.

٢٨٣ ـ هدية العارفين، اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسماعيل باشا البغدادي، مطبعة وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥٥م، منشورات مكتبة المثنىٰ، بيروت، ١٩٦٨م.

ـ و ـ

٢٨٤ ـ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) باعتناء س.ديدرينغ، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٣م.

٢٨٥ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني(ت ٣٩٠هـ)، تحقيق وشرح محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت، ١٩٦٦م.

٢٨٦ ـ الوسيط في الادب العربي وتاريخه، احمد الاسكندري ومصطفىٰ عناني، مطبعة المعارف القاهرة، ط٧، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م.

٢٨٧ ـ وشاح دمية القصر ولقاح روضة العصر، ظهير الدين ابو الحسن علي بن ابي القاسم زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ) مخطوطة مصورة موجودة في المكتبة المركزية بجامعة طهران تحت رقم ٣٥٥ و ٢٦٠٨.

٢٨٨ ـ الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين، الدكتور جميل سعيد، مطبعة الهلال، بغداد، ط ١، ١٩٤٨م.

٢٨٩ ـ وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

ـ ي ـ

٢٩٠ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: ابو منصور عبد الملك الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، الاجزاء ١ـ٤ مع التتمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

فهرست آثار منتشر شدهٔ دفتر نشر میراث مکتوب

(با همکاری ناشران)

۱. **آثار احمدی** (تاریخ زندگانی پیامبر اسلام و ائمهٔ اطهار علیهم‌السلام) (فارسی) / احمد بن تاج‌الدین استرابادی (قرن ۱۰ ق.)؛ به کوشش میرهاشم محدّث ـ تهران : قبله، ۱۳۷۴ـ ۵۵۹ ص.

۲. **احیای حکمت** (فارسی) / علیقلی بن قرچغای خان (قرن ۱۱ ق.)؛ تصحیح و تحقیق فاطمه فنا؛ با مقدمهٔ دکتر غلامحسین ابراهیمی دینانی ـ تهران : احیاء کتاب، ۱۳۷۶ ـ ۲ ج.

۳. **انوارالبلاغه** (فارسی) / محمد هادی مازندرانی، مشهور به مترجم (قرن ۱۲ ق.)؛ تصحیح محمدعلی غلامی‌نژاد ـ تهران : قبله، ۱۳۷۶ ـ ۴۲۴ ص.

۴. **بخشی از تفسیری کهن به پارسی** / از مؤلفی ناشناخته (حدود قرن چهارم هجری)؛ تصحیح و تحقیق دکتر سید مرتضی آیةالله زاده شیرازی ـ تهران : قبله، ۱۳۷۵ ـ ۴۷۰ ص.

۵. **تاج‌التراجم فی تفسیرالقرآن للأعاجم** (فارسی) / ابوالمظفّر اسفراینی (قرن ۵ ق.)؛ تصحیح نجیب مایل هروی [و] علی اکبر الهی خراسانی ـ تهران : شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۴. ۳ ج. (۱۴۳۶ ص.).

۶. **تائیهٔ عبدالرحمان جامی** [ترجمهٔ تائیهٔ ابن فارض، به انضمام شرح قیصری بر تائیهٔ ابن فارض] (قرن ۹ ق.)؛ (عربی ـ فارسی)؛ مقدمه، تصحیح و تحقیق دکتر صادق خورشا ـ تهران : نقطه، ۱۳۷۶ ـ ۳۴۶ ص.

۷. **تحفةالمحبّین** (فارسی) / یعقوب‌بن حسن سراج شیرازی (قرن ۱۰ ق.)؛ به اشراف محمد تقی دانش‌پژوه؛ به کوشش کرامت رعنا حسینی و ایرج افشار ـ تهران : نقطه، ۱۳۷۶ ـ ۳۷۰ ص.

۸ **ترجمهٔ المدخل الیٰ علم احکام النجوم** (فارسی) / ابو نصر قمی (قرن ۴ ق.)؛ از مترجمی ناشناخته؛ تصحیح جلیل اخوان زنجانی ـ تهران : شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۴ ـ صد و هشت، ۲۸۲ ص.

۹. **ترجمهٔ اناجیل اربعه** (فارسی) / ترجمه، تعلیقات و توضیحات میرمحمد باقر خاتون آبادی (۱۰۷۰ ـ ۱۱۲۷ ق.)؛ تصحیح رسول جعفریان ـ تهران: نقطه، ۱۳۷۵ ـ ۳۵۲ ص.

۱۰. **ترجمهٔ تقویم‌التواریخ** (سالشمار رویدادهای مهم جهان از آغاز آفرینش تا سال ۱۰۸۵ هجری قمری) / حاجی خلیفه (قرن ۱۱ ق.)؛ از مترجمی ناشناخته؛ تصحیح میرهاشم محدّث ـ تهران : احیاء کتاب، ۱۳۷۵ ـ ۵۲۴ ص.

۱۱. **تسلیةالعباد در ترجمهٔ مسکّن الفؤاد شهید ثانی** (فارسی) / ترجمهٔ مجدالأدباء خراسانی (قرن ۱۳ ق.)؛ به کوشش محمدرضا انصاری ـ قم : هجرت، ۱۳۷۴ ـ ۱۹۳ ص.

۱۲. **التصریف لمن عجز عن‌التألیف** (بخش جراحی و ابزارهای آن) (ترجمهٔ فارسی)/ ابوالقاسم خلف بن عباس زهراوی (قرن ۴ ق.) / ترجمهٔ احمدآرام ـ مهدی محقق.ـ تهران: مؤسسهٔ مطالعات اسلامی دانشگاه تهران، ۱۳۷۴ ـ ۲۷۸ ص.

۱۳. **التعریف بطبقات الامم** (عربی) / قاضی صاعد اندلسی (قرن ۵ ق.)؛ مقدمه، تصحیح و تحقیق دکتر غلامرضا جمشید نژاد اوّل ـ قم : هجرت، ۱۳۷۶ ـ ۳۳۶ ص.

۱۴. **تغییرات و ترقیات در وضع و حرکت و مسافرت و حمل اشیا و فواید راه آهن** (فارسی) / محمد کاشف (قرن ۱۴ ق.)؛ به کوشش محمد جواد صاحبی.ـ تهران: نشر نقطه، ۱۳۷۳.ـ ۱۳۲ص.

۱۵. **تفسیر الشهرستانی المسمی مفاتیح‌الاسرار و مصابیح‌الابرار** (عربی) / الامام محمد بن عبدالکریم الشهرستانی (قرن ۶ ق.)؛ تصحیح دکتر محمدعلی آذرشب .ـ تهران : احیاء کتاب، ۱۳۷۵ (ج. ۱).

۱۶. **جغرافیای حافظ ابرو** (فارسی) / شهاب الدین عبدالله خوافی مشهور به حافظ ابرو (قرن ۹ ق.)؛ تصحیح صادق سجادی [و] علی آل داوود .ـ تهران : بنیان، ۱۳۷۵ (ج. ۱).

۱۷. **جغرافیای نیمروز** (فارسی) / ذوالفقار کرمانی (قرن ۱۳ ق.)؛ به کوشش عزیزالله عطاردی .ـ تهران : عطارد، ۱۳۷۴ .ـ ۲۳۰ ص.

۱۸. **الجماهر فی الجواهر** (عربی) / ابوریحان البیرونی (قرن ۵ ق.)؛ تحقیق یوسف الهادی .ـ تهران : شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۴ .ـ هفت، ۵۶۲ ص.

۱۹. **دیوان ابی‌بکر الخوارزمی** (عربی) / ابوبکر الخوارزمی (قرن ۵ ق)؛ تصحیح دکتر حامد صدقی .ـ تهران : آینهٔ میراث، ۱۳۷۶ .ـ ۴۵۰ ص.

۲۰. **دیوان حزین لاهیجی** (فارسی) / حزین لاهیجی (قرن ۱۲ ق.)؛ تصحیح ذبیح‌الله صاحبکار .ـ تهران : نشر سایه، ۱۳۷۴ .ـ ۸۷۲ ص.

۲۱. **راحةالارواح و مونس الاشباح** (در شرح زندگانی، فضایل و معجزات رسول اکرم، فاطمهٔ زهرا و ائمهٔ اطهار علیهم‌السّلام) (فارسی) / حسن شیعی سبزواری (قرن ۸ ق.)؛ به کوشش محمد سپهری .ـ تهران : اهل‌قلم، ۱۳۷۵ .ـ ۲۹۸ ص.

۲۲. **رسائل دهدار** / محمد بن محمود دهدار شیرازی (قرن ۱۰ق.)؛ به کوشش محمد حسین اکبری ساوی.ـ تهران : نشر نقطه، ۱۳۷۵ .ـ ۳۶۳ ص.

۲۳. **رسائل فارسی** / حسن بن عبدالرزاق لاهیجی (قرن ۱۱ ق.)؛ تصحیح علی صدرائی خوئی .ـ تهران : مرکز فرهنگی نشر قبله، ۱۳۷۵ .ـ ۳۴۱ ص.

۲۴. **رسائل فارسی جرجانی** / ضیاءالدین بن سدیدالدین جرجانی؛ تصحیح و تحقیق دکتر معصومه نور محمدی .ـ تهران : احیاء کتاب، ۱۳۷۵ .ـ ۲۵۲ ص.

۲۵. **شرح القبسات** (عربی) / میر سید احمد علوی؛ تحقیق حامد ناجی اصفهانی؛ [با مقدمهٔ فارسی و انگلیسی دکتر مهدی محقق] .ـ تهران : مؤسسهٔ مطالعات اسلامی دانشگاه تهران، ۱۳۷۵ .ـ ۷۴۷ ص.

۲۶. **شرح منهاج الکرامه فی اثبات الامامه علّامهٔ حلّی** (عربی) / تألیف علیّ الحسینی المیلانی .ـ تهران : احیاء کتاب، ۱۳۷۶ .ـ (ج. ۱)

۲۷. **طب الفقراء والمساکین** (عربی) / ابوجعفر احمد بن ابراهیم بن ابی خالد بن الجزار (قرن ۴ ق.) / تحقیق دکتر وجیهة کاظم آل طعمة ـ تهران : مؤسسهٔ مطالعات اسلامی دانشگاه تهران، ۱۳۷۵ .ـ ۲۳۹ ص.

۲۸. **عقل و عشق، یا، مناظرات خمس** (فارسی) / صائن الدین علی بن محمّد تُرکهٔ اصفهانی (۷۷۰ ـ ۸۳۵ ق.)؛ تصحیح اکرم جودی نعمتی .ـ تهران : نقطه، ۱۳۷۵ .ـ ۲۱۸ ص.

۲۹. **عیار دانش** (مشتمل بر طبیعیات و الهیات) / علینقی بن احمد بهبهانی؛ به کوشش دکتر سید علی موسوی بهبهانی .ـ تهران : بنیان، ۱۳۷۶ .ـ ۴۶۱ ص.

۳۰. **عین‌الحکمه** / میرقوام‌الدین محمّد رازی تهرانی (قرن ۱۱ ق.)؛ تصحیح علی اوجبی.ـ تهران: انتشارات اهل‌قلم، ۱۳۷۴ .ـ ۱۷۸ ص.

۳۱ **فتح‌السبل** (فارسی) / حزین لاهیجی (قرن ۱۲ ق.)؛ به کوشش ناصر باقری بیدهندی .ـ تهران: مرکز فرهنگی نشر قبله، ۱۳۷۵ .ـ ۲۱۵ ص.

۳۲. **فرائد الفوائد در احوال مدارس و مساجد** (فارسی) / محمد زمان بن کلبعلی تبریزی؛ به کوشش رسول جعفریان .ـ تهران : احیاء کتاب، ۱۳۷۳ .ـ ۳۶۲ ص.

۳۳. **فهرست نسخه‌های خطّی مدرسهٔ خاتم‌الانبیاء (صدر) بابل** / به کوشش علی صدرائی خوئی، محمود طیّار مراغی، ابوالفضل حافظیان بابلی .ـ تهران : نشر آینهٔ میراث، ۱۳۷۶ .ـ ۲۸۰ ص.

۳۴. **فهرست نسخه‌های خطّی مدرسهٔ علمیّهٔ نمازی خوی** / به کوشش علی صدرائی خوئی، تهران: نشر آینهٔ میراث، ۱۳۷۶ .ـ ۵۳۹ ص.

۳۵. **فیض الدموع** (شرح زندگانی و شهادت امام حسین علیه‌السلام با نثر فارسی فصیح و بلیغ) / محمد ابراهیم نوّاب بدایع نگار (قرن ۱۳ ق.)؛ تصحیح اکبر ایرانی قمی .ـ قم : هجرت، ۱۳۷۴.ـ ۲۹۶ ص.

۳۶. **قاموس البحرین** (متن کلامی فارسی تألیف به سال ۸۱۴ ق.) / محمّد ابوالفضل محمّد (مشهور به حمید مفتی)؛ تصحیح علی اوجبی.ـ تهران : شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۴ .ـ ۳۹۶ ص.

۳۷. **کیمیای سعادت** : ترجمهٔ طهارةالأعراق ابوعلی مسکویه رازی / میرزا ابوطالب زنجانی؛ تصحیح دکتر ابوالقاسم امامی .ـ تهران : نشر نقطه، ۱۳۷۵ .ـ ۲۹۱ ص.

۳۸. **مجمل رشوند** (فارسی) / محمدعلی خان رشوند (قرن ۱۳ ق.)؛ تصحیح دکتر منوچهر ستوده [و] عنایت الله مجیدی .ـ تهران : احیاء کتاب، ۱۳۷۵ .ـ ۳۸۷ ص.

۳۹. **مرآت الأکوان** (تحریر شرح هدایهٔ ملّاصدرا شیرازی) / احمد بن محمد حسینی اردکانی (قرن ۱۳ ق.)؛ تصحیح عبدالله نورانی .ـ تهران : شرکت انتشارات علمی و فرهنگی، ۱۳۷۵ .ـ ۶۷۸ ص.

۴۰. **مصابیح القلوب** (شرح فارسی پنجاه و سه حدیث اخلاقی از پیامبر اکرم ـ ص) / حسن شیعی سبزواری (قرن ۸ ق.)؛ تصحیح محمد سپهری .ـ تهران : بنیان، ۱۳۷۴ .ـ ۶۴۶ ص.

۴۱. **نبراس الضیاء و تسواء السواء فی شرح باب البداء و اثبات جدوی الدعاء** (عربی) / المعلم الثالث المیر محمد باقر الداماد (المتوفی ۱۰۴۱ ق.)؛ مع تعلیقات الحکیم الالهی الملاّ علی النوری (المتوفی ۱۲۴۶ ق.)؛ تحقیق حامد ناجی اصفهانی .ـ قم : هجرت، ۱۳۷۴ .ـ نود و هفت، ۱۵۲ ص.

۴۲. **نزهةالزاهد** (ادعیهٔ مأثور از امامان معصوم ـ علیهم‌السّلام ـ با توضیحات فارسی از سدهٔ ششم) / از مؤلفی ناشناخته؛ تصحیح رسول جعفریان .ـ تهران : احیاء کتاب، ۱۳۷۵ .ـ ۳۶۳ ص.

۴۳. **النظامیّة فی مذهب الامامیّة** (متن کلامی فارسی قرن دهم هـ. ق.) / محمدبن احمد خواجگی شیرازی؛ تصحیح و تحقیق علی اوجبی .ـ تهران : مرکز فرهنگی نشر قبله، ۱۳۷۵ .ـ ۲۳۹ ص.

In the Name of God, the Compassionate, the Merciful

Like a very large sea, the rich Islamic culture of Iran has produced countless waves of handwritten works. In truth these manuscripts are the records of scholars and great minds, and the hallmark of us Iranians. Each generation has the duty to protect this valuable heritage, and to strive for its revival and restoration, so that our own historical, cultural, Literary, and scientific background be better known and understood.

Despite all the efforts in recent years for recognition of this country's written treasures, the research and study done, and the hundreds of valuable books and treatises that have been published, there is still much work to do. Libraries inside and outside the country preserve thousands of books and treatises in manuscript form which have been neither identified nor published. Moreover, many texts, even though they have been printed many times, have not been edited in accordance with scientific methods and are in need of more research and critical editions.

The revival and publication of manuscripts is a responsibility of researchers and cultural institutions. The Ministry of Culture and Islamic Guidance in pursuing its cultural goals has established such a center in the hope that, through sponsoring the efforts of researchers and editors and with the participation of publishers, it may have a share in the publication of this written heritage, presenting a valuable collection of texts and sources to the friends of Islamic Iranian culture and society.

The Written Heritage Publication Office

AN ĀYENE-YE MIRĀṢ BOOK
In Collaboration with the Written Heritage Publication Office

First Published in Iran by Āyene-ye Mirāṣ

PRINTED IN IRAN

DĪWĀN-I ABĪBAKR AL-XWĀRAẒMĪ

Muḥammad ibn al-'Abbās

(d. 383 A. H.)

Edited & Introduced by

Dr. Ḥāmid Ṣedqī

Āyene-ye Mirāṯ

Tehran, 1997

DĪWĀN-I ABĪBAKR AL-XWĀRAZMĪ

Muḥammad ibn al-ʿAbbās

(d. 383 A. H.)

Edited & Introduced by

Dr. Ḥāmid Ṣedqī



Āyene-ye Mirāṯ

Tehran 1997